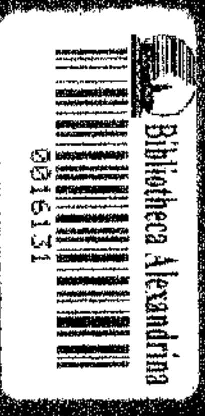
تاريخ الفكر المسيحي



تـاريخ الفـكر المسـيحى

الجزء الثالث

بقــلم

الدكتور القس حنا الخضرى



دار الثقافة

طبعة أولى

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٥٢٣ ط١ ك٣ / ٣ - ٣ / ٩١

رقم الايداع بدار الكتب : ٧٥٨٦ / ١٩٩١

دولي: ٩ - ٠٦٢ - ٢١٣ - ٩٧٧

جمع في سيوبرس ت: ٩٠٢٦٦٧ - ٩٠٦٦٨٣

طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة

إهداء

إعترافًا بالجميل وتقديرًا للمحبة والصداقة أُهدى هذا الكتاب إلى بعض الهيئات والأشخاص الذين أكن لهم كل حب وتقدير وإحترام ، ومنهم :

زوجتى وأولادى المحبوبون الذين يتحملون بصبر غيابى ويحملون فى غيابى مسئولياتى ، أخى المحبوب فرح جرجس وكل إخواتى . الإكليركية الكاثوليكية بالمعادى . وكلية العلوم الدينية المسيحية البروتستانتية (كلية اللاهوت) بالعباسية .

الكنيسة الإنجيلية الثانية بالمنيا وراعيها الدكتور القس فايز فارس ، فبفضل هذه الكنيسة وراعيها المحبوب قُبلت كطالب فى كلية (اللاهوت) .

القس باقى صدقة جرجس ، والقس كمال يوسف والقس صفوت نجيب البياضى والقس مكرم نجيب والقس سليمان صادق والدفعة التى تشرفت بالدراسة معها لمدة أربع سنوات القسوس رمزى بسطا ، رمزى شاكر ، ناجى ابراهيم ، هارون ناشد . ثم القس اوليفيه بيجو **Olivier Pigeaud** والسيد جايو كراسى **Gaio Grassi** والسيدة أ . ف . هور **A. V. Heuer** ومستشفى نيكر **Hospital Necker** ومجلس الكنائس العالمى فى جنيف**(WCC. GENEVA)** ، والثلاث كنائس الفرنسية التى أتشرف برعايتها وهى كنائس **Chatillon. S. L. Cosne Sancerre.**

إلى هؤلاء جميعًا وإلى آخرين أيضًا أذكرهم فى قلبى وفى صلاتى أهدى هذا الكتاب .

المؤلف

هذا الكتاب

منذ القرن الميلادى الأول والكنيسة تواجه بالكثير من الأفكار الخاطئة التى تمس عقيدتها .. فكيف دافعت الكنيسة عن ايمانها وعقيدتها ؟

ذلك هو موضوع تلك السلسلة من تاريخ الفكر المسيحي التى تركز على ما يتعلق بشخص السيد المسيح .

فى هذا الجزء الثالث يركز الباحث على الفترة من سنة ٤٣١ م ــ ٤٥١ م أى منذ مجمع أفسس الأول إلى مجمع خلقدونية . وفى تلك الفترة تظهر تلك المفارقة إذ يدين مجمع القسطنطينية أوطيخا رئيس دير الرهبان بالقسطنطينية لتعليمه بوجود طبيعة واحدة فى شخص الرب يسوع المسيح ، ويوصى بخلعه . ثم يأتى مجمع أفسس الثانى ليبرئه . ثم يُعقد مجمع خلقدونية الذى يرفض تعاليم أوطيخا ! وقبوله عقيدة وجود طبيعتين مختلفتين ومتميزتين فى شخص الرب يسوع المسيح . لتنقسم الكنيسة إلى فرقتين الأولى تقبل قرارات المجمع (الكنائس الخلقدونية) والأخرى ترفض قرارات المجمع (الكنائس غير الخلقدونية ، ومنها كنيسة مصر).

ولاشك أيها القارىء أنك عندما تنتهى من دراسة هذا الكتاب ــ ولا أقول قراءته لأن مادته ليست للقراءة السطحية بل للدراسة المتأنية العميقة ــ عندما تنتهى منه ستقول « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » . نعم عظيم هو سر التجسد حتى حارت فيه هذه العقول الجبارة وتاهت وسقطت فى هرطقات مختلفة .

كما أنك ستقدر أيها القارىء ، الدور الكبير الذى قامت به الكنيسة للحفاظ على وحدتها وعلى سلامة عقيدتها . نعم كم من ضحايا وصفتهم المجامع بالهرطقة وحرمتهم من شركتها رغم اخلاصهم الكامل لكن سوء الفهم أو اختلاف المفاهيم جعل بعض القادة لا يفهمون بدقة ما قصده هؤلاء الضحايا لكننا نشكر الله أخيرًا لسلامة الكنيسة رغم كل هذه العواصف التى هبت عليها .

إلا أننا نلاحظ أيضًا أن الكنيسة عندما تهتم بالبحث العقيدى والجدلى فقط وتفقد المحبة فانها تنقسم . ولو اهتم القادة بالتطبيق العملى للمحبة لتخطت الكنيسة كثير من مشاكلها ولكسبت إلى صفوفها كثيرين ممن نذكرهم باكين مع أنهم من جهابذة الفكر .

وقد بذل المؤلف جهدًا كبيرًا فى تحقيق كل رأى كتبه واسناده لمراجعه حتى يرجع اليها من يريد التعمق فى البحث كما أنه كان محايدًا فى ابداء رأيه فى المواقف المختلفة فلا تحس أنه يريد أن يقنعك بفكرة مسبقة عنده لكنه يعرض كل الأراء لتظهر الحقيقة دون تحيز .

نأمل أن يفيد هذا المرجع المتخصصين من الخدام والباحثين وطلبة كليات اللاهوت وكل عضو فى الكنيسة يريد أن يعرف كيف وصل الينا الإيمان السليم .

دار الثقافة

تقديم للمجلد الثالث

قرأت بكثير من الشوق مخطوطة هذا المجلد الثالث من كتاب « تاريخ الفكر المسيحي » للقس الدكتور حنا جرجس الخضرى ، وهو الزميل الذى نعتز كثيرًا بأنه التحق بكلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة من خلال عضويته للكنيسة التى أتشرف برعايتها بالمنيا ، ثم قادته خطة الله أن يدرس الدكتوراه فى اللاهوت فى فرنسا ويكون راعيًا لعدد من الكنائس فى فرنسا . إلا أن قلبه لا يزال فى وطنه ومع كنيسته المصرية ، لذلك فهو يحضر كل عام لكى يلقى محاضرات مكثفة فى كلية اللاهوت بالقاهرة ، ويكتب أبحاثًا ودراسات قيمة باللغة العربية ؛ وأن كنيسته لتحفظ له هذا الجميل ، وتقدّر له هذا الوفاء .

ولسيادته الفضل فى أنه أول من كتب عن تاريخ الفكر المسيحىّ باللغة العربية بمثل هذا التفصيل والسرد التاريخى العلمى المسهب ، ويروق له أن يضع لتاريخ الفكر المسيحي عنوانًا معبّرًا هو « يسوع المسيح عبر الأجيال » . وبذلك فإن هذا الكتاب يعتبر فريدًا فى نوعه ، بجميع أجزائه .

إلا أن هذا المجلد الثالث ، له أهمية خاصة بالنسبة للكنيسة فى مصر وفى الشرق ، لأنه يدور حول قصة الاختلافات العقيدية التى دارت بين قيادات الكنيسة ومفكريها وفى مجامعها فى القرن الخامس الميلادى ، والتى قادت إلى انفصال بعض الكنائس التى اعتقدت فى أن للسيد المسيح طبيعة واحدة لا طبيعتين ، مثل الكنيسة القبطية الأُرثوذكسية فى بلادنا وغيرها من الكنائس غير الخلقدونية ... ونحن نقرأ فى هذا المجلد عن شخصيات مشهورة تداولت أفكارها فى ربوع بلادنا مثل القديس كيرلس الاسكندرى ، ونسطوريوس ، وأوطيخا ، وديوسقورس ... فنحس بأننا قريبون من التاريخ ، وأن التاريخ قريب منا ... ولا نشعر بالاغتراب ، بل ندرك مقدار الثراء الفكرى واللاهوتى الذى أضافه أبناء بلادنا إلى مسيرة الفكر المسيحي .

بارك الله فى الكاتب ، ليفيدنا بكل جدد وعتقاء من كنوزه .

د . القس فايز فارس

محتويات الجزء الثالث

الموضـــــوع	الصفحة

الفصــــل الخامس

الفصــــل السـادس

الفصــــل السـابع

الفصــــل الثـامن

الفصــــل التـاسع

الموضـــــوع	الصفحة

الفصـــل العـاشر

الفصل الحادى عشر

الفصل الثانى عشر

الموضـــــوع | الصفحة

الفصل الثالث عشر

تفسير العهد القديم

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الفصـــل السادس

مقدمة :

إن الفترة التى سنقوم بدراستها فى هذا المجلد فترة قصيرة جدًا فى عمر الزمن ، لأنها لا تتجاوز العشرين عامًا من سنة ٤٣١ ـــ ٤٥١ ، ومع ذلك ، فإنها تعتبر من أهم ، وأعظم ، وأغنى الفترات ، التى مر بها تاريخ الفكر المسيحى عن شخص الرب يسوع المسيح ، حتى ذلك التاريخ . ففى هذه الحقبة ، وصل الصراع السياسى والعقائدى الكرستولوجى إلى أشده : الصراع بين الإسكندرية والقسطنطينية ، روما وأنطاكية حول شخص الرب يسوع المسيح . هل هو ذو طبيعة واحدة أم طبيعتين مختلفتين ؟ ما هو عمل كل طبيعة من هاتين الطبيعتين ؟ وهل يجب فصلهما أم التمييز بينهما فقط ؟ كيف تمت عملية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت ؟ وما هو الدور الذى يقوم به كل منهما فى الأقنوم الواحد ؟ هل اللاهوت تألم مع الناسوت ؟ وما هو الدور الذى يقوم به كل منهما فى الأقنوم الواحد ؟ هل اللاهوت تألم مع الناسوت ، وهل انفصل عنه عند الموت ؟

كانت هذه الأسئلة ، وأسئلة كثيرة أخرى ، سببًا فى الصراع العنيف القاسى فى الكنيسة فَعُقِدت المجامع لحلها : مجمع القسطنطينية فى سنة ٤٤٨ ، ومجمع أفسس فى سنة ٤٤٩ ، ومجمع خلقدونية فى سنة ٤٥١ . ولكن للأسف الشديد ، لم تستطع أن تجد حلاً يرضى جميع المتنازعين . فعندما انفض مجمع خلقدونية الذى ناقش المشكلة الكرستولوجية الخاصة بوجود طبيعة واحدة أو طبيعتين ، وقبل عقيدة وجود طبيعتين فى شخص المسيح ، ترك خلفه كنيسة منقسمة وممزقة . وعلى كل دارس لتاريخ العقائد ، أن يدرس هذه الفترة بتدقيق واهتمام ، لأنها تعتبر من أهم وأحرج الفترات التى مرت بها التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع حتى ذلك الوقت . وهذا هو الموضوع الذى سأقوم بنعمة الله بمعالجته فى هذا المجلد من تاريخ الفكر المسيحي .

إن الدراسة التى نقوم بها فى هذه السلسلة من الكتب ، تدور حول تاريخ الفكر المسيحى . وفى الحقيقة إن جملة « تاريخ الفكر المسيحى » واسعة شاملة ، يقصد بها التعاليم العقائدية بصفة عامة بجميع فروعها . وإننى لا أتناول فى دراستنا إلا فرعًا واحدًا من هذه الفروع العقيدية المتعددة الجوانب فى تاريخ

الفكر المسيحى ، ألا وهو « شخص الرب يسوع المسيح عبر الأجيال » .

ولقد اتخذت أساسًا لبحثى العقائدى فى المجلدين الأول والثانى ، وفى هذا المجلد أيضًا ، سؤال الرب يسوع المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس ... « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » (متى ١٦ : ١٧)، ثم قول سمعان الشيخ « ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم ». فمن هو شخص الرب يسوع المسيح ؟ هل هو إله فقط أم إنسان فقط ؟ أم إلهٌ وإنسانٌ معًا ؟ وهل شخص الرب يسوع المسيح ، وجد فعلاً وحقيقة فى التاريخ ؟ وهل توجد أدلة تاريخية عالمية غير مسيحية ومحايدة تتكلم عن وجود يسوع التاريخى ؟ وما هى هذه الأدلة ؟

ففى المجلد الأول الذى ظهر فى سنة ١٩٨١ (٦٧٩ صفحة)، حاولت أن أجيب عن هذه الأسئلة ، وأسئلة أخرى ، مقدمًا بحثًا عقائديًا علميًا ، بطريقة تاريخية مسلسلة منظمة ، عن شخص الرب يسوع المسيح عبر الأجيال ، والمفاهيم المختلفة المتنوعة ، التى ظهرت فى الكنيسة فى القرون الخمسة الأولى .

كانت الأمة اليهودية قبل ظهور يسوع ، تتحرق شوقًا وتنتظر متلهفة مُخيًا المسيا ، الذى سوف يخلصها من الاستعمار والاستعباد ، من أيدى الأعداء الأجانب ، الذين سيطروا عليها على مر العصور . إلا أن هذا الشعب لم يعرف سيده ، ولم يعترف بسيادته ومسيانيته ، عندما جاء إلى خاصته . ولذلك ، فقد سأل أحباءه وأتباعه هذا السؤال : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » .

ولقد صار هذا السؤال منذئذ ، سؤال الأجيال كلها . فكما أن السيد طرحه على تلاميذه الذين عاشوا معه ، وعاشروه فترة من الزمن على الأرض ، فإنه يطرحه أيضًا ، على كل فرد وكنيسة وجماعة تنتمى إليه ، وتسمى باسمه فى كل جيل من الأجيال ، وفى كل مكان . وكما حاول التلاميذ الإجابة على هذا السؤال ، فقد حاولت ذلك أيضًا الكنيسة الأولى ، وكذلك كنيسة كل عصر من العصور التالية .

ولقد تعرضت فى المجلد الأول ، الذى يتحدث عن التعاليم الكرستولوجية

من القرن الأول إلى سنة ٣٨١ م ، لبعض الأجوبة والمفاهيم ، التى قدمها آباء الكنيسة ومعلموها ، سواء كانت آراء أرثوذكسية أو غير أرثوذكسية . وقد حرصت عند تقديمها ، أن أتبع أسلوبًا تاريخيًا علميًا محايدًا ، على قدر الإمكان ، مبينًا ما هى الأجوبة المختلفة التى قدمت عن سؤال المسيح ، ومن الذى قدم هذا الجواب أو هذا التعليم ، ومتى وأين وكيف ؟ وما هى التعاليم التى حكمت الكنيسة بصحتها أو هرطقتها ؟

وفى **المجلد الثانى** ، الذى ظهر فى سنة ١٩٨٦ ، تناولت نفس الموضوع « شخص الرب يسوع المسيح عبر الأجيال » متبعًا نفس الطريقة العلمية التاريخية العقائدية المحايدة . ولكنى لم أتعرض فى هذا المجلد ، إلا لفترة تاريخية قصيرة فى تاريخ الفكر المسيحى ، الخاص بشخص الرب يسوع المسيح ، من سنة ٣٨١ ــ ٤٣١ ؛ أى من مجمع القسطنطينية الأول إلى مجمع أفسس الأول . وبالرغم من قصر هذه الحقبة من الزمان إلا أنها كانت حافلة وغنية بالأحداث الكرستولوجية (التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح) .

فلقد ظهرت فيها تعاليم كثيرة مختلفة ومتنوعة . ولذلك ، فقد تعرضت أيضًا ، لتقديم بعض هذه التعاليم المتعلقة بشخص الرب يسوع المسيح ، مبينًا ، كيف وأين ومتى ظهرت هذه التعاليم (الأرثوزكسى والهرطوقى) منها ، وكيف قبلت الكنيسة التعاليم الأرثوذكسية ، وحكمت بهرطقة التعاليم غير الأرثوذكسية ورفضتها .

ولكى نتتبع تطور مفهوم الكنيسة ، وظهور بعض التعاليم الأرثوذكسية وغير الأرثوذكسية فى هذه الفترة (٣٨١ ــ ٤٣١) ، اخترت عدة شخصيات ، وأهمها أربع قاموا بدور فعَّال نشيط جدا فى تاريخ التعاليم الكرستولوجية .

وأول هذه الشخصيات : الأسقف أبولوناريوس ، الذى قاوم بشدة تعاليم أريوس ، لأن هذا الأخير علَّم بأن اللوغوس ــ الكلمة ــ لم يكن منذ الأزل ، بل وجد فى وقت معين . كما أنه لم يكن من طبيعة الله . قاوم الأسقف أبولوناريوس هذه التعاليم الأريوسية ، أما هو ، فعلم بأن الكلمة ابن الله الموجود مع الآب منذ الأزل ، والمساوى للآب فى الأبدية والجوهر ، حل فى جسد بدون روح بشرية . كان أبولوناريوس يريد إثبات حقيقة أن الكلمة

« اللوغوس » هو أزلى ومن ذات جوهر الآب ، وبهذا فقد حاول أن يهدم تعاليم أريوس والأريوسيين . وفى تشديده على لاهوت المسيح ، وطهارته وقداسته ، انزلق فى هرطقة أخرى ، هى إنكار وجود روح بشرية فى المسيح ، بمعنى أن الكلمة حل محل الروح البشرية فى المسيح ، وبالتالى فإن ناسوت (بشرية) المسيح ، لم يكن ناسوتا كاملا . وحكمت الكنيسة بهرطقة هذا التعليم عدة مرات فى سنة ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ .

وبالرغم من هذه الأحكام العديدة التى أصدرتها الكنيسة ضد أبولوناريوس ، فإن تعاليمه انتشرت فى أوساط كثيرة فى الكنيسة .

مما لاشك فيه ، أن القديس العظيم أثناسيوس ، ومن بعده القديس كيرلس وآخرون ، قاوموا هذه التعاليم . وفى أنطاكية ، قامت جماعة أخرى من المعلمين ، لرفض هذه الهرطقات الأريوسية والأبولوناريوسية ، وهم الأسقف ديودوريوس الطرسوسى ٣٣٢ — ٣٩٢ ثم الموبسيوستى ٣٥٠ — ٤٢٨ ، ونسطوريوس ٣٨٠ — ٤٥٠ . رفض هؤلاء الأساقفة تعاليم أريوس ، وتعاليم أبولوناريوس وخاصة أن هذا الأخير ، خلط وأدمج اللاهوت بالناسوت غير الكامل ، ولم يعترف إلا بوجود طبيعة واحدة فى المسيح .

فلقد رأى هؤلاء الأساقفة ، أن أبولوناريوس لاشى ناسوت المسيح بتعاليمه ؛ ولهذا السبب ، فإنهم قاموا بحملة شعواء ضد التعاليم التى تنادى بطبيعة واحدة فى المسيح ، وشددوا فى تعاليمهم على حقيقة وجود طبيعتين فى شخص المسيح . فقد علّموا بأن اللوغوس الكلمة ، حل فى الإنسان يسوع الناصرى ، منذ لحظة الحبل به ، وهو إنسان كامل التكوين ، به روح عاقلة وجسد . ففى المسيح توجد طبيعتان متحدتان ، ومتميزتان ، الواحدة عن الأخرى : اللاهوت والناسوت .

وبما أن هؤلاء الأساقفة على نحو خاص ، ومدرسة أنطاكية عامة ، حاولوا التمييز بين اللاهوت والناسوت ، أى التمييز بين الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية فقد اتُّهموا بأنهم علّموا ، بوجود مسيحين ، وابنين ، وأقنومين ، فى شخص يسوع .

وهنا يظهر القديس كيرلس لمقاومة هذه التعاليم ، وكتب رسائل ضدها ،

وقَبِل مجمع أفسس الأُول ٤٣١ أرثوذكسية تعاليم القديس كيرلس ، وحكم على تعاليم نسطوريوس .

المجلد الثالث

عرضت فى المجلد الأول الأحداث الكرستولوجية من القرن الأول حتى سنة ٣٨١ ، وفى المجلد الثانى رأينا تطور الفكر المسيحى الخاص بشخص الرب يسوع المسيح من سنة ٣٨١ إلى سنة ٤٣١ .

ولقد حاولت فى المجلدين السابقين ، أن أبرهن بطريقة تاريخية منظمة ، كيف أن كل هرطقة أو على الأقل كل انحراف ولو جزئيا، من هذه الهرطقات والانحرافات ، ظهرت لمقاومة هرطقة سابقة أو معاصرة لها . وكان معظم الذين حُكِمَ عليهم بالهرطقة ، من أفاضل وأعظم المعلمين . وفى مقاومتهم للهرطقة ، انزلق بعضهم ، أو كاد ينزلق إلى هرطقات أخرى .

وفى هذا المجلد الثالث ، الذى هو بين يدى القارىء ، سوف أواصل نفس البحث بنفس الطريقة ، عن شخص الرب يسوع المسيح عبر الأجيال . فسوف نرى أن مجمع أفسس ، الذى عقد فى سنة ٤٣١ ، لم يستطع أن يحل المشكلة الكرستولوجية ، بطريقة ترضى جميع الأطراف المعنية المتنازعة ، وأن معاهدة ٤٤٣ ، التى تمت بين كنيسة الإسكندرية من ناحية ، وكنيسة أنطاكية والقسطنطينية وخاصة أنطاكية من ناحية أخرى ، والتى قَبِل فيها القديس كيرلس ، الاعتراف بوجود طبيعتين فى المسيح يسوع ، لم تحل هذه المعاهدة المشكلة العقيدية ، بل إن هذه المعاهدة أثارت من جديد ، بعض الاضطرابات والانقسامات ، فى صفوف المتنازعين أنفسهم . وهنا يظهر أوطيخا رئيس دير رهبان القسطنطينية ، الذى قام بثورة عنيفة شعواء ، على النسطوريين ، وعلى كل من يعلم بوجود طبيعتين فى المسيح ، ونادى بوجود طبيعة واحدة .

ولم يقبل مجمع القسطنطينية (٤٤٨) هذا التعليم ، وحكم بهرطقة أوطيخا وخلعه ولم يقبل رئيس رهبان دير القسطنطينية هذا الحكم ، واستأنفه ، فاجتمع مجمع أفسس الثانى ، الذى ترأسه ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية والذى دعاه البابا ليون « بمجمع القراصنة » وحكم هذا المجمع بتبرئة أوطيخا من الهرطقة ، وإعادته إلى مركزه . واحتج على هذا المجمع

وقراراته ، بابا روما وبعض الأساقفة والإمبراطور الجديد ماركيانوس . فعقد مجمع خلقدونية فى سنة ٤٥١ وحكم برفض تعاليم أوطيخا ، وخلع ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية ، ونفيه . كما حكم أيضًا ، برفض التعاليم النسطورية ، وقبل عقيدة وجود طبيعتين مختلفتين متميزتين فى شخص المسيح يسوع .

لم تقبل الكنيسة المصرية وبعض الكنائس الأخرى هذا القرار ، وانقسمت الكنيسة إلى كتلتين :

كنيسة خلقدونية وهى التى تقبل التعاليم التى قررتها أغلبية أعضاء هذا المجمع ، وكنائس غير خلقدونية ، وهى الكنائس التى ترفض هذه القرارات .

كان هذا الانقسام من أعنف وأقسى وأمر الانقسامات ، التى مرت بها الكنيسة حتى ذلك التاريخ ، وما زلنا نعانى منه حتى الآن . وسوف ندرس فى هذا المجلد ، بعض التفاصيل الدقيقة والفنية والتاريخية ، لاسيما التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح : هل هو ذو طبيعة واحدة أم طبيعتين ؟ وما هى تعاليم القديس كيرلس العظيم الإسكندرى ، وتعاليم البابا ليون بابا روما وما هى عقيدة الكنائس الإنجيلية فى هذا الموضوع ؟ وهل توجد إمكانة للحوار المسكونى الصحيح بين الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية ، لحل هذه المشكلة ، والعمل معا بروح المحبة والإخاء لخدمة المسيح يسوع ولخدمة الإنسان ، ولحل المشاكل ، ليس فقط العقيدية والروحية ، بل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أيضًا .

إن عالم اليوم عالم متطور فى جميع النواحى ، لكنه عالم مضطرب منزعج قلق مهدد ، يحتاج إلى السلام الحقيقى . وعلى كنائس اليوم أن تكون كنائس موحدة ومتحدة تحت قيادة شخص الرب يسوع المسيح ، حتى تستطيع أن تعمل معًا ، لتقديم رسالة السلام والمحبة والأُخُوَّة الحقيقية ، والتعايش السلمى لهذا العالم المضطرب المنزعج القلق .

الجزء الأول

الفصل الأول

القديس كيرلس الإسكندرى

سبق أن عرضنا فى دراساتنا لتاريخ الفكر المسيحى فى المجلد الثانى ، حياة وتعاليم أسقف القسطنطينية نسطوريوس.(١) ثم تحدثنا بإيجاز عن بعض التعاليم ، التى نادى بها قائد الفكر العقائدى العظيم ، القديس كيرلس . على أننا لم نذكر شيئًا عن حياته،كما أننا لم نحاول أن نقدم تحليلاً شاملاً لتعاليمه ، ذلك لأننا فكرنا أن نخصص فصلاً كاملاً لدراسة حياته وتعاليمه .

يعتبر هذا الرجل واحدًا من سحابة الشهود العظيمة ، فلقد حاول أن يقدم شهادة حية قوية لامعة عن سيده ، وأن يدافع بكل ما أوتى من قوة ومعرفة ودراسة عن تعاليمه ، وعن إيمانه فى شخص الرب يسوع المسيح . فقد قام بحملة لا هوادة فيها ، أولاً لمحاربة التعاليم الآريوسية التى حاربها قبله القديس أثناسيوس العظيم . ثم حارب ثانية نسطوريوس وتعاليمه . كما أنه قاوم أيضًا الوثنية فى كتاباته ضد كتابات الإمبراطور يوليانوس المرتد.(٢) لقد قام بدور فى غاية الأهمية فى تاريخ الفكر المسيحى ، ولذلك منحه الكثيرون ألقابًا عظيمة وعديدة ومشرفة . فإن البابا سيليستينيوس (Celestin) قال فيه : « المدافع عن الإيمان الكاثوليكى القويم ، رجل رسولى كاهن أمين ».(٣) ولقد اعتبرته الكنيسة اليونانية حجة فى المسائل المتعلقة بشخص الرب يسوع المسيح،ولقبه اناستاس السينائى (من سينا) فى القرن السابع بلقب « خاتم الآباء »(٤) والكنيسة الأرثوذكسية منحته بسخاء ألقابًا عديدة متنوعة منها عمود الدين — عمود الإيمان — عمود النارالمنير — الأسد الجرىء — أثناسيوس الثانى — كوكب الرأى المستقيم .(٥)

---

(١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى:تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص١٥٠ — ٢٥٢

(٢) ولد الإمبراطور يوليانوس سنة ٣٣١ فى ميسية على الدانوب ووصل إلى العرش فى سنة ٣٦١ وقام باضطهاد عنيف ضد المسيحيين ومنح الحرية للوثنيين ، كتب ضد المسيح . وقتل فى سنة ٣٦٣

(3) G. Quasten, Initiation aux Peres, 3 pp. 198 - 199

(4) G. Quasten, Initiation aux Peres de L' Eglise, 3 p. 199 .

(٥) الشماس جورج باق (القديس كيرلس عمود الدين) مطرانية الأقباط الأرثوذكس بأسوان ص ١٦٢ — ١٦٣

على أن بعض منافسيه لقبوه أيضًا ببعض الألقاب مثل القاسى ، العنيد فرعون مصر الطاغية ، المتجبر ....

إن هذه الألقاب فى سلبياتها وإيجابياتها ، إن دلت على شيء ، فهى تدل على المكانة العظيمة والدور الكبير ، الذى قام به كيرلس فى تاريخ الفكر المسيحى . ولذلك فإننا نعتقد أنه من الضرورى على كل دارس ومدرس للعلوم العقيدية ، أن يعير اهتمامًا خاصًا لدراسة حياة وتعاليم أسقف الإسكندرية .

وسوف نحاول بنعمة الله فى دراستنا لحياة وتعاليم هذا الرجل ، أن نتوخى الدقة فى سردنا للأحداث التى مر بها وعاش فيها . كما أننا سنحاول أيضًا . تقديم تعاليمه الكرستولوجية (التعاليم الخاصة بشخص المسيح) وتعليقات بعض العلماء ، وتعليقنا الشخصى ، على تعاليمه بطريقة محايدة جدية وأمينة بقدر الإمكان . ولهذا السبب ، فإننا سنعرض فى هذا الفصل آراء بعض الكتّاب ، الذين رأوا فى معلم الإسكندرية قديسًا صالحًا ، وبطلاً عظيمًا لا يخاف الخطر ولا يهاب الموت . وبناء على ذلك ، فقد رأوا فيه قديسًا عظيمًا ، وأن أعماله كلها مقدسة وصالحة ولا غبار عليها .

كما أننا سنتعرض أيضًا لآراء الذين يعتقدون أن كيرلس وإن كان قديسًا ، فإن كل أعماله وتصرفاته لم تكن مقدسة ؛ وإن كان قد قاوم بعض الهرطقات ، فلم يكن هو نفسه بمنأى عن السقوط أحيانًا ، فى بعض الهرطقات .

فما هى تعاليمه الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ؟ وهل يؤمن بطبيعة واحدة أو بطبيعتين فى المخلص ؟ وما هى هذه العقيدة ؟ وما هو الفرق بين مفهومه ومفهوم نسطوريوس فى شخص المسيح ؟ وما هو مفهوم الكنيسة الكاثوليكية ومفهوم الكنيسة الإنجيلية فى عقيدة الطبيعتين ؟ وهل يمكننا أن نجد أرضية مشتركة فى تعاليم القديس كيرلس ، للقيام بحوار مسكونى ، هدفه الوحدة المسيحية الحقيقية ؟ هذه هى المسائل التى سنحاول معالجتها مع مسائل أخرى فى حياة وتعاليم أسقف الإسكندرية كيرلس ، ولنبدأ الآن بدراسة حياته .

حياته :

يعتقد بعض العلماء أنه ليس من السهل كتابة تاريخ حياة كيرلس المصرى

لضحالة المصادر التى تخبر عن بداية حياته وطفولته وشبابه . إلا أن فريقًا آخر ، حاول أن يقدم سيرة هذا الرجل بالرغم من قلة المصادر وضحالتها . ولقد رجع كثير من العلماء فى كتاباتهم عن حياة المعلم المصرى ، إلى المؤرخ سقراطس المعاصر له.(٦) لكن سقراط أو سقراطس لم يكن مؤرخًا محايدًا فى كتاباته عن كيرلس، لأنه كان يكرهه .

ميلاده :

يعتقد كثير من المؤرخين أن كيرلس ولد فى مدينة الإسكندرية من عائلة غنية كانت تحتل مكانة مرموقة فى المجتمع.(٧)

أما المؤرخ يوحنا الذى عاش فى القرن السابع وكان حسب الظن أسقفًا لمدينة نيقيوس (Nikiou) فهو يعتقد بأن أم كيرلس التى يجهل التاريخ اسمها ، قد تزوجت برجل من مدينة المحلة الكبرى ، وهناك وُلِد كيرلس.(٨) ولا نعلم بالتأكيد تاريخ ميلاده ولكنه من المحتمل أن يكون قد وُلد حوالى سنة ٣٧٨ .(٩)

طفولته وشبابه :

وكما أنه من الصعب تحديد مكان وتاريخ ميلاد كيرلس بدقة ، فإنه من الصعب أيضًا ، التحدث عن طفولته وشبابه بطريقة تاريخية علمية أكيدة ، لأننا نجهل الكثير جدًا من الأحداث التى مر بها من ميلاده إلى سنة ٤٠٣ ؛ أى السنة التى حضر فيها مع خاله ثيوفيلوس بطريرك الإسكندرية ، مجمع البلوطة .

ويبدو أن خاله رئيس الأساقفة ، أخذ على عاتقه أمر تربيته وتثقيفه . ويرى البعض (خاصة كتاب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) فى ثيوفيلوس رجلاً

---

(6) Socrate, H. E., 1.7, C7, P. G., and 67, Col. 749; Mansi Concil., T. 6, Col. 1005 G. 9; Hardouin. T. 2, Col. 33259.

(7) Mansi, Concil, T. 6, Col. 1005; Hardouin. T.2, Col 332 G. Mahe. Dic. Theo. Cath. P. 2476 - 2480; H. Dumanoir Dogme et Spiritualité chez Saint Cyrillr d'Alr. P. 16 - 18; G. Quasten,T. 3. P. 175

(8) The Chronicle of John Bishop of Nikiu, P. 436, 476.

(9) F. M. Abel, Article «Kyrilliana, P 81, 230 .

مقالة: دراسات مختلفة تدعى كيريليانا ظهرت بمناسبة مرور ١٥٠٠ سنة على وفاة القديس كيرلس ص ٢٣٠

تقيًا روحيًا دارسًا متعمقًا ، وسياسيًا محنكًا.(١٠) على أن البعض الآخر من المؤلفين ، يرى فى ثيوفيلوس رجلاً دارسًا ومتعمقًا فعلاً ، إلا أنه كان صارمًا قاسيًا محبًا للسيطرة طاغية ومحبًا للشغب.(١١) ولكننا نعتقد بأن الطرفين بالغا فى حكمهما على الرجل .

على أى حال ، فإن الفريقين يتفقان على أن ثيوفيلوس ، اهتم اهتمامًا خاصًا بتربية وتعليم وتثقيف وإعداد الطفل فالشاب فالرجل كيرلس . ومن المرجح أن الشاب كيرلس ، قد درس أولاً فى مدرسة بندنس وأوريجانوس الشهيرة فى ذلك العصر ، ثم انطلق إلى أثينا ، حيث تتلمذ أغلب الظن على يد العالم المشهور ليبانيوس .(١٢)

والسؤال الذى يجب أن نسأله الآن هو :ـــ هل ترهبن كيرلس أو قضى وقتًا فى الدير ؟ ولهذا السؤال ما يبرره ، فقد اكتشف البعض حديثًا ، أن الخطابات الثلاثة التى أرسلها اسيدورس (Isidore) إلى كيرلس يُشَكُّ فى صحتها . والذى أثار هذا الشك هو سيفريوس Severe,(١٣)

أما نحن فنعتقد مع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ومع بعض العلماء ، أن القديس كيرلس ، قد قضى مدة فى الدير فى الصحراء ، للدرس والصلاة ، والشركة مع الله . إن الكنيسة الأرثوذكسية تُعَلِّم ، بأن الراهب كيرلس تسلم تعليمه من الشيخ القديس سيرابيون الكبير ، وهذا الأخير تتلمذ على يد الأنبا « مقاريوس » . وقد مكث فى دير شبهيت(*) خمس سنوات استطاع فيها أن يدرس ، ليس فقط أقوال وتعاليم الآباء ، بل الكتاب المقدس أيضًا . وإن الذى يدرس كتابات كيرلس ، يستطيع أن يدرك أنه كان وافر العلم ، واسع الاطلاع

---

(١٠) إيريس حبيب المصرى قصة الكنيسة القبطية . الكتاب الأول ص ٣٧٥ ـــ ٣٩٠ الشماس منسى القمص كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٥٩ ، الشماس جورج باق القديس كيرلس عمود الدين ٤١ ـــ ٤٢

(11) Socrate, Hist., Eccl., 7,7, P.G., 67, 749; G. Quasten 175; Palladius. Vie de st., Cyrille, P.G. 47.22; G.M. de Durand, Cyrilly D'Ale, P. 7 - 12, Bardy His., de Egl., 130 - 151.

(١٢) كيرليانا ص ٨١ ـــ ٨٣

(13) Quasten, 175, severe d'Antioche (CSCO, 101, 2, 52; de Durand 9 - 11 .

(*) يعرفنا سيفروبوس بن المقفع ، وكان أسقفا لأشمونين فى كتابه الذى جمعه فى القرن العاشر بأن كيرلس قضى فى دير القديس مقار خمس سنوات كان يحفظ خلالها الكتاب المقدس (عن ظهر قلب)

وثابت الفكر .[١٤]

سيامة الراهب كيرلس شماسًا فكاهنًا :

استدعى رئيس أساقفة الإسكندرية ابن أخته للحضور من الصحراء ، وعندما جاء الراهب كيرلس ، قام خاله بسيامته شماسًا فكاهنًا . وقد طلب أن يساعده فى خدمة الوعظ والرعاية . وقد أحبه الشعب وأُعجب به وبعلمه ، سيما وأنه كان يتمتع بصوت رقيق حلو ، وهنا بدأ ثيوفيلوس يُعَدُّ بطريقة جدية وعملية بطريرك المستقبل ، ولذلك اصطحبه معه لحضور مجمع البلوطة بالقرب من مدينة خلقدونية ، وفى هذا المجمع تم الحكم بنفى القديس العظيم والواعظ المفوه يوحنا فم الذهب فى سنة ٤٠٣ .

كان الشاب كيرلس فى حوالى الخامسة والعشرين من عمره ، عندما حضر مأساة محاكمة القديس يوحنا . لقد رأى بعينيه وسمع بأذنيه ما كان يدور ويتقرر فى هذا المجمع ضد هذا الرجل القديس .

فهل اشترك فى الحكم ؟ وهل كان مقتنعًا بالقرار الذى أصدره المجمع فى حق يوحنا فم الذهب ؟ وماذا تعلم من أول مجمع كنسى حضره فى الخارج ؟ على أى حال إن التاريخ يخبرنا ، أن كيرلس أعاد ذكر اسم يوحنا فى القداس،[١٥] فهل فعل ذلك لأنه كان مقتنعًا داخليًا ببراءة الرجل ؟

كيرلس يصير بطريركا للإسكندرية :

عندما انتقل رئيس الأساقفة ثيوفيلوس إلى العالم الآخر فى يوم ١٥ أكتوبر سنة ٤١٢ ، اتجهت الأنظار إلى شخصين : الأول هوكيرلس ابن أخت رئيس الأساقفة الراحل ، والشخص الثانى ، هو تيموثاوس رئيس الشمامسة ، الذى كانت تؤيده السلطات الحاكمة،[١٦] لأنها كانت تخشى أن يتبع كيرلس سياسة خاله فى إدارة الكنيسة وفى موقفه ضد الحاكم . وبالرغم من المعارضة الشديدة التى كادت تؤدى إلى فتنة شعبية ، فقد انتُخب كيرلس رئيسًا وبطريركًا لكنيسة

---

(14) Durand, 10-11

(15) Quasten, 175

(16) Quasten, 175- 6; Socrate 7, 7, P. G. 67, 749B

الإسكندرية فى يوم ١٨ أكتوبر ٤١٢[١٧] أى بعد ثلاثة أيام من وفاة خاله.

صعوبات أمام البطريرك الجديد :

إذا أردنا أن نفهم حياة وتعاليم المعلم المصرى ، يجب علينا أن نقسم حياته إلى مرحلتين . وتبدأ المرحلة الأولى فى يوم ١٨ أكتوبر سنة ٤١٢ ، عندما نُصِّب بطريركا ، وتمتد هذه الفترة إلى سنة ٤٢٨ . فقد قام فى هذه المرحلة من حياته بأعمال رعوية وعقائدية وتفسيرية وأدبية فى الكتابة والتأليف ، تعتبر كنزًا عظيمًا وميراثًا ثمينًا ، تعتز الكنيسة شرقًا وغربًا بجميع طوائفها بحفظه والعناية به . ومن الملاحظ أنه فى هذه الفترة من ٤١٢ ــ ٤٢٨ كانت معظم تعاليم كيرلس مركزة على التمسك بتعاليم القديس أثناسيوس ورفض التعاليم الآريوسية .

أما الفترة الثانية ، فتبدأ من سنة ٤٢٨ حتى ٤٤٤ وكانت مركزة على رفض تعاليم نسطوريوس ومحاكمته ، ثم العمل على انتشار السلام ليس فقط فى الكنيسة المحلية فى مصر ، بل بين الكنائس الشرقية التى كانت مهددة فى سلامها بعد الانقسام الذى حدث فى مجمع أفسس سنة ٤٣١ .

لقد نُصِبَ كيرلس بطريركا على الكنيسة المصرية فى ريعان شبابه ، إذ أنه لم يكن قد تجاوز بعد الرابعة أو الخامسة والثلاثين من عمره . كان شابًا ذكيًا مطلعًا على الكتب المقدسة وعلى كثير من كتابات الآباء وخاصة كتابات القديس أثناسيوس الذى كان معجبًا به كل الإعجاب . وسنرى فيما بعد ، أن كل من كان يريد أن يجد نعمة فى عينه ــ (كيرلس) ــ كان يلقبه أو يشبهه بأثناسيوس.[١٨] ولقد قال عنه مؤرخ العقائد دى مانوار ... « كان مخلصًا وصادقًا كما أنه كان رجل إيمان . ولأجل ذلك فإن ليون الثالث عشر لَقَّبه بلقب معلم الكنيسة.[١٩]

ومما لاشك فيه أن كيرلس كان عالمًا ومعلمًا عظيمًا ، كان مملوءًا بالحماسة

---

(17) Dict., Theo., Cath; 2477-2479; Durand 10-12

كيرليانا ص ٨١ــ٨٢ إيريس حبيب المصرى ص ٤٢٢ــ٤٢٣ الشماس جورج باقى ص ٤٤ــ٤٥

(18) Du Manoir , P. 18

(19) Du Manoir , P. 30

والغيرة على انتشار ملكوت الله . ولكن غيرته وحماسته قادتاه فى بعض الأحيان إلى التطرف والتعصب ؛ وهذا ما سنراه فى موقفه ضد معارضيه فى الرأى، أو فى العقيدة . فعندماجلس على كرسى الإسكندرية كانت الكنيسة تمر بظروف توتر سياسى ودينى . فلم يكن خاله على وفاق مع السلطات الحاكمة ، ولهذا السبب ، حاول الحاكم وبعض العناصر المعارضة الأخرى ، استغلال الحزب المعارض لكى يرشح الشماس تيموثاوس ليحل محل ثيوفيلوس عند وفاته ، لأنهم خشوا أن يسير كيرلس على نهج خاله . ويبدو أن كيرلس اتبع فعلا — فى بعض الأحيان — سياسة خاله ثيوفيلوس فى إدارة الكنيسة داخليًا وخارجيًا . ويصف لنا المؤرخ سقراط الذى كان معاصرًا لكيرلس ، ويعد من المصادر القليلة التى تحدثنا عن حياة وشخصية الرجل ، بأنه كان أقسى من خاله وأنه كان محبًا للسلطان ، بل عمل على توسيع هذا السلطان ، ليس فقط فى المجال الكنسى الدينى ، بل فى المجال السياسى والمدنى ؛ فتدخل فى أمور لا تخص الكنيسة.[٢٠] هذا ما سجله سقراط ؛ ولكن الأمانة العلمية تتطلب أن نلفت نظر القارىء إلى أنه ليس من السهل قبول كل ما يقوله سقراط عن كيرلس ، لأنه كان عدوًا له فربما يكون مبالغًا فى وصفه . ومع ذلك ، فنحن نتفق مع عدد كبير من العلماء المؤرخين الذين رأوا فى كيرلس معلمًا عظيمًا إلا أنه ورث بعض الصفات الحسنة والرديئة من خاله . فقد قيل عنه... « ويظهر أن كيرلس قد ورث شيئًا عن خاله ، فأراد أن ينسج على منواله ، حتى دعاه البعض « فرعون مصر » . وفى الواقع أنه قد عامل بأقسى الشدة أتباع نوفاسيانوس واليهود أيضًا وقد أحدث سلوكه هذا شغبًا وفتنًا أكثر من مرة أريقت فيها دماء نقية »

سبق أن أشرنا إلى أن كيرلس انتخب بطريركًا، فى وقت كانت فيه الكنيسة تمر بظروف توتر داخلى وخارجى ، ولذلك فقد حاول أن يقود الكنيسة بشدة وبحزم . فقد كان رئيس الأساقفة الجديد شابًا وغيورًا ومتحمسًا ، وربما قد ورث أيضًا عن خاله بعض الصفات مثل القسوة ، والشدة ، والعناد . ولقد حاول تطبيق بعض هذه المبادىء التى سبب له تطبيقها متاعب كثيرة ومنها :

---

(20) Socrate Eccl. His., 7.7. P.G., 749B

١ — صراعه ضد أتباع نوفاسيانوس :

إن غيرة وحماس البطريرك الجديد ، دفعاه إلى اتخاذ موقف متشدد من جماعة النوفاسيين(*) لا بل إنه قام باضطهادهم اضطهادًا عنيفًا ، حال وصوله إلى الكرسى . وهذا يذكرنا بموقف بطريرك القسطنطينية نسطوريوس عندما قام باضطهاد الجماعات التى كانت تختلف معه فى الرأى وفى العقيدة . فعندما نصب نسطوريوس الأنطاكى رئيسًا لأساقفة القسطنطينية فى يوم ١٠ أبريل (نيسان) سنة ٤٢٨ ... ألقى خطابًا على مسامع الإمبراطور والشعب ، مبينًا فيه مخططه الدينى والسياسى . وقد قال مخاطبًا الإمبراطور « هبنى بلادًا بدون هراطقة أمنحك السماء بديلا . إستأصل معى الهراطقة أقف بجانبك فى محاربتك للفرس ... ». فبعد تنصيبه بخمسة أيام فقط ، حاول أن يهدم المكان الذى كان يجتمع فيه الآريوسيون .... ولقد عمل لدى الإمبراطور على إصدار فرمان بتاريخ ٣٠ مايو (أيار) بتعقب الهراطقة أينما وجدوا وطردهم ... يجب طرد أتباع آريوس وأبولوناريوس والنوفاسيين والمقدونيين ....(٢١)

كان نسطوريوس رئيس أساقفة القسطنطينية يعتقد ، أنه يعلم الحق، والحق كله ، وأن كل من يخالفه فى الرأى والعقيدة ، هو فى ضلال مبين . ولذلك

(*) عندما شن داقيوس الإمبراطور اضطهاداته العنيفة القاسية ضد الكنيسة ، ارتد البعض عن الإيمان وأنكروا المسيح . وفى الظروف الصعبة المعقدة فر كبريانوس أسقف قرطاجة هربًا واختبأ بعيدًا عن أعين المضطهدين وعندما هدأت الإضطهادات نسبيًا رجع بعض من الذين ارتدوا عن الإيمان إلى الكنيسة . انتهز نوفاسيوس هذه الفرصة وطعن بشدة فى إيمان كبريانوس وإيمان الذين ارتدوا أثناء الاضطهادات . كما أنه غالى فى مدح وتكريم الذين قاسوا هذه الاضطهادات المؤلمة . وكان يعلم بأن كنيسة المسيح يجب أن تكون كنيسة طاهرة روحية مقدسة ثابتة على الإيمان ، وأن الذين ثبتوا أثناء هذه الإضطهادات هم أفضل القضاة الذين يجب أن يحكموا فى أمر الحل والربط فيما يخص الذين يريدون العودة إلى الكنيسة بعد ارتدادهم . كما أنه علم أيضًا بأن الذين أنكروا المسيح لا قبول ولا مكان لهم فى الكنيسة الطاهرة مهما كانت توبتهم وندمهم على خطئهم . فإذا قبلتهم الكنيسة كأعضاء فهى ليست بكنيسة المسيح الحقيقية الطاهرة النقية . وإن كنيسة المسيح يجب أن تكون ثابتة فى الاضطهاد مهما كلفها الأمر .

(٢١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ١٥٨ — ١٥٩

لدراسة هذا الموضوع الرجا الرجوع إلى :

(21) Lire Les Peres de L'Eglise, Soeur Gabriel Peters OSB, P. 644

Duchesne L., Early His. of Christ Church, 295-300;

Eusebe. His Ecc. 6,43, Barkers Dictionary of Theology p. 380-381.

د : أسد رستم الجزء الأول ص ١١١ — ١١٥

فقد قام باضطهاد عنيف قاسٍ ، ضد بعض الجماعات المسيحية وحرض السلطات الحاكمة لطردهم . كانت « النعرة » المذهبية الطائفية تسيطر على الأغلبية الساحقة من قادة الكنيسة فى ذلك العصر والعصور الوسطى . وللأسف الشديد مازالت هذه الروح تسيطر إلى الآن على بعض قادة الأديان والطوائف فى بعض البلاد . ويبدو أن قديسنا كيرلس ، لم يتخلص تمامًا من هذه الروح . ولذلك فعندما استلم رئاسة البطريركية نهج للأسف نفس المنهج الذى اتبعه نسطوريوس . فأمر بغلق الكنائس التابعة لنوفاسيوس ثم استولى عليها ، وعلى الأملاك التابعة لها . كما أنه جرد أيضًا أسقفهم ثيوبيميتيوس (Theopemtus) من أملاكه.[٢٢] ويقول الشماس منسى القمص فى كتابه « تاريخ الكنيسة القبطية » : « فبدأ هذا البطريرك جهاده باضطهاد النوفاسيين أتباع نوفاسيانوس الهرطوقى .... »[٢٣] كما أن الشماس جورج باقى يقول « وقد اضطر البابا الإسكندرى أخيرًا أمام إصرار الجاحدين وتماديهم فى غيهم إلى استخدام سلطته الرسولية لطردهم من الإسكندرية ، وتجريد أسقفهم غير الشرعى ثيوبيميتيوس من رتبته الكهنوتية .... وظل يطاردهم حتى هربوا جميعًا من الإسكندرية »[٢٤]

مما لاشك فيه ، أن البابا كيرلس كان يشعر بمسئولية عن العقيدة والتعليم ، ولا شك أيضًا فى أن النوفاسيين تطرفوا جدًا فى تمسكهم بفكرة عدم قبول الراجعين إلى الكنيسة بعد إنكارهم للمسيح . وإننا نؤيد ونقبل تعليم كيرلس فى هذا الموضوع ، ونرفض تعاليم نوفاسيوس . ولكننا لا نقبل بأى حال من الأحوال موقف كيرلس فى استخدامه القوة والعنف ضد هذه الجماعة . لأن مسيحنا ليس مسيح العنف ، ولا يسمح لأتباعه بالاستيلاء على أملاك الناس أو أن يستخدموا السيف والقوة فى فرض عقيدتهم وتعاليمهم ، بل أرسلهم وما يزال يرسلهم ، لكى يكونوا خدامًا مبشرين بالمحبة والسلام . وبالمحبة والسلام يملك على قلوب الناس .

---

(22) Socrate Eccl., His., 7.7; Quasten 175;
Dic. Theo.. Cath; (Mahe) 2477

كيريليانا ص ٨١ — ٨٢

(٢٣) الشماس منسى القمص . كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٦٠

(٢٤) الشماس جورج باقى ص ٥٣

٢ ــ موقفه من اليهود :

من يدرس التاريخ ، يعرف جيدًا أن وجود اليهود فى مدينة الإسكندرية يرجع إلى عصور بعيدة . ففى الإسكندرية تمت ترجمة العهد القديم من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية فى القرن الثالث قبل الميلاد . وفى أيام البابا كيرلس ، كانت توجد جماعة كبيرة جدًا من اليهود ، ولم تكن العلاقات بين المسيحيين واليهود طيبة . فكم من المرات هاجم بعضهم بعضًا . وعندما تفاقمت الأمور ، وساءت العلاقات ، دبر اليهود مذبحة عامة لمسيحيى الإسكندرية ، فأذاعوا ذات ليلة ، أن النار قد اشتعلت فى كنيسة القديس إسكندر . وعندما سمع المسيحيون بهذا الخبر خرج عدد كبير منهم لإطفاء النيران . وهنا ، هجم عليهم اليهود بطريقة وحشية ، وقتلوا عددًا كبيرًا جدًا . وقد اتفق اليهود سرًا ، على أن يلبسوا فى أصابعهم خواتم مصنوعة من سعف النخل حتى يميز بعضهم البعض أثناء المعركة . وفى الصباح ، عندما أدرك المسيحيون الخدعة ، ثاروا ثورة عنيفة ، وأرادوا أن ينتقموا من اليهود ، وقتلوا فعلاً بعضًا منهم . وتقول بعض المصادر ، إن كيرلس حاول منعهم من الخوض فى معركة ضد اليهود وإبادتهم ، إلا أن معظم المصادر التاريخية تتفق ، على أن كيرلس حاول فعلاً منع المذبحة ، لكنه عمل على طردهم جميعًا من الإسكندرية ، والإستيلاء على أملاكهم ، ومجامعهم ، وتحويلها إلى كنائس . كانت هذه الحادثة هى بداية النهاية للجالية اليهودية الكبيرة ، التى كانت تقطن الإسكندرية من زمن بعيد.[٢٥]

٣ ــ موقفه من السلطات الحاكمة والوثنيين : ــ

كانت العلاقات بين كيرلس وبين أورست (Oreste) الحاكم ، سيئة جدًا من البداية . ولقد سبق وعرفنا ، بأن السلطات الحاكمة ، كانت تفضل تيموثاوس بطريركيًا بدلاً من كيرلس . والذى زاد التوتر بين السلطة الحاكمة

---

(٢٥) لدراسة هذا الموضوع ... الرجا الرجوع إلى :

Socrate Ecc.; Hit, Ch. 13, p. 159

A. Hamman, p. 286-289, Durand. 10-14;

Dic. Theo; Cat; Mahe p. 2477, Quasten 175-176; Bardy p. 157.

الشماس منسى القمص ص ٢٦٠ ــ ٢٦١ ، الشماس جورج باقى ٥٣

وبين كيرلس ، هو تزايد سلطان ونفوذ البطريرك الجديد . ولقد بحاول كيرلس أكثر من مرة بطرق مباشرة وغير مباشرة إصلاح الأمور مع الحاكم . ولكن الأخير رفض بكبرياء وتعالٍ ، بذل أى جهد يؤدى إلى الصلح وتسوية الأمور . بل إنه تدخل لدى الإمبراطور ، للدفاع عن اليهود الذين طردوا من المدينة . وعندما سمع الرهبان بخبر سوء التفاهم هذا ، وموقف الإزدراء الذى يقفه الحاكم من كيرلس ، ثاروا ، وأرادوا أن يدافعوا عن كرامة البطريرك . فجاء حوالى خمسمائة راهب من الصحراء ، وانتظروا مرور عربة أورست الحاكم . وعندما رأوه أخذوا يصرخون قائلين « الكافر ، عابد الأوثان » وعبثًا حاول الحاكم أن يقنعهم بأنه مسيحى قد تعمد على يد الأسقف أتاكيوس فى القسطنطينية . لكنهم رفضوا أن يسمعوا . بل إن واحدًا من الرهبان المتطرفين ويدعى أمونيوس (Ammonius) ، رماه بحجر ، فسقط أورست مضرجًا بدمائه . فقُبِض عليه ، وسُلِمَ للمحاكمة ، لكنه مات أثناء التحقيق . وعندئذ أقام البطريرك جنازة رسمية وألقى خطابًا لقب فيه أمونيوس بالشهيد .

ولقد أشاع البعض — وهذا غير حق حسب اعتقادنا — أن كيرلس كان على علم بأمر اغتيال الفيلسوفة الوثنية الشهيرة هيباتى أو هيباشا ، التى كانت صديقة للحاكم أورست.[٢٦] فإن الذين قاموا بهذا العمل الوحشى غير المسيحى ، جماعة من الطائشين ، الذين اعتقدوا أن هذه الفيلسوفة الوثنية صديقة الحاكم ، هى التى تقف عقبة فى تحقيق السلام بين أورست الحاكم وبين كيرلس البطريرك ، وخاصة أن هذه الفيلسوفة كان لها تأثير كبير جدًا ، ليس فقط على الحاكم بل على الأوساط المثقفة التى كانت تعيش بينها . لقد حدثت هذه الحادثة المروعة ، فى شهر مارس سنة ٤١٥ .

وبما أننا بصدد الحديث عن علاقة البابا كيرلس بالوثنيين ، فإننا لا ننسى اهتمامه بهم ، ومحاولته توصيل رسالة المسيح المخلص لهم . ولهذا السبب ، قام

---

(٢٦) للتوسع فى دراسة هذا الموضوع الرجا الرجوع الى : —

Socrate His, Eccl; 7,14; P.G. T77, Col 765,

Bardy 156; A. Hamman. 285-290, Quasten 175-6; The Catholic

University Bulletin, Oct. 1902, T.8, p 44159; Dict. Theol.

Cat; 2477, Heffel, H. LeClercq, Hist. des Conciles 2.I Paris

بالوعظ والإرشاد ، وتقديم البراهين على صحة الديانة المسيحية . ويبدو أن البطريرك لاحظ أن كتابات الإمبراطور يوليانوس المرتد عن المسيحية (٣٦١ ـــ ٣٦٢) ، تلعب دورًا هامًا فى جذب البعض إلى الوثنية . لذلك قام بتأليف كتاب ضخم ، فَنَّد فيه آراء هذا الإمبراطور الجاحد ، مبينًا أخطاءه ، ومعالجًا أيضًا موضوع سمو المسيحية على الديانات الوثنية المملوءة بالخرافات والخزعبلات اليونانية ، وأن الديانة المسيحية ، هى الميراث الحقيقى الذى وعد الله به إبراهيم . وقد ظهر هذا الكتاب فى سنة ٤٣٣ فى المرحلة الثانية من حياته .

٤ ـــ موقفه من القديس يوحنا فم الذهب :

كان الشاب كيرلس حاضرًا مع خاله ثيوفيلوس ، فى المجمع الذى عقد فى البلوطة فى سنة ٤٠٣ وحكم على يوحنا فم الذهب . وظل كيرلس متمسكًا بحكم هذا المجمع ضد يوحنا ، فلم يذكر اسمه فى قائمة الآباء الذين كانت تذكر أسماؤهم فى صلاة القداس . وبالرغم من تدخل أتيكوس أسقف القسطنطينية بخصوص هذا الأمر ، فإن كيرلس رفض وضع اسم يوحنا على القائمة . وقال إن يوحنا حكم عليه مجمع رسمى ، فلا يمكن الرجوع فى هذا الأمر . وظل كذلك حتى سنة ٤١٧ حيث قرر فى نفس السنة إعادة اسم يوحنا إلى القائمة . فكانت هذه خطوة طيبة من جانبه ، لتلطيف الجو بينه وبين بعض الكنائس الشرقية التى كانت تكن كل حب وتقدير للأسقف يوحنا فم الذهب .[٢٧]

إيريس حبيب المصرى ٤٢٤ ، الشماس منسى القمص ٢٦١
الشماس جورج باقى ص ٥٣ ـــ ٥٤

(27) F. Cayre , A.A. 21 ;
P.G. 77 , Nicephore Callistre ,
H.E. I , 14 , C. 28 ; P.G. 150 ,6

الفصل الثانى

القديس كيرلس ونزاعه مع نسطوريوس حول التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ولقب والدة الإله للعذراء القديسة مريم المرحلة الثانية من حياته

تميزت الفترة الأولى من حياة القديس كيرلس ، بصراعه العقيدى ضد جماعة الأريوسيين ، الذين كانوا يعلّمون بعدم مساواة الابن بالآب فى الجوهر والزمن . وفى دفاعه عن مساواتهما فى الجوهر وفى الزمن ، رجع القديس المصرى كثيرًا إلى تعاليم القديس أثناسيوس ، لدرجة أنه اقتبس فى كتابه (Le Thesaurus « الكنز ») ثلث ما كتبه القديس أثناسيوس فى كتابه الذى يدعى (Contra Arianos « ضد أريوس ») ولقد حاول القديس كيرلس فى هذا الكتاب ، ثم فى كتاباته الأخرى (الحوار) أن يفند تعاليم أريوس ، كما فعل قبله القديس أثناسيوس وأن يقدم البراهين القوية المقنعة ، على خطأ وخطر التعاليم الآريوسية . فلقد كانت مشكلة علاقة الآب بالابن ومساواتهما فى الجوهر والقدرة ، وأصل اللوغوس وبدايته وعمله ، تشغل أفكار عدد كبير من آباء الكنيسة على مر العصور . وبما أن كيرلس كان تلميذًا ، للقديس أثناسيوس وكان يفتخر بذلك ، فقد رجع إلى تعاليم أستاذه فى دفاعه ضد تعاليم أريوس ، فى الفترة الأولى من حياته من سنة ٤١٢ ــ ٤٢٨ .

أما فى الفترة الثانية من حياته فقد واجه كيرلس مشكلة عقائدية أخري : وهى مشكلة اتحاد الطبيعتين فى شخص المسيح يسوع ، والتى سوف نتحدث عنها بالتفصيل عندما نعرض تعاليمه الكرستولوجية .

ولكن لندرس الآن بعض الأحداث التاريخية التى مر بها بطريرك الإسكندرية ، فى الفترة الثانية من حياته . وسنحاول فى هذا الفصل ، دراسة الصراع بين كيرلس ونسطوريوس مبينين متى ، وأين ، وكيف بدأ وانتهى هذا الصراع الكرستولوجى ؟ وما هى الأسباب العقائدية والسياسية ، التى أثارت

هذا الصراع ، الذى أدى إلى حرم نسطوريوس وفصله ، ثم تكوين كنيسة نسطورية ؟ وما هو الدور الذى قام به كيرلس على الصعيد العقائدى والسياسى ، فى عقد ورئاسة مجمع أفسس ؟

ولكى نفهم الصراع العنيف المرير والمحزن ، الذى مرت به الكنيسة فى هذه الفترة ، أى فى فترة الصراع بين كيرلس ونسطوريوس ، يجب ألا تغيب عن بالنا ، حقيقة وجود بعض الاختلافات فى المفاهيم الكرستولوجية(*) بين مدرستى الإسكندرية وأنطاكية . مدرسة الإسكندرية تمسكت بشدة بفكرة الطبيعة الواحدة فى المسيح وعلّمت أن اللغوس (الكلمة) صار جسدًا : فالكلمة اللاهوت ، هو الذى يسيطر ويقود الناسوت . ولقد شدد آباء كنيسة الإسكندرية ، على عظمة وقدرة وسيطرة اللاهوت ، لدرجة أن الناسوت كاد يختفى ، أو على الأقل أصبح كآلة لا إرادة له فى يد اللاهوت . وقد رفضت مدرسة الإسكندرية أيضًا ، التمييز الواضح الدقيق ، بين أعمال اللاهوت وأعمال الناسوت : أى التمييز الواضح بين الطبيعتين . ونادت بالجملة المشهورة : « واحدة هى طبيعة كلمة الله المتجسد » وأن هذا الكلمة المتجسد ، هو الذى يقود كل أعمال وتصرفات الناسوت .

أما مدرسة أنطاكية ، فقد رأت فى شخص المسيح يسوع الناصرى ، إنسانًا كاملاً وإلهًا كاملاً أيضًا ، هو اللوغوس (الكلمة) ، الذى صار إنسانًا ذا روح وجسد . فكما أن معلمى الإسكندرية شددوا فى تعاليمهم على اللاهوت ، فإن مدرسة أنطاكية ، شددت ليس فقط على الناسوت لكى تميز تعاليمها عن تعاليم الإسكندرية ، بل رددت بدون ملل عقيدة وجود الطبيعتين : الطبيعة البشرية (الناسوت) ، والطبيعة الإلهية (اللاهوت ـــ الكلمة) فنادت بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى . ورأت فى المسيح ابن الله وابن الإنسان ، رأت فيه الطبيعة الإلهية كاملة ، كما رأت فيه أيضًا ، يسوع الناصرى الإنسان المتألم ، الذى عطش وجاع وتألم ومات وقام من بين الأموات .

باختصار ، كانت مدرسة أنطاكية تعلم بطريقة واحدة وصريحة ، بالتمييز الكامل بين الطبيعتين ، أما مدرسة الإسكندرية ، فقد رفضت التمييز الدقيق

(*) الكرستولوجية : التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح .

فى عملية الاتحاد ، لأنها خشيت أن يؤدى هذا التمييز بين الطبيعتين ، إلى الظن بوجود مسيحين وابنين . وهذا ما فهمه كيرلس فى دراساته لتعاليم نسطوريوس .

وهناك سبب آخر سياسى ، قاد إلى زيادة سوء التفاهم ، وإشعال نار الثورة بين كيرلس ونسطوريوس . فلقد كان الصراع على السلطة بين كرسى الإسكندرية والقسطنطينية ، صراعًا قديمًا وعميقًا . فعندما قرر المجمع المسكونى المنعقد فى سنة ٣٨١ فى القسطنطينية ، أن هذه الأخيرة تحتل المكانة الثانية بعد روما ، لأنها أصبحت روما الجديدة ، ومنح رئيس أساقفتها لقب « مسكونى »، أثار هذا القرار غيرة بل حقد كنيسة الإسكندرية. (١) ألم يكن البطريرك ثيوفيلوس خال كيرلس هو الذى تزعم فى سنة ٤٠٣ حركة محاكمة رئيس أساقفة القسطنطينية ، وهو يوحنا ذهبى الفم ؟ فما هى إذن قصة كيرلس ونسطوريوس؟(*)

بعد أن نُصِّب نسطوريوس رئيسًا لأساقفة روما الجديدة القسطنطينية ، قام بحملة عنيفة ضد بعض العادات والتقاليد . فهاجم الإمبراطور بولخارى ، كما هاجم أيضًا بعنف بعض الجماعات التى اعتبرها جماعات هراطقة . وقد اتبع فى تعاليمه الأسلوب الأنطاكى ؛ أى التعاليم الازدواجية ، فنادى بوجود طبيعتين متميزتين فى شخص المسيح : الطبيعة الإلهية ، والطبيعة البشرية . وفى حديثه عن الطبيعة البشرية ، بيّن أن يسوع الناصرى هو ابن مريم . ومريم ، ليست هى أصل ومصدر اللاهوت ، بل هى والدة الإنسان يسوع الناصرى ، الذى حل فيه اللاهوت كليًا وجزئيًا ، قبل أن يولد من بطن أمه . وأعلن أنه لا يليق أن ندعو مريم والدة الإله ، لأنها ولدت الناسوت ، الذى كان فيه

---

(١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الثانى ص ١٦٠ — ١٦٨

Baynes, N. H. Alexandria and Constantinoble,

Jour of, Eg. Arch. 1929, 145-146

د . اسد رستم . الجزء الأول ص ٢٥٢ ، ٢٧٢ — ٢٨٢

(*) سوف نحاول فى هذا الفصل أن نعرض الأحداث التى مر بها القديس كيرلس والتى تركناها جانبًا إلى حين ، فلم نتحدث عنها بالتفصيل فى الجزء الثانى. وقد نتجنب الأحداث الخاصة بحياة نسطوريوس، لأننا تكلمنا عنها بالتفصيل فى الجزء الثانى. ولمزيد من التفاصيل عن حياة وتعاليم نسطوريوس يرجى الرجوع إلى: تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى د. حنا جرجس الخضرى ص ١٥٠—١٦٨

الكلمة الله . إلا أنه فيما بعد ، أجاز دعوة مريم « والدة الإله » ، شريطة أن يشرح هذا الأمر بالتدقيق .

وعلى ما يبدو، فإن نسطوريوس كان واعظًا مفوهًا ، وخطيبًا قديرًا . وفى نفس الوقت ، كان طموحًا للحصول على المجد والعظمة والثناء . ولذلك ، عمل على نشر وتوزيع هذه العظات ، وخاصة العظة التى هاجم فيها تلقيب مريم بـ « والدة الإله » وهى عظة رقم ٩ . وصلت هذه العظات إلى الإسكندرية ، ثم إلى أعماق الصحراء فى الأديرة ، وبدأ الرهبان فى دراستها والتعليق عليها .

وفى فرصة عيد القيامة لسنة ٤٢٩ ، جاءت جماعة من الرهبان كعادتهم ، لمقابلة البابا وتقديم التهانى له . وفى أثناء الحديث ، عرضوا عليه موضوع عظات نسطوريوس ، التى وصلت إليهم فى الصحراء ، فبلبلت أفكار بعضهم ..... وعندئذ ، انتهز كيرلس الفرصة ، وكتب لهم خطابًا عقائديًا طويلاً[٢] وقد حذر رهبانه من قبول التعاليم التى تنكر بأن مريم هى « والدة الإله » ، ثم شرح لهم فى هذه الرسالة عملية التجسد ، فرجع إلى الكتب المقدسة والتقليد ، لكى يبرهن لهم على اتحاد الكلمة المتجسد . الكلمة صار جسدًا . وبما أن الكلمة المولود من مريم هو الله ، فمريم إذن هى والدة الإله[٣]

إن أسقف الإسكندرية لم يذكر اسم نسطوريوس فى هذه الرسالة ، إلا أنه فى رسالته التعليمية ، فند ، ورفض التعاليم التى نادى بها نسطوريوس ، واقتبس بعض الفقرات من عظات أسقف القسطنطينية . ومع أن هذه الرسالة ، كتبت وأرسلت إلى رهبان مصر فى الصحراء ، إلا أنها انتشرت وعبرت الحدود بسرعة ، ووصلت إلى نسطوريوس نفسه ، فثار وغضب جدًا ، وألقى عظة احتوت على بعض العبارات الجارحة لإحساسات أسقف الإسكندرية . ثم نقل ممثلو كيرلس هذه العبارات الجارحة إلى مسامعه ، وعندئذ ، كتب له كيرلس رسالة فى صيف ٤٢٩ . ولقد تغاضى فى رسالته هذه ، عن العبارات الجارحة التى نقلت إليه ، وحاول أن يهدىء من ثورته ، وأن يقدم له رسالة أخوية ،

---

(2) AD Monachos, Aegypti, P. G., 27.

(3) Dic. Theo. Cat. (Mahe) 2478.

لكى يقوده بلطف إلى عقيدته . كما أنه ، بيّن له فى هذه الرسالة ، أن كثيرين من المؤمنين ، وحتى أسقف روما نفسه ، تعثروا جدًا من بعض تعاليمه المريمية ..... ثم رجاه أن يعدل عن طريقه ، وأن لا يمتنع عن تلقيب العذراء مريم بلقب والدة الإله ، فإن هذا اللقب ليس جديدًا ، ولا هو من التعاليم الغريبة المستحدثة ، بل سبق وعلَّم به الآباء الأرثوذكس[٤] وكان رد أسقف القسطنطينية على هذه الرسالة الرقيقة اللطيفة ، جملة قصيرة أحاطه بها علمًا ، بوصول الرسالة دون أى تعليق من جانبه.[٥]

كان هذا الرد التلغرافى مثيرًا للغضب ، واعتبره كيرلس إهانة له.[٦] ومع ذلك لم ييأس ، بل تذرع بالصبر والشجاعة والمحبة ، لكى لا يعرّض الكنيسة للإنقسام والبلبلة العقائدية . ولذلك كتب له رسالة ثانية فى يناير — فبراير سنة ٤٣٠ . ولقد صارت هذه الرسالة فيما بعد حجة فى تاريخ الفكر العقائدى ، رجع إليها الكثيرون من آباء الكنيسة . ولطول هذه الرسالة ، نكتفى باقتباس بعض منها . وقبل أن يدخل فى التفسير العقيدى ، يخبر كيرلس زميله فى الخدمة أنه يعرف جيدًا ، بل سمع بعضًا من الإدعاءات والأقاويل ، التى انتشرت حتى وصلت إليه ، ضد كرسى الإسكندرية ، وضد بطريركه . وبعد هذه المقدمة ، يتناول كيرلس موضوع النزاع مبتدئًا بقانون إيمان مجمع نيقية ، الذى يعلم بصراحة ووضوح ، أن الابن الوحيد المولود من الآب ، إله حق من إله حق نور من نور ..... صار جسدًا ، صار إنسانًا ، تألم ومات وقام فى اليوم الثالث ، ثم صَعِدَ إلى السماء .... ونحن لا نقول بأن طبيعة الكلمة تغيرت أو تحولت لكى يصير جسدًا ، أو تحول إلى إنسان ، بل عن طريق الإتحاد الهيبوستاتيكى ... أصبح إنسانًا بطريقة لا توصف . فإن الطبيعتين اللتين تقابلتا فى الوحدة الحقيقية مختلفتان . وقد اجتمعتا معًا فى شخص واحد ، هو الله لأن الاتحاد لم يلاشِ اختلاف الطبيعتين ..... فمع أنه موجود ومولود من الآب قبل الدهور ، ولد أيضًا من امرأة ؛ وهذا لا يعنى أن طبيعته الإلهية بدأت

---

(4) Dic. Theo. Cat. 2479, p. B. 27.

(5) P.G., 76, 44, Esp. 1,1,1; Loofs 168

الدكتور حنا جرجس الخضرى . الجزء الثانى ص ٢٠٥

(6) F. Bonifas, His. Des Dog; T.2. PP 100-116; P.G. 77;
Dit, Theo; Cath; Mahe p. 2479-

وجودها فى العذراء .... إذ أنه من الجهل أن يقال عن ذلك الذى هو موجود منذ البدء مع الآب ، إنه يحتاج إلى ميلاد ثانٍ ، لكى يُوجد . ولكن من أجل خلاصنا ، أخذ جسدًا ، وولد من امرأة بحسب هذا الجسد .... فإن الذى ولد من القديسة العذراء ، والذى حلّ فيه الكلمة ، ليس إنسانًا عاديًا ... وعندما تألم ، فهذا لا يعنى أن الله الكلمة ، قد تألم ، أو شعر بالضربات أو بثقوب المسامير أو بالجروح ، لأن اللاهوت غير قابل للآلام . ولكن بما أن الجسد الذى أصبح جسده ، قد قاسى الآلام ، لذا فإن الكلمة هو الذى تألم من أجلنا ، فغير القابل للآلام كان فى الجسد الذى كان يتألم ... وكما يقول الرسول « لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » (عب ٢ : ٩) وهذا لا يعنى أنه اختبر الموت (أو مات) فى طبيعته (الإلهية) . فإنه من الجنون المناداة بهذا القول أو التفكير فيه .... إننا نعترف بمسيح واحد ورب واحد ....(٧)

إننا نعتقد أن هذه الرسالة رسالة عقائدية فى غاية القوة ، بالرغم من بعض الأغلاط القليلة جدًا . وبالرغم من قوتها ، فقد رفضها نسطوريوس واعتبرها غير أرثوذكسية ، وسوف نتعرض لشرحها بالتفصيل ، عند دراستنا لتعاليم القديس كيرلس . عندما استلم نسطوريوس رسالة كيرلس الأولى ، اكتفى بأن يرسل له ردًا « تلغرافيًا » يعنى « علم الوصول » . ولكن عندما استلم الرسالة العقائدية الثانية ، ودرس محتوياتها ، قام هو أيضًا بكتابة رسالة عقائدية فى ١٥ يونيو ٤٣٠ رفض فيها تعاليم كيرلس ، ثم شرح مفهومه عن شخص المسيح يسوع وأمومة مريم لله.(*) ثم ختم رسالته هذه ، بكلمات سخرية قاسية ضد كيرلس . ولم تترك هذه الرسالة فى نفسية رئيس أساقفة الإسكندرية ، انطباعات سيئة جدًا فحسب ، بل إنه شعر أنها تحمل تهديدًا شخصيًا له ، كما أنها تحمل خطرًا وأخطاءً ، عقائدية لا يجب السكوت عليها . وبناء على

(7) P. G., 77, 44-49; A.C.O. 1,1,1; Voir Aussi Camelot 191-194.
Dic., Theo. Cat., Mahe 2479

(*) لدراسة رسالة نسطوريوس وموقفه من كيرلس الرجا الرجوع إلى :
كتابنا تاريخ الفكر . المجلد الثانى ٢٠٦ — ٢٠٢

P.G. 77. 49-57;
ACO. 1,1,1. 29-30

ذلك ، فقد كتب كيرلس خطابًا ، يشرح فيه الموقف للشيخ الوقور أكاسيوس أسقف فيريا أو بريا حلب ، كان هذا الشيخ معروفًا بعلمه وحلمه واعتداله . ثم كتب رسالة عقائدية مطولة بعنوان « الإيمان المستقيم عن شخص ربنا يسوع المسيح » . واحتوت هذه الرسالة على ٢٥ فصلاً ، وأرسلها إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى . كما أنه كتب أيضًا رسالتين مماثلتين لشقيقتى الإمبراطور ، اركاديا ومارينا وإلى الإمبراطورتين بولخاريا وافذوكيا .[٨]

لقد حاول كيرلس بهذه الرسائل أن يقدم أيضًا تعاليمه الكرستولوجية ، لعائلة الإمبراطور الساكنة فى القسطنطينية ولشعوره بخطورة الموقف من الناحية العقائدية ، فقد قام فى ذلك الوقت بجمع كل ما وصل إليه من كتابات وعظات رئيس أساقفة القسطنطينية ، ثم قدم تحليلاً عقائديًا دقيقًا لهذه التعاليم ، مبينًا الخطأ فيها حسب ما كان يعتقد . ويحتوى هذا المجلد الضخم الذى يدعى « ضد تجاديف نسطوريوس » على خمسة أجزاء : ـــ وقد عالج فى الجزء الأول مشكلة لقب والدة الإله ، ولماذا نمنح هذا اللقب للقديسة العذراء مريم . كما أنه كرس الأجزاء ٢ ـــ ٥ لشرح عقيدة الطبيعتين فى شخص يسوع المسيح .

لقد حاول رئيس أساقفة الإسكندرية من بداية الأزمة ، معالجة هذا الموضوع العقائدى بطريقة سلمية لطيفة بينه وبين زميله فى القسطنطينية . ولكن نسطوريوس رفض معظم الفرص التى قدمت له لحل هذه الأزمة ، بطريقة ودية سلمية ، مما اضطر كيرلس إلى الكتابة لبعض زملائه الأساقفة وللعائلة المالكة .

---

(٨) خريسوستمس باباذوبولس . تاريخ كنيسة أنطاكية . تعريب الأسقف استفانس حداد ص ٢٤٨ ـــ ٢٤٩

A.C.O. Bid; 62-118; R.S.R. 202-211, G.M.A. Salles-Dabade 97-100; M. Gugie Echos 164; P. G. 76.
Dic; Theo, Cat, Mahe 2479.

الفصل الثالث

كيرلس يكتب إلى البابا سيليستينوس
عن تعاليم نسطوريوس

كان أمل كيرلس أن يعالج المشكلة العقائدية التى أثارها نسطوريوس بطريقة حكيمة ، وعلى نطاق ضيق بينهما . ولكن نسطوريوس اعتقد ، وكان محقًا فى هذا الأمر ، بأن الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى يؤيده ويدافع عنه ، ولذلك لم ينجح رئيس أساقفة الإسكندرية فى جذب رئيس أساقفة القسطنطينية إلى الحوار الهادىء السلمى . وعندما فشل فى ذلك ، اضطر أن يكتب إلى البلاط الإمبراطورى ، ثم إلى بعض زملائه[1] فى المنطقة . وأخيرًا قرر القديس كيرلس ، أن يكتب إلى رئيس أساقفة رومه . اعتقد بعض المؤرخين أن كيرلس كان السبّاق فى الكتابة إلى البابا ، لكى يُعَرّفه بتعاليم نسطوريوس وضلاله ، حتى يسىء أيضًا إلى سمعة زميله فى الخدمة لدى رومه . وحقيقة الأمر من الناحية التاريخية ، تختلف عن ذلك تمامًا . وإنصافًا للرجل فى هذه النقطة ينبغى القول ، إن كيرلس لم يكتب إلى روما منذ اندلاع الصراع بينه وبين نسطوريوس .

بل إن نسطوريوس نفسه هو الذى وشى بنفسه لدى بابا روما . إذ أرسل له نسخة من العظات التى ألقاها فى القسطنطينية ، وبعضًا من تعاليمه التى كان يفتخر بها كثيرًا . كما أنه طلب منه بعض المعلومات عن البلاجيين الذين كان يقاومهم بابا روما وحكم ضدهم[*]

فلما قرر كيرلس أخيرًا أن يكتب إلى روما ، قام بعمل ملف ضخم ، يحتوى على معلومات عن نسطوريوس وعن تصرفاته وسلوكه مع الشعب ومع

---

(1) Dic., Theo., Cat. 2479.

(*) على الذين يريدون دراسة خطابات نسطوريوس لبابا روما الرجا الرجوع إلى المصادر الآتية : .

A. Grillmeier. Le Christ dans La Tradition Chrètienne, pp. 449-460;

A. harnack Precis de L'his., 110-114; Tixeront 38-44; G.M.A. Salles-Dabadie. Les Concil. es oeu., dans L'hist. La Palatine 90-100.

د . حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٢١٠ — ٢١١

الزملاء ، ثم عن تعاليمه وخطر هذه التعاليم ، التى انتشرت ليس فقط فى القسطنطينية بل فى الإسكندرية أيضًا ، وفى بعض بلاد الشرق . واقتبس بعض النصوص من أقوال وعظات نسطوريوس ، كما اقتبس بعضًا من أقوال الآباء التى تناقض تعاليم أسقف القسطنطينية . ثم ذكر بعض الأحداث التى حدثت فى أسقفية القسطنطينية ، مثل حادثة الأسقف دوروتيوس (Dorothee) الذى وعظ فى الكنيسة وفى حضرة نسطوريوس قائلاً : « فليكن محرومًا كل من يدعو مريم « والدة الإله » ، وكيف أن هذه العظة سببت انشقاقًا فى الكنيسة وخاصة بين الرهبان . وقد أرفق كيرلس بهذا الملف ، رسالة لطيفة رقيقة إلى البابا ، يظهر فيه محبته واحترامه ، ويعرفه بأنه يلجأ إليه كأب ، اعتادت الكنائس أن تتجه إليه فى الظروف الصعبة المعقدة المشابهة لهذا الظرف . ثم ختم هذا الخطاب ، ملتمسًا من بابا روما النصح والإرشاد ، متسائلاً : ماذا يجب أن نعمل وكيف نتصرف فى مشكلة كنيسة القسطنطينية وشعبها ؟ هل نلزم الصمت أمام هذا الأمر ؟ أم يجب علينا أن نقطع علاقاتنا مع أسقف يعلم بهذه التعاليم ؟ ثم ناشد أسقف رومه أن يرسل له رسالة واضحة وصريحة متضمنة ما يجب عمله حيال هذا الأمر.(*)(٢)

ويذكر كيرلس فى هذه الرسالة ، أن الوثائق المُرسلَة إلى البابا مترجمة إلى اللاتينية ، حتى يجنبه الجهد ويوفر له الوقت . ونحن نعلم أن الرسائل التى أرسلها نسطوريوس إلى بابا رومه ، قد وصلت إليه من مدة طويلة تقترب من السنة ، ولم يتمكن البابا من الإطلاع عليها ، لأنها كتبت باللغة اليونانية . ولذلك فقد طلبوا من يوحنا كاسيانوس القيام بترجمة هذه الرسائل ، وللأسف الشديد ، لم يكن يوحنا كاسيانوس أمينًا فى الترجمة .(**)

وقد كلف كيرلس شماسه بوذيدونيوس (Posidonius) بحمل هذا الملف الضخم لبابا روما . وسلمه أيضًا ملفًا ضخمًا آخر ، سجل فيه بعض الأفكار والآراء ، لكى تعين بوذيدونيوس على الإجابة عن الأسئلة التى يمكن أن

(*) مازالت هذه الرسالة موجودة ومحفوظة حتى الآن فى : انظر
A.C.O. T, 1, Vol. 1. Fasc, 7 p. 171, Fasc, 2 P. 8; P. G. 27.

(٢) د . حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٢١٢ ، إيريس حبيب المصرى ٤٣٠ — ٤٣١

(**) أما فيما يخص يوحنا كاسيانوس وترجمته انظر تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ٢١٢ — ٢١٥

يطرحها البابا أو حاشيته . فبعد أن ترجمت كل الوثائق والرسائل إلى اللاتينية أعطيت للشماس المصرى . ثم طلب كيرلس من شماسه قبل أن ينطلق إلى روما ألا يسلم هذه الوثائق للبابا ، إلا بعد التأكد تمامًا من أن أخبار نسطوريوس وتعاليمه قد وصلت إلى روما من مصادر أخرى.(٣)

وصل الشماس المصرى إلى روما فى صيف ٤٣٠ ومعه هذه الرسائل التى قدمها للبابا ، بعد أن تأكد من أنه لم يكن الأول الذى يحمل إليه أخبار نسطوريوس وتعاليمه . وعلى ما يبدو قام بوذيدونيوس بحملة إخبارية واسعة ومبالغ فيها ، فيما يخص حياة وتعاليم نسطوريوس . ويبدو أنه فى الوقت الذى كان فيه المُرسَل من طرف كيرلس فى روما يشرح تعاليم نسطوريوس وخطرها ، وصلت إلى البابا الترجمة غير الأمينة التى قام بها يوحنا كاسيانوس لتعاليم نسطوريوس ، وقد تم تقديمها للأسقف بصورة مغايرة للحقيقة.(٤)

طلب كيرلس من روما فى رسالته التدخل لحل المشكلة . وهنا طلب البابا سيليستينوس بعقد مجمع فى روما للنظر فى هذه القضية . وعقد المجمع فعلاً فى شهر أغسطس (آب) ٤٣٠ . وللأسف الشديد ، فإن معلوماتنا عن هذا المجمع قليلة وضحلة لا تعدو كونه قام بتحرير أربع رسائل بتاريخ ١١ أغسطس ٤٣٠ . الأولى أُرسِلت إلى نسطوريوس نفسه ، وكانت هذه الرسالة قاسية شديدة اللهجة . كما أنها كانت تحمل تهديدًا لنسطوريوس . فقد طالبه المجمع الرومانى بأن يرجع عن ضلالاته ، وأن ينكر التعاليم التى نادى بها ، وإلا فإنه سيكون محرومًا ، بعد مضى عشرة أيام من تاريخ استلامه لهذه الرسالة . أما الرسالة الثانية ، فقد أرسلها إلى شعب وأساقفة القسطنطينية ، معلنًا لهم أن تعاليم نسطوريوس غير أرثوذكسية ، وأرسل رسالة ثالثة إلى يوحنا الأنطاكى . أما الرسالة الرابعة ، فقد أرسلت إلى القديس كيرلس ، وقد امتلأت بعبارات المدح والتقريظ لإيمانه العميق وعقيدته السليمة وغيرته المقدسة . إذ أنه اكتشف الضلال والهرطقة . وقد طلب بابا روما من رئيس أساقفة الإسكندرية ، أن

---

(3) E. Amann, R. S. R. 212-225,

تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ٢١٢ ــ ٢١٥

(4) A. Grillmeier 453-455; G. M. A. Salles-Dabadie 94 - 98 ; Dict. Theo. Cat, T. 11, 99-101.

يبلغ نسطوريوس قرارات مجمع روما . كما كلفه بأن يشرف على تنفيذ هذه القرارات.[٥]

لقد أثلج هذا الخبر صدر كيرلس ، واعتبر كيرلس أن رسائله ورسوله بوذيدونيوس ، نجحوا نجاحًا عظيمًا جدًا ، فى تحقيق الغرض المقصود . ولذلك جمع حالاً مجمعًا محليًا فى الإسكندرية . وبعد المناقشات الطويلة ، وافق هذا المجمع على قرارات مجمع روما ، ثم كتب رسالة بتاريخ ٣ نوفمبر ٤٣٠ إلى نسطوريوس ، أرفقت مع رسالة البابا سيليستينوس . وكانت الرسالة التى أرسلها مجمع الإسكندرية إلى رئيس أساقفة القسطنطينية ، عبارة عن رسالة كرستولوجية (التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع) عرض فيها كيرلس شرحًا مطولاً لمفهومه لشخص الرب يسوع المسيح وعملية تجسد الكلمة ولقب « والدة الإله » . ثم أنهى رسالته هذه باثنى عشر حرمانًا . وطلب من نسطوريوس التوقيع على هذه الرسالة إيمانًا وموافقة على ما جاء فيها.[٦] عندما تعرض تعاليم كيرلس ، سوف نناقش مشكلة الحرمانات الاثنى عشر التى كتبها كيرلس ضد نسطوريوس ، ولكننا نريد أن نلفت نظر الدارس إلى أن بابا روما لم يطلب من كيرلس أن يؤلف قانون إيمان جديد ، ويطالب نسطوريوس بالتوقيع عليه . وكل ما طلبه ، أن يطلب من نسطوريوس سحب تعاليمه الخاطئة التى علم بها ؛ وأن يقوم هو نفسه ، بالإشراف على عملية إنكار نسطوريوس للتعاليم التى علّم بها . لقد كانت هذه الحرمانات التى كتبها كيرلس وطالب نسطوريوس بالتوقيع عليها ، سببًا فى انقسام الأساقفة ، وتمزيق الكنيسة ، حتى بعد أن حرم نسطوريوس ، وخلع من منصبه كرئيس أساقفة .

---

(5) Martin Gugie Rev. Echos d' Orient 265 - 267 .

(6) Dit., Theo Cat., 2480 ; Epist., 17., P.G. 27 .

د . حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى المجلد الثانى ص ٢١٨ ــ ٢٢٤

الفصل الرابع

تأزم الأمور وعقد المجمع المسكونى الثالث

أرسل سنودس الإسكندرية بعد انعقاده فى نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ٤٣٠ لجنة مفوضة تحمل رسائل البابا سيليستينوس ورسائل كيرلس إلى بعض الأساقفة فى الشرق . فقامت اللجنة بتسليم هذه الرسائل إلى كل من يوحنا أسقف أنطاكية ، وإلى جيوفنال أسقف أورشليم ، وإلى نسطوريوس أسقف القسطنطينية ، وإلى الشيخ أكاسيوس أسقف حلب .

وعندما وصلت هذه اللجنة المفوضة إلى مقر البطريركية ، لم تستطع مقابلة نسطوريوس ومناقشته ، لأنه رفض مقابلتها ؛ وخاصة عندما اطلع على الحرمانات(*) التى ألفها كيرلس ، والتى طالبه بالتوقيع عليها . وفى ثورته وغضبه ، أرسل صورة من هذه الحرمانات إلى صديقه الحميم يوحنا أسقف أنطاكية . وعندما اطلع يوحنا على هذه الحرمانات ، رأى فيها نوعًا من الهرطقة الأبولوناريوسية . ولذلك فقد عهد إلى اثنين من أعظم معلمى العقائد فى عصره بدراستها ، والتعليق عليها . وبعد أن قام كل من ثيودوريطس أسقف كورش ، وإندراوس أسقف مبسيوسطى ، بدراسة هذه الحرمانات ، رأيا فيها نوعًا من الأبولوناريوسية . أما كيرلس ، فقد رفض نقد الناقدين وتمسك بالحرمانات.[1]

كانت هذه الحرمانات التى ألفها كيرلس ، وطالب رئيس أساقفة كرسى القسطنطينية بقبولها والتوقيع عليها ، سببًا من الأسباب التى عملت على توسيع الفجوة ليس فقط بين كيرلس ونسطوريوس ، بل بين كنيسة الإسكندرية وروما من ناحية ، وبين بقية الكنائس فى أنطاكية ، وبعض كنائس القسطنطينية من ناحية أخرى . وهنا ، تظهر التكتلات الحزبية والوطنية والدينية والتيارات العقائدية التى كانت تهدد ليس فقط وحدة الكنيسة ، بل وحدة الإمبراطورية

(*) لم يرسل كيرلس نص الحرمانات الاثنى عشر إلا إلى نسطوريوس وحده .

(1) Tixeront 3.44; Amann Rev. S.R. 248-249; Grillmeier 483; Richard Hypostase 253-258; الدكتور القس حنا جرجس الخضرى. تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ٢٢٠–٢٢٩

أيضًا . ومن هنا ، تظهر أيضًا الضرورة الملحة لعقد مجمع مسكونى للتدخل السريع ، فى حل هذه المشكلة العقائدية . لذلك أصدر الإمبراطور قرارًا فى يوم ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ٤٣٠ ، بعقد مجمع مسكونى(*) فى مدينة أفسس يبدأ أعماله فى يوم ٧ يونيو (حزيران) سنة ٤٣١ .

المجمع المسكونى الثالث

لبت كل الكنائس الدعوة التى أرسلها الإمبراطور لحضور هذا المجمع المسكونى . فأرسلت وفودها إلى أفسس . وكان من المقرر بحسب دعوة الإمبراطور ثيودوثيوس الثانى أن يبدأ المجمع أعماله فى ٧ يونيو (حزيران) سنة ٤٣١ ولكن لم يستطع المجمع أن يبدأ جلساته قبل ٢٢ يونيو لتأخر بعض الوفود .

وصل نسطوريوس مع وفده الذى كان يضم ستة عشر أسقفًا فى أواخر مايو سنة ٤٣١ . ولقد أمر الأسقف ممنون أسقف أفسس (من أصل مصرى) ، بغلق أبواب كنائس مدينة أفسس فى وجوههم.[٢] وجاء بعده مباشرة كيرلس ، ووفده المكون من حوالى خمسين أسقفًا ، وعدد كبير جدًا من الرهبان.[٣] ثم وصل بعد ذلك وفد أورشليم ، فى يوم ١٢ يونيو (حزيران) ، وكان يتكون من حوالى ١٥ أسقفًا فلسطينيًا . وأما الوفد الأنطاكى ، فقد وصل مع رئيسه يوحنا ، حوالى يوم ٢٦ يونيو (حزيران) وكان يضم ٣٤ أسقفًا.[٤] كما جاء لحضور هذا المؤتمر ثلاثة أساقفة من مكدونية ، وشماس من أفريقيا . ثم وصل أخيرًا الوفد الرومانى متأخرًا جدًا ، فى النصف الأول من شهر يوليو (تموز) ، وكان مكونًا من أسقفين وكاهن . بالإضافة إلى وفد أفسس ، الذى ضم حوالى ٤٠ مندوبًا . أما مندوب

(*) للتوسع فى دراسة موضوع الحرمانات واللجنة المفوضة المُرسلة إلى القسطنطينية لمقابلة نسطوريوس والظروف التى فيها ومن أجلها ، أصدر الإمبراطور قرار عقد المجمع المسكونى الثالث ، الرجا الرجوع إلى كتابنا تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ص ٢٢٠ — ٢٢٩ وإلى المراجع التى ذكرناها فى هذا المرجع .

(2) E. Amann Rev. S.R. 257; Boni Fas. T.2. 111-115; G. M. A. Salles-Dabadie 100-105.

(3) G. M. A. Salles -Dabadie 102-104;

الشماس منسى القمص ٢٦٧ ، إيريس حبيب المصرى ٤٣٩ ، د . أسد رستم ٣١٥ .

(4) Bonifas 2. 110-116, Hayward 43; Camelot 54-56.

الإمبراطور كانديديانوس (Candidien) ، فيعتقد أنه وصل فى نفس الوقت الذى وصل فيه نسطوريوس.[٥]

إفتتاح المجمع المسكونى الثالث

حدد الإمبراطور فى دعوته موعد انعقاد مجمع أفسس بيوم ٧ يونيو (حزيران) سنة ٤٣١ . ولكن لعدة ظروف ، لم يستطع الأعضاء بدء العمل فى هذا الميعاد . ففى يوم الأحد الموافق ٢١ يونيو ، أعلن كيرلس أن المجمع سوف يبدأ جلساته فى اليوم التالى . وبالرغم من احتجاجات ٦٨ أسقفًا ، وبالرغم من تأخر وفدى أنطاكية وروما ، وبالرغم أيضًا من احتجاجات كانديديانوس ممثل الإمبراطور ، افتتح كيرلس المجمع فى يوم ٢٢ ، وقد حضر الجلسة الأولى حوالى ١٥٠ أسقفًا.[٦](*) ولم يحضر نسطوريوس ، فأرسل إليه المجمع وفدًا ثلاث مرات فرفض الحضور . وعندئذ اقترح جيوفنال أسقف أورشليم ، محاكمة رئيس أساقفة القسطنطينية غيابيًا ، وقبل الاقتراح . وبعد تلاوة قانون الإيمان النيقوى ، قرئت خطابات القديس سيليستينوس ، والقديس كيرلس إلى نسطوريوس . ووافق الآباء المجتمعون ، على أن رسالة كيرلس أرثوذكسية فى تعاليمها.[٧] وبعد ذلك قرئت رسالة نسطوريوس إلى كيرلس ، فصرخ بعض الحاضرين بأن تعاليم أسقف القسطنطينية غير أرثوذكسية . وبعد قراءة هذه الرسائل ، استمع المجمع إلى بعض الشهادات التى قدمها بعض الأساقفة ضد نسطوريوس وتعاليمه . وأخيرًا قدم بطرس سكرتير المجمع ، وهو مصرى ، ملفًا كبيرًا أعده مجمع الإسكندرية . وكان يحوى اقتباسات كثيرة من آباء الكنيسة شرقًا وغربًا ، مع مقارنتها ببعض اقتباسات من أقوال نسطوريوس وتعاليمه . وبعد أن استمع المجمع إلى كل هذه القراءات والاقتباسات الطويلة ، أصدر المجمع المسكونى الثالث ، المنعقد فى أفسس

---

(5) Amann. Dic., Theo., Cat. P. 111;

تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ص ٢٣٢

(6) Mansi. T. 4. Col 1124.

(*) لدراسة عدد الذين حضروا هذا المجمع الرجا الرجوع إلى كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٢٣٩ وإلى المراجع الأخرى المذكورة فى هذا المرجع .

(7) Bardy 181; Dic. Theo. Cat. 112; Camelot 51-53;

مجموعة الشرع الكنسى . ص ٢٩٥ ــ ٢٩٧ ، حنا جرجس الخضرى . الجزء الثانى ٢٤٠

حكمه الآتى : « إن سيدنا يسوع المسيح الذى جدف عليه نسطوريوس يعلن بفم مجمعه المقدس ، تجريده (نسطوريوس) من الكرامة الأسقفية ، ومن درجة الكهنوت » . ولقد وقَّع على هذا الحكم الصادر ضد نسطوريوس ١٨٧ أسقفًا.(٨)

وهكذا صدر الحكم بهرطقة نسطوريوس ، وما نأسف له ، هو أن نسطوريوس لم يُحَاكم بطريقة عادلة صحيحة . فإن الأغلبية الساحقة من الذين قاموا بمحاكمته ، كانوا من أتباع كيرلس وممنون المصرى ، أسقف أفسس وجيوفنال أسقف أورشليم . وكان هذا الأخير من أتباع كيرلس . فإن نسطوريوس ووفده ،لم يحضروا المحاكمة ، لأن وفد أنطاكية الذى كان يؤيد أسقف القسطنطينية ، لم يكن قد وصل بعد .

وصل الوفد الأنطاكى حوالى يوم ٢٦ يونيو (حزيران) ، وعلى رأسه الأسقف يوحنا . وكان يتكون من ٣٤ أسقفًا . وعندما عرفوا بأمر الحكم الذى صدر ضد نسطوريوس ، قرر هذا الوفد عدم الانضمام إلى المجمع ، بل عقد مجمعًا منفصلاً برئاسة يوحنا الأنطاكى . وأصدر هذا المجمع بدوره قرارًا ، بخلع رئيس أساقفة الإسكندرية وممنون أسقف أفسس.(٩)

تابع المجمعان أعمالهما منفصلين وتراشقا بالحرمانات كالحجارة . بل ساءت الأمور وتطرف البعض من الجانبين ، فتراشقوا فعلاً بالحجارة واستخدام العصى.(١٠) ثم وصل أخيرًا وفد روما حوالى يوم ١٠ يوليو (تموز) ، وعقد المجمع جلسة عرض فيها قرارات المجمع الذى كان يرأسه كيرلس ، على الوفد الرومانى ، ووافق ممثلو البابا على قرارات كيرلس . ظل المجمعان منقسمين ، واضطر الإمبراطور إلى إصدار أمر بخلع كل من كيرلس ونسطوريوس وممنون ، وإلقاء القبض عليهم وتحديد إقامتهم . وبعد صراع عنيف ومناقشات طويلة ،

---

(8) F. Gerland et V. Laurent. Les Listes Conciliair pp. 36-51.

Dict. Theo. Cat. 114; Bardy 182; Mansi T. 4, Col 1211, 1284; P. G., 76.

للدراسة مجمع أفسس ومعرفة آراء بعض العلماء ورأينا الشخصى الرجا دراسة كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى والمراجع المذكورة فيه من ص ٢٣١ ـــ ٢٤٣

(9) Mansi. T.4, Col. 1260-1278; Amann. R.S.R. 260; Dict. Theol. Cat. 115-116;

مجموعة الشرع الكنسى ٣٣٦، د. أسد رستم ٣١٧، د. حنا جرجس. الجزء الثانى ٢٤٥ــ٢٤٧

(10) Camelot 55.

طلب الإمبراطور حضور بعض الممثلين من الطرفين إلى المدينة فى خلقدونية ، لكى يناقش معهم شخصيًا هذه المشكلة . وحضر فعلاً ثمانية أعضاء من الطرفين وبدأوا النقاش مع الإمبراطور فى يوم ١١ سبتمبر (أيلول) . ولكن الإمبراطور ، لم يستطع أن يصل إلى حل يرضى الجميع . ولذلك فقد أصدر أمرًا برجوع الأساقفة إلى أوطانهم وحثهم على العمل على نشر السلام .

أما كيرلس ، فقد انتهز فرصة تحديد إقامته (سجنه) فى أفسس ، فقام بعمل تفسير للحرمانات الاثنى عشرة.[11] وكانت هذه هى المرة الثالثة ، التى كتب فيها كيرلس تفسيرًا للحرمانات . فقد سبق ودافع عنها ضد اندراوس السموزاطى وثيودوريطس الكورشى . ولقد انتهى المجمع المسكونى الثالث بخلع نسطوريوس وتنصيب الكاهن ماكسيميان بطريركًا للقسطنطينية بدلاً منه .

ورجع كيرلس إلى الإسكندرية، فى نهاية شهر أكتوبر سنة ٤٣١ ، فاستقبله شعبه استقبال الأبطال الظافرين .

على أن المشكلة العقائدية لم تكن قد انتهت بعد .

(11) P. G. T. 76.

الفصل الخامس

معاهدة السلام
أو ما حدث بعد مجمع أفسس الأول

قبل مجمع أفسس ، كانت الكنيسة فى الشرق مهددة بالإنقسام . أما بعد انعقاد هذا المجمع ، فقد عاشت ، واجتازت فعلاً فترة انقسام مريرة قاسية . فأمر الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى بعقد مجمع لحل المشاكل ، التى كانت تهدد بانقسام الكنيسة والإمبراطورية . وانعقد المجمع فعلاً . وكان الإمبراطور والقادة والأساقفة يأملون حل هذه المشكلة فى مدينة أفسس . وتقاطر الأساقفة من كل حدب وصوب إلى هذه المدينة ، وقضوا فيها أربعة شهور تقريبًا فى مجمعين منفصلين ، لا أقول فى نقاش وحوار ، بل فى صراع ونزاع عنيفين .

وعندما أمر الإمبراطور فى شهر أكتوبر (تشرين الأول) سنة ٤٣١ بانفضاض المجمع وبرجوع المندوبين إلى بلادهم ، لم يرجعوا لكى ينادوا بالوحدة ، التى كان يريد الإمبراطور والكنيسة عامة تحقيقها عن طريق المجمع ، بل رجعوا منقسمين حاقدين حارمين بعضهم بعضًا . فكيرلس ومجمعه ، الذى كان يمثل الأغلبية العظمى والساحقة ، قد حَرَّم ، وخلع نسطوريوس من منصبه ، وتمسك بهذا الحكم . كما أن مجمع الشرقيين وعلى رأسهم يوحنا الأنطاكى[1] (حوالى ٤٣ أسقفًا) ، حرموا هم أيضًا بدورهم كيرلس وممنون .

ولقد عقد الأساقفة الشرقيون مجمعًا فى طرسوس وهم فى طريقهم للعودة ، كما أنهم عقدوا أيضًا مجمعًا آخر فى مدينة أنطاكية . وفى هذين المجمعين ، طالبوا كيرلس بأن يسحب حرماناته الاثنى عشر ، كما أنهم لم يوافقوا على حرمان زميلهم نسطوريوس . وكتبوا رسائل بهذا المعنى إلى الإمبراطور .[2]

---

(1) J. Tixeront. Hist. des Dogmes. T. 3.48.

(2) Dic. Theo. Cat. 2481;

خريسوستمس بابادوبولس تعريب الأسقف استفانس حداد ص ٢٥٤

كانت المشكلة الكبرى فى نظر مجمع الشرقيين ، هى الحرمانات التى أرسلها كيرلس إلى نسطوريوس فقد اعتبرها تعاليم أبولوناريوسية وغير أرثوذكسية ويجب رفضها.(٣)

ولكن مجمع الشرقيين لم يكن موحدا فى الرأى . فلقد انقسم أعضاؤه إلى ثلاثة أحزاب :

١ ــ الحزب الأول كان يعمل جاهدًا على إرجاع السلام وتوطيده بين رئيس أساقفة الإسكندرية وبين الشرقيين . ولقد كان هذا الحزب على استعداد أن يقبل تعاليم كيرلس مع التغيير البسيط فى بعض مفاهيمه الكرستولوجية والمريمية . كما أنه كان على استعداد أيضًا أن يضحى بنسطوريوس ، إذا لزم الأمر . وكان يقود هذا الحزب الأسقف يوحنا الأنطاكى .

٢ ــ أما الحزب الثانى ، فهو الحزب النسطورى المتطرف ، والذى رفض حرم وخلع نسطوريوس بأى حال من الأحوال . كما اعتبر كيرلس عدوًا لدودًا وأبولوناريوسيًا فى تعاليمه . وكان يتزعم هذا الحزب اسكندروس الهيرابوليسى وهيلاديوس الطرسوسى وآخرون .

٣ ــ على أن الحزب الثالث قَبِل مناقشة حرمانات كيرلس ، لكنه رفض الموافقة على حرم وخلع نسطوريوس(٤) وكان يتزعم هذا الحزب ثيودوريطس الكورشى أو المرعشى ، ثم اندراوس السموزاطى.(*) كانت المشكلة معقدة جدًا لأن كيرلس كان متمسكًا بالحرمانات التى طالب نسطوريوس بالتوقيع عليها كتعاليم أرثوذكسية . وعلى عكس ذلك فقد رأى كثير من الأنطاكيين أن هذه الحرمانات ، تحتوى على تعاليم أبولوناريوسية لا تتفق مع تعاليمهم . كما إن كيرلس ، تمسك أيضًا بخلع نسطوريوس ، الذى أيده وتمسك به بعض الأنطاكيين . وهنا أصبح الانقسام ليس شبحًا يهدد سلام الكنيسة ، بل حقيقة

---

(3) Bardy. 191; Dit. Theo. Cat. 2481.

(4) Schwartz 1, 1, 7, P. 156-8, 160-162; Tixeront 3 50-56;

تاريخ الكنيسة المسيحية نقله من اللغة الروسية إلى العربية . الكسندروس مطران حمص وتوابعها ٢٦٠ ــ ٢٦٢ دكتور أسد رستم ص ٣٢٠

(*) والجدير بالذكر أن هذين الأسقفين ، هما اللذان قاما بتقديم تحليل ونقد للاثنى عشر حرمانًا ، التى أرسلها كيرلس إلى نسطوريوس .

واقعية تعيشها ، وتمر فيها ، ليس الكنيسة فقط ، بل الإمبراطورية أيضًا . لهذا السبب ، كان على الإمبراطور أن يتدخل ، محاولاً أن يجد طريقة للصلح بين يوحنا وأحزابه وبين كيرلس . فأشار رئيس أساقفة القسطنطينية مكسيميانوس ، على الإمبراطور ثيودوثيوس الثانى ، بأن يطلب من يوحنا وكيرلس أن يجتمعا معًا ، لإيجاد حل للمشكلة . وأسند الإمبراطور هذه المهمة إلى القائد أرسطولاوس[٥] الذى انطلق على الفور إلى مدينة حلب فى سنة ٤٣٢ ، للتشاور مع الشيخ الوقور العجوز ، الذى كان قد تجاوز المائة سنة ، وهو الأسقف اكاكيوس.[٦] كان هذا الشيخ عالمًا متوقد الذهن واسع الأفق ، محنكًا فى السياسة . كما أنه كان يتمتع باحترام الكثيرين من زملائه فى الخدمة . وفى شهر سبتمبر (أيلول) سنة ٤٣٢ ، اجتمع عنده مجمع صغير (انظر خريسوستمس ص ٢٥٥) .

وعرض أساقفة الشرق على عميدهم ، ما تم إقراره فى اجتماع سابق ، للوصول إلى حل سلمى مع بطريرك الإسكندرية . وقد طرح الأسقف ثيودوريطس على مجمع الشرقيين بعض الاقتراحات ، لحل هذه المشكلة ومنها قانون إيمان يظهر فيه تمسكه بقانون إيمان نيقية ، كما شرحه القديس أثناسيوس الكبير فى رسالته إلى أبيكتتس أسقف كورنثوس حوالى سنة ٣٧٠ . وبعد المناقشة الطويلة ، كتب أكاكيوس أو المجمع تحت إشرافه ، رسالة لطيفة رقيقة إلى رئيس أساقفة الإسكندرية ، معلنًا تمسكه بتعاليم مجمع نيقية ، كما شرحه القديس أثناسيوس . وبما أن مجمع الشرقيين يتمسك بهذه التعاليم الأرثوذكسية ، فلا داعى بأن نضيف إلى قانون نيقيه أى قانون إيمان آخر أو أى تعاليم أخرى.[٧] وقد التمس الشيخ العجوز من زميله الإسكندرى ، أن يسحب الحرمانات التى كتبها ، لأنها تعتبر العقبة العظمى التى تعترض طريق السلام

(5) Karl Baus. The Imperial Church from Constantine to the Early Middle Ages, 108-110, Theodosius 2 to Simeon Stylites, ACO 1, 1, 4, 5-6, Joseph Turmel Hisdes Dog., T. 2 347;

(6) J. Turmel 347-8.

ترجمة خريسوستمس بابادوبولس ص ٢٥٤ — ٢٥٥
ترجمة استفانس حداد مطران .

(7) Synodicon 35;

د . أسد رستم . الجزء الأول ص ٣٢٠

بين الكنائس السورية والكنيسة المصرية.(٨)

وفى إجابته على هذا الخطاب الرقيق اللطيف ، أظهر القديس كيرلس حرصه الكامل على وحدة الكنيسة ، وأنه مستعد تمام الاستعداد ، للتغاضى الكامل عن أى إهانة شخصية وُجِهت إليه . وأن كل ما يريده هو الوصول إلى السلام الحقيقى بين الكنائس . على أنه ظل متمسكًا بخلع وحرمان نسطوريوس كنقطة أساسية فى شروط الصلح .ولقد قدم فى هذا الخطاب موجزًا لبعض تعاليمه الكرستولوجية والمريمية . ومنها قوله « وإننى أومن بأن جسد المسيح كانت به روح عاقلة » ... كما أعلن أيضًا أنه لا يوجد فى المسيح اختلاط أو امتزاج أو ذوبان ، وأن الكلمة ظل بدون تغيير أو تحول فى الطبيعة الإلهية ، ولا سلطان للآلام على طبيعته الإلهية.(٩) ولقد اعتقد أكاكيوس عند اطلاعه على هذا الخطاب بأنه يظهر تغييرًا عقائديًا فى مفهوم كيرلس . ولذلك فقد أُرسِلَ هذا الخطاب إلى يوحنا الأنطاكى الذى عقد فى ديسمبر (كانون الأول) ٤٣٢ مجمعًا لدراسة خطاب كيرلس مع زملائه الشرقيين . وبعد دراسة هذا الخطاب ، وبالرغم من موقف الحزب النسطورى المتطرف ، والذى كان يترأسه الكسندرس أسقف نبيح ومكسيمس أسقف عين زربه وغيرهما ، فإن المجمع قرر عمل اللازم ، لإجراء الصلح مع رئيس أساقفة الإسكندرية ، لأنهم لمسوا فى هذا الخطاب نوعًا من التغيير فى التعليم . ولقد وقع الاختيار على بولس أسقف حمص للقيام بمهمة التفاوض مع كيرلس (خريسوستمس بابادوبولس ص ٢٥٧) (Synodicon 80).

وعندما وصل بولس الأسقف الحمصى إلى الإسكندرية ، فى ديسمبر (كانون الأول) ٤٣٢ ، سلم رسالة كان يحملها من رئيس أساقفة أنطاكية إلى كيرلس . ولقد عبر يوحنا فى رسالته إلى كيرلس ، عن شكره العميق للخطاب الذى أرسله له ، والذى احتوى على بعض التفسيرات الخاصة بالحرمانات ، وأن هذه التفسيرات أزالت الكثير من سوء التفاهم.(١٠) كما أنه

---

(8) Karl Baus 108; Bardy, R. S. R. 18 (1938) 2-45.

(9) J. Turmel 347.

(10) Dic. Theo. Cat. 2482.

شكره أيضًا ، على تمسكه بقانون الإيمان النيقوى ، وشرحه ، وهو يتمسك بهما أيضًا.[١١] وأنه كأخ محب ومخلص ، لا يريد إلا السلام فى الكنيسة ، وانتشار الإيمان ، وثبات العقيدة . وفى حديثه عن العقيدة ، أرسل يوحنا نصًا لقانون إيمان سبق أن أرسله الأعضاء الذين فُوِّضوا للمناقشة مع الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى فى خلقدونية ، أثناء الأزمة فى مجمعى أفسس.[١٢] ويبدو أن كاتب هذا النص هو ثيودوريطس المرعشى.[١٣]

بعد أن اطلع كيرلس على قانون الإيمان الذى أرسله يوحنا ، وعلى الرسالة التى أظهر فيها استعداده للسلام ، وافق على المناقشة مع بولس الحِمْصى . ولقد طالب رئيس أساقفة الإسكندرية فى نقاشه بالأمور الآتية :

١ ـــ الاعتراف بحرم وخلع نسطوريوس من منصبه ، وحرم تعاليمه كتعاليم هرطوقية .
٢ ـــ الاعتراف بقبول مكسيميانوس كرئيس لأساقفة القسطنطينية بدلا من نسطوريوس .
٣ ـــ قبول لقب « والدة الإله » (ثيؤتوكوس) للعذراء مريم كتعليم أرثوذكسى.[١٤]

وقَبِل الأسقف بولس الحِمْصى ، المفوض الرسمى من قِبَل الشرقيين ، التوقيع على هذه الشروط . على أن كيرلس التمس من الأسقف بولس الحمصى ، أن يطلب من يوحنا الأنطاكى ، أن يوقع بنفسه على هذه الشروط . وبعد أن قبل بولس التوقيع عليها ، حضر الأسقف الحِمْصى إلى الكنيسة فى الإسكندرية ، واشترك فى المائدة فى يوم ٢٥ ديسمبر (كانون الأول) ٤٣٢ ثم فى أول يناير (كانون الثانى) ٤٣٣ . وتحدث إلى الشعب فى الإسكندرية،[١٥] معلنًا نتيجة الإتفاق ، ومعاهدةالسلام . وكان الفرح يملأ

---

(11) Bardy 194, Synodicon 80.

(12) P. G. T. 86, Mansi 5, 781, 783.

(13) J. Turmel 347- 350; St. Cyp. Ep. 38.

(14) Karl Baus 108-110; ACO, 1, 1, 4, 7-9; Tixeront 49 - 50 .

(15) Bardy 194; Mansi T.5;

خريسوستمس باباودوبولس ٢٥٧ ـــ ٢٥٨

قلوب الشعب بهذا اللقاء الودى الأخوى.[١٦]

رجع بولس الحمصى من الإسكندرية ، وأطلع مجمعه على شروط المعاهدة ، وعلى مطاليب كيرلس ، وعلى قانون إيمان الشرقيين ، الذى قَبِله كيرلس بعد التغيير البسيط جدًا . ولقد أرسل كيرلس رسالة إلى يوحنا ، ولم يذكر فى هذه الرسالة لا من بعيد ولا من قريب ، شيئًا عن الحرمانات الاثنى عشر . وبعد عدة شهور جاء بولس الحمصى إلى الإسكندرية فى (مارس وأبريل : آذار ونيسان) يحمل نفس المستندات التى سلمها له كيرلس لكى يوقع عليها يوحنا والحزب المؤيد للسلام . ولقد وافق يوحنا والحزب المؤيد له على حرمان نسطوريوس وتعاليمه ، والاعتراف بمكسيميانوس كرئيس أساقفة لمدينة القسطنطينية ، ثم قبول لقب « والدة الإله » لمريم ، مع تقديم الشرح اللازم بأنها تُعطى هذا اللقب ، لأنها ولدت الذى كان فيه الكلمة .

عندما استلم كيرلس هذه الرسالة واطلع على محتوياتها وعرف بأن يوحنا قبل التوقيع على الشروط التى طالب بها ، كتب له رسالة تفيض بالشكر والسرور والابتهاج . وبدأ رسالته بهذه الكلمات التى صارت فيما بعد معروفة ومألوفة ..... « لتفرح السموات ولتبتهج الأرض ، ليعج البحر وملؤه » (مز ٩٦ : ١١). « لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدًا ونقض حائط السياج المتوسط (أى العداوة)» (أف ٢٠ : ١٤)[١٧]

ولقد أعلن كيرلس بنفسه على الشعب خبر المعاهدة السار بين أنطاكية والإسكندرية ، فى يوم ١٢ أبريل (نيسان) سنة ٤٣٣ وحالاً ، أُرسلت الرسائل معلنة الخبر العظيم إلى الإمبراطور ، وإلى البابا سكست ادكستيوس الثالث (Sixte) وإلى مكسيميانوس.[١٨]

كانت ردود الفعل ، سواء فى القسطنطينية أو فى روما ، تعبر عن الابتهاج

---

(16) Mansi T. 5. 293-301;

دكتور أسد رستم الجزء الأول ص ٣٢١

(17) St. Cyrille, Epist., 39; Bardy 196; Richard A. Norris 139-143.

(18) Tixeront. T. 3. 51; Bardy 196; P. G. T. 77.

دكتور أسد رستم . الجزء الأول ٣٢٢ وخريسوستميس بابادوبولس ٢٥٨

والتهانى ، بهذا الاتحاد العظيم . وهذا هو نص قانون إيمان المعاهدة الذى وقع عليه الجانبان :

« نعترف بأن سيدنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، إله كامل وإنسان كامل . ذو روح عاقلة وجسد ، مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب اللاهوت ، وولد فى الأيام الأخيرة لأجلنا ولأجل خلاصنا ، من العذراء مريم ، فهو من جوهر الآب بحسب اللاهوت ومن بشريتنا بحسب الناسوت . لأن الاتحاد تم بين الطبيعتين . ونعترف أيضًا بمسيح واحد وابن واحد وسيد واحد . وبما أن هذا الاتحاد تم بدون اختلاط أو امتزاج ، فنحن نعترف بأن القديسة العذراء هى والدة الإله ، لأن الله الكلمة أخذ جسدًا وصار إنسانًا . ولقد اتحد بذاته ، الهيكل الذى اتخذه من العذراء من لحظة « الحمل ». ثم أضاف يوحنا الأنطاكى العبارات الآتية على هذا القانون :

« وأما فيما يتعلق بأقوال الأناجيل والرسل عن الرب ، فنحن نعترف بأن المعلمين ينسبون بعض هذه الأقوال بدون تمييز إلى نفس الشخص الوحيد ، وبالعكس ينسبون الأقوال الأخرى إلى الطبيعتين : يعنى ينسبون الكلمات الخاصة باللاهوت إلى اللاهوت ، والعبارات التى تشير إلى التنازل إلى الناسوت »[١٩]

هذا هو نص قانون الوحدة ، فهل استطاع هذا القانون الإيمانى حل المشكلة العقائدية التى من أجلها انقسموا ؟ وهل رجع السلام إلى الكنيسة المنقسمة والمهددة فى سلامها ؟ هذا ما سوف نقوم بدراسته فى بعض الفصول التالية .

---

(19) Mansi 5; St. Cyr., Epist., 38, 39; Dict., Theol. Cat. 2512; Tixeront T. 3, 50 - 51, P. G. T. 77;
دكتور أسد رستم الجزء الأول ٣٢٢ ، إيريس حبيب المصرى ٤٦٠ — ٤٦١

ACO, 1, 1, 4, pp. 85..;

بعض المراجع لدراسة مشكلة معاهدة السلام بتوسع :

1. P. Th. Camelot. Ephèse et Chalcèdoine. Hist. des Conciles Oecumèniques 2. p. 79-88.

2. G. L. Prestige. Fathers and Heretics. London. 1940. ch. 6 e 7.

3. J. N. D. kelly. Early Christian Doctrines.

4. J. Tixeront. T. 3. p. 48-55.

5. Hefele. Hist. des Conciles.

6. Le Synodicon. (Quelques Chapitres)

7. G. Bardy. Hist. de L'Eglise... 197-207.

8. Tillemont. Mèmoire. 14.590-610

9. J. Turmel. Hist., des Dogmes. 347-349.

10. Dict. Thèol, Cathè., p. 2481-83.

توجد عدة مراجع هامة فى هذه الموسوعة يجب الاطلاع عليها : ـ

11. Karl Baus.., The Imperial Church from Constantine to the Early Middle Ages. p. 108-111.

12. F. Cayrè A.A. Patrologie et Hist. de la Thèologie. T. 2 . 31

13. P. G., 68-77. (Edition Aubert, 1638; Pussey, Oxford , 7 Vol ., 1868 - 1877 .

14. Jean Danièlou et Henri Marrou. p. 387-393.

15. G. Liebaert. Hist. des Dogmes.. p. 198-200.

16. Hubert Du Manoir De Juaye S. J. Dogme et Spiritualitè Chey St. Cyrille d'Ale ., p . 500 - 578 .

١٧ . خريسوستمس بابادوبولس . تاريخ كنيسة أنطاكية . تعريب الأسقف استفانس حداد ، ص ٢٥٤ ـ ٢٧٢

انظر أيضًا بعض المراجع المذكورة فى هذا الكتاب .

١٨ . الدكتور أسد رستم . كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . الجزء الأول . ص ٣٢٠ ـ ٣٢٧

١٩ . قصة الكنيسة القبطية : الكتاب الأول . بقلم إيريس حبيب المصرى ص ٤٦٠ ـ ٤٦٣

الفصل السادس

موقف الأحزاب المعارضة من قانون إيمان الوحدة

كان نجاح هذه المعاهدة أو « قانون إيمان الوحدة » عظيمًا . ولقد انتشر خبره فى الشرق والغرب ، وقَبِله الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى بسرور وارتياح . ولكن للأسف الشديد ، لم يكن هذا النجاح كاملاً شاملاً ، فعندما أعلن كيرلس هذا الخبر فى يوم ١٢ أبريل (نيسان) ٤٣٣ على الشعب فى الإسكندرية ، وانتشر فى أنطاكية والقسطنطينية ، وفيما بعد فى روما ، كانت ردود الفعل ضد هذه المعاهدة مختلفة متنوعة ، فى كل من الإسكندرية وأنطاكية .

١ ــ ردود الفعل فى الإسكندرية :

استقبل الشعب والرهبان بصفة عامة ، قرار قانون الإيمان الذى وقع عليه رئيس أساقفة الإسكندرية بفرح عظيم . على أن قلة من الرهبان والقادة ، أمثال الراهب أسيدورس الفرمى ، وأكاكيوس الميليتى ، والكاهن الرجيوس وفيليريانوس وآخرون[١] لم يستريحوا لهذا القرار . وقد اعتقد هؤلاء أن قبول إقرار الوحدة هذا ، يدل على الضعف وعدم الثبات فى التعاليم التى نادى بها كيرلس.[٢] بل إن البعض رأى فى هذه المعاهدة ، إلغاءً للتعاليم التى قام بسببها النزاع.[٣] وقد رفض أكاكيوس ، هذه المعاهدة ، لأنه كان يرى فيها ، خيانة للتعاليم التى ناضل هو نفسه من أجلها ، بجانب كيرلس فى مجمع أفسس . ألم يصارع مع كيرلس فى مجمع أفسس لقبول عقيدة الطبيعة الواحدة « للكلمة » المتجسد ؟

وها هو يرى الآن قانون إيمان الوحدة يتحدث عن طبيعتين فى المسيح . ألم يستعمل هذا القانون اصطلاح « هيكل » للإشارة إلى الناسوت الذى حمله

---

(1) Quasten. T. 3. 266-267; St. Cyp. Epist., 45;

إيريس حبيب المصرى ص ٤٨٥

(2) F. Carye. A.A. Patrologie et Hist. de la Théol., Tome 2. p. 31-33.

(3) Karl Baus. 109.

الكلمة المتجسد ؟ ألا يعنى هذا فصلا واضحًا بين الناسوت ــ الهيكل ــ والكلمة الساكن فى هذا الهيكل ؟ كما أنه استعمل أيضًا عبارة يسوع المسيح بدل الكلمة المتجسد . ألا يعنى هذا قبول التعاليم الازدواجية ؟ التى تنادى باثنين.(٤) إن أكاكيوس وآخرين اعتقدوا بأن كيرلس قد تنازل من أجل إنجاز معاهدة الصلح ، عن كثير من تعاليمه التى نادى بها ، واعتبروا هذا الأمر خيانة للأرثوذكسية.(٥) كان على كيرلس ، هذا الرجل الشجاع ذو القلم السيال ، أن يكتب إلى أصدقائه وإلى منافسيه فى مصر وخارج مصر ، لكى يشرح لهم موقفه ، من إقرار الإيمان الخاص بالوحدة ، وأن محتويات هذا الإقرار الإيمانى ، لا تلغى بأى حال من الأحوال ، التعاليم التى نادى بها . ولقد نبَّر على وحدة الطبيعتين ــ الناسوت واللاهوت ــ فى المسيح يسوع الواحد . وهذا واضح من رسائله العديدة التى كتبها وأرسلها إلى الذين احتجوا على المعاهدة ، لكى يبين لهم ، أنه لم يضحِّ بأىٍّ من التعاليم التى علَّم بها سابقًا.(*) كما أنه أوضح لأصدقائه أيضًا أن الشرقيين ليسوا جميعًا نسطوريين.(٦) ومع أن القديس كيرلس ، حاول أن يبين أنه لم يتنازل عن شىء من تعاليمه ، إلا أننا نعتقد ــ على عكس « ما هى » (Mahé)(٧)ــ(**) أن كيرلس قد تنازل فعلاً ، من أجل معاهدة السلام ، عن بعض التعاليم التى كان ينادى بها . وسف نتعرض لهذه النقطة عندما نعرض لتعاليمه .

لقد استطاع كيرلس بكتاباته العديدة ، وخاصة بالسلطان الذى كان يتمتع به ، أن يخمد ولو جزئيًا ، وبطريقة مؤقتة حزب المعارضة فى مصر . إذ أنه ــ (كيرلس) ــ ، كان يُعتبر تقريبًا ، السيد المطلق،(٨) وصاحب السلطان

---

(4) Bardy. 198-200.

(5) J. Kelly.341-350.

(*) لدراسة هذا الموضوع من الناحية التاريخية بتوسع الرجا الرجوع إلى : ــ

Tillemont. Mémoire. T. 15; P. G. 77; Dict. Théol. Cat. 2482.

F. Carye. T. 2. 31-34; Tixeront. 3. 51-53.

Bardy. 197-200; St. Cyr., I, 1, 327.

(6) J. Turmel. 350; Camelot. 47-82.

(7) Mahe Dic. Théo. Cat. 2512-2514

(**) يذكر Mahé عدة مراجع محاولاً بها أن يثبت أن كيرلس لم يغير تعليمه من البداية إلى النهاية انظر هذه المراجع فى المرجع المذكور أعلاه .

(8) Bardy 198.

الذى لا يُبارى ، على الشعب وعلى الرهبان . وهذا على عكس الأوضاع الموجودة فى أنطاكية .

٢ ــ ردود الفعل فى أنطاكية :

سبق أن رأينا أن مجمع الشرقيين ، قد انقسم إلى ثلاثة أحزاب بعد مجمع أفسس ، بسبب خلع نسطوريوس وحرمانات كيرلس . ولقد اتسعت فجوة الخلاف ، وظهرت الانقسامات المريعة فى ردود الفعل ، التى أعقبت إعلان معاهدة السلام . لم يكن موقف يوحنا الأنطاكى بالنسبة لحزب المعارضين للسلام فى أنطاكية ، موقفًا سهلاً لينًا هينًا ، كموقف رئيس أساقفة الإسكندرية ، الذى كان يمسك بكثير من زمام الأمور الدينية والسياسية . فحتى بعض الأعضاء المعتدلين ، الذين انضموا إلى يوحنا ، راغبين فى نشر السلام ، لم يكونوا راضين مقتنعين بخلع نسطوريوس . مثال ذلك ثيودوريطس المرعشى (الكورشى) الذى قَبِل كثيرًا من تعاليم كيرلس ، والذى قبل أيضًا حرم بعض تعالين نسطوريوس ، لكنه لم يقبل خلع نسطوريوس وحرم كل تعاليمه.[9] فعندما أُعلن خبر قانون إيمان الوحدة ، اجتمع حالاً حزب المعارضين فى عين زربة فى ربيع سنة ٤٣٣ ، وقرر هذا المجمع فصل كيرلس من الشركة ، إلى أن يسحب الحرمانات التى كتبها ، ويتنازل عن خلع نسطوريوس .[10]

كان عدد كبير من هؤلاء الأساقفة يعتقد أن محاكمة نسطوريوس كانت محاكمة غير قانونية وغير عادلة.[11] فقد حكم عليه ، دون أن تتاح له الفرصة قانونيا للدفاع عن نفسه فى حضور الحزب المؤيد له . بل إنه حُكم عليه قبل أن يصل وفد الأنطاكيين إلى أفسس . لقد حكم مجمع أفسس على كيرلس وممنون ونسطوريوس بالخلع ، ولكن نسطوريوس ، هو الأسقف الوحيد ، الذى خلع من منصبه ، ووجدوا له خَلَفا ، يحل محله على الكرسى

---

(9) Bardy 199; Mansi 5.899.

(10) Tillemont, Mémoire. T. 14. 558;

دكتور أسد رستم الجزء الأول ص ٣٢٢

(11) Bardy 202 ; Tillemont, Mémoire. T. 14. 596-603;

بسرعة غريبة ، بينما رجع الاثنان الآخران إلى كرسيهما . كما أعلن هذا الحزب أيضًا ، أن كيرلس هرطوق ، وتعاليمه أبولوناريوسية هرطوقية.[١٢] لقد كان الصراع حول هذه المعاهدة عنيفًا قاسيًا ، وتطورت الأمور من سيء إلى أسوأ ، لدرجة أن الإمبراطور كان مضطرًا لاستعمال القسوة ، فأمر فعلاً بخلع بعض الأساقفة من مناصبهم ، ونفيهم ، ومات بعضهم بعيدًا عن الأوطان.[١٣] ثم أصدر الإمبراطور ، فى ٣ أغسطس (آب) ٤٣٥ ، قرارًا بنفى كل النسطوريين ، والإستيلاء على أملاكهم ، وحرق كتب نسطوريوس.[١٤] كما أنه أمر بإبعاد نسطوريوس عن أنطاكية ، فنُفِى إلى واحات مصر ، ثم إلى صحراء ليبيا ، بحيث مات حوالى سنة ٤٥١.[١٥]

لقد استطاع الإمبراطور ، أن يخمد ثورة هذا الحزب المتمرد بالعنف والقوة ، ولم يستطع أحد أن يتجاسر بعد ذلك ، ويتحدث عن نسطوريوس وتعاليمه علانية . لكن البعض تمسك بتعاليمه وكتاباته ، وكان يدرسها بطريقة سرية خفية ، ويعمل على توزيعها ونشرها.[١٦]

---

(12) Bardy 199; Mansi, 4.890; Tixeront 3.52; G. M. A. Salles-Dabadie 110-114; Karl Baus 109-110.

(13) Tillemont, Mèmoire. 14, 396-604; Bardy 202-203.

الكسندروس : تاريخ الكنيسة المسيحية . ترجمة :

(14) Bardy 202; God. Théodosius 16, 5, 66; Mansi 5. 416 .

(15) Bardy 202; Socrate His Eccl 34.

(16) Dic. Théo. Cat. 2483

الفصل السابع

رسالة بروكلوس (Proclus) العقائدية إلى الكنيسة الأرمينية وتجدد الصراع بين الأحزاب

عندما توفى مكسيميانوس فى ١٢ أبريل (نيسان) سنة ٤٣٤ ، وهو الذى خلف نسطوريوس على كرسى القسطنطينية ، حاول الحزب المعارض ، وبعض أصدقاء نسطوريوس ، العمل لدى السلطات لإعادته إلى منصبه ولم يفلحوا.(١) فوقع الاختيار على بروكلوس ، الذى تم ترشيحه للمرة الثالثة لهذا المنصب،(٢) وكان من الذين عارضوا نسطوريوس فى عقيدة أمومة مريم لله.(٣)

لقد عرفت الكنيسة الأرمينية فى هذه الفترة ، يقظة علمية وأدبية لم يسبق لها نظير . فقام كتابها وأدباؤها بحركة واسعة المدى فى مجال الكتابة والترجمة والنشر . ولقد ترجم إيباس (Ibas) أعمال كل من المعلم ديودوريوس الطرسوسى وثيودوريوس الموبسيوسطى(*) إلى اللغة الأرمينية ، لأنه كان مدرسًا فى مدرسة الرها (ادس) لعدة سنوات طويلة.(٤) وعندما ظهرت ترجمات كتابات هذين المعلمين ، ووصلت إلى الحدود السورية واطلع عليها الشعب ، ثار على هذه المطبوعات اثنان من أتباع كيرلس المتحمسين ، وهما أكاكيوس المليتى ورابوله من الرها (ادس) . وقد كتب هذان الأسقفان خطابًا إلى أخوتهم فى كنائس أرمينية ، يشرحان لهم كيف أن تعاليم ديودوريوس وثيودوريوس تعاليم نسطورية؛ وأن هذين المعلمين هما جدًا نسطوريوس . وعلى ذلك ، فإن تعاليمهما غير أرثوذكسية ، ويجب إدانتها وعدم نشرها أو المناداة بها.(٥)

---

(١) خريسوستمس بابادوبولس ٢٦٠ ــ ٢٧٢

(2) Liberatus, Breviarium 10, PL. 68, 990; A. C. O. 11, 5, 110-111; Camelot 82.

(3) Grillmeier 521; A. C. O. 1, 5, 37-39; F. Loofs Nestoriana 336-341.

(*) لمعرفة المزيد عن حياة وتعاليم ديودوريوس الطرسوسى ، وثيودوريوس الموبسيوسطى ، الرجا الرجوع إلى كتابنا المجلد الثانى من تاريخ الفكر المسيحى ٧٢ ــ ١٤٦

(4) Bardy 206; خريسوستمس بابادوبولس ٢٦٣ ــ ٢٦٦

(5) Bardy 204; الدكتور أسد رستم الجزء الثالث ٣٢٤

عندئذ ، عقد الأساقفة الأرمنيون على الفور ، مجمعًا محليًا فى كتيشاط فى سنة ٤٣٥ ، للنظر فى رسائل الأسقفين السوريين . وقد قرر هذا المجمع إرسال كاهنين ، هما لاونديوس وأفيريوس إلى القسطنطينية[٦] لكى يستفسرا عن تعاليم هذين المعلمين ، وعن رأى أسقف القسطنطينية فى هذا الأمر.[٧]

وبعد أن قام بروكلوس بدراسة للإقتباسات التى قدمها له الكاهنان الأرمنيان ، لاحظ أن تعاليم ديودوريوس وثيودوريوس تنبر كثيرًا على التمييز بين الناسوت واللاهوت ، بطريقة قد تؤدى إلى فصل الطبيعتين فى المسيح . فقام بكتابة رسالة أو مكتوب طويل ، عُرِفَ فيما بعد باسم « رسالة بروكلوس » . ولقد استهل رئيس أساقفة القسطنطينية هذه الرسالة ، بتفنيد أفكار معلمى أنطاكية ورَفَضها ، كأفكار غير أرثوذكسية ، لأنها لا تتفق وعقيدة الإتحاد التى تمت فى شخص المسيح يسوع بين اللاهوت والناسوت . ولم يكتفِ برفض تعاليمهما ، بل قدم فى هذه الرسالة عرضًا عقائديًا . وكان موفقا إلى حد كبير فى شرحه ، لأنه استطاع أن يوفق بين تعاليم كيرلس وتعاليم الأنطاكيين . فإن بروكلوس علم فى هذه الرسالة ، بأن الكلمة المتجسد ، هو الأقنوم الثانى من الثالوث ، وهذا « الكلمة » لم يتألم ولم يمت فى طبيعته الإلهية . ومع ذلك فقد تألم وعطِشَ بسبب الإتحاد . فصيرورته إنسانًا لم تغير شيئًا من طبيعته الإلهية .... إنه ابن الله الوحيد ... أقنوم واحد ، هيبوستاس واحد للكلمة المتجسد ... فهو الذى تألم ، وهو أيضًا الذى عمل المعجزات .... إن اللاهوت لم يتألم ، ولكنه تألم فى الجسد.[٨] إن بروكلوس ينبر بشدة على حقيقة الوحدة فى المسيح : وحدة الأقنوم . فقد استعمل اصطلاح « هيبوستاس » الذى استعمله الأنطاكيون ، ليعبروا به عن الأقنوم ، والذى استخدمه أيضًا كيرلس ، لكى يعبر به عن الطبيعة أو عن الأقنوم.[٩]

أرسل رئيس أساقفة القسطنطينية هذا المكتوب العقائدى ، إلى أساقفة أرمينية ، وطالبهم بقبول هذا الإقرار الإيمانى والتوقيع عليه . كما أنه أرسل نسخة من هذا الإقرار ، إلى كل أساقفة الشرق ، وطلب منهم أولا التوقيع عليه ،

---

(٦) خريسوستمس بابادوبولس ٢٦٦

(7) Mansi 9. 240; Liberatus Breviarium 20.

(8) A. Grillmeier 521-525; Camlot 83.

(9) Camelot 83 خريسوستمس بابادوبولس ٢٦٦

كما طالبهم بأن يرفضوا بطريقة واضحة وصريحة الإقتباسات غير الأرثوذكسية ، التى اقتبسها فى رسالته لهم من كتابات ديودوريوس وثيودوريوس . كما أرسل إليهم أيضا خطابا من الإمبراطور ، يطلب فيه من يوحنا وزملائه الأساقفة الخضوع وعمل اللازم ، لتوطيد السلام ، بالتوقيع على إقرار الإيمان الذى كتبه بروكلوس .

كان الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير ، حريصًا كل الحرص على سلام الكنيسة والإمبراطورية ، وحاول أن يتجنب أى حدث من الأحداث التى تقود إلى الإضطرابات والحرب بين الشعب . وقد عاش هذه السنين الأخيرة في قلق واضطراب مستمرين ، بسبب النزاع النسطورى . ثم بدأ يتنفس الصعداء بعد معاهدة السلام ، ظانًا بأن كابوس الحرب والانقسام قد اختفى . لكن ها هوذا النزاع العقائدى يبرز من جديد ، ولذلك بادر بكتابة الخطاب ، إلى الأسقف يوحنا الأنطاكى ، مع الرسالة العقائدية ، التى أرسلها بروكلوس ، طالبا من أسقف أنطاكية ومن زملائه أن يعملوا على توطيد السلام ، وتجنب إثارة الاضطرابات.(١٠)

عندما تسلم يوحنا وزملاؤه رسالة بروكلس وخطاب الإمبراطور ، اعترتهم حيرة شديدة جدًا من هذا الموقف الغريب . وتساءلوا قائلين : ألم نحكم على نسطوريوس بالخلع والحرم وتحريم تعاليمه وأتباعه أيضًا ؟ ألم نقبل ونعلم فى كنائسنا قانون الإيمان النيقوى ؟ كانت الصدمة العظمى ليوحنا ولكل الأحزاب الأنطاكية تقريبًا ، هى التجاسر بطلب حرم المعلمين ديودوريوس الطرسوسى وثيودوريوس الموبسيوسطى ، لأنهما كانا يحتلان مكانة مرموقة سامية ، فى نظر كل الأنطاكيين ، وقد اشتهرا بعلمهما وتقواهما وتضحياتهما فى كل حياتهما ، وماتا فى سلام الكنيسة . ولأجل هذا السبب ، كتب يوحنا إلى رئيس أساقفة القسطنطينية ، وكذلك إلى الإمبراطور ، معلنًا استحالة تحريم تعاليم هذين الرجلين ، اللذين علما تعاليم صالحة ، وإلا فإنه سيحرم أيضا تعاليم أثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس وثيوفيلوس ، وآخرين علموا نفس التعاليم.(١١)(*)

---

(10) Synodicon 219; Bardy 205.

(*) مما لاشك فيه أن يوحنا الأنطاكى أخطأ هنا فى مقارنته تعاليم ديودوريوس وثيودوريوس بالتعاليم التى علم بها أثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس وثيوفيلوس . وسوف ينتقده كيرلس على ذلك .
د . أسد رستم ص ٣٢٥

(11) Bardy 205; Synodicon 196;

وأرسل يوحنا أيضا ، خطابًا إلى رئيس أساقفة الإسكندرية طالبًا منه التدخل السريع لوقف هذه الشوشرة والبلبلة.[١٢]

ومع أن كيرلس لا يتفق مع يوحنا فى قوله بأن تعاليم ديودوريوس وثيودوريوس أرثوذكسية مثل تعاليم أثناسيوس وباسيليوس وغريغوريوس وثيوفيلوس ، إلا أنه حاول أن يلطف الجو المضطرب القلق ، وأن يزيح شبح الانقسام والاضطراب ، الذى بدأ يطل بوجهه المرعب المخيف من جديد على هذه الكنائس . فكتب إلى بروكلوس يعرفه بأن مجمع أفسس ، قد حكم فعلا برفض قانون إيمانٍ ، كان قد نسب إلى ثيودوريوس ؛ على أن المجمع لم يذكر أسماء ، ومن الأفضل أن نترفق بالأنطاكيين.[١٣] ثم طالب زميله بعدم المناداة بتعاليم ديودوريوس وثيودوريوس ، كما أنه لم يوافق على إدانة أناس ماتوا فى سلام الكنيسة ، وبهذه الطريقة بدأت العاصفة تهدأ نسبيًا .

الأسقف إيباس (Ibas) وتجدد الصراع العقائدى : ..

فى يوم ٨ أغسطس (آب) ٤٣٥ انتقل إلى العالم الآخر رابولا أسقف رها (ادس) ، الذى أثار مشكلة تعاليم ديودوريوس وثيودوريوس ، وكان عدوًا لدودًا لهذين المعلمين ، وخلفه على أسقفية رها الأسقف أيباس (Ibas). وكان هذا الأخير على عكس رابولا تماما ، إنه كان من المغرمين المعجبين بتعاليم ديودوريوس وثيودوريوس ، بل إنه هو الذى قام بترجمة كتابات هذين المعلمين فى سنة ٤٣٣ إلى الأرمينية (Camelot 84) . فعلى قدر ما كان كل من أكاكيوس المليطى (الميليتى) ، ورابولا من أتباع كيرلس المتحمسين ، كان إيباس من أعداء كيرلس ومن مناصرى وناشرى تعاليم المعلمين الأنطاكيين . ثم إنه قام بحملة شعواء ضد كيرلس وضد تعاليمه . فقد كتب إلى مارى[*][١٤]

---

(12) E. Schwartz 62-66; Synodicon 200.

(١٣) طالب البعض كيرلس بمحاكمة معلمى أنطاكية مثل نسطوريوس فرفض ذلك حبا فى السلام . على أنه كان قد بدأ فى كتابة بحث عن تعاليم هذين المعلمين مبينا جهادهما فى الخدمة ، ولكنه قدم نقدًا لتعاليمهما فثار بعض الأنطاكيين ضد هذا النقد وخاصة ثيودوريطس المرعشى الذى كتب كتابًا ضد كيرلس يدافع عن هذين المعلمين (خريسوستمس ٢٧١) .

(*) يحتمل أن كلمة « مارى » التى تعنى بالسريانية « سيد » ، مقصود بها أسقف .

(14) G. Labourt, Le Christianisme dans L'empire perse sous-La dynastie Sassanide (224-632).
Wa. Wigram An Introduction to the Hist. of the Assyrian Church; Tixeront 353.

خطابا أصبح فيما بعد خطابًا مشهورًا ، معبرا فيه عن وجهة نظره الشخصية ، ووجهة نظر الأنطاكيين فى موضوع مجمعَى أفسس ومعاهدة السلام ، وشارحًا كيف أن كيرلس كان يرأس مجمعًا ، ويوحنا الأنطاكى يرأس مجمعًا آخر فى أفسس ، وكيف رجع الأساقفة من هذين المجمعين منقسمين متخاصمين . ونعت كيرلس بالإنزلاق إلى هرطقة الأبولوناريوسية ، لأنه علم بطبيعة واحدة فى المسيح ، وحرم كل من لا يعلم بهذا التعليم ، على أنه تراجع عن حرماناته فى سنة ٤٣٣ للحصول على توقيع الأنطاكيين على معاهدة السلام ، مع أنه حرمهم فى سنة ٤٣١ لأنهم لم يوافقوا على أبولوناريوسيته.[١٥] وعلى ما يبدو فإن إيباس لم يفهم جيدا تعاليم القديس كيرلس .

إن جلوس إيباس على كرسى الرها أشعل من جديد نيران الحزبية التى لم تكن قد أُخمِدَت بعد . على أن كيرلس ويوحنا الأنطاكى وبروكلوس والإمبراطور ثيودوسيوس الثانى ، وضعوا فى قلوبهم أن لا يتراجعوا أمام أى صعوبة تعترض طريقهم لعرقلة السلام . وحتى يغلقوا باب المناقشات والصراعات التى تقود إلى انقسام الكنيسة ، أصدر الإمبراطور قرارا بموافقة الأساقفة أعلن فيه أنه لا يليق بل ممنوع الحكم على شخص قد مات وهو فى شركة طيبة مع الكنيسة.[١٦] وعندما صدر هذا القرار وطُبق فعلا تنفس يوحنا وبروكلوس والإمبراطور ، وكل الذين كانوا يبحثون جاهدين مخلصين عن السلام ، الصعداء ، وكأنى بهم يقولون : « الآن قد مضى النزاع العقيدى الخاص بديودوريوس وثيودوريوس ونسطوريوس ، ولنعش فى سلام وانسجام » . لكن للأسف الشديد ، لم يكن أحد يعلم أن هذه المشكلة سوف تظهر من جديد بعد قرن من هذا الوقت وسوف تهز الكنيسة مرة أخرى .

كان كيرلس فى هذه المعركة العقيدية العنيفة القاسية والطويلة ، شجاعًا ، بالرغم من الصعوبات والعقبات . ومما لاشك فيه أن رئيس أساقفة الإسكندرية ارتكب بعض الأخطاء ، سواء من الناحية السياسية أو العقائدية ، أو حتى الإدارية . فنحن لا نتفق معه على طول الخط فى كل تعاليمه ، لأنه كان إنسانًا ، وكل إنسان معرض للخطأ . ومع أننا لا نؤيده كل التأييد ، فى الثورة التى

---

(15) Tixeront 3.54, Camelot 83.

(١٦) خريسوستمس باباديوبولس ٢٧١

قام بها ضد نسطوريوس والحرب الشعواء التى خاضها ضد رئيس أساقفة القسطنطينية ، لأنه كان يمكن معالجة الأمور بطرق أخرى ... إلا أننا نعترف بأن كيرلس ، كان عظيمًا فى جهاده وفى تعاليمه . فلقد استطاع بصبره ومحبته وحنكته ودبلوماسيته ، أن يقود ليس فقط الكنيسة المصرية التى تفخر ، ولها كل الحق أن تفخر به ، بل قاد الكنيسة العامة إلى السلام ، بعيدًا عن الانقسام والحرب الحزبية الطائفية . إن تعاليم هذا الرجل العظيم ، لا تعد كنزًا للكنيسة القبطية الأرثوذكسية وحدها ، بل هى ملك للكنيسة الكاثوليكية ، والكنائس الإنجيلية أيضًا . وإننى أدعو الكنائس التقليدية بصفة عامة ، والكنائس الإنجيلية بصفة خاصة ، لدراسة حياة وتعاليم هذا الرجل ، الذى يعد واحدًا من سحابة الشهود العظيمة . ولقد انتقل رئيس أساقفة الإسكندرية بعد جهاد طويل مجيد ، فى يوم ٢٧ يونيو (حزيران) فى سنة ٤٤٤ ، بعد أن قاد الكنيسة المصرية كرئيس أساقفة حوالى اثنين وثلاثين عامًا . ويُعتقد أن رفاته مازالت موجودة فى مغارة الكاتدرائية بالقاهرة . فإن مات كيرلس ولكنه يتكلم بعد .

وهاك موجز لبعض التواريخ والأحداث الهامة التى مرَّ بها هذا الرجل العظيم :

سنة ٣٧٨ ميلاده (تقريبًا)

سنة ٣٨٥ صار ثيوفيلوس خاله رئيسًا لأساقفة الإسكندرية .

سنة ٣٩٠ ــ ٣٩٢ بدأ فى دراسة القواعد وبعض العلوم العامة .

سنة ٣٩٣ ــ ٣٩٧ درس الخطابة والعلوم الإنسانية العامة : أى من سن ١٥ ــ ٢٠ سنة .

سنة ٣٩٨ ــ ٤٠٢ درس لمدة خمس سنوات ، على ما يحتمل فى دير للرهبان .

سنة ٤٠٣ حضر مجمع البلوطة .

سنة ٤١٢ صار رئيسًا لأساقفة الإسكندرية : فى سن ٣٤ سنة .

سنة ٤٢٩ رسالته الفصحية إلى الرهبان ، والتى رفض فيها تعاليم نسطوريوس دون أن يذكر اسم أسقف القسطنطينية .

٤٢٩ (الصيف) أول رسالة مباشرة إلى نسطوريوس .

سنة ٤٣٠ (يناير ــ كانون الثانى ــ شباط) رسالته الثانية العقائدية إلى نسطوريوس .

سنة ٤٣٠ رسائله إلى البلاط الإمبراطورى فى القسطنطينية .

سنة ٤٣٠ رسالته إلى البابا سيليسينيوس عن تعاليم نسطوريوس .

سنة ٤٣٠ (أغسطس : آب) مجمع رومه وتأييده لموقف كيرلس ضد نسطوريوس .
سنة ٤٣٠ (أكتوبر ـــ تشرين الأول) مجمع الإسكندرية ورسالته إلى بعض الأساقفة والحرمانات ضد نسطوريوس .
سنة ٤٣٠ (١٩ نوفمبر ـــ تشرين الثانى) قرار الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى بعقد مجمع مسكونى فى سنة ٤٣١ .
سنة ٤٣٠ نوفمبر (تشرين الثانى) اللجنة المفوضة من قِبل مجمع الإسكندرية تقوم برحلتها لمقابلة بعض الأساقفة فى الشرق ونسطوريوس لتسليمهم رسائل الإسكندرية وروما .
سنة ٤٣١ (أواخر مايو) وصول نسطوريوس ووفده إلى أفسس .
سنة ٤٣١ (أوائل يونيو ـــ حزيران) وصول كيرلس ووفده إلى أفسس .
سنة ٤٣١ (٢٢ يونيو ـــ حزيران) بدء مجمع أفسس الذى ترأسه كيرلس .
سنة ٤٣١ (٢٦ / ٦) وصول الوفد الأنطاكى .
سنة ٤٣١ (١٠ / ٧) وصول الوفد الرومانى .
سنة ٤٣١ (٣١ / ٨) الجلسة الأخيرة .
سنة ٤٣١ (أكتوبر ـــ تشرين الأول) أمر الإمبراطور بفض المجمع .
سنة ٤٣١ (٢٥ أكتوبر ـــ تشرين الأول) انتخاب وتنصيب مكسيميانوس رئيسًا للأساقفة فى القسطنطينية .
سنة ٤٣١ (٣٠ أكتوبر ـــ تشرين الأول) رجوع كيرلس إلى الإسكندرية .
سنة ٤٣٣ توقيع معاهدة الاتحاد .
سنة ٤٣٨ زيارة كيرلس لأورشليم .
سنة ٤٤٤ (٢٧ يونيو ـــ حزيران) إنتقال كيرلس إلى العالم الآخر فى حوالى السابعة والستين من عمره .

بعض المراجع الخاصة بموقف الأحزاب المعارضة لقانون إيمان الوحدة ، ثم رسالة بروكلوس .

(1) Robert Devresse. Essai Sur Théodore de Mopsueste... 125-145.

(2) A. Grillmeier. Le Christ dans La Tradition Chrétienne..... 521-528.

انظر المراجع التى ذكرها المؤلف (Grillmeier) وخاصة عن رسالة بروكلوس :

(3) G. M. de Durand o. p. Deux Dialogues Christologiques 20-32.

(4) A Select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, Vol. 2. Socrates... 175-177.

(٥) تاريخ الكنيسة المسيحية نقله من الروسية إلى العربية ألكسندروس مطران حمص وتوابعها .

الرجا الرجوع إلى نفس المراجع التى سبق أن أشرنا إليها فى الفصل الخامس لأنها تعالج نفس الموضوع .

الفصل الثامن

تعاليم القديس كيرلس الكرستولوجية
(مفهومه لشخص الرب يسوع المسيح)

إذا أردنا أن نفهم جيدًا تعاليم القديس كيرلس الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ، علينا أن نتذكر المفاهيم الكرستولوجية التى كانت منتشرة ومسيطرة قبل وأثناء هذه الحقبة التى عاش خلالها رئيس أساقفة الإسكندرية . فلقد ظهر قبل كيرلس ، الكاهن الليبى أريوس (٣٢٠) يعلم بعدم مساواة جوهر الآب لجوهر الابن ، وأن الآب سابق للابن فى الوجود ، لأن الابن هو « بكر كل خليقة » : يعنى أنه خُلِقَ فى وقت معين . كما أنه علَّم أيضًا بعدم وجود روح بشرية فى المسيح . لأنه كان يعتقد أن الكلمة حل محل الروح البشرية فيه . ولقد رفضت كنيسة الإسكندرية هذه التعاليم ، وتزعم هذه المقاومة القديس العظيم أثناسيوس فى الإسكندرية . وفى أنطاكية قام استاثيوس الأنطاكى بالدفاع عن عقيدة وجود روح بشرية فى المسيح . وبعد أن حكم مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥ على أريوس وتعاليمه ، ظهر على المسرح أبولوناريوس أسقف لاودكية ، وكان صديقًا حميمًا للقديس أثناسيوس ومدافعًا متحمسًا لتعاليم وقرارات مجمع نيقية . وكان أسقف لاودكية يعلم بمساواة الابن للآب فى الجوهر والأزلية ، على أن المعلم اللاودكى قد انحرف فى دفاعه وحماسته ضد الآريوسية ، فارتكب أخطاء عقائدية خطيرة ، واضطرت الكنيسة أن تحكم بحرمه وحرم تعاليمه . فلقد حاول أبولوناريوس أن يبيّن فى دفاعه ضد الآريوسية أن الكلمة مساوٍ للآب فى الجوهر وفى الزمن : أى أنه من نفس جوهر الآب ووجوده مساوٍ تمامًا لوجود الآب ، وأن وجود الواحد لم يسبق الآخر . إلى هنا كانت تعاليم أبولوناريوس أرثوذكسية ولا غبار عليها . لكنه حاول أن يبين الانسجام التام بين الكلمة وبين الجسد ، وأنه لا يوجد أى نوع من الصراع الداخلى بينهما ، وأن الكلمة بدون خطية أو عيب . ولكى يثبت نظريته بأن المسيح كان خاليًا من الصراع الداخلى ومن الخطية ، علم بأن المسيح كان مكونًا من اللوغوس وجسد ، وهذا الجسد لا توجد به روح بشرية ، لأن اللوغوس أو

الكلمة حل محل الروح البشرية فى هذا الجسد.[1] فإن أبولوناريوس علَّم بأنه لا يوجد فى المسيح إلا طبيعة واحدة : « وهى طبيعة الكلمة المتجسد » . وكان الكلمة المتجسد يقوم بكل الأعمال والتصرفات فى هذا الجسد الخالى من الروح ، التى هى مصدر القلق والخوف والاضطراب والفرح والحزن ..... كما أنها أيضًا ، بحسب اعتقاده ، مركز الخطية والصراع والانقسام والازدواجية.[2] ولقد سمى هذا التيار العقائدى فى تاريخ الفكر المسيحى بالكلمة ــ جسد ــ Logos-Chair أو Logos-Sarx لوغوس ــ جسد Logos-Flesh وهذا يعنى أن الكلمة ، اللوغوس ، الله ، حل فى جسد بدون روح بشرية فاللوغوس حل محل الروح البشرية فى الجسد . وحكمت الكنيسة بهرطقة هذه التعاليم الأريوسية[3] والأبولوناريوسية التى نادت بعدم وجود روح بشرية فى المسيح ووجود طبيعة واحدة . ثم ظهرت جماعة من الدارسين فى أنطاكية فى حوالى سنة ٣٦٠ انضم إليها فيما بعد ، أقطاب مشهورون بعلمهم وتقواهم وجهادهم ضد التعاليم التى نادت بعقيدة الطبيعة الواحدة ، وعدم أزلية الابن ، ومنهم ديودوريوس الطرسوسى ويوحنا فم الذهب وثيودوريوس المبوسبسطى . ثم انضم إليهم فيما بعد ، نسطوريوس وآخرون . ولقد تبنى هؤلاء المعلمون التيار العقائدى الذى يدعو اللوغوس ــ إنسان Logos-Man أو Logos-Anthropos، إذ أنهم علَّموا بأن الكلمة أو اللوغوس ، تجسد فى الإنسان يسوع الناصرى . وبناءً على ذلك فإن يسوع المسيح الناصرى مكون من عنصرين أساسيين ومختلفين فى الجوهر : اللاهوت والناسوت . إله كامل وإنسان كامل .وفى شرحهم للوحدة بين هذين الجوهرين ، نبَّروا بشدة على التمييز بين اللاهوت والناسوت . بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية ، بين الله والإنسان . وهذا هو التيار التعليمى الذى كان يسيطر على مدرسة أنطاكية ومعلميها . ومع أن مدرسة الإسكندرية رفضت بشدة تعاليم أريوس وتعاليم أبولوناريوس ، إلا أنها استعملت فى كثير من الأحيان بعض الاصطلاحات التى استعملها أبولوناريوس .

---

(١) الدكتور حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٢٢ ــ ٣٧

(2) G. Voisin. L' Apollinarisme... 290, Danielou 181;

(٣) حنا جرجس تاريخ الفكر الجزء الثانى ٣٠ ــ ٣٧

حنا جرجس تاريخ الفكر الجزء الثانى ٤٥ ــ ٤٧

وهنا نجد أنفسنا أمام مدرستين : مدرسة أنطاكية ومدرسة الإسكندرية : الأولى —(أنطاكية)— نبّرت بشدة على وجود الإنسان الكامل المكون من روح وجسد الذى حل فيه الكلمة . ولقد بدأت هذه المدرسة بالإنسان ؛ كما أنها حاولت أن تميز أيضًا بين الجوهرين (اللاهوت والناسوت) بطريقة واضحة وصريحة . .ولكن فى محاولتها التمييز بين الطبيعتين كادت أن تفصلهما . أما المدرسة الثانية — (الإسكندرية) — فقد بدأت على عكس أنطاكية بالله — الكلمة ، ونبّرت بشدة على الوحدة القوية العميقة بين العنصرين (اللاهوت — والناسوت) لدرجة أنها كادت هى أيضًا فى كثير من الأحيان أن تدمج الطبيعتين بحيث يصعب التمييز بينهما .

فعندما ظهر نسطوريوس على المسرح وهو أنطاكى ، رفض التعاليم الآريوسية والأبولوناريوسية وحاول أن يميز بين طبيعتى المسيح . ولكن فى دفاعه ضد الآريوسية والأبولوناريوسية ، وفى محاولته لشرح عقيدة الازدواجية فى المسيح ، تطرف لدرجة أن الدارس لكتاباته ، يشعر فى بعض الأحيان كما لو كان نسطوريوس يتكلم عن اثنين لا عن مسيح واحد . وحقيقة الأمر أن نسطوريوس كان يعلّم بمسيح واحد ورب واحد.[٤]

وهنا قام كيرلس الإسكندرى ضد تعاليم نسطوريوس الازدواجية : لأنه اعتقد أن رئيس أساقفة القسطنطينية قسم المسيح والابن إلى شخصين . فما هى إذن تعاليم القديس كيرلس ؟ قبل أن نبدأ فى شرح مفهوم كيرلس الكرستولوجى ، يجدر بنا أن نلفت نظر الدارس إلى بعض الأمور التى يصعب علينا فهم تعاليم أسقف الإسكندرية بدون فهمها .

١ — لقد شعر القديس كيرلس منذ أن نُصِّبَ بطريركيًا فى سنة ٤١٢ بخطورة التعاليم الآريوسية ، ومن ذلك التاريخ حتى سنة ٤٢٨ كرَّس معظم تعاليمه وكتاباته سواء فى « الكنز » أو « الحوار » ضد التعاليم الآريوسية . ولقد اقتبس كثيرًا جدًا فى دفاعه ضد الأريوسيين ، كتابات القديس أثناسيوس ، لدرجة أن الاقتباسات التى اقتبسها فى كتابات « الكنز » تصل إلى ثلث الكتاب . ولذلك انتقده البعض بأنه يعرف جيدًا كتابات القديس أثناسيوس ولا يعرف

---

(٤) حنا جرجس تاريخ الفكر الجزء الثانى ١٧٦ — ٢٠٢

غيرها . ولقد اتبع كيرلس نفس الطريقة التى اتبعها أثناسيوس.(٥)

٢ — الاصطلاحات : كان الأنطاكيون وكذلك نسطوريوس يعبرون عن الجوهر أو الطبيعة أو المادة بالاصطلاحات الآتية : — Essence= جوهر ثم Natura= طبيعة ثم Substancia= جوهر أو مادة أو كيان ثم Hypostase هيبوستاس = جوهر أو كيان أو أقنوم أو طبيعة.(٦) ولقد استعملوا الاصطلاح الأخير هيبوستاس (ὑπόστασις) (طبيعة : كيان) بطريقة نادرة للتعبير عن الطبيعة . على أنهم استعملوا الإصطلاح بروزوبون (Prosopon) (πρόσωπον) لكى يعبروا به عن الأقنوم بعد الاتحاد الذى تم بين الطبيعتين : اللاهوت والناسوت.(٧)

أما كيرلس فقد اعتبر أن الكلمات الآتية عبارة عن مترادفات ولها نفس المعنى : طبيعة Physis= (φύσις) ثم جوهر = Essence ثم Substance مادة أو جوهر أو كيان هيبوستاس Hypostase= جوهر أو كيان أو أقنوم أو طبيعة .

فعندما كان يتكلم عالم من مدرسة الإسكندرية عن شخص مستقل فى تكوينه وكيانه ، كان يستعمل أى كلمة من الكلمات الآتية : — طبيعة أو هيبوستاس = كيان أو جوهر . ولقد اتبع القديس كيرلس نفس الطريقة ونفس الأسلوب . فعندما كان يستخدم كيرلس كلمة (φύσις) فوسيس طبيعة أو (ὑπόστασις) هيبوستاس : جوهر / طبيعة / كيان ، كان يقصد بهذه الإصطلاحات التعبير عن الكلمة المتجسد . وعندما كان الأنطاكيون يستخدمون كلمة طبيعة فوسيس ، أو هيبوستاس كانوا يقصدون من ذلك التعبير عن عقيدتهم فى الطبيعة الواحدة الإلهية أو البشرية . ولكن عندما كانوا يريدون شرح عملية الاتحاد التى تمت فى الطبيعتين كانوا يستعملون الإصطلاح « بروزوبون » الذى يعنى أقنوم .

ومن هنا نشأ سوء التفاهم العظيم بين كيرلس وبين نسطوريوس . فعندما كان نسطوريوس يتكلم عن وجود طبيعتين أو جوهرين أو كيانين فى المسيح

---

(5) Quasten 200-202.

(6) Tixeront 3.60-62. Adv., Nestor., Blasph, 5,240.

(٧) انظر كتابنا تاريخ الفكر . الجزء الثانى ١٦٩ — ١٧٦
Tixeront 3.60-63.

الواحد ، مستعملا أحد الاصطلاحين .. طبيعة : فوسيوس أو هيبوستاس كيان ، كان كيرلس يعتقد ، أن نسطوريوس ينادى بوجود أقنومين فى المسيح الواحد . وعندما كان كيرلس يتكلم عن الإتحاد المطلق القوى مستعملا الاصطلاح هيبوستاس أو فوسيوس ليعبر عن المسيح الواحد ، كان نسطوريوس والأنطاكيون يعتقدون أن كيرلس أدمج أو خلط الطبيعتين فى طبيعة واحدة . أى أن سوء التفاهم بين المدرستين راجع إلى أن الاصطلاحات(*) العقائدية لم تكن محددة ومُعَرَّفة ومعروفة بطريقة واضحة ومتفق عليها . ولهذا السبب اعتقد كيرلس أن نسطوريوس كان يعلم بوجود مسيحين وابنين ، كما أن نسطوريوس والأنطاكيين اعتقدوا أن كيرلس أدمج أو خلط الطبيعتين فى طبيعة واحدة أو أنه يعلم بوجود طبيعة واحدة فقط فى المسيح . فهل أدمج فعلا الطبيعتين ؟

هل علم بوجود طبيعة واحدة فقط فى المسيح ؟ وما هى هذه الطبيعة ؟ هل هى الطبيعة الإلهية أم الطبيعة البشرية ؟ أم علم بوجود طبيعتين فى شخص المسيح ثم ما هى نقاط الخلاف الأساسية بينه وبين نسطوريوس ؟ هذا الفصل مخصص لمناقشة هذه الآراء مع آراء أخرى .

(*) بعض المراجع لدراسة مفهوم كيرلس ونسطوريوس لهذه الاصطلاحات الفنية

M. Jugie La Terminologie de St. Cyrl, EO 15 (1912) 12-24.

Quasten 3.206; Camelot 38-39; Grillmeier 439-447.

F. Loofs Nestorius 76, 74-94, Nestoriana 280-5-16, Tixeront 3.60-64, Lebon. Le Monophysisme, Severin 250-277; Du Manoir 125-130; G. Lebourbier, Union Selon «P'hypostase» ébauche de La Formeĺe dans Le Ier. Rev. Scphth 44 (1960) 470-476, Liebaert Hist. des Dog. 194-197; M. Richard, Hypostase 245, Cyr, Scholio de Incarnation P.G. 75, 1381, A, 1385, C: Epist., 40, ACO, 1, 1, 6, P. G. 112, Epist ad Succensum: Ibid pp. 161-162, Epist 17, ad Nestor; M. V. Anastos. Nestorius Was Orthodox? Dop. 16.1962. 123-127, T. Herbert Bindley. The Oecumenical Documents of the Faith, 4th ed., by F. W. Green 185-199; J. N. D. Kelly. Early Christian Doctrines 338-343; Sellers, The Council of Chalcedon; G. L. Prestige, M. Richard. L'Introduction du mot Hypostase dans La Théologie de L'Incarnation Rev. 2 (1945) 5-32, 243-270; Nature et Hypostases Divines dans Basile, Rev. 13 (1923) 130152; A. Michel «Hypostase»; Dic. Theo. Cath. 7, 1, 369-437; T. B. Strong, The History of the Theological term «Substance» Journal of Theol. Studies 2 (1907) 224-235, 3 22-40, 4 (1903) 28-45.

الأب متى المسكين « القديس أثناسيوس البابا العشرون ». ٣٤٤ — ٣٥٨

الدكتور القس حنا جرجس الخضرى. « تاريخ الفكر المسيحى » ١١٠ — ١١٧

حاولنا فى المجلدين الأول والثانى من تاريخ الفكر، عرض مفاهيم بعض المعلمين من القرن الأول إلى القرن الخامس، ورأينا كيف حاول كل منهم أن يجيب مخلصًا عن سؤال الرب يسوع المسيح فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » متى ١٦ : ١٣ وفى محاولتهم الإجابة عن هذا السؤال، قدم بعضهم تعاليم صحيحة أرثوذكسية، بينما انزلق البعض الآخر إلى الهرطقة. ولقد حاول أيضًا المعلم العظيم — كيرلس — رئيس أساقفة الإسكندرية أن يجيب بدوره على السؤال. فما هو جوابه على سؤال الرب يسوع، وما هو أيضًا جوابه على الأسئلة التى طرحناها أعلاه ؟ هل علم بوجود طبيعة واحدة أم طبيعتين فى المسيح ؟

سبق أن أشرنا إلى الصراع الذى أشعله القديس كيرلس ضد التعاليم الأريوسية، وكيف أنه استعمل فى مقاومته لهذه التعاليم كتابات وأسلوب القديس أثناسيوس،[٨] الذى كان معاصرًا لأريوس ومناضلا ضده، وكتب الكثير جدًا لدحض تعاليمه. ولقد استمر يقاوم الأريوسية بالكتابة والوعظ لغاية سنة ٤٢٨. فحتى هذا التاريخ، كان معلم الإسكندرية يركز جهده فى الدراسة والوعظ والتعليم والكتابة، ضد الأريوسية. وعندما ظهر نسطوريوس فى سنة ٤٢٨ ونادى بالتعاليم الازدواجية : أى وجود طبيعتين متميزتين فى شخص المسيح، بدت هذه التعاليم لأسقف الإسكندرية غير أرثوذكسية، ويجب رفضها. ولكى يتمكن من رفضها بطريقة صحيحة، ومبنية على تعاليم الكتاب المقدس والآباء، فقد بدأ بدراسة عميقة[٩] عن شخص الرب يسوع المسيح، كما فعل قبل ذلك عندما تصدّى للتعاليم الآريوسية، فدرس تعاليم القديس أثناسيوس. ولذلك جمع القديس كيرلس كل النصوص والكتابات المتاحة[١٠] والتى تتكلم عن شخص الرب يسوع كمسيح واحد وابن واحد ورب واحد. وفى أثناء جمعه لهذه الوثائق ودراستها، وجد بعض الكتب باسم البابا يوليانوس وفيليكس وغريغوريوس العجائبى، التى تتكلم عن وجود طبيعة واحدة فى الكلمة المتجسد.[١١] كذلك وجد فى كتاب باسم القديس

---

(8) Quasten p. 200-202.
(9) Quasten 201-203; Grillmeier 461-462.
(10) G. Liebaert. Hist. des Dog. 194-197.
(11) Grillmeier 460-467.

أثناسيوس الجملة الآتية : «واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد»(١٢) كان كيرلس يعتبر أثناسيوس المعلم الذى لا يمكن مقارنته بأى معلم آخر ، وكان يرى فيه وفى تعاليمه أرثوذكسية لا غبار عليها ولاشك فيها . وها هو الآن يطلع على مكتوب باسم القديس والمعلم أثناسيوس ينادى فيه مشددًا ومنبرًا على وجود طبيعة واحدة فقط فى الكلمة المتجسد . فكيف يمكنه إذن أن يرفض تعاليم أثناسيوس ؟ كما أنه وجد فى الوقت نفسه أن تعاليم أثناسيوس تعارض تمامًا تعاليم نسطوريوس الذى ينادى بازدواجية الطبيعة . ولذلك قام بإعداد تقرير أو بحث عقائدى مقتبسًا فيه أقوال الآباء ، وقارنها بتعاليم نسطوريوس التى اعتبرها تعاليم إزدواجية ، وتتكلم عن مسيحين وابنين . وأرسل هذا البحث العقائدى مع شماسه بوزيدونيوس إلى روما . (١٣) (*) ولكن الأمر الذى لم ينتبه له رئيس أساقفة الإسكندرية فى هذه القضية ، هو أن بعض الكتابات التى اطلع عليها وتحمل اسم البابا يوليانوس أو فيليكس أو غريغوريوس العجائبى أو القديس أثناسيوس ، ما هى إلا كتابات مزيفة كتبها أبولوناريوس نفسه ووضع عليها أسماء هؤلاء الآباء المعروفين بأرثوذكسيتهم فى التعليم.(١٤) وبهذه الطريقة انتشرت تعاليمه عن الطبيعتين ، بالرغم من الحرمانات العديدة التى أصدرتها الكنيسة ضد هذه التعاليم(١٥) لا بل إن كيرلس نفسه كان واحدًا من الضحايا . إن الكتابات التى كتبها أبولوناريوس تحت أسماء مزيفة مستعارة ، كانت تنادى بوجود طبيعة واحدة فى المسيح ، وهى طبيعة الكلمة المتجسد.(١٦) ولقد اعتقد كيرلس أن هذه الكتابات والنصوص كتبها هؤلاء الآباء فعلاً ، وليست كتابات أبولوناريوس الذى حكم بهرطقته . ولذلك رجع

---

(12) Adv. Nestor, 1, P. G. T. 66; Voisin انظر كتاب
L'Apollinarisme 155, 182 Sq; Draseke.

(١٣) انظر كتابنا تاريخ الفكر . الجزء الثانى ص ٢١١ — ٢١٣ ،
A. C. O. T.1, Vol. 1. Face 5. P. 10-12; Amann 210-211.

(*) كان التقرير الذى أرسله كيرلس إلى روما يحتوى ليس فقط على الاقتباسات المزيفة من كتابات أبولوناريوس بل كان يحتوى أيضًا على بعض أقوال أخرى من الكتاب المقدس ومن أقوال بعض الآباء الذين لا تتفق تعاليمهم وتعاليم نسطوريوس .

(14) Quasten 3.205-207; Ep. 46, 2; Rect, Fid, ad Reg., 1, 9.

(١٥) تاريخ الفكر . الجزء الأول ٤٥ — ٤٧

(16) Liebaert. Hist. des Dog., 194-197.

معلم الإسكندرية إلى هذه الجملة واقتبسها عدة مرات(*) لاعتقاده بأنها من تعاليمهم . فعندما كان يدافع عن عقيدة الطبيعة الواحدة ، كان يدافع عن عقيدة ظن أن الآباء علموا بها . وسوف نرى فيما بعد ، كيف أعلن أتيخوس فى مجمع أفسس الثانى ، أنه وجد التعاليم التى تتكلم عن الطبيعة الواحدة فى كتابات القديس كيرلس العظيم . والآن نحن نَعْلم أن القديس الإسكندرى قد اقتبسها من الكتابات الأبولوناريوسية المزيفة ، دون أن يعرف أنها كتابات أبولوناريوسية . ومع أننا نعتقد أن كيرلس لم يكن متمسكًا تمسكًا شاملاً كاملاً بعقيدة الطبيعة الواحدة ، ولنا عودة إلى هذه النقطة فيما بعد ، إلا أنه نادى بها فى بعض الأحيان لسببين على الأقل : ـــ

السبب الأول : كان كيرلس يعتقد أن هذا التعليم الخاص بالطبيعة الواحدة فى المسيح هو تعليم الآباء كما درسه فى بعض الكتابات والنصوص الأبولوناريوسية والتى كان يجهل حقيقة مصدرها . ألم يكتب هو نفسه فى رسالته إلى سوكسانسيوس (Succensus) قائلاً إن التعليم بالطبيعة الواحدة هو تعليم الآباء . ولقد علق الأستاذ بول كالتيه (Paul Caltier) على هذا الإعتراف بما معناه أن كيرلس كان يعتقد أن الكتابات التى اطلع عليها ، والتى تحمل اسم يوليانوس وفيليكس وغريغوريوس العجائبى وأثناسوس ، هى تعاليم هؤلاء القادة فعلاً ، وليست تعاليم أبولوناريوس.(١٧)

(*) هذه بعض المراجع التى يمكن أن نجد فيها نص الجملة الشهيرة التى اقتبسها كيرلس من كتابات أبولوناريوس والجملة هى « واحدة هى طبيعة الله المتجسد »

انظر : Adv. Nestor., 1. P. G., T 76, Col., 60, 93;

Ad. Reginas 1, 9, ibid., Col. 1212; Epist., 17, P. G. 77;

Adv., Orient, P. G. 76; Epist 11 ad Acacium Melitin., P. G. 77, 44-46;

P. G. 76, Col 1212, 349; Dict. Theo. Cath. 2513.

(17) Paul Galtier. St. Cyrille d'Alex., et. st. Leon..., A Chalcédoine.

S. J. Pontif Univ, Gregoriana, Rome 370-372; Cyrille AL, EP 46 ad Succenc.,

A. C. O. 11, 6, P. G. 162. 8-9; P. G. 77, 245 A; Cyrl., Ep 40 ad Acace, Mel:

A. C. O. 11, 4 P. G. 26. 6-9 P. G. 77, 192 D, 193.

السبب الثانى : الذى دفع كيرلس إلى التمسكُ نوعًا ما بالتعليم الخاص بالطبيعة الواحدة هو تطرف نسطوريوس وبعض الأنطاكيين فى تعاليمهم عن الازدواجية وتشديدهم الكثير على التمييز بين الطبيعتين مما كاد يؤدى إلى انفصال وانقسام الطبيعين . إن هذا التطرف الأنطاكى فى تمييز الطبيعتين ، دفع كيرلس إلى التمسك بالطبيعة الواحدة .

بعض المراجع لدراسة موضوع جهل القديس كيرلس بأصل جملة : « واحدة هى طبيعة الله المتجسد أو الكلمة المتجسد » .

الرجا الرجوع إلى المصادر الآتية :

G. Liebaert. Hist. des Dog. 194-197;Paul Galtier... Univ. Gregoriana;

J. Meyendor FF Le Christ dans La Theol., Byzantine 18-24; F. Cayre AA 34-36;

Quasten 3.205-207; Mahe Dict. Theo. Cath. 2513; A. Grillmeier 461-467;

Pseudo. Athanase (Apollinaire) Ad Govianumi, P. 25, 1-3, Lietzmann; G. Danielou, 381; G. Kelly 334-340.

الفصل التاسع

مفهوم القديس كيرلس لعقيدة الاتحاد

ما مفهوم القديس كيرلس لعقيدة الإتحاد ؟ هل علّم بوجود طبيعة واحدة فى المسيح أو بوجود طبيعتين ؟ سوف ندرس مشكلة الطبيعة الواحدة والطبيعتين فى شخص الرب يسوع المسيح عندما نتعرض لمعالجة موضوع مجمع القسطنطينية ومجمع أفسس الثانى ومجمع خلقدونية . ولكن بما أننا فى مجرى الحديث عن تعاليم القديس كيرلس المتعلقة بهذه العقيدة ، يجدر بنا أن نتوقف ولو قليلا أمام هذه القضية العقيدية . هل علم بوجود طبيعة واحدة أو بوجود طبيعتين فى شخص الرب يسوع المسيح ؟ وما هو رأى الكنيسة الأرثوذكسية حاليا ؟ وهل هى مخطئة أم محقة فى تمسكها بعقيدة الطبيعة الواحدة ؟

التعليم بوجود طبيعة واحدة :

مما لاشك فيه أن الدارس المدقق والمخلص لاستقصاء الحقائق العلمية بأمانة وحياد ، لا يمكنه أن ينكر أن معلم الإسكندرية اقتبس كثيرًا جدًا الجملة الشهيرة المعروفة وهى « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » ولقد وردت هذه الجملة فى كثير من كتبه وتعاليمه(*) فلقد كتب ما معناه « ونحن نقول إن الطبيعتين اتحدتا فلا انقسام بعد اتحاد الطبيعتين ، وبناء على ذلك فنحن نؤمن بطبيعة واحدة للابن لأنه واحد بالرغم من صيرورته إنسانًا . والعالم كوستن يرى أن كيرلس تكلم كثيرًا عن الطبيعتين قبل الاتحاد وعن طبيعة واحدة بعد الاتحاد.[1] ويقول العالم تيكسرونت (Tixeront): « إذا نظرنا إلى الكلمات بحسب الظاهر فقط ، يمكننا القول إن القديس كيرلس لا يعترف إلا بوجود طبيعة واحدة.[2]

ألم تكن هذه هى التهمة التى وجهها الأنطاكيون لكيرلس والحرمانات الاثنى

(*) للتوسع فى دراسة موضوع مفهوم كيرلس لعقيدة الطبيعة الواحدة الرجا الرجوع إلى الفصول التى ذكرناها فى هذا المجلد .

(1) Quasten 3.205; EP 40 ad Acac.

(2) Tixeront 3.72-76.

عشر التى نطق بها ضد نسطوريوس ؟ وحجتهم أن هذه الحرمانات تحتوى على تعاليم أبولوناريوسية ، لأنها لا تعترف إلا بوجود طبيعة واحدة فى المسيح .... العالِم كلى يقول « إن كيرلس يعلم بأنه بعد الاتحاد لا نرى إلا طبيعة واحدة : أى طبيعة الكلمة المتجسد.[3] كما أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وبعض الكنائس الأخرى ، تتمسك بعقيدة الطبيعة الواحدة فى المسيح ، منذ القرن الخامس وحتى قبل ذلك ، وخاصة بعد مجمعى أفسس الثانى وخلقدونية ، على أن الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الإنجيلية تؤمن بوجود طبيعتين متحدتين اتحادًا حقيقيًا وجوهريًا وغير منفصلتين الواحدة عن الأخرى .

أمام هذين الموقفين يتساءل الكثيرون : مَن مِن الفريقين على حق ومن المخطىء فى العقيدة وفى التعليم ؟ هل الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الإنجيلية التى تنادى بوجود طبيعتين فى المسيح الواحد أرثوذكسية العقيدة ؟ أم الكنائس التى تنادى بوجود طبيعة واحدة هى الأرثوذكسية ؟ على أننا نعتقد أن السؤال لا يجب أن يطرح بهذه الطريقة . بل يجب أن نسأل كيف فهم كيرلس والكنائس التى تنادى بوجود طبيعة واحدة هذه العقيدة ؟ وكيف فهمت الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الإنجيلية نفس العقيدة ؟

سبق أن رأينا كيف علم كيرلس فى بعض كتاباته بعقيدة الطبيعة الواحدة لسببين على الأقل :

السبب الأول : هو أنه عندما بدأ فى البحث عن بعض المصادر التى أراد بها دحض أقوال نسطوريوس وجد كتابات أبولوناريوس كمصدر من هذه المصادر . وكان أبولوناريوس قد كتب هذه الكتابات ووضع عليها أسماء مزيفة لامعة مثل اسم أثناسيوس ، غريغوريوس العجائبى والبابا يوليانوس وفيليكس وآخرين . وكانت هذه الكتابات التى حملت أسماء هؤلاء الآباء المشهود لهم بالأرثوذكسية تتكلم عن : « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » فقد كانت تتحدث جميعها عن وجود طبيعة واحدة فى المسيح واعتقد كيرلس أن هذه التعاليم هى تعاليم هؤلاء الآباء .

السبب الثانى : الذى دفع كيرلس لتكرار هذه الجملة هو أنه وجد بها التعليم

---

(3) Kelly 330; Quasten 3.202-204; Adv. Nest., 2 Prooem;

المضاد تماما لتعاليم نسطوريوس . وبناء على ذلك فإن معلم الإسكندرية قبل هذه الجملة وكررها مرارًا وتكرارًا دون أن يتحقق للأسف الشديد من مصدرها ، لأنه كان يرى فى تعاليم نسطوريوس تهديدًا خطيرًا جدًا لوحدةالمسيح . كما أنه يعتقد أن تعاليم أسقف القسطنطينية تؤدى إلى فصل الطبيعتين الواحدة عن الأخرى . وإن الدارس المدقق الذى يتتبع بنظام تسلسل الحوادث التاريخية العقائدية يلاحظ الآتى :

أولاً : ظهور أريوس ورفضه لعقيدة مساواة جوهر الآب بجوهر الابن ، وعدم وجود روح بشرية فى المسيح . بعد ذلك ظهور أبولوناريوس ومقاومته لعقيدة أريوس ولكنه قَبِل فى نفس الوقت عقيدة عدم وجود روح بشرية فى المسيح وأن الكلمة حل محل الروح فى الجسد ثم نادى بجملته الشهيرة « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد ».

فلقد علم أبولوناريوس بأنه لا توجد إلا طبيعة واحدة فى المسيح : الطبيعة الإلهية فقط . وهنا ظهرت جماعة من العلماء الأنطاكيين الذين رفضوا تعاليم أبولوناريوس ونادوا بازدواجية الطبيعة . وبذلك برز تياران عقائديان مهمان : الأول وعلى رأسه أبولوناريوس الذى حاول أن يحافظ على وحدة المسيح فنادى بوجود طبيعة واحدة وهى الطبيعة الإلهية : الكلمة الذى حل فى جسد بشرى بدون روح .

والتيار الثانى الذى رأى أتباعه خطر هذه التعاليم الأبولوناريوسية الإندماجية التى خلطت وأدمجت اللاهوت الكلمة فى جسد بشرى بدون روح ؛ فنادى بأن الكلمة الأزلى حل بملء لاهوته على الإنسان يسوع الناصرى ، منذ الحبل به . فهو إنسان كامل وإله كامل وبما أن أبولوناريوس وأتباعه حاولوا إظهار وحدة المسيح فأدمجوا أو خلطوا الطبيعتين ، فإن اتباع ديودوريوس والأنطاكيين حاولوا تمييز الطبيعتين الواحدة عن الأخرى بطريقة واضحة . ولكن فى محاولتهم شرح وإيضاح وإبراز الطبيعتين تمادوا فى بعض الأحيان إلى تقسيم المسيح الواحد وفصل الطبيعتين أمام هذين التيارين العقائديين ، تيار الإندماجية أو خلط الطبيعتين بل إزالة ومحو الناسوت الذى تزعمه أبولوناريوس ، وتيار الإنفصالية الذى تزعمه الأنطاكيون والذى كان يهدد فى بعض الأحيان وحدة المسيح ، حاول كيرلس أن يجد حلاً لهذه المشكلة . فلقد رفض رئيس أساقفة

الإسكندرية تعاليم بعض الأنطاكيين التي قسمت أو فصلت بين الطبيعتين ، كما أنه رفض أيضًا التعاليم الاندماجية ، التي خلطت ومزجت الطبيعتين .

كان هم كيرلس الأعظم أن يقدم مسيحًا واحدًا بدون انقسام أو انفصال بين الطبيعتين فشدد كثيرًا جدًا على الوحدة في المسيح : أن المسيح يسوع واحد وأقنوم واحد . فمع أن جملة « واحدة هي طبيعة الكلمة المتجسد » وردت عدة مرات في كتاباته ، إلا أنه تمسك بعقيدة الطبيعتين ، وسوف نتعرض لهذه النقطة فيما بعد . إن الذين تمسكوا بعقيدة الطبيعة الواحدة بطريقة حرفية ، هم أتباع كيرلس وليس كيرلس نفسه ، أمثال أكاكيوس الميليتي ورابوله الرهاوي وآخرون ، وجاء بعد ذلك أتيخوس وآخرون أيضًا حتى عصرنا الحاضر . فجميع هؤلاء يعلمون بعقيدة الطبيعة الواحدة . والمشكلة الأساسية والجوهرية في هذه القضية العقيدية هي أن المناداة بهذه العقيدة بدأت كما بينا ذلك بمفهوم خطأ . فإن كيرلس اعتقد أن الآباء أثناسيوس ويوليانوس وغريغوريوس العجائبي وفيليكس وآخرين نادوا بالتعاليم التي وجدها في الكتب المزيفة التي كتبها أبوليناريوس تحت أسماء أخرى لأشخاص لهم وزنهم واعتبارهم .

هكذا نادى أيضًا اللاحقون لكيرلس بنفس هذه التعاليم التي اعتقدوا هم أيضًا أن كيرلس والآباء نادوا بها . وحقيقة الأمر أن معظم هذه التعاليم ما هي إلا تعاليم أبوليناريوسية . فمثلاً حاول الأب القمص كيرلس الأنطوني في كتابه عصر المجامع أن يشرح « عقيدة الطبيعة الواحدة » فاقتبس بعض الجمل التي ترجع في أصلها إلى أبوليناريوس مثل القول المنسوب إلى القديس غريغوريوس « الثيؤلوغس » هو أقنوم واحد طبيعة واحدة سجد له المجوس . لأن وحدانية الكلمة ليست بعدد طبائع ولا أقانيم.[٤] وهو أيضًا نفس الإتجاه الذي اتخذه الشماس جورج باقي في تفسيره لأقوال القديس كيرلس عندما قال « وقد أيد القديس كيرلس الكبير عقيدة الطبيعة الواحدة بأدلة كتابية ومنها : وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء » (يو ٣ : ١٣) .

فالذي في السماء هو بعينه الذي على الأرض ، وهو ابن الله وهو ابن

---

(٤) القمص كيرلس الأنطوني : عصر المجامع ١٧٣ .

الإنسان جوهر واحد وأقنوم واحد وطبيعة واحدة.[٥] كما يقول أيضًا ....
« إن الأقنوم الثانى فى الثالوث الأقدس اتخذ من السيدة العذراء جسدًا بشريًا ونفسًا إنسانية ناطقة عاقلة ، وأن المولود منها هو الإله الذى له طبيعة واحدة متجسدة ، لها جميع صفات وخصائص الطبيعتين معًا.[٦]

إن هذه العبارات وعبارات أخرى كتبها بعض الكتّاب الآخرين الذين ينادون بطبيعة واحدة ، تدل على تمسكهم بهذه العقيدة . وفى حقيقة الأمر أن بعض الكنائس التى تنادى بعقيدة الطبيعة الواحدة ، لا تنكر بأى حال من الأحوال وجود الناسوت واللاهوت .

إن المشكلة الحقيقية فى هذه القضية هى التمسك ببعض الكلمات والعبارات التى تمسك بها بعض الآباء فى العصور الغابرة ولظروف معينة ، ومحاولة تطبيقها الآن على مجتمع يختلف اختلافًا كليًا عن المجتمع الذى ظهرت فيه هذه العقيدة . فعلى سبيل المثال ــ وكما سبق أن شرحنا ــ تمسك كيرلس فى بعض الأحيان بعبارة « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » ، لأنه كان يعتقد أن كاتبها هو أثناسيوس كما أن كيرلس كان يستعمل الإصطلاح « هيبوستاس » لكى يعبر عن الطبيعة أو عن الشخص الكامل التكوين . واستعمل أيضًا فى نفس الوقت كلمة « طبيعة » لكى يعبر عن كائن مكون من روح وجسد .

كما أنه استخدم كثيرًا كلمة فوسيس = (طبيعة) أو كلمة هيبوستاس = « كيان (جوهر)» لكى يعبر بهما عن شخص المسيح كاملاً لاهوتًا وناسوتًا . بينما كان نسطوريوس يستعمل فوسيس لكى يعبر بها عن طبيعة واحدة فقط فى المسيح ، سواء اللاهوت أو الناسوت . ومن هنا بدأ سوء الفهم . ولقد ورثنا نحن سوء الفهم هذا ، الذى يجب أن نناقشه بهدوء ومحبة وبطريقة علمية واعية بعد أن عرفنا مصدر الخطأ .

مما لاشك فيه أن بعضًا من التقليد الذى سلمه لنا الآباء ، هو ميراث عظيم وثمين جدًا ، وهو كنز أُودع فى عهدة الكنيسة ويجب أن نحافظ عليه وأن

---

(٥) الشماس جورج باقى ص ٧٠ .
(٦) الشماس جورج باقى ص ٧١ .

تسهر على تطبيقه . على أن الأمانة المسيحية والدقة العلمية ، تتطلبان منا أيضًا أن نعلن الخطأ عندما نكتشفه ولو كان خطأنا الشخصى . فإن الحوار المسكونى السليم ليس هو فرض عقيدتى وتقليدى أو مفهومى على الآخر ، ثم رفض كل ما يقوله هذا الآخر .

إن الحوار المسكونى السليم ، هو البحث بروح التواضع والمحبة والصلاة عن الحق ، والإعتراف به حتى ولو كان هذا الحق فى جانب الأخ الآخر الذى لا أقبل تعاليمه .

إن الكنائس التى تنادى بعقيدة الطبيعة الواحدة ، لا ترفض البتة وجود اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح يسوع ، وهذا واضح من الإعلان الذى صرح به كل من البابا بولس السادس والأنبا شنودة الثالث بعد اللقاء التاريخى الذى حدث بينهما فى مايو (آيار) ١٩٧٣ ، حيث أعلنا : « ونقر بأن ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح إله كامل من حيث لاهوته ، وإنسان كامل من حيث ناسوته ، وأن فيه اتحد اللاهوت بالناسوت اتحادًا حقيقيًا كاملاً بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تشويش ولا تغيير ولا تقسيم ولا افتراق ، فلاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين . وأنه هو الإله الأزلى الأبدى غير المنظور صار منظورًا فى الجسد واتخذ صورة عبد وفيه حفظت كل خصائص الناسوت جميعا بإتحاد حقيقى كامل ».(٧)

إن إقرار الإيمان هذا الذى وقع عليه بابا روما ورئيس أساقفة الإسكندرية فى ١٩٧٣ ، يعترف بوجود الناسوت واللاهوت ، كما أنه يعترف أيضًا بوجود اتحاد قوى وثيق بين العنصرين : أى بين الطبيعتين ، فلا يوجد اختلاف بين الكنيستين فى الاعتراف بوجود عنصرين : بوجود اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح . إن ما كان يخشاه كيرلس وما يجب على الكنائس التى تنادى بالطبيعة الواحدة أن تخشاه أيضًا ، هو فصل الطبيعتين المتحدتين باتحاد قوى عميق . إن وجود الطبيعتين فى المسيح حقيقة لا تنكر إذا قبلنا سر التجسد . وهذا ما حاول أن يعلم به كيرلس . ولنحاول الآن أن ندرس تعاليمه فى موضوع الطبيعتين .

---

(٧) جورج باقى ص ٧٩ .

كان معلمو أنطاكية يشددون على وجود الطبيعتين المتحدتين والمتميزتين الواحدة عن الأخرى فى المسيح.[8] ولذلك فقد بدأوا تعاليمهم بالإنسان الذى اتحد به الكلمة . أما كيرلس فعلى عكس ذلك بدأ تعليمه بالكلمة الذى صار إنسانًا . ولقد اتخذ أساسًا لبحثه العقائدى قول القديس يوحنا ...: « والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا » (يوحنا ١: ١٤). فكيف إذن فَهِمَ وشرح رئيس أساقفة الإسكندرية هذه الآية ؟ « الكلمة صار جسدًا » إن كيرلس فهم هذه الآية بطريقة تختلف تمامًا عن المفهوم الأبولوناريوسى . فمع أنه استعمل نفس الاصطلاح الذى استعمله أبولوناريوس وهو « ساركس » أو « جسد »، إلا أنه استعمله بنفس المعنى الكتابى ، وليس بحسب مفهوم أبولوناريوس الذى استعمل هذا الاصطلاح لكى يعبر به عن أن الجسد الذى أخذه المسيح هو جسد خالٍ من الروح البشرية . أما كيرلس فهو يعتقد أن الكتاب المقدس يستعمل هذا الاصطلاح « ساركس » أو « جسد » لكى يعبر به عن الإنسان كله جسدًا وروحًا.[9] فمع أنه لم يشدد كثيرًا على وجود الروح البشرية فى شخص المسيح كما فعل كثير من الأنطاكيين الذين اتهمه بعضهم بأنه مونوفيزيتى[*] إلا أنه علم بطريقة واضحة وصريحة بوجود روح بشرية فى المسيح . فهو يقول « لقد امتزجت روح عاقلة بجسده المقدس المولود من القديسة العذراء ، واتحد الكلمة بهذا الجسد اتحادًا شخصيًا.[10] بهذه الكلمات الموجزة وبنصوص عديدة أخرى[**] رفض كيرلس تعاليم أبولوناريوس التى نادت بعدم وجود روح بشرية فى المسيح . فإن كيرلس يعلم بوجود عنصرين أو جوهرين فى شخص الرب يسوع المسيح : جوهر اللاهوت وجوهر الناسوت وهذا ما علم به الأنطاكيون أيضًا .

---

(8) Tixeront 61-63.

(9) Tixeront 63; De recta Fide ad Reg, 1, 13 Col 1221; De incarn. unigeniti, Col 1208-1220; Epist 46,1, Col 240; de Rurand 12 Dialogues p. 220-222.

(*) مونوفيزيتى (Monophysite) الذى يؤمن ويعلم بوجود طبيعة واحدة فى المسيح .

(10) Quasten 3.204-206.

(**) فيما يخص تعاليم القديس كيرلس بوجود روح بشرية فى المسيح انظر :
Tixeront 3.62-63; Quasten 3.204; Kelly 330; Epist 40, 46, 1, Col 240; P.G.76, 1221, 75, 1222, 1289, Ad Reginas; Camelot 36.

مجموعة الشرع الكنسى ص ٢٩٦

على أن الأنطاكيين بدأوا تعاليمهم عن شخص المسيح باتحاد الطبيعتين المتميزتين الواحدة عن الأخرى . وأما كيرلس فقد بدأ « بالكلمة صار جسدًا » أو بمعنى آخر : إن نقطة الإنطلاق فى موضوع التجسد فى مفهوم الأنطاكيين هو وجود الطبيعتين واتحادهما فى المسيح . أما نقطة الإنطلاق فى مفهوم كيرلس والكلمة صار جسدًا « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يوحنا ١: ١) فلقد بدأ أولاً وقبل كل شيء بالاتحاد ... « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد ».(١١) والسؤال الذى يجب أن نطرحه الآن هو : كيف ومتى اتحد الكلمة الله بالجسد أى بالإنسان ؟

إن كيرلس يعتقد أن هذا الاتحاد الذى يفوق إدراكنا وعقولنا البشرية ، تم فى بطن العذراء القديسة مريم منذ اللحظات الأولى من الحبل .

وفى رسالته التى كتبها إلى نسطوريوس لكى يشرح له هذه العقيدة قال « إن المجمع الكبير المقدس (يقصد مجمع نيقية) يقول إن ابن الله الوحيد المولود حسب طبيعة الله الآب ..... نزل وتجسد وتأنس ... إن الكلمة قد ضم إلى ذاته جسدًا فيه نفس عاقلة وصار بطريقة لا يمكن الإفصاح عنها أو إدراكها ، إنسانًا .... ولذلك فالذى وجد قبل كل الدهور وولد من الآب قيل عنه ولد حسب الجسد من امرأة دون أن تعنى هذه الولادة أن طبيعته الإلهية قد أخذت بداءة وجودها من العذراء القديسة .... إن الاتحاد ، أو الحلول ، حدث وهو فى الرحم ». وفى رسالة أخرى لنسطوريوس يشرح كيرلس قانون إيمان نيقية فيقول : « .... الذى نزل لأجل خلاصنا جاعلاً نفسه بلا شهرة وقد تجسد وتأنس»، أعنى أنه اتخذ جسدًا من العذراء القديسة جاعلاً إياه جسده من البطن معرضًا نفسه للولادة لأجلنا وولد إنسانًا من امرأة دون أن ينزع عنه طبيعته التى كانت له .... لأنه وإن كان منظورًا طفلاً ملفوفًا فى أقمطة ، وإن كان فى بطن العذراء أمه فهو مالىء الخليقة كلها إلهًا وسيدًا.(١٢)

إن القديس كيرلس يعتقد بأن عملية الإتحاد تمت بين الناسوت واللاهوت

---

(11) Tixeront 3.62.

(١٢) مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة . جمع وترجمة وتنسيق الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب ٢٩٦ ، ٣٠٢

G. M. de Durand 260-263; P. G. 77.

فى اللحظات الأولى من الحمل : بمعنى أن الكلمة اتحد بالجنين الذى كان فى دور التكوين فى بطن القديسة العذراء مريم . وأن هذا الجنين الذى سوف يدعى المسيح ، لم يوجد بأى طريقة من الطرق وحيدًا منفردًا أو منفصلاً عن الكلمة . كان الكلمة أولاً : فى البدء كان الكلمة وكان هذا الكلمة بعد ذلك فى بطن القديسة مريم . فإن هذا الجنين ، هذا الجسد، هذا الناسوت كله روحًا وجسدًا إنما هو جنين ، جسد ، ناسوت الكلمة وإن هذا الناسوت لم يوجد قط مستقلاً عن الكلمة بل وجد بالكلمة ومعها .

ومع أن معلم الإسكندرية يعتقد أن الكلمة هو الذى عمل أو هيأ لنفسه جسدًا ، إلا أنه يعلم أيضًا بأن اللوغوس لم يصنع له جسدًا خاصًا أو هيأ له جسدًا من جوهر لاهوته أو من مادة أخرى تختلف عن المادة التى يتكون منها الجنس البشرى.(١٣) بل إن جسده الذى أخذه من بطن أمه مريم أصبح جسد الكلمة المتجسد .

ومع أن القديس كيرلس يقول لنا بأن سر التجسد هو سر عظيم جدًا يفوق كل إدراك وتفكير بشرى ، إلا أنه حاول أن يقدم لنا شرحًا ولو جزئيًا لهذا السر . فهو يعتقد بأن الاتحاد بدأ فى اللحظات الأولى من تكوين هذا الجنين فى بطن أمه القديسة مريم : ففى هذا الجنين كان الله أيضًا . وبناء على ذلك يقول : فإن الذى ولد من القديسة مريم ، ليس إنسانًا بل كلمة الله بحسب الناسوت لأن الذى ولد من القديسة العذراء مريم لم يكن أولا إنسانًا عاديًا ثم نزل عليه بعد ذلك الكلمة ، لكن بسبب اتحاده منذ الحبل به ، فإنه ولد ولادة جسدية.(١٤) ولقد كتب فى الخطاب الذى أرسله إلى يوحنا الأنطاكى يقول « .... نحن نعترف بأن القديسة العذراء هى والدة الإله لأن اللوغوس الإلهى صار جسدًا ، فمن لحظة الحبل اتحد نفسه بالهيكل الذى أخذه منها.(١٥)

إن معلم الإسكندرية يعتقد بأن الذى ولد من العذراء لم يكن إنسانًا عاديًا

---

(13) Tixeront 3.66.

(14) Tixeront 3.66. EP 4, 45.

(15) Norris 140-143;

مثل باقى البشر أو الأنبياء مع أنه يمكن أن ندعوه كذلك . بل إن الذى ولدته العذراء هو الكلمة المتجسد فى الجنين . وبناء على ذلك فقد طالب كيرلس بأن ندعو مريم والدة الإله(*) لأنه رأى أن الجنين والكلمة اتحدا معًا اتحادًا عميقًا شاملاً وأن هذا الاتحاد تم فعلاً فى بطنها .

عملية الاتحاد بين الطبيعتين :

بعد أن رأينا متى تمت أو حدثت عملية الاتحاد ، وعرفنا أن هذه العملية تمت فى بطن القديسة مريم فى اللحظات الأولى من الحبل ، نأتى إلى النقطة الثانية وهى كيف تم الاتحاد بين عنصرين مختلفين تمامًا فى الجوهر ؟ كيف تم اتحاد اللاهوت بالناسوت فى شخص المسيح يسوع ؟ كيف يمكن للجسد المائت والقابل للهلاك وللاحتراق ، أن يتحد بالنار الملتهبة المحرقة دون أن يحرق ويتلاشى ؟ إن كيرلس ردد كثيرًا فى كلامه عن التجسد أنه سر عظيم لا يمكن فهمه أو إدراكه إلا بالإيمان . وإننا نقول إن الحديث عن الله أو عن التجسد أمر خطير وعظيم جدًا . وبناء على ذلك ، يجب علينا أن نطلب بأمانة وتواضع قائلين أعن يارب إيماننا لكى نؤمن فنفهم كما قال القديس انسلموس .

درسنا فى الصفحات السابقة الطبيعة الواحدة وسوف نتعرض هنا لمعالجة موضوع التعليم بالطبيعتين فى مفهوم كيرلس .

هل علم بعقيدة الطبيعة الواحدة كما ظن بعض الأنطاكيين أو بطبيعتين كما اعتقد ذلك بعض المتطرفين فى مصر من الحزب المعادى لمعاهدة السلام التى وقع عليها الأنطاكيون وكيرلس فى سنة ٤٣٣ ؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة ، وقبل أن نبدأ فى شرح تعاليمه عن عقيدة الطبيعتين ، يجدر بنا أن نلفت نظر الدارس إلى نقطة مهمة فى مفهوم كيرلس لهذه القضية لأنه بدون فهم هذه النقطة يصعب علينا فهم أفكاره بالنسبة لعقيدة الطبيعتين .

لقد اعتقد خطأ بعض معلمى الإسكندرية ، وكذلك كيرلس أيضًا ، أن بعض معلمى أنطاكية ، وخاصة ديودوريوس وثيودوريوس ونسطوريوس ،

(*) سوف نعالج هذه المشكلة فى الوقت المناسب فى الصفحات القادمة .

علموا بأن الكلمة الله حل على الإنسان يسوع المسيح : وبناء على ذلك فإن يسوع الناصرى ما هو إلا إنسان حل عليه الكلمة أو الروح والاتحاد الذى تم بين الله وبين الإنسان يسوع الناصرى ، لم يكن إلا اتحادًا أدبيًا وليس اتحادًا جوهريًا . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فاتُّهِم الأنطاكيين بأنهم يعلمون بأن يسوع هو إنسان حل عليه الروح فى يوم عماده فقط عندما نزل عليه الروح قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . وبناء على ذلك فإن بعض معلمى الإسكندرية وكيرلس أيضًا ، فهموا أن الأنطاكيين يعلمون بوجود يسوع أقنومين أو ابنين : الكلمة + الإنسان يسوع الذى حل عليه الكلمة .(*)

ولأجل هذا السبب حاول القديس كيرلس أن يقدم بدوره تعليمًا ينبر بشدة على الوحدة فى المسيح لأنه اعتقد أن معلمى أنطاكية وخاصة نسطوريوس قَسّم المسيح ولذا بدأ تعاليمه بعبارة « والكلمة صار جسدًا » فكيف فهم وشرح إذن هذه العبارة ؟

لقد رفض كيرلس فكرة أن الكلمة حل على إنسان يدعى يسوع ، وأن عملية الاتحاد التى تمت بين الاثنين ما هى إلا اتحاد أدبى فقط . فرفض هذه العقيدة وعلم بأن عملية الاتحاد لم تتم بين الكلمة وإنسان يدعى يسوع الناصرى ، بل إن هذه العملية التى لا يمكن إدراكها ، لأنها تفوق كل إدراك بشرى ، تمت بين اللاهوت ، الله الكلمة ، وبين الناسوت الذى كان يتكون فى بطن مريم العذراء من روح وجسد . فمع أنه يعترف بوجود ناسوت كامل فى شخص المسيح مكوّن من روح وجسد منذ عملية الاتحاد فى بطن أمه القديسة مريم ، إلا أن هذا الناسوت لم يوجد قط وحده وبذاته مستقلاً عن الكلمة ، الله ذاته هو الذى اتحد بالناسوت.[16] فقبل عملية التجسد لم يوجد

(*) لدراسة هذا الموضوع بتوسع الرجا الرجوع إلى كتا نا تاريخ الفكر المسيحى المجلد الثانى وإلى المراجع المذكورة فيه أيضًا ص ١٧٦ — ١٩٦ وخاصة ص ١٩١ حيث أوضحنا أن نسطوريوس كان يؤمن بأن عملية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت تمت فى بطن مريم وليس أثناء العماد . ألم يقل نسطوريوس نفسه « وإننى أقول لكم هذا لكى تدركوا امتياز وسمو الاتحاد الإلهى مع الناسوت الذى تحقق فى المسيح وهو بعد جنين ، فلقد كان الجنين ورب الجنين فى نفس الوقت .. » تاريخ الفكر ص ١٩١

(16) In Goa, 7, 8, P.G. 74 Col 89; D. T. C. 4.1512.

هذا الناسوت مستقلاً وحده عن اللاهوت لأن الناسوت استمد كيانه ووجوده من اللاهوت بالرغم من أنه من مادة أخرى ومن عنصر آخر يختلف تمامًا عن اللاهوت . وأن الناسوت بدأ كيانه وتكوينه ووجوده بوجود الكلمة.(١٧) فإن الأصل طبيعة واحدة : ومن طبيعة كلمة الله المتجسد . إذ أن الكلمة ذاته ، الذى هو طبيعة واحدة ، اتحد بالناسوت الذى لم يكن موجودًا قبل الاتحاد.(١٨) فإن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت تم فعلاً قبل الميلاد . وليس أثناء العماد .

وبهذا يرفض كيرلس التعليم الذى يتكلم عن انفصال أو تقسيم الطبيعتين أو فصل اللاهوت عن الناسوت . فهو يقول : فلا يجب أن نضع الإنسان فى جانب ، والله الكلمة فى جانب آخر . ولا يجب أن نتصور كما لو كان عمانوئيل شخصًا مزدوجًا لأن ناسوت الكلمة لم يوجد منعزلاً أو منفردًا أو مستقلاً عن الكلمة ، فإن هذا الكلمة صار جسدًا . فإن الناسوت هو ذلك الكلمة لأن الجسد أصبح فعلاً جسد الكلمة وليس جسد إنسان آخر متميزًا ومستقلاً عن الكلمة(١٩) فكما أن الكلمة صار جسدًا ، فإن الجسد صار هو أيضًا جسد الكلمة دون أن يتحول الواحد إلى طبيعة الآخر .

هذه هى عملية الاتحاد التى تمت فى بطن القديسة مريم منذ البداية . ولكن كيف تمت هذه العملية ؟

وجود طبيعتين فى المسيح :

سبق أن رأينا كيف اعتقد كيرلس أن الناسوت لم يوجد إلا فى الكلمة وعن طريقه . فإن الكلمة الله هو الذى أخذ المبادرة ، وحل فى بطن مريم مكونًا لنفسه ناسوتًا كاملاً وكان هذا الناسوت جسدًا وروحًا . ومع أن كيرلس تكلم كثيرًا عن الطبيعة الواحدة ، التى كان يقصد بها الطبيعة الإلهية التى أخذت المبادرة فى عملية التجسد ، فإنه تكلم أكثر عن الطبيعتين ، عن العنصرين ، عن الجوهرين ، اللذين تكون منهما وبهما شخص الرب يسوع المسيح . فإن كيرلس على عكس أبولوناريوس الذى نادى بوجود طبيعة واحدة

---

(17) Kelly 330-332, Harnack Dogmen Geschichtet 2, P. 332-333; D. T. C. 2512.

(18) Quasen 3.206.

(19) Tixeront 3.68-70.

فى المسيح ، علم بطريقة واحدة وصريحة بوجود طبيعتين . ففى الرسالة التى أرسلها إلى نسطوريوس حاول أن يشرح له مفهومه لعقيدة الطبيعتين فى شخص المسيح . ونقتبس هنا بعضًا من أقواله لشرح قانون الإيمان « إن المجمع الكبير المقدس يقول إن ابن الله الوحيد المولود حسب طبيعة الله الآب .... نزل وتجسد وتأنس .. لا نعنى بذلك أن طبيعة الكلمة قد تغيرت فصار جسدًا ، أو أنها تحولت إلى إنسان كامل مؤلّف من نفس وجسد ، بل بالحرى أن الكلمة قد ضم إلى ذاته جسدًا فيه نفس عاقلة وصار بطريقة لا يمكن الإفصاح عنها أو إدراكها ، إنسانًا ودعى ابن البشر ..... وليس لأنه اتخذ لنفسه شخصًا بل لأن الطبيعتين قد اتحدتا حقيقيًا . ففيهما كليهما مسيح واحد وابن واحد . لأن هذا الاتحاد لم ينزع الفرق بين الطبيعتين بل بالأحرى أن اللاهوت والناسوت جعلا لنا السيد الواحد يسوع المسيح كاملاً باتحادهما..[٢٠] وفى رسالة أخرى لنسطوريوس قال « ومع أنه اتخذ جسدًا ودمًا بقى كما كان إلهًا فى الجوهر وفى الحقيقة . فلا نقول إن الجسد قد تحول إلى الطبيعة الإلهية ولا إن طبيعة كلمة الله التى لا يمكن وصفها عُزِلت جانبا من أجل الطبيعة البشرية . إننا لا نفصل الله عن الإنسان ولا نقسمه إلى أجزاء كأن الطبيعتين قد اتحدتا فيه اتحادًا متبادلاً بواسطة الاشتراك فى الكرامة والسلطة .... ولكننا نعترف بمسيح واحد لا غير ، كلمة الله الآب بجسده.[٢١] ثم يقول فى رسالته إلى أكاكيوس : « نحن نؤمن ونعلن أن الطبيعتين متحدتان . فبعد الاتحاد لا يوجد انقسام بينهما ».[٢٢] إن كيرلس يؤمن بوجود الطبيعتين المتحدتين باتحاد قوى عميق فى المسيح الواحد فى الابن الواحد . ولذلك كتب يقول : « فهو يعتبر واحدًا من اثنين » فهو ابن واحد قد اجتمعت إليه واتحدت فيه فى شخصية واحدة وبطريقة لا توصف ولا تفحص الطبيعتان الإلهية والبشرية لتكوِّنا وحدة واحدة بطريقة لا يمكن تصورها[٢٣] « فهو بطبيعته إله لكونه ابن الله الوحيد غير المنفصل عن جوهره الذى ولده ، ومن جهة أخرى فهو بعينه إنسان بصفته قد صار جسدًا ».[٢٤]

---

(٢٠) مجموعة الشرع الكنسى .. حنانيا الياس كساب ص ٢٩٦

Quasten 3.202-203; EP 4; P. G. 77, 45B.

(٢١) مجموعة الشرع الكنسى ٣٠٢ — ٣٠٣ ، M. G. 109 C; EP 17, 3

(22) EP. 40 od Acac; Quasten 3.206.

(٢٣) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير . دير القديس أنبا مقار ص ٣١

(٢٤) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير . دير القديس أنبا مقار ص ٣١

ولكى يبين أن الاتحاد قد تمّ فعلاً بين هاتين الطبيعتين برغم اختلافهما فى الجوهر قال : « إن الطبيعتين اللتين اقتربتا لتكوين وحدة حقيقية ، مختلفتان ولكن من الاثنتين نتج ابن واحد ومسيح واحد . وهذا لا يعنى أن الفرق بين الطبيعتين قد زال أو تلاشى بسبب الاتحاد.[٢٥] وفى الرسالة الشهيرة التى كتبها إلى يوحنا الأنطاكى بمناسبة معاهدة ٤٣٣ كتب يقول .. « ولذلك فإننا نعترف بأن سيدنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، إله كامل وإنسان كامل ... وهو نفسه مساوٍ للآب بحسب اللاهوت ومساوٍ لنا بحسب الناسوت ، فبسبب اتحاد الطبيعتين لا يوجد إلا مسيح واحد وابن واحد وسيد واحد ».[٢٦]

وفى مكان آخر كتب عن هذا الاتحاد الذى تم بين الطبيعتين فقال « ونحن نعتقد بأن الطبيعتين اتحدتا اتحادًا لا يعرف الانفكاك ، بدون اختلاط أو تغيير ».[٢٧] وهو يقول أيضًا « إن المسيح الواحد الوحيد مكون من طبيعتين مختلفتين ».[٢٨] وفى كتاب الحوار « إن هذين العنصرين المتباعدين بالجوهر ، والمنفصلين بفواصل لا تقاس : أى اللاهوت والناسوت ، قد وحّدهما الرسول بولس عندما أعلن أن الاثنين يكونان المسيح الوحيد ابن الله[٢٩] فهو يقول عن ابنه الذى صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة (رو ١: ١-٥)».

إن القديس كيرلس يعلّم بكل وضوح بوجود طبيعتين مختلفتين فى الجوهر فى المسيح الواحد . فهناك الطبيعة الإلهية فى ومع الطبيعة البشرية = الناسوت ، ولم تتغير الواحدة إلى جوهر وطبيعة الأخرى ، بل إن كل طبيعة احتفظت بخواصها ومميزاتها[٣٠] فهو إنسان كامل وإله كامل . فمن جهة اللاهوت كان مساويًا لأبيه فى جوهره ولاهوته وأزليته ، وهو نفسه كان مساويًا أيضًا لأمه ولنا فى الناسوت.[٣١] ولقد قال فى خطاب أرسله إلى سوكانسوس

(25) H. Du Manoir 128; P. G. 77-45 C.

(26) H. Du Manoir P. 140-143.

(27) Epist., 45, Col 232; Tixeront, 3.64.

(28) .... ad, Succens 1 (Voir dans P. G. 77. 233) (Tixeront 3.330-332)

(29) G. M. de Durand. Deux. Dialoques Christologiques 242-246.

(30) St. Cyr., Scholia de Incarn., 11, P. G. 75, 384 AB,

(31) St. Cyr., Alex., Adv, Nest..., Blasphamias 5, 4; ACO, 11, 6. P. G. 99; P. G. 76. 229 C.

(Succensus) « فنحن نؤمن بأن الطبيعتين قد تقابلتا معًا فى اتحاد بدون شرخ ، ومع ذلك فإنهما لم تمتزجا ولم تختلطا ولم تتغيرا ، لأن الجسد ظل جسدًا والكلمة ظل كلمة ... فإننا نقول إن الطبيعتين اللتين اتحدتا هما اثنتان ، ولكن لا يوجد غير مسيح واحد الذى هو كلمة الله الذى صار إنسانًا وتجسد .[٣٢]

فمع أن القديس كيرلس استعمل فى بعض الأحيان الإصطلاح فوسيس (Fusis) = « طبيعة » لكى يشير به إلى شخص المسيح كله ، اللاهوت والناسوت معًا ، إلا أنه استعمل أيضًا نفس الاصطلاح لكى يشير به سواء إلى الطبيعة الإلهية أو إلى الطبيعة البشرية . ولقد قدم لنا العالم دى مانوار (Du Manoir) قائمة بالنصوص التى وردت فيها كلمة « طبيعة » لكى يشير بها إلى طبيعة واحدة سواء الطبيعة الإلهية أو الطبيعة البشرية.[٣٣][*]

فبناء على النصوص التى اقتبسناها أعلاه والنصوص الكثيرة جدًا والتى لا يسمح لنا ضيق المكان والمجال باقتباسها كلها هنا ، نستطيع أن نقول بلا تردد ، مع كثيرين من العلماء المحايدين ، إن كيرلس علّم بوجود طبيعتين أو عنصرين أو جوهرين مختلفين ، الواحد عن الآخر فى شخص المسيح يسوع . كان كيرلس يؤمن ويعلم بأن اللاهوت والناسوت اتحدا معا باتحاد قوى دقيق عميق . والسؤال الآن هو ... « إذا كان كيرلس يؤمن بوجود طبيعتين أو جوهرين مختلفين فى شخص المسيح ، كيف فهم وعلم بعملية اتحاد هاتين الطبيعتين معًا ؟

مفهوم كيرلس لعملية اتحاد الطبيعتين :

إن الدارس لكتابات رئيس أساقفة الإسكندرية ، يستطيع أن يلاحظ دون

---

(32) P. Galtier. S. G. Ponitif Univ... Gregoriana Rome, St. Cyr, Alex., et St. Léon Le Gr. à Chalcédoine 369-374; St. Cyr. Epist 46 ad Succensus ACO 6, P.G. 162, 8-9; P.G. 77, 245 A.

(33) H. Du Manoir 126-130.

P. G. 74, 1400 BC; 1376 AB; 76, 1388, 77, 244 B.

P. G. 76, 1200 A; P. G. 77, 245B; 76, 1141 B.

(*) استعمل كيرلس فى النصوص الآتية كلمة « طبيعة » لكى يشير بها إلى الطبيعة البشرية كما أنه استعمل نفس الاصطلاح (طبيعة) للإشارة إلى الطبيعة الإلهية .

جهد أو عناء ، أنه علم بعقيدة الطبيعتين . صحيح أنه تكلم عن عقيدة الطبيعة الواحدة لكلمة الله المتجسد ، ولكن سبق ورأينا لماذا علم بذلك . إن الأغلبية الساحقة من العلماء المحايدين اتفقت ، على أن معلم الإسكندرية كان يؤمن بعقيدة الطبيعتين ، وعلم بها فعلاً ، ليس فقط بعد التوقيع على معاهدة الصلح فى سنة ٤٣٣ ، بل قبل ذلك فعلاً.(٣٤)

فما هو مفهومه إذن لعقيدة اتحاد الطبيعتين ، كيف تم هذا الاتحاد بين الجوهرين المختلفين الواحد عن الآخر ؟ إن كيرلس لم ينكر وجود الطبيعتين : أى وجود الناسوت واللاهوت فى شخص المسيح والمشكلة الكرستولوجية بالنسبة للقديس كيرلس ، لم تكن قائمة فى الاعتراف بوجود الطبيعتين ، لأنه كان يؤمن بذلك ، وقد علم به ؛ ولكن المشكلة كانت فى كيفية التحدث عن الطبيعتين : أو بالمعنى الأصح التحدث عن كل طبيعة على حدة ، لأنه كان يعتقد أن التحدث عن كل طبيعة على حدة قد يقود إلى ازدواجية الأقنوم.(٣٥) ولهذا السبب ، نلاحظ أنه فى حديثه عن الطبيعتين واتحادهما ، كان دائمًا يحاول التركيز على الوحدة بينهما ، أكثر من الحديث عن التمييز بين الجوهرين : الناسوت واللاهوت . فما هو مفهومه لهذه الوحدة ؟ إن كيرلس يعتقد أن الوحدة بين هذين الجوهرين تمت فعلاً ، وأن الكلمة الله اللوغوس ، حل فى بطن القديسة مريم ، واتحد بالجنين الذى كان يتكون فى بطنها . وعندما ولد الطفل يسوع ، كان لاهوتًا وناسوتًا ، أقنومًا واحدًا ومسيحًا واحدًا . وأن هذا الاتحاد الذى يتحدث عنه رئيس أساقفة الإسكندرية ، لا يعنى بأى حال من الأحوال ، خلط أو مزج الطبيعتين ، أو التنازل عن واحدة منهما . فلقد كتب يقول فى شرحه لعبارة « تجسد وتأنس » لا نعنى بذلك أن طبيعة الكلمة قد تغيرت فصارت جسدًا . أو أنها تحولت إلى إنسان كامل مؤلف من نفس وجسد ، بل بالحرى أن الكلمة قد ضم إلى ذاته جسدًا ، فيه نفس عاقلة ، وصار بطريقة لا يمكن الإفصاح عنها أو إدراكها إنسانًا ... وهذا التعبير « الكلمة صار جسدًا » لا يمكن أن يعنى شيئًا آخر ، غير أنه اتخذ لحمًا ودمًا

---

(34) P. Galtier. Leon et Cyrille 365-370; Cyr. B Ale., Adv. Nestorii Blasphemias 5, 4; ACO 11, 6, P. G. 99; P. G. 76. 229 C.

(35) G. Liébaert. La, doct., Christol..., de St. Cyrille... avant L. Querelle Nestorienne, p. 200-204.

مثلنا أى جعل جسدنا جسدًا له.[٣٦] وفى شرحه ليوحنا ١٧: ٢٢ــ٢٣ يقدم لنا القديس كيرلس صورة رائعة عن الوحدة الموجودة بين الجوهرين . فمع أن الكلمة والجسد . هُما من عنصرين مختلفين ، إلا أنهما اتّحَدا باتحاد قوى وثيق . وهذه الوحدة تمت بينهما ، دون تحول أو تغيير أو مزج طبيعة الواحد بطبيعة الآخر . فإن اللوغوس لم يترك لاهوته ولم يتخلّ عن طبيعته الإلهية قط ، فتحول إلى إنسان ، بل فى قبوله لعملية التجسد ، ظل ما كان عليه قبلاً . ولم يحدث فيه أو فى جوهره أدنى تغيير . فإن التغيير الوحيد الذى حدث هو ، أن الكلمة غير المنظور وغير الملموس أصبح منظورًا ملموسًا محسوسًا . ذاك الذى كان بدون جسد أخذ جسدًا.[٣٧] ولقد كتب يقول « إننا نؤمن بأن الطبيعتين اتحدتا باتحاد قوى ، بدون خلط أو تحول » .[٣٨]

فمع أن الكلمة الذى كان لا يلمس ولا يحس ولا يرى ، أصبح عن طريق التجسد ملموسًا محسوسًا مرئيًا ، إلا أنه كان مرئيًا ومحسوسًا وملموسًا من الناس كإنسان .

فى الصفحات السابقة حاولنا أن نبرهن على أن كيرلس كان يؤمن بوجود طبيعتين وجوهرين وعنصرين : عنصر اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح يسوع الواحد . كما حاولنا أيضًا أن نبرهن أن رئيس أساقفة الإسكندرية كان يعلم بأن هذين العنصرين اتحدا اتحادًا قويًا عميقًا بدون اختلاط أو امتزاج . والسؤال المهم هو .. كيف تمّ إذن هذا الاتحاد حسب مفهوم كيرلس بدون مزج أو خلط ؟ وما هو مفهومه لمشكلة الاتحاد وما هو الفرق بين مفهومه ومفهوم نسطوريوس ؟ كيف إذًا تم هذا الاتحاد بين الجوهرين المختلفين أو بين الطبيعتين : اللاهوت والناسوت ؟

استعمل الأنطاكيون وكذلك كيرلس إصطلاحات معينة فى شرحهم لعملية الاتحاد . ولقد رفض كيرلس بعض الاصطلاحات التى استعملها الأنطاكيون لشرح عملية الوحدة بين اللاهوت والناسوت .

---

(٣٦) مجموعة الشرع الكنسى ٢٩٦ ــ ٢٩٧

(37) Kelly 330-311; Camelot 36-38; F. Cayre 33-36.

(38) Tixeront 62-65; Epist. 45 Col 241 B; Durand 224-226.

١ — رفضه لبعض الاصطلاحات الأنطاكية النسطورية :

إن معلم الإسكندرية رفض استعمال بعض الاصطلاحات التى كان يستعملها الأنطاكيون ليعبروا بها عن وحدة المسيح . فمثلاً كلمة سونافايا συνάφεια = (Conjunction) التى تعنى اقتران أو اجتماع(٣٩) رفض استعمالها لأنه يعتقد أن هذا الاصطلاح لا يعبر إلا عن الوحدة الخارجية الظاهرية ، وليست الوحدة الداخلية العضوية القوية العميقة . ولقد اعتقد كيرلس أن الأنطاكيين علموا بهذه الوحدة الخارجية أى الوحدة المؤسسة على حسن التفاهم والانسجام والمحبة والإرادة والكرامة ، مثال ذلك الوحدة بين صديقين أو زميلين ، ولقد كتب فى رسالته إلى نسطوريوس يقول « لأنه ليس التساوى فى الكرامة سبب اتحاد الطبيعتين . فإن هذا يشبه قولنا عن الرسولين بطرس ويوحنا وهما متساويان فى الكرامة ، إذ أن كلاً منهما رسول وتلميذ ، قد صارا واحدًا وهما مع ذلك اثنان لا واحد . كذلك نحن لا نفهم أن الاتحاد كان اتحادًا بالاسم فإن هذا لا يكفى للدلالة على الوحدة الطبيعية.(*)(٤٠) إن هذه الوحدة فى نظر كيرلس ، ما هى إلا وحدة خارجية سطحية ولا يمكن تطبيقها على وحدة الطبيعتين فى المسيح.(٤١)

ولعل ذلك صحيح ، فإن نسطوريوس كان يفضل استعمال كلمة سونافايا συναφεια اقتران بدلاً من كلمة وحدة ، لأنه كان يرى فى هذه الكلمة تعبيرًا دقيقًا لم يرد شرحه . لأن أسقف القسطنطينية كان يعتقد ، أن كلمة اتحاد قد يفهم منها فى بعض الأحيان عملية الاندماج الكامل والخلط الكامل . أما كلمة الاقتران سونافايا ، فتعنى اجتماع أو اتحاد عنصرين بدون اندماج أو خلط بينهما . فاستعمل نسطوريوس « سونافايا » لكى يعبر بها عن الاتحاد الذى تم بين الطبيعتين مع تمييز كل طبيعة على حدة . فما تم فى عملية التجسد بحسب مفهوم نسطوريوس ، هو اقتران اللاهوت بالناسوت . ولذلك فاصطلاح (اقتران) لا يعنى أن الاتحاد بين العنصرين لم يكن اتحادًا حقيقيًا بل سطحيًا ، كما فهم كيرلس ، بل إن نسطوريوس باستعماله هذه الكلمة ، أراد أن ينبّر

---

(39) Kelly 330-333; Durand Deux Dial... P. 262-264.

(*) مجموعة الشرع الكنسى ٣٠٣

(40) Kelly 329-334, P. G. 76, 6, 265; P. G. 77 Col 109, 77 Col 225.

(41) H. Du Manoir 124-130; Dic., Théo. Cat., 1572. Mahe.

على حقيقة أن هذا الاتحاد لا يلاشى وجود الطبيعتين . لم يختر نسطوريوس هذا الاصطلاح لأنه كان يعتقد بوجود شخصين أو ابنين أو فصلهما تمامًا الواحد عن الآخر ، بل أراد باستعماله هذا الاصطلاح —(اقتران)— ليس فصل الطبيعتين ، بل تمييزهما تمييزًا واضحًا صريحًا الواحدة عن الأخرى ، بالرغم من اتحادهما القوى العميق .(٤٢)

وهنا تظهر من جديد المشكلة اللغوية ، أو بالمعنى الأصح عدم تحديد معانى الكلمات العقيدية المستعملة بطريقة محددة ومضبوطة فى ذلك الوقت . فعندما كان نسطوريوس يستعمل هذه الكلمة سونافايا (اقتران) قاصدًا بها الاتحاد الحقيقى العميق والمميز للطبيعتين ، كان كيرلس يفهم من نفس الكلمة اتحادًا خارجيًا سطحيًا بين شخصين مختلفين .

وهكذا اعتقد كيرلس ، أن نسطوريوس يعلم بوحدة خارجية سطحية ، وأن الوحدة التى تمت بين الكلمة الله والإنسان يسوع الناصرى ، لم تكن إلا وحدة أو علاقة خارجية : مثل علاقة الله أو اتحاد الله بالقديسين والأنبياء . فكما أن الله كان يحل فى أنبيائه وقديسيه ويرشدهم فإنه حل بالطريقة عينها بكلمته على الإنسان يسوع المسيح . ولذلك كتب كيرلس إلى نسطوريوس يقول « ولكننا لا نقول إن كلمة الله حل فى يسوع ، حلوله فى رجل عادى مولود من العذراء مريم لئلا يعتبر المسيح كأنه إله متوشح إنسانًا .... ولكننا نفهم أنه صار جسدًا ، وليس على غرار القول « إنه يسكن فى القديسين ».(٤٣)

إن القديس كيرلس فهم خطأ تعليم رئيس أساقفة القسطنطينية فى هذا الأمر . فإن نسطوريوس شرح مبينًا الهوة العظيمة بين حلول الروح القدس على الأنبياء والقديسين ، وحلول كلمة الله منذ لحظة الحمل فى الجنين ، ووجوده المستمر بلا انقطاع فى الإنسان يسوع المسيح الناصرى .

ونسطوريوس ينبّر مشددًا ، ليس فقط على حلول اللوغوس فى الجنين يسوع- منذ لحظة الحمل فى بطن مريم ، بل يشدّد على حقيقة أن حلول الكلمة فى

---

(٤٢) د . حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ١٩٣—١٩٦

(٤٣) مجموعة الشرع الكنسى ٣٠٣

يسوع بطريقة ثابتة ومستمرة ، وليس حلولاً مؤقتًا من وقت لآخر ، كما كان يحدث للأنبياء والرسل . بل إن حلول الكلمة المستمر ، واتحاده القوى العميق بالإنسان يسوع نتج عنه ظهور الشخص الواحد الذى يدعى يسوع المسيح الناصرى ، الأمر الذى لم يحدث قط عند حلول الأنبياء والرسل واتحاده بهم.(٤٤)

وكما أن القديس كيرلس رفض استعمال كلمة « اقتران » فى شرحه لعقيدة الوحدة بين الطبيعتين لأن نسطوريوس كان يستعمل نفس الاصطلاح ، فإنه رفض أيضًا استعمال الكلمات الآتية لكى يشير بها إلى ناسوت المسيح وهى : هيكل ، سكن ، الإنسان المحمول ، ..... الخ لأن نسطوريوس استخدم أيضًا نفس الكلمات لنفس الغرض . ومن الغريب أن كيرلس نفسه استعمل هذه الكلمات سكن ، ثوب بنفس المعنى الذى استعمله نسطوريوس .

إن الدارس المدقق يلاحظ أن رئيس أساقفة الإسكندرية ، استخدم الكلمات « سكن » ، « هيكل » ، « ثوب » ، لكى يشير بها إلى اللوغوس فى الجسد ..(*) لقد استخدم كيرلس هذه الإصطلاحات وبنفس المعنى الذى قصده نسطوريوس قبل سنة ٤٢٨ ، أى قبل بدء النزاع العقائدى بينه وبين نسطوريوس.(٤٥) ولكن عندما ظهر نسطوريوس واستخدم هذه الاصطلاحات لكى يعبر بها عن الوحدة بين الناسوت واللاهوت ، رفض كيرلس استخدامها واعتبرها كلمات تعبر عن فصل اللاهوت عن الناسوت . لأن كيرلس اعتبر أن نسطوريوس فصل الطبيعتين فصلاً تامًا وقسم المسيح الواحد إلى مسيحين ، عندما كان يتكلم عن الهيكل والساكن فيه . ولذلك فقد كتب إلى نسطوريوس

---

(٤٤) كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ٢٠١ — ٢٠٢

Dit. Theo., Cat 150; Gugie 103-110; Loofs 289-291;

Dit. Theo., Cat. Mahe 2512; Epist. 44; P. C. T. 77.225; Quasten 3. 205.

(*) بعض النصوص التى ذكر فيها كيرلس هذه الاصطلاحات وخاصة قبل النزاع العقائدى النسطورى عن الثوب ولبس الثوب .

Thesaurus. P. G., 75, 289 D; Cyril, Horn, Pasch, 8; P. G. 77, 568; Dial., 1, P. G. 75, 680 D; In Jo., P. G. 73, 249 C; Thes., P.G. 75, 261 C; De Ador P. G. 68, 597

استعمال كلمة هيكل

(45) Quasten 3. 202; Thes., 23, 28; Dial.; Camelot 36-38; Epist, 17; P.G. 77-112; ACO 36; P.G. 77-236.

يقول : « ولكننا لا نقول إن كلمة الله حلّ فيه الحلول فى رجل عادى مولود من العذراء لئلا يعتبر المسيح كأنه إله متوشح إنسانًا .... ولكننا لا نفهم أنه صار جسدًا على غرار القول إنه سكن فى القديسين . بل إن ذلك الحلول كان فيه بحسب المساواة . فجعل واحدًا بحسب الجسد و لم يتحول إلى جسد وجعل مسكنه فيه.(٤٦)

كان كيرلس يعتقد أن استعمال هذه الاصطلاحات : هيكل، سكن ، الإنسان المحمول ، ثوب ...... إلخ ، يقود إلى فصل الطبيعتين ، والاعتقاد بوجود ابنين أو مسيحين . إن كل ما كان يخشاه هو الفصل بين الطبيعتين ، لأنه كان يعتقد بأن الاتحاد الذى تم كان اتحادًا قويًا عميقًا ، لدرجة أنه يصعب فى بعض الأحيان التكلم عن التمييز القاطع بين هاتين الطبيعتين . ولذلك كتب يقول : « إن الجسد الذى حمله لم يكن غريبًا عليه (على الكلمة) فقد كان جسده »(٤٧) ثم يرجع إلى قول القديس يوحنا « الكلمة صار جسدًا »، فيقول إن الابن الذى ولد من الآب صار جسدًا ... و لم يتحول إلى جسد . فإن جسده الذى هو الهيكل ولد من القديسة العذراء(٤٨) والكلمة نفسه هو الذى صنع لنفسه جسدًا . فمع أن كيرلس لا يعتقد أن هذا الجسد الذى صنعه هو جسد سماوى ، إلا أنه كان جسده الذى اتحد به بطريقة قوية وعميقة ، لدرجة أنه كان من الصعب فى بعض الأحيان التمييز فيما إذا كان كيرلس يتكلم عن طبيعتين أو طبيعة واحدة فى المسيح .

فمع أن المسيح مكون من عنصرين ، فهو مسيح واحد فى جسده وفى هيكله ، إن اللاهوت والناسوت موجودان فى المسيح الواحد . فمع أن جسده عنصر يختلف عن اللاهوت إلا أن هذا الجسد هو جسده . فالكلمة والجسد يكونان وحدة واحدة ، المسيح الواحد أو الله الإنسان .(٤٩)

لكل هذه الأسباب ، لم يستعمل كيرلس فى حديثه عن الوحدة نفس

---

(46) Quasten 3.202-203. مجموعة الشرع الكنسى ٣٠٢

(47) Galtier, P. G., 69, 561 B; J. Liebaert La Doctrine Christologique de St. Cyr... 196-200.

(48) P. G. 75, 289 D; Cyrille: Hom., Pasch 8; P. G. 77, 568; Dial. 1, P. G. 75, 680 D; In Jo, P. G. 73. 249 C; G. Liebaert cit 198-201.

(49) De Ador, P. G. 68, 345 C; G. Liebaert La Doct... Christ 200-206.

الاصطلاحات التى استعملها نسطوريوس وبعض الأنطاكيين ، بل استعمل اصطلاحات أخرى . فما هى الاصطلاحات التى استعملها كيرلس ليعبر بها عن الوحدة ؟

٢ ــ الاصطلاحات التى استعملها كيرلس ليعبر بها عن وحدة المسيح :

إذا كان نسطوريوس استخدم كلمة (اقتران) ، لكى يشرح بها عقيدته عن وحدة الطبيعتين المتحدتين ، والمتميزتين فى نفس الوقت الواحدة عن الأخرى ، برغم الاتحاد القوى الثابت ، فإن كيرلس اختار بدوره عدة اصطلاحات لكى يشرح مفهومه لوحدة الطبيعتين ومنها ، (σύνοδος ، συνδρομή ، ἕνωσις) على أنه يستعمل كثيرًا جدًا الكلمة الأولى وهى (ἕνωσις) = « أنوسيس ». ويعتقد مانوار أن كيرلس كان أول من استعمل عبارة (الاتحاد الهيبوستاتيكى ، أو الاتحاد العضوى ، أو الاتحاد الجوهرى[٥٠] فماذا يقصد كيرلس بعبارة الاتحاد العضوى أو الجوهرى ؟ ولماذا استخدم الاصطلاح أنوسيس ؟ كما سلفت الإشارة ، كان كيرلس يعتقد أن إصطلاح (اقتران) الذى استعمله نسطوريوس لا يعبر إلا عن الوحدة الخارجية . أما هو فقد استعمل كلمة أنوسيس التى لا تعبر عن وجود العلاقة الخارجية عن طريق سكن الكلمة فى الناسوت ، أو مجرد لبس ثوب ، أو السكن فى هيكل ، بل إن هذا الاصطلاح يعبر بالحرى عن اتحاد الكلمة بالجسد اتحادًا قويًا عميقًا ، بطريقة تفوق كل وصف وإدراك ، وهذا الاتحاد لا يعرف الفصل أو الشدخ أو التقسيم ، لأن الكلمة صار جسدًا ، فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا (كو ٢: ٩). هذا الاصطلاح فى عرف كيرلس يعنى أن هذه الوحدة التى تمت بين الطبيعتين ، كانت قوية وعميقة لدرجة أنه استخدم فى بعض الأحيان عبارة « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » . كما أن هذا الاصطلاح يعنى أيضًا أن الكلمة لم يتحول إلى جسد ، بل أنه اتحد بالجسد الذى لا يمكن أن ينفصل عنه بعد الاتحاد . وبالرغم من هذا الاتحاد القوى العميق بين الطبيعتين المتحدتين باتحاد لا يمكن فصله ، فإن هذا الاصطلاح يعنى أيضًا عدم اندماج أو خلط أو مزج الجوهرين المتحدين.[٥١]

---

(50) H. Du Manoir 122-128.

(51) Tixeront 3.60-70; Kelly 330-337; Epist, 45 Col 241 B.

فبالرغم من هذا الاتحاد القوى فإن الكلمة يظل كلمة والجسد يظل جسدًا.(٥٢)

وهنا يشرح لنا كيرلس عملية الإخلاء التى يتكلم عنها القديس بولس (فى ٢: ٥ ــ ٨). فيقول ... إن هذه العملية لا تعنى أن الكلمة حل على إنسان ورفعه إلى درجة الكرامة والمجد لكى يصير ابن الله . بل إن الكلمة الله نفسه صار فعلاً وعمليًا جسدًا أى أن اللاهوت ، الله الكلمة حل فى بطن القديسة مريم منذ اللحظة الأولى من الحمل . ولذلك كتب إلى نسطوريوس يقول « ومع أنه اتخذ جسدًا ودمًا بقى كما كان إلهًا فى الجوهر وفى الحقيقة ، فلا نقول إن الجسد تحول إلى الطبيعة الإلهية ولا نعنى أن طبيعة كلمة الله التى لا يمكن وصفها ، عزلت جانبًا من أجل الطبيعة البشرية ..... لأنه وإن كان منظورًا وطفلاً ملفوفًا فى أقمطة ، وإن كان فى بطن العذراء أمه ، فهو مالىء الخليقة إلهًا وسيدًا.(٥٣)

كان اللاهوت فى الناسوت والناسوت فى اللاهوت دون أن يتحول الواحد إلى طبيعة الآخر هذا هو المسيح الذى يتكلم عنه الرسول قائلاً « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١تى ٣: ١٦) والذى يقول عنه أيضًا « فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديًا » . هذا هو المسيح أيضًا الذى اتحدت فيه الطبيعتان فكان إلهًا وإنسانًا فى نفس الوقت ، كان المسيح الإله العظيم الذى لا يعرف الآلام ، وفى نفس الوقت ، كان المسيح الذى يتألم ويجوع ويعطش ويتعب ويموت.(٥٤) ثم يقوم أيضًا من بين الأموات ، لا بل يقيم هو نفسه الأموات . هذا هو الاتحاد العضوى أو الجوهرى الذى علم به كيرلس فى استعماله للإصطلاح أنوسيس .

---

(٥٣) مجموعة الشرع الكنسى ٣٠٢

(54) Dit. Théo. Cat. Mahé 2513; Adv, Theodoret; P. G. T. 75 Col 440, 76. 340, 380.

الفصل العاشر

بعض الأمثلة لشرح اتحاد الطبيعتين

سبق أن تعرضنا لمفهوم معلم الإسكندرية لعقيدة اتحاد الطبيعتين ، وأنه علَّم بوجود طبيعتين مختلفتين فى شخص المسيح يسوع : اللاهوت الكلمة ، ثم الناسوت الذى حل فيه الكلمة منذ لحظات الحمل . فاللاهوت عمل لنفسه جسدًا فى بطن القديسة مريم . وبناء على ذلك فإن هذا الجسد الذى ولدته مريم ، ليس جسد شخص آخر غير الكلمة . فهو جسد الكلمة والكلمة هو كلمة الجسد . ولقد ردد كيرلس العبارة التى كان يحبها ويرددها كثيرًا معلمه المفضل القديس أثناسيوس وهى : « إن الكلمة فى جسده ... وإن الجسد هو جسد الكلمة » . ويقول كيرلس : « كان بالحقيقة إلهًا فى الجسد ، وكان جسدًا حقيقيًا فى الكلمة.[1] كان كيرلس إذن متمسكًا بعقيدة الطبيعتين الناسوت واللاهوت . هاتان الطبيعتان اللتان اتحدتا معًا باتحاد قوى دون اختلاط أو امتزاج أو ذوبان الواحدة فى الأخرى . ولكى يشرح مفهومه لعقيدة اتحاد الطبيعتين ، يقدم لنا القديس كيرلس عدة أمثلة . بيد أننا قبل عرض هذه الأمثلة نود أن نلفت نظر القارىء الكريم ، إلى حقيقة عقائدية فى غاية الأهمية وهى : أن اهتمام كيرلس وشاغله الأكبر ، كان موضوع الوحدة . الوحدة التى لا تعرف خلطًا أو مزجًا أو تغييرًا : فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله . ولذلك فقد بدأ بالكلمة متحدًا مع الجسد . أما بالنسبة لنسطوريوس والأنطاكيين فكان اهتمامهم الأول هو تمييز اللاهوت عن الناسوت فى هذه الوحدة . فإن كيرلس نبَّر بشدة على فكرة الوحدة ، لدرجة أن البعض فهم من كثرة كلامه وتشديده على الوحدة ، أنه لا يقبل إلا طبيعة واحدة فى المسيح ، بينما نبَّر وشدد الأنطاكيون على فكرة تمييز هاتين الطبيعتين الواحدة عن الأخرى ، لدرجة أن كيرلس اعتقد أن نسطوريوس فصل الطبيعتين الواحدة عن الأخرى وقسم المسيح الواحد .

ولذلك نكرر القول ، إن معلم الإسكندرية لم يخلط ولم يدمج الطبيعتين

---

(1) St. Cyr. Thesaurus. P. G. 75, 389 A; G. Liebaert Doc. Christol. 197-200.

فى طبيعة واحدة كما اعتقد البعض ، بل إنه علّم بوجود طبيعتين مختلفتين جوهريًا فى شخص المسيح يسوع ، وهذا واضح من الأمثلة الكثيرة التى سنعرض بعضًا منها فيما يلى :

١ — مثل الروح والجسد :

وهذا هو المثل المفضل عنده[٢] لشرح عقيدة الوحدة بين عنصرين مختلفين فى الجوهر . ولم يكن كيرلس هو الأول أو الأخير الذى استخدم هذا المثل ، فقد استعمله القديس أغسطينوس وتوما الأكوينى وآخرون.[٣] بل إن نسطوريوس نفسه رجع إلى هذا المثل لكى يبرهن به على وحدة المسيح ، معلنًا أنه وإن كان يعلم بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى ، إلا أنه يعلم بمسيح واحد ورب واحد وسيد واحد.[٤] وها هو القديس كيرلس خصم نسطوريوس يعود إلى نفس المثل : فمعلم الإسكندرية يرى فى الإنسان مثلاً حيًا قويًا يصلح لشرح هذه العقيدة . إذ أن الإنسان مكون من روح وجسد : أى من مادتين ، من جوهرين مختلفين ، ومع ذلك فهما لا يكونان إلا إنسانًا واحدًا ووحدة واحدة . فإن الروح تبدأ بدايتها مع بداية الجسد ، الذى يتكون جنينًا فى بطن الأم ، وهكذا بعد الولادة . لا نشير إلى الجسد على حدة والروح على حدة ، كما لو كانا جوهرين متميزين الواحد عن الآخر بل نشير إلى الإنسان كله كوحدة واحدة روحًا وجسدًا ، ونقبل فى أذهاننا هذا التمييز ، أى أن هذا الإنسان . الذى نشير إليه كوحدة وإنسان واحد مكون من جوهرين متميزين ومختلفين الواحد عن الآخر . ولذلك فقد كتب إلى نسطوريوس يقول « ومع أنه مؤلف من طبيعتين مختلفتين فقد ضمهما إلى وحدة غير منظورة ، كما أن كل واحد يعرف أن الإنسان واحد وليس اثنين مع أنه مؤلف من نفس وجسد فإنه واحد فى كليهما . ولذلك عندما نفكر تفكيرًا صحيحًا نقول : بتحول « الشخص » الإلهى و « الشخص » الإنسانى إلى الشخص الواحد بعينه.[٥]

---

(2) Kelly 332.

(3) H. Du Manoir 135-150; PL 33, 520. Goia.

(٤) كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ٢٠٠

M. V. Anastos. Nesto.. Was Orthodox? Dop. P. 126, Bazar 304, 161; P. G. 77. 225 B; P. G. 17. 225 D.

(٥) مجموعة الشرع الكنسى ٣٠٣ — ٣٠٤ Kelly 332; EP 45; P. G. 77. 232.

فعندما نتحدث عن الإنسان لا نتحدث عن روحه وعن جسده بطريقة انفصالية انعزالية ، فلا نقول إن جسده قد تألم من المرض ، أو أجريت العملية لجسده ، بل نتحدث عن الإنسان كله روحًا وجسدًا . لأن الروح اتحدت بالجسد فأصبحت روح هذا الجسد ، كما أن الجسد أصبح جسد هذه الروح وكل جوهر أو كل عنصر من هذين الجوهرين احتفظ بخواصه ومميزاته . فالجسد يظل جسدًا قابلاً للآلام والموت بينما الروح تظل روحًا غير خاضعة للآلام والموت ، ومع ذلك فإنها تتألم وتحزن لآلام الجسد الذى هو جسدها أى جسد الروح . ويحاول كيرلس تطبيق هذا المثل على اتحاد الطبيعتين اللاهوت بالناسوت فهو يعتقد بأن الكلمة غير قابل للآلام أو الموت ، ولا يمكن أن نقول إن ابن الله ولد أو تألم أو مات ، لأن هذه الصفات لا يمكن تطبيقها إلا على البشر ، ومع ذلك فإنه يمكن أيضًا القول بحسب مفهوم كيرلس إن ابن الله ولد وتألم ومات فى جسده الذى ولد من العذراء لأن هذا الجسد لم يكن جسد شخص آخر بل جسده.[٦]

إن الإتحاد الذى تم بين الروح والجسد لا يعنى أن الجسد صار روحًا وأن الروح صارت جسدًا ، بل أن كل طبيعة ظلت محتفظة بخواصها وكيانها.[٧] وهذا ما حدث فى اتحاد الطبيعتين الذى لم يلاشِ أو يُضعف من هذه الوحدة . فالكلمة والجسد جوهران مختلفان اتحدا معًا وسيظلان بعد الاتحاد مختلفين أيضًا من ناحية الجوهر . ولا يوجد تغيير أو تحويل فى طبيعة الواحد إلى طبيعة الآخر . ومع ذلك فالإتحاد هو اتحاد دائم وبدون فصل.[٨] وكما أن عملية اتحاد الجسد بالروح لا يتولد عنها ظهور طبيعة ثالثة ، فكذلك أيضًا اتحاد اللاهوت بالناسوت لم ينتج عنه طبيعة ثالثة أو أقنوم ثالث أو طبيعة جديدة.[٩] فكما

---

(6) Goussard cité 120-210.
(7) P. G. 77. 241; Kelly 332; P. G. 73. 100 GC;
(8) Dial...., 1, P. G. 75. 693 AB; Liebaert Doct. 204-270.
(9) F. Cayré 36.

بعض المراجع عن استعمال مثل الروح والجسد فى تعاليم القديس كيرلس
St. Cyr., EP., 46 Ad Succens; P. G. 77. 241, 75. 1292, 77. 232; Kelly 332; Quasten 3. 204; St. Cyr. Ep 17, H. Du Manoir 140-142, M.V. Anastos Was Orthodox? Dop. 125-126; Bazar 161, 304.

الشماس جورج باق ص ٧١ شرح تجسد الابن الوحيد للقديس كيرلس تعريب د. جورج حبيب باوى .
Durand Deux dial 346-348, 374-377; F. Cayré 3; Goussard 210-220;Tixeront 3. 24-25; A Grillmeier 439-440; Loofs 330-333; Nest., Bazar 35. 233-234.

كتاب تاريخ الفكر المسيحى : حنا جرجس الخضرى الجزء الثانى ٢٠٠، إيرس حبيب المصرى ٤٢٦ــ٤٢٩

تم الاتحاد بين هذين الجوهرين المختلفين : الروح والجسد ، فهكذا تم أيضًا الاتحاد بين اللاهوت والناسوت بدون امتزاج أو اختلاط أو تغيير .

٢ ــ علية موسى المشتعلة بالنار :

ضرب القديس كيرلس مثلاً آخر لكى يثبت الوحدة الحقيقية العميقة التى تربط اللاهوت بالناسوت : وهو مَثل عليقة موسى التى كانت تشتعل فيها النيران دون أن تحترق (خر ٣ : ١ــ٥) . فإن موسى كان يرى بعينه فى الصحراء عليقة تشتعل بها النار ، وكان ينتظر أن تلتهم النيران هذه العليقة ، ولا يبقى منها إلا الرماد الذى يحمله الهواء فيختفى ولا يوجد له أثر بعد . ولكن دهشة موسى كانت عظيمة عندما رأى أن العليقة ظلت باقية والنار مشتعلة فيها .

عاين النبى هذين الجوهرين المختلفين المتنوعين الواحد عن الآخر : النار المحرقة الآكلة مشتعلة فى هذه العليقة القابلة للإشتعال والاحتراق والفناء ، وبالرغم من هذا الاختلاف فى الجوهر تبقى العليقة والنار معًا ، وكل منهما قد احتفظ بخواصه وبجوهره . ظلت العليقة عليقة قابلة للاحتراق دون أن تحترق عندما اشتعلت بها النيران ، وظلت النار تشتعل مرسلة ألسنتها ولهيبها فى العليقة دون أن تهدأ أو تنطفىء . كان الجوهران مختلفين لكن متحدين معًا مثل اللاهوت والناسوت : النار الآكلة ، النار المقدسة ، الكلمة الإلهى ، الذى حل أو بالمعنى الأصح تجسد فى بطن القديسة مريم فى ناسوت ، فرأيناه جسدًا بشريًا كأجسادنا . ولقد كتب القديس كيرلس يقول : « إن النار لم تستطع أن تلتهم العليقة ، بل كانت تداعبها وتتآنس مع طبيعتها الخشبية ... بهذه الطريقة كان اللاهوت يتلاطف مع الناسوت .... »(١٠)

وقال أيضًا « إن الله قد نزل فى العليقة فى البرية بمنظر النار وكان يضىء العوسج ولا يحرقه . وكان موسى فى البرية يتعجب من هذا المنظر لأن الخشب لا يحتمل النار . فكيف استطاعت هذه المادة القابلة للاحتراق أن تحتمل اشتعال النار فيها ، لقد كان هذا مثالاً للسر الذى به استطاعت طبيعة اللوغوس الإلهية أن تُخضع ذاتها لحدود البشرية لأنه أراد ذلك ولأنه لا يستحيل عليه شىء قط .(١١)

---

(10) Glaph., P. G. 69-413.

(١١) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير : دير القديس أنبا مقار برية شيهيت ,P. G. 75. 1293 ١٩٧٨ ص ٢٢ ــ ٢٣ انظر أيضًا كتابه الذى يدعى Glaph ثم عظته الفصحية السابعة عشرة .

إن القديس كيرلس يضرب مثل عليقة موسى لكى يعبر به عن وحدة الطبيعتين اللاهوت والناسوت . ومن الغريب والعجيب أن خصمه نسطوريوس يستعمل نفس المثل لكى يعبر به هو أيضًا عن وحدة الطبيعتين . فلكى يدافع عن وحدة الطبيعتين فى المسيح الواحد قدم نسطوريوس مثل العليقة الملتهبة بالنار ، وقال إن النار كانت فى العليقة والعليقة كانت فى النار ، ولم يكونا عليقتين ولا نارين لأن الاثنتين كانتا كلتاهما نارًا وعليقة فلا يوجد إذن انقسام بل وحدة.(١٢) لقد أراد نسطوريوس أن يشرح بهذا المثل ، عملية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت ، وأن هذا الاتحاد ليس اتحادًا أدبيًا سطحيًا وخارجيًا كما اتهمه بذلك كيرلس وآخرون ، بل إن عملية الاتحاد فى مفهوم نسطوريوس هى عملية اختراق وتبادل . إن كل طبيعة اخترقت الأخرى ووُجِدت معها أيضًا مثل العليقة الموجودة فى النار والنار الموجودة فى العليقة . ومع ذلك احتفظت كل منهما بجوهرها وخواصها . هكذا كان اتحاد اللاهوت بالناسوت ، فهو إتحاد بدون اختلاط أو امتزاج بدون تغيير من طبيعة إلى أخرى.(١٣)

كان نسطوريوس ينبر بشدة على التمييز بين الطبيعتين ، ولذلك فإنه كان يتكلم كثيرًا عن الطبيعتين المتحدتين فى المسيح ، لكن متميزتين الواحدة عن الأخرى . أما كيرلس فكان ينبر بشدة على الوحدة ، ولذلك كان يتكلم كثيرًا عن وحدة الطبيعتين فى المسيح ، دون التنبير الشديد على التمييز . إنه لم يرفض تمييز الطبيعتين بل فصلهما . وكما يقول العالم دى مانوار (Du Manoit): إن كيرلس لا يهاجم نسطوريوس لأنه يميز الطبيعتين الواحدة عن الأخرى ، بل لأنه فصلهما الواحدة عن الأخرى . وأما نحن فنقول إن كيرلس هاجم نسطوريوس ، لأن الأول (كيرلس) اعتقد أن نسطوريوس فصل الطبيعتين الواحدة عن الأخرى . فحقيقة الأمر أن نسطوريوس لم يفصل الطبيعتين ، بل رأى فى المسيح طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى وفى شرحه لهاتين الطبيعتين تطرف بسبب الأبولوناريوسية .

إن كيرلس كان يرى فى حادثة العليقة مثلا رائعًا للوحدة . ولذلك قال

---

(12) Bazar 234; A, Grillmeier 517.

(١٣) كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٢٠١ ــ ٢٠٢

فى عظته السنوية لعيد القيامة رقم ١٧ « فكما أن النار كانت تنير العليقة دون أن تلتهمها ، هكذا أيضًا اللوغوس فى تجسده لم يحرق الجسد الذى اتحد به ، بل جعله على العكس جسدًا محييًا.(١٤) كان الكلمة نورًا ونارًا فى الجسد ، فى الناسوت ولم يحترق ولم يتلاشى هذا الناسوت بالنار الآكلة ، بل أصبح الجسد منارًا ومنيرًا لأن فيه حل ملء اللاهوت جسديًا .

٣ ـــ جمرة النبى إشعياء :

يقدم لنا معلم الإسكندرية مثلاً آخر يقرب به إلى الأذهان مشكلة اتحاد الطبيعتين ، وهو مثل الجمرة التى رآها النبى إشعياء (١إش ٦: ٦)... « وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح » . يعتقد القديس كيرلس أن الجمرة الملتهبة تشير إلى شيئين : الشىء الأول هو التطهير . فعندما يلمس اللوغوس كلمة الله المتجسد شفاهنا النجسة الملآنة بالكذب والمكر والغش والخطيئة ، يطهرنا حالاً من هذه النجاسة ، إذا اعترفنا اعترافًا صادقًا وأمينًا . والشىء الثانى الذى تشير إليه هذه الجمرة ، هو اتحاد اللاهوت بالناسوت . فعندما تشتعل النار فى قطعة من الفحم ، تخترقها وتستولى على كيانها فتحول مظهرها وليس جوهرها إلى مظهر النار ، وتضع فيها قوتها وصفاتها الخاصة بها ، حتى إنها (قطعة الفحم) تعتبر واحدًا معها وهذا ما حدث فى المسيح : لأن الله اتحد بالناسوت بطريقة لا يعبر عنها ، وقد احتفظ بالناسوت وبالصفات الخاصة بالناسوت كما بقى هو نفسه إلهًا كما كان قبلاً »(١٥)

فالنار لم تتحول إلى فحم والفحم لم يتحول إلى نار ، بالرغم من أن مظهر الفحم صار كالنار . ولقد كتب يقول « فإن بحثنا على قدر طاقتنا عن المعنى العميق لهذه الرؤيا ، وجدنا أن ربنا يسوع المسيح هو وحده دون سواه ، الجمرة الروحية الموضوعة على المذبح حيث يقدم ذاته من أجلنا كرائحة بخور ذكية لله أبيه ... إذن فهو الجمرة الإلهية التى تمس شفتى من يقترب إليها فتجعله للتو طاهرًا من كل اثم ... والمسيح يشبه الجمرة لأنه مثلها يتكون من شيئين مختلفين ولكنهما باجتماعهما معًا قد اقترنا فى وحدة واحدة . لأن النار حينما

---

(14) Cyr., Hom., 17.781 A-D; De; Durand 376-382; Heraclicle Nav. 138-141, التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير ص ٢٢ ـــ ٢٣

(١٥) الشماس جورج باق ٧٣ P. G. 75. 1377 D, 1380 B;

تدخل فى الخشب « الفحم » تحوله بطريقة ما إلى مجدها الخاص ومع ذلك فهو يبقى على ما كان عليه ...»[١٦]

بهذا المثل حاول كيرلس أيضًا أن يؤكد وحدة الطبيعتين المتحدتين وغير المنفصلتين .

٤ ــ مثل النار والحديد :

ولكي يشرح نفس العقيدة يضرب مثلاً آخر وهو اتحاد الحديد بالنار وهذا المثل يشبه إلى حد كبير المثل السابق فعندما نضع قطعة من الحديد فى نار مشتعلة تحمر هذه القطعة فتصير كالنار . ومع ذلك فإن الحديد لم يتحول إلى نار وهكذا النار . إن كلا العنصرين يظل على حاله الذى كان عليه قبل الاتحاد ، والذى لم يغير إلا الظاهر : ولو طرقنا قطعة الحديد المحمرة فإن الطرقات تهوى على قطعة الحديد التى فيها النار.

وهذا ما حدث عند عملية التجسد فالكلمة حل فى الناسوت واتحد به كاتحاد الحديد بالنار اتحادًا لا يعرف الفصل.[١٧]

٥ ــ تابوت العهد :

يرى القديس كيرلس فى تابوت العهد الذى أمر الرب موسى بصنعه (خر ٥: ١٠ــ١١) إشارة إلى اللاهوت والناسوت . فإن التابوت كان مصنوعًا من خشب السنط الذى لا يتسوس كما أنه كان مصفحًا من الداخل ومن الخارج بذهب نقى . ويرى القديس كيرلس فى خشب السنط الذى لا يتسوس إشارة للجسد الإلهى غير الفاسد أى الناسوت ويرى فى الذهب النقى إشارة إلى اللاهوت الذى اتحد بهذا الجسد البشرى . وبما أن التابوت كان مصفحًا بذهب نقى من الداخل ومن

---

(١٦) التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير ٢٤ ــ ٢٥

P. G. 76, 62; Schol de incarn; g; Kélly 332, Du Manoir, 135-140

(17) P. G. 72, 909 B; 549, 77, 785 D-788 A; Du Manoir, 137-139.

جورج باق ٧٢ ــ ٧٣

التجسد الإلهى للقديس كيرلس الكبير ص ٢٥

إيريس حبيب المصرى ٤٢٥ ــ ٤٢٧

الخارج ، بمعنى أنه لم يتحد بجسده فقط ، بل إن الكلمة اتحد أيضًا بروحه أى أن هذا الاتحاد اتحادٌ قوى عميق . وكما أن الذهب قد أعطى المعنى الجديد والقيمة الثمينة لهذا الخشب ، فهكذا أفاض اللاهوت غناه ولطفه على الجسد — على الناسوت . إلا أن كل جوهر احتفظ بكيانه ولم يتحول بأى حال من الأحوال إلى طبيعة أو مادة أو جوهر الآخر . وهكذا تم الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى المسيح يسوع.(١٨)

٦ — النار والماء والحجر الثمين وبريقه :

ولقد ضرب رئيس أساقفة الإسكندرية بعض الأمثلة الأخرى لكى يشرح بها أيضًا عقيدة اتحاد الطبيعتين معًا . فكما أن النار تستطيع أن توصل حرارتها إلى الماء البارد فتحوله إلى ماء ساخن فإن اتحاد الكلمة اللوغوس جعل من هذين الجوهرين ، النار المشتعلة أو الحرارة والماء البارد سائلاً واحدًا ساخنًا . فالماء لم يفقد هويته والحرارة لم تفقد خواصها، بل إن اتحادهما معًا أنتج مياهًا ساخنة.(١٩)

ولقد استعمل أيضًا مثل الحجر الثمين ولمعانه . فكما أنه لا يمكن فصل الحجر الثمين عن لمعانه أو عزل اللمعان عن الحجر الكريم ، فهكذا لا يمكن فصل اللاهوت عن الناسوت . وفى شرحه لعملية الاتحاد استخدم القديس كيرلس صورة قطعة الخبز التى نغمسها فى سائل من الماء أو فى أى سائل آخر . فإن السائل يدخل فى الخبز والخبز يمتص الماء أو السائل . وعندئذ تكون المادتان الماء والخبز وحدة واحدة لعينى الناظر . وهكذا كون اللاهوت مع الناسوت شخصًا واحدًا وهو الرب يسوع المسيح .

بهذه الأمثلة ، وأخرى غيرها حاول القديس كيرلس أن يشرح عملية الاتحاد التى تمت فى شخص الرب يسوع المسيح ، مؤمنًا ومعلمًا بأن اللاهوت : كلمة الله اللوغوس ، اتحد بالناسوت وكونا كلاهما شخصًا أقنومًا واحدًا وسيدًا واحدًا وربًا واحدًا هو يسوع المسيح .

---

(18) Du Manoir, 137-144; P. G. 75, 1381 AB

(19) P. G. 72, 549 D; 76-189; 75, 1361;
Du Manoir 135-144.

ولقد ظلت كل طبيعة من هاتين الطبيعتين المختلفتين فى الجوهر ، محتفظة بخواصها ومميزاتها . فإن اللاهوت لم يتحول إلى ناسوت والناسوت لم يتحول إلى لاهوت بالرغم من الوحدة القوية الصحيحة بينهما .

إن اللجنة المسئولة عن الحوار العقائدى بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية قد أصدرت قرارًا إيمانيًا يتفق فى أشياء كثيرة جدًا وتعاليم كيرلس التى أشرنا إليها سابقًا . فلقد أعلنت هذه اللجنة الإقرار الآتى : « نحن نشكر الله أننا الآن يمكننا أن نوقع على صيغة مشتركة تعبر عن اتفاقنا الرسمى بخصوص طبيعة السيد المسيح حيث جاء فيه « نؤمن أن ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، الكلمة المتجسد هو كامل فى لاهوته وكامل فى ناسوته . وجعل ناسوته واحدًا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تشويش ، ولاهوته لم ينفصل عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين » . وفى نفس الوقت تحرم كلا من تعاليم نسطور وأوطاخى . ولقد وقع على هذا الإقرار الجانبان الكاثوليكى والأرثوذكسى(*) فى دير الأنبا بيشوى .

من هذا الإقرار الإيمانى الذى قبلته الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية ، يتضح أن الكنيسة القبطية تقبل وتعترف بوجود الناسوت واللاهوت فى شخص الرب يسوع المسيح . ولكن بالرغم من هذا الاعتراف فهى ما زالت متمسكة وتنادى بعقيدة الطبيعة الواحدة.

أما الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية فهى تقبل وتعترف وتعلم بعقيدة الطبيعتين المتميزتين الواحدة عن الأخرى فى شخص المسيح يسوع ، وأن هذا التميز بين الطبيعتين لا يعنى بأى حال من الأحوال ، انفصال الناسوت عن اللاهوت بل انهما اتحدا اتحادًا قويًا عميقًا لا يعرف الخلط أو الفصل أو الاندماج ، لدرجة أن الطبيعتين اللاهوت والناسوت لا يكونان إلا شخصًا واحدًا وربًا واحدًا هو يسوع المسيح .

(*) هذا الإقرار نشر فى جريدة وطنى الصادرة بتاريخ ١٣ مارس ١٩٨٨ فى القاهرة .

الفصل الحادى عشر

مفهوم القديس كيرلس لمشكلة آلام المسيح

فى الصفحات السابقة درسنا مفهوم رئيس أساقفة الإسكندرية لمشكلة الطبيعة والطبيعتين فى شخص المسيح . وعرفنا أنه يؤمن ويعلّم بوجود عنصرين أو جوهرين أو طبيعتين مختلفتين الواحدة عن الأخرى فى شخص الرب يسوع المسيح . وفى هذا الفصل سوف نحاول أن ندرس مفهوم القديس كيرلس لمشكلة آلام وموت وقيامة يسوع .

وسوف نتعرض فيما بعد لمعالجة مشكلة علم أو جهل المسيح باليوم الأخير . هل كان يجهل فعلاً هذا الأمر كما يقول مرقس « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » (مر ١٢ : ٣٢) . فأين الوحدة إذن ، إذا كانت توجد طبيعة تعرف كل شيء والأخرى تجهل بعض الأشياء ؟

ولنبدأ الآن بالمشكلة الأولى وهى مفهوم القديس كيرلس لآلام وموت وقيامة يسوع .

عند البحث فى هذه المشكلة العقائدية تتبادر إلى ذهن الدارس عدة أسئلة ومنها : من الذى تألم وصلب ومات وقام من بين الأموات . هل اللاهوت أم الناسوت ؟ من الذى اضطرب وانزعجت نفسه أمام الموت ؟ ومن الذى تمنى مصليًا أن تعبر عنه هذه الكأس ؟ ومن الذى صرخ بصوت عظيم على الصليب قائلاً « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ اللاهوت أم الناسوت ؟ وما هو هذا الترك ؟ هل اللاهوت انفصل عن الناسوت حتى أن هذا الأخير يصرخ من مرارة ترك اللاهوت له وقسوة الآلام التى كان يمر بها الناسوت وحيدًا ، منفردًا ، منفصلاً عن اللاهوت ؟ . سوف نحاول أن نعرض تعاليم القديس كيرلس الخاصة بهذه الأسئلة وبأسئلة أخرى مع تعليقنا الخاص أيضًا . ويجب على الدارس الذى يريد أن يفهم جيدًا أفكار معلم الإسكندرية الكرستولوجية (التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح) أن يتذكر دائمًا وجيدًا أن كيرلس اعترف وعلّم بوجود طبيعتين مختلفتين الواحدة عن الأخرى فى

المسيح . ولكن هاتين الطبيعتين ، اتحدتا باتحاد أسماه بالإتحاد الأقنومى أو العضوى أو الجوهرى أى اتحاد قوى عميق بدون انفصال أو اندماج أو اختلاط . وفى حديثه عن هاتين الطبيعتين نبّر بشدة على الوحدة بينهما أكثر من تشديده على التمييز بين هذين الجوهرين . لدرجة أن الدارس لكتاباته يشعر فى بعض الأحيان كما لو كان كيرلس يعلّم بوجود طبيعة واحدة . وحقيقة الأمر أنه كان يؤمن بوجود الطبيعتين ، ولكنه لا يقبل فصل هاتين الطبيعتين . ولهذا السبب اتهمه نسطوريوس وبعض الأنطاكيين بأنه قد علّم أن اللاهوت تألم ومات ؛ كما أنه رضع ثديى العذراء مريم . ذلك لأن الأنطاكيين رأوا فى عدم تنبيره على تمييز الطبيعتين خلطًا ومزجًا لهما .

لنرجع إلى المشكلة التى نحن بصددها الآن ، وهى آلام المسيح : من الذى تألم وصلب ومات وقام . اللاهوت ، أم الناسوت ، أم الاثنان معًا ؟ وهل يمكن القول إن اللاهوت تألم وصلب ومات ؟ وهل اللاهوت يموت ؟!!!!

لفهم مشكلة آلام المسيح فى تعاليم القديس كيرلس ، نحتاج أن نرجع إلى التاريخ لتبيان السبب الذى دفعه لمعالجة هذه المشكلة . كان رئيس أساقفة الإسكندرية تلميذًا أمينًا ومخلصًا للقديس أثناسيوس ، فهاجم فى بداية حياته الرعوية كل التعاليم التى هاجمها القديس أثناسيوس ومن بينها تعاليم آريوس والآريوسيين . فتعرض لمشكلة آلام المسيح التى سبق أن تعرض لها أستاذه ، واستعمل نفس البراهين التى استعملها القديس أثناسيوس فى معالجة هذه المشكلة . فما هو مفهوم الآريوسيين لمشكلة آلام المسيح ؟ وكيف قاوم أثناسيوس وكيرلس هذه التعاليم ؟ من ضمن المبادىء التى علّم بها الأريوسيون عن شخص المسيح :

١ ـــ لم يكن المسيح من ذات جوهر الله الآب .
٢ ـــ كان المسيح خاليًا من الروح البشرية العاقلة .
٣ ـــ إن اللوغوس حل محل الروح البشرية فى المسيح .

وبما أن المسيح لم يكن من جوهر الله الآب ، فهو ليس إلهًا بالطبيعة . وبما أن اللوغوس حل محل الروح البشرية فإن الذى كان يخاف ويضطرب وينزعج ليس روح المسيح بل اللوغوس الذى حل محل الروح فى المسيح . وتأكيدًا لذلك قام الآريوسيون بالبحث عن بعض الآيات التى تتكلم عن آلام

المسيح واضطرابه وخوفه مثل : « نفسى حزينة جدًا حتى الموت ... يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس .... أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف (متى ٢٦: ٣٦ــ٤٦)، « الآن نفسى قد اضطربت (يو ١٢: ٢٧)، وكان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض .... (لو ٢٢: ٤٤).

الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسُمِع له من أجل تقواه (عب ٥: ٧) واضطرب يسوع بالروح يو ١٣: ٢١....... انزعج بالروح واضطرب ... فانزعج يسوع أيضًا فى نفسه ... (يو ١١: ٣٣و٣٨).

بناء على فكرة أن الكلمة حل محل الروح فى المسيح وأنه كان بدون روح بشرية استنتج الآريوسيون أن الذى كان يضطرب وينزعج ويصلى بدموع ويتحول عرقه إلى دم ، والذى صرخ بأن تعبر عنه كأس الموت خوفًا من الموت ، والذى صرخ أيضًا قائلاً إلهى إلهى لماذا تركتنى ... الخ هو اللوغوس أو الكلمة الذى حل محل الروح فى المسيح . وهنا يتساءلون مستنكرين : هل يمكن أن يكون اللوغوس مساويًا لله الآب ومن جوهره وهو يصرخ متضرعًا بدموع ... طالبًا مساعدة وعون الله الآب ؟ بهذه الآيات حاول الأريوسيون البرهنة على أن المسيح لم يكن الله بالطبيعة لأنه كان يخاف ويضطرب من الموت.[1] فإن الذى كان ينزعج ويضطرب من الموت بحسب فكر الأريوسيين هو الكلمة الذى حل محل الروح فى المسيح . وبناء على ذلك فهو ليس إلهًا بالطبيعة .

رفض القديس أثناسيوس هذا التعليم وتبعه فى ذلك القديس كيرلس الذى أخذ نفس البراهين التى استعملها أثناسيوس ضد الآريوسيين فى عصره.[2]

ولقد كتب كيرلس ثلاث فقرات عن خوف المسيح أمام الموت ، وهى عبارة عن اقتباسات من تعاليم أثناسيوس.[3] وفى شرحه لمتى ٢٦: ٣٩ « إن

---

(1) Contra Arianos, 3; P. G. 26, 54, 436 B

(2) St. Cyrl., The Saurus 24; P. G. 75, 396 cd; Con. A. 357, 441, B 44 A

(3) St. Cyr. Contra Aria.., 3.

أمكن فلتعبر عني هذه الكأس » يبين بطريقة واضحة ودقيقة أن اللوغوس ابن الله لم يكن يخشى الموت ولا سلطانه لأن الموت لا سلطان له على ابن الله . فإن الكلمة الأزلى كان يشتاق أن يكمل سعيه لإنجاز عملية الفداء التى من أجلها جاء إلى العالم ، لأن هذه هى إرادة الله ، وقد جاء لينفذها . أما الذى كان يخاف الموت ويرفضه فهو الجسد وليس اللوغوس . إن الروح نشيط وأما الجسد فضعيف . فالتردد أمام الموت هو رد فعل غريزى من جانب الإنسان وليس من جانب اللوغوس.(٤) ويواصل القديس كيرلس شرحه لموقف المسيح من الموت مبينًا أن السيد كان ومازال يعطى قوة وشجاعة للذين يجتازون هذا الإختبار لكى ينتصروا على الموت . ولكن المسيح كإنسان اجتاز هو نفسه تجربة الموت ، وبموته هذا استطاع أن ينقذنا من عذاب وسلطان الموت ، إن الموت مرعب ومخيف للإنسان . فلو كان الموت مجردًا من سلطانه المرعب المخيف ، لما كان ثمة داع للتحرر من سلطانه ومن قبضته . إن معلم الإسكندرية لا يتكلم عن خوف ظاهرى للمسيح ، بل عن خوف حقيقى ، على أن هذا الخوف الحقيقى لم يكن إلا خوف الجسد وليس خوف الكلمة اللوغوس .

وفى حديثه عن عملية الترك « إلهى إلهى لماذا تركتنى » .... أبعد عنى هذه الكأس .. الآن نفسى قد اضطربت ... يقدم لنا القديس كيرلس صورة مزدوجة لابن الله بالرغم من أنه لا يحب ولا يحبذ استعمال عبارة الإزدواجية فى التكلم عن المسيح . فهو يقدم لنا المسيح من الناحية البشرية كإنسان يشعر بالآلام والعطش والجوع والحزن والتعب ، لا بل يصرخ على الصليب طالبًا مساعدة الآب ومتسائلاً عن تركه له . ثم يقدم لنا نفس المسيح من الناحية الإلهية اللوغوس ، كلمة الله . فإن كان الناسوت يصرخ قائلاً أبعد عنى هذه الكأس فإننا نرى عمل اللاهوت واضحًا فى : خسوف الشمس ، تعجب الناظرين إليه ، عمل المعجزات ، اعتراف الأعداء بأن المصلوب هو ابن الله .

ويواصل كيرلس شرحه كما فعل قبله معلمه أثناسيوس مبينًا للآريوسيين ولكل الذين لم يقبلوا لاهوت المسيح لأنه تألم كإنسان ، أنه إذا كان الله قَبِل فى محبته وتواضعه أن يصير إنسانًا فهذا لا يعنى أنه تنازل ولو لحظة واحدة عن اللاهوت . وفى الوقت نفسه إذا كان الله الكلمة قَبِل أن يصير إنسانًا فقد

(4) Jacques Liebaert, St. Cyrille, p. 118

قبل أيضًا أن يعمل وأن يتصرف ، ليس كإله فحسب بل كإنسان أيضًا . فهو يملك سلطانًا مزدوجًا كإنسان وكإله . فإن ذاك الذى قال « نفسى قد اضطربت » والذى يلتمس من أبيه أن تعبر عنه كأس الموت ، هو نفسه الذى يقول باللاهوت « لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضًا » (يو ١٠ : ١٨) فهو الذى أسلم روحه بين يدى أبيه (لو ٢٣ : ٤٦، مت ٢٧: ٥٠). ولقد رجع القديس كيرلس إلى العهد القديم ليبين أن الله كان يتكلم فى بعض الأحيان كإنسان بشرى (إرميا ٨: ٢١، ٩: ١٠، تك ٦: ٦، مز ٧٨: ٤٠، إش ٦٣: ١٠، زكريا ٢: ٨) فحزن الرب ... وتأسف فى قلبه ... فإذا كان الله اللاهوت يتكلم كإنسان فكم بالحرى الكلمة المتجسد فعلاً وحرفًا ، والذى صار إنسانًا أليس من حقه أن يتكلم كإنسان لأنه فعلاً إنسان — إله .

وأمام مشكلة آلام المسيح لابد لنا أن نسأل الأسئلة الآتية : من الذى كان يضطرب وينزعج ويتألم ومات . هل اللاهوت أم الناسوت ؟ فإن كان الناسوت هو الذى تحمل هذه الآلام فأين الاتحاد إذن ؟ وإن كان اللاهوت اشترك مع الناسوت ، فهل يمكن القول إن الله يتألم ويخضع لقوانين الطبيعة ؟

سبق أن رأينا معلم الإسكندرية يؤكد مشددًا على أن اللوغوس كلمة الله اتحد منذ اللحظات الأولى للحمل بالجنين فى بطن مريم العذراء . ولذلك يمكننا القول إنه ولد ولادة جسدية بشرية ، مع أنه مولود من الآب قبل كل خليقة وموجود معه منذ الأزل وقبل كل بداية . فلقد قَبِل أن يولد ولادة زمنية مع أنه موجود قبل كل الأزمنة . كتب كيرلس إلى نسطوريوس يقول : « على أن الإتحاد أو الحلول حدث وهو فى الرحم ....، وبهذا الاعتبار تألم وقام . ولا نعنى أن الله الكلمة قد تألم بطبيعته هذه واحتمل الجلد واختراق المسامير ليديه ورجليه وطعن جنبه بالحربة ، لأن الطبيعة الإلهية لا يمكن أن تتألم لأن لا جسد لها .

ولكن ما دامت الطبيعة التى صارت جسده قد تألمت بالطريقة السابق ذكرها ، قيل إنه تألم لأجلنا . لأن الذى كان بطبيعته الإلهية غير ممكن أن يتألم ، كان لابسًا جسدًا متألمًا . وبهذا الأسلوب نفسه ندرك ما يتعلق بموته . لأن « كلمة الله » حسب الطبيعة لا يعتريه موت ولا فساد وهو حياة ومانح

للحياة . على أنه إذا كان جسده قد ذاق الموت كما يقول الرسول : « ولكن الذى وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد » (عب ٢: ٩) « فلا يعنى ذلك أنه عانى الموت بطبيعته الخاصة (لأنه من الجنون أن نقول هذا أو أن نفكر فيه) » ..(٥)

من هذه الرسالة الثانية التى أرسلها كيرلس إلى نسطوريوس ، ومن كتاباته الأخرى العديدة،(٦) يتضح جيدًا أن معلم الإسكندرية يعترف بأن الذى تألم وذاق الموت هو الناسوت ، الجسد الذى أخذه الكلمة . ولكى يشرح هذه الفكرة رجع إلى عب ٢ : ٩ ولكنه اقتبس كثيرًا جدًا قول الرسول بطرس « فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد ... (١بط ٤٠: ١). ثم قوله أيضًا « فإن المسيح أيضًا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله مماتًا فى الجسد » (١بط ٣: ١٨، ٢كو ١٣: ٤، كو ١: ٢٢).

ولقد بيَّن كيرلس بطريقة لا تعرف الشك ، أن اللاهوت غير متغير وغير قابل للآلام أو الموت . وأن الكلمة ابن الله لم يمت ولم يتألم . وهنا نسأل : إذا كان الناسوت أو الجسد هو الذى تألم وحده ومات وحده فأين الوحدة التى علم بها القديس كيرلس ، والتى من أجلها قام بثورة عقائدية عنيفة ضد نسطوريوس ؟

ألم يهاجم معلم الإسكندرية رئيس أساقفة القسطنطينية عندما نادى هذا الأخير بأن الذى تألم فى سيدنا يسوع المسيح ، هو الإنسان أو الجسد وليس الكلمة ، وأن مريم لم تلد الله ، بل الإنسان يسوع الذى حل به الكلمة منذ لحظة الحمل ؟ فكيف إذن يعارض نسطوريوس فى هذا الموضوع وهو نفسه يقول « كان بطبيعته الإلهية غير ممكن أن يتألم . كان لابسًا جسدًا متألمًا ...

---

(5) P. G. 77, 44-49; ACO 1, 1, 1, 25-28; Camelot 191-193; Richard Morris, Sources of Early Christian Thought, 131-138; G. Goussard, Impassibilite du Logos et Impassibilite de L'ame humaine chez Cyrille, R. S. R. 209-224 (1957), Un probleme d' Anthropologie et Christologie Chez St. Cyrille, P. 364-378

(٦) لنفس الكاتب ونفس المجلد يوليو ١٩٥٥
مجموعة الشرع الكنسى : حنانيا الياس كساب ٢٩٦ ـــ ٢٩٧

لأن كلمة الله حسب الطبيعة لا يعتريه موت ولا فساد ... لأنه من الجنون أن نقول هذا أو أن نفتكر فيه .... ونلاحظ أن نسطوريوس علم بنفس التعليم ، عندما أعلن أنه لا يليق أن نقول هذا أو أن نفتكر فيه ...... ونلاحظ أن نسطوريوس علم بنفس التعليم ، عندما أعلن أنه لا يليق أن نقول إن الله ولد أو رضع ثدى العذراء أو صلب أو مات . لأنه كان يعتقد بأن الذى تحمل الآلام والموت هو الناسوت وليس اللاهوت . ويتساءل نسطوريوس قائلاً « من هو الذى قاسى تجربة الخيانة والتسليم لليهود ؟ من الذى كان يقدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات ؟ من الذى تحمل آلام الموت وعذابه ولطمات الأعداء ؟ اعترفوا إذن بابن الله الواحد ولكنه ذو طبيعتين الله — إنسان ... وبناء على ذلك يجب أن ننسب الآلام للطبيعة البشرية ، والخلاص من هذه الآلام التى تحملها الإنسان المتألم للطبيعة الإلهية[7] لم يقبل كيرلس هذا التعليم الذى نادى به نسطوريوس واعتبره تعليمًا إزدواجيًا ؟ يعنى جعل من المسيح الواحد مسيحين ومن الابن الواحد ابنين : ابن تألم لأنه انسان وابن آخر لم يتألم لأنه الكلمة : اللوغوس . فكيف حاول إذن القديس كيرلس أن يوفق بين تعاليمه التى نادى بها عن الوحدة بين اللاهوت والناسوت وبين تعاليمه الآن الخاصة بآلام وموت المسيح ونسبتها إلى الجسد : إلى الناسوت وليس اللاهوت ؟

إن الدارس لكتابات القديس كيرلس فيما يخص هذه المشكلة ، يلاحظ أنه نسب فعلاً آلام المسيح وموته ، إلى الناسوت وليس إلى اللاهوت لأن اللاهوت لا يموت . ولا سلطان للموت والفناء عليه . وبالرغم من ذلك فإنه لم يتخلَّ عن التعاليم التى نادى بها وهى التعاليم الخاصة بوحدة المسيح ، وأن اللاهوت والناسوت اتحدا معًا اتحادًا قويًا عميقًا . وبسبب هذا الاتحاد العميق الذى يدعوه الاتحاد العضوى : أو الجوهرى (Hypostatique) فإن اللاهوت الذى لا يتألم ولا يموت قد تألم فى الجسد الذى أخذه لنفسه من العذراء مريم . وعندما نسأل القديس كيرلس هل يمكن أن الله يولد ويتألم ويموت ؟ يجيب : « إن

---

(٧) د . حنا جرجس الخضرى : تاريخ الفكر المسيحى المجلد الثانى ص ١٨٧ — ١٨٨

الله بحسب الطبيعة الإلهية غير قابل للولادة البشرية وللآلام وللموت . ولكن بما أن هذا الإله المحب العظيم صار جسدًا والكلمة صار جسدًا فإنه يمكن بل يجب القول إن الكلمة كلمة الله ولد وتألم ومات فى الجسد الذى اتخذه لنفسه من القديسة مريم » .

فبما أنه أصبح بطريقة حقيقية واقعية إنسانًا وليس خيالاً ، فإنه تحمل إذن بطريقة واقعية وفعلية فى الناسوت الذى أصبح ناسوته ، أى جسده ، وليس جسد شخص آخر ، الآلام والعذاب والموت . صحيح أنه ظل إلهًا و لم يتحول اللاهوت إلى ناسوت أو الناسوت إلى لاهوت . ولكن فى عملية التجسد أصبح الجسد الذى أخذه الكلمة ، جسد الكلمة . فإن الرسول بطرس يقول : تألم المسيح لأجلنا فى الجسد وهذا الجسد المتألم هو الجسد الكلمة ، فالكلمة كان يتألم إذن فى جسده .[٨]

فإن اللاهوت الذى لا يعرف الآلام أو الموت ، تألم ومات فعلاً فى جسده المائت والخاضع للآلام والموت . فإنه يتألم كإنسان ولا يتألم كإله . ولكى يشرح كيرلس عملية آلام المسيح ومشاركة اللاهوت بطريقة فعلية عملية فى الآلام ، يضرب لنا مثل اتحاد الروح بالجسد ، فيقول : إن الروح من طبيعتها غير قابلة للآلام ، ولكن لأن الروح متحدة بالجسد الذى صار هيكلاً لها ، فإنها تتألم لآلام الجسد . لأنها ساكنة فى جسد قابل للآلام ويشعر بها . فهى تتألم بنفس الآلام التى يتألم بها الجسد . وهكذا الكلمة الذى لا يعرف الآلام كان يسكن فى جسد عرضة للآلام فكان يتألم فعلاً فى جسده ، كما تتألم الروح فى جسدها.[٩] وفى كتابه « الحوار » يشرح كيرلس حقيقة آلام المسيح . فهو يعتقد بأن الكلمة الذى فى اتحاده بالناسوت فى بطن العذراء مريم ، أصبح فعلاً إنسانًا حقيقيًا دون أن يتخلى عن لاهوته ، اشترك فى نفس الوقت مع الناسوت فى آلامه ، لأن هذا الناسوت أصبح ناسوته الشخصى . فلو لم يصر الكلمة جسدًا فما كان له أن يجرب الآلام أو أن يعرف قسوتها . لكنه قد صار فعلاً شبيهًا بإخوته فى كل شىء ما عدا الخطية . وبما أن الكلمة جُرب فى جسده

---

(8) Epist., 50 P. 264 AB; a Nest., EP; 4.45 D.

(9) P.G. 77, Col. 45 B, ACO, P. 26, 25-28; Goussard, R. S. R. un Probleme d' Anthro.... et de Chris- (1955) p. 361-378

فهو يستطيع فعلاً أن يعين المجربين والمتألمين (عب ٢: ١٧ــ١٨، ٤: ١٥، ٥: ١ــ٢). لم يكن الكلمة خيالاً لا يشعر ولا يحس بالآلام ، بل إن اللاهوت حل فى جسد يتألم . وبهذا فإن اللاهوت المترفع عن كل أحاسيس ومشاعر بشرية من حزن وألم وجوع وعطش وموت وفرح وابتهاج ..... الخ ذاق هو نفسه : الكلمة المتجسد ، كل هذه الإحساسات والمشاعر البشرية وغيرها ، من حلوها ومرها ، نجدها فى جسده الذى اتحد به اتحادًا « جوهريًا » حقيقيًا لا يعرف الفصل .

وهنا نلاحظ عمق فكر القديس كيرلس العقائدى من ناحية الوحدة والمشاركة . فعملية التجسد فى مفهومه ، ليست عملية تمثيلية ولا خيالية ، فالكلمة لم يسكن فى إنسان كما كان يسكن فى الأنبياء والرسل ، فعلاقته بالنبى أو الرسول ما هى إلا مجرد علاقة سكن ، علاقة صديق بصديق . أما عملية التجسد فهى تختلف تمامًا عن ذلك « الكلمة صار جسدًا » بمعنى أن الكلمة اتحد بالناسوت بالجسد اتحادًا قويًا عميقًا . الطبيعتان ، اللاهوت والناسوت إتحدتا معًا باتحاد جوهرى عضوى لدرجة أنه يصعب على الإنسان أن يميز بينهما إلا بالفكر . ولهذا السبب ، فإن الإله الذى لا يعرف الآلام تألم فعلاً فى جسده المتألم . وهنا تظهر معجزة التجسد ، وتظهر أيضًا معجزة ما يمكن أن أسميه « ... بكسر قوانين الإلهيات » . فإن معجزة التجسد ظهرت فعلاً فى الكلمة المتجسد فى يسوع المسيح ، عندما قَبِلَ فى محبته التى تفوق كل وصف وإدراك ، أن يتحد من لحظة الحمل ، بالإنسان يسوع ، ويصبح الاثنان واحدًا . فيتحمل ضعف وآلام الناسوت . إن معجزة التجسد ظهرت فى حقيقة أن الكلمة فى تجسده ، لم يظل الله العظيم السامى القوى المسيطر المتسلط المعبود،والخالق فحسب ، بل صار أيضًا إنسانًا ضعيفًا مخذولاً محتقرًا ليس له أين يسند رأسه (إش ٥٣: ١ــ١٢، لو ٩: ٥٨).

وبهذه العملية ، عملية التجسد ، صار الخالق لكل الأشياء والذى تخضع لأمره كل الخلائق ، خاضعًا لقوانين الطبيعة ونواميسها من فرح وآلام وابتهاج وحزن الخ ... فلقد اتحد بالجسد الذى أصبح جسده الشخصى بطريقة عميقة وقوية لا فصل فيها . وبناء على ذلك ، فإن الله الذى لا يعرف الآلام ، عرف هذه الآلام بطريقة حقيقية فى جسده الذى أخذه ، وبهذا فإن الإله الذى لا

يتألم ، كسر قوانين الإلهيات ، فأصبح فى جسده متألمًا ومشاركًا فى آلام الجسد حبًا فى الإنسان . هذه هى معجزة المحبة .

وقبل أن نترك هذه المشكلة الخاصة بآلام السيد فى مفهوم القديس كيرلس ، نود أن نلفت نظر الدارس إلى نقطة فى غاية الأهمية فى تعاليم معلم الإسكندرية وهى العقيدة المعروفة فى تاريخ الفكر المسيحى باسم «La Communication des idiomes» « توصيل خواص ومميزات كل طبيعة للأخرى » أو اشتراك كل طبيعة من الطبيعتين فى صفات ومميزات الطبيعة الأخرى.[١٠] إن القديس كيرلس يعنى بذلك أن الكلمة اللوغوس فى صيرورته جسدًا ، استطاع أن يمنح الجسد المائت والناسوت القابل للفناء الحياة لا بل أكثر من ذلك فإن اللاهوت يشترك مع الناسوت فى عمليات المجد والمعجزات ، فلم يصبح الناسوت جسدًا حيًا فقط بل جسدًا محييًا أيضًا . فكما أن اللاهوت يشترك أيضًا فى ضعف الناسوت ، وآلامه وحزنه وفرحه الخ ... فإن اللوغوس يشرك الناسوت فى مجده وعظمته وعمل المعجزات.[١١][*] ويلخص العالم « دى مانوار » النتائج المترتبة على عقيدة اشتراك الطبيعتين فى الصفات والمميزات فى النقاط الآتية :

١ ــ نسبة الأفعال والعواطف والآلام والممتلكات الخاصة باللاهوت والناسوت إلى الكلمة المتجسد (P. G. 76, 1353).

٢ ــ إن اللاهوت منح للناسوت مجد العمليات والمعجزات الإلهية ، وفى نفس الوقت فإن اللاهوت أخذ ما هو خاص بالجسد .

٣ ــ إن عملية الاشتراك فى الصفات والمميزات علامة على الوحدة العميقة بين الطبيعتين.[١٢] كان كيرلس متمسكًا بهذه العقيدة تمسكًا شديدًا جدًا ، لدرجة أنه يرجع فى كثير من تعاليمه إليها ولذلك فهو يقول فى الحرمان الرابع

---

(١٠) انظر كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ١٣٩

(١١) لدراسة موضوع الإشتراك فى الصفات والمميزات حسب مفهوم كيرلس راجع P. G. 77, 241; Adv. Nest. 2, 6; Epx. 4 (Ad. Nest. 2) Exp, 40, (Voir dans P. G. 77, 193; Schol. de incarn. 9; Bp; 46 (Ad Succens, 2; P. G. 77, 241, 75, 1292-1380; 76. 1353; Kelly 332-334; Du Manoir 142-150.

(*) إن كيرلس يعتقد أنه لا يجب تطبيق هذه القاعدة بطريقة مطلقة ، بل توجد حدود معينة فى استعمالها . فمع أن اللاهوت يشرك الناسوت فى مجده ، إلا أن اللاهوت ظل وسيظل الله الذى لا يحدث فى جوهره أى تغيير .

(12) Du Manoir 142-150; P. G. 75, 1380.

والسادس والحادى عشر من الحرمانات التى أرسلها لنسطوريوس . « ليكن محرومًا كل من يفرق بين الشخصين أو الجوهرين فى العبارات الواردة فى الكتابات الإنجيلية والرسولية أو فى أقوال القديسين فيما يختص بالمسيح أو فى أقواله هو نفسه فيعزون بعضها إليه كأنه إنسان منفصل عن كلمة الله وينسبون بعضها الآخر إلى كلمة الله الآب باعتبار أنها لا تليق إلا بالله » . ونجد عكس ذلك الحرمان فى الحرمانات التى نسبها البعض إلى نسطوريوس(*)

●حرمانه رقم ٤ « ليكن مبسلاً (محرومًا) كل من ينسب العبارات الواردة فى الأناجيل ورسائل الرسل المشيرة إلى طبيعتى المسيح إلى إحدى هاتين الطبيعتين فقط ، وكل من ينسب الألم إلى الكلمة الإلهى فى الجسد واللاهوت معًا .

●حرمان رقم ٦ ضد نسطوريوس « ليكن مبسلاً (محرومًا) كل من يتجاسر فيقول إن كلمة الله الآب هو إله المسيح أو رب المسيح ويأبى أن يعترف به هو نفسه إلهًا وانسانًا معًا حسب ما جاء فى الكتاب المقدس . والكلمة صار جسدًا .

●الحرمان رقم ٦ المنسوب لنسطوريوس ضد كيرلس « ليكن مبسلا كل من يتجاسر بعد التجسد أن يدعو أحدًا آخر غير المسيح الكلمة وكل من يتجاسر فيقول إن الخادم مساوٍ لكلمة الله لا ابتداء له وغير مخلوق . ولا يقول إنه قد أبدعه ربه وخالقه وإلهه الذى وعد بأن يقيمه من الموت بهذه الكلمات : « إهدموا هذا الهيكل فأبنيه فى ثلاثة أيام » .

●الحرمان رقم ١١ ضد نسطوريوس « ليكن مبسلاً (محرومًا) كل من لا يعترف أن جسد الرب يعطى الحياة وأنه يخص كلمة الآب ، بل يدَّعى أن هذا الجسد هو لشخص آخر متحد معه (أى مع الكلمة) بالكرامة فحسب ، وأنه قد اتخذ مسكنًا للاهوت ولا يعترف بالحرى كما نعترف نحن أن الجسد يعطى الحياة لأنه جسد الكلمة الذى يعطى الحياة للكل » .

(*) يعتقد البعض أن نسطوريوس قد أرسل بدوره إثنى عشر حرمانًا ضد كيرلس وتعاليمه وحرماناته . وحقيقة الأمر أن نسطوريوس لم يكتب هذه الحرمانات ضد كيرلس بل إن أحد أتباعه قام فى وقت متأخر بتأليف هذه الحرمانات التى نسبت فيما بعد إلى نسطوريوس . تاريخ الفكر ٢٢٦—٢٢٧
Tixeront 43, Loofs 211; Harnack 212-214; F. Hayward 39.

●الحرمان رقم ١١ ضد كيرلس « ليكن مبسلاً كل من يقول إن الجسد المتحد مع الله الكلمة ، هو بقوة طبيعته الخاصة يعطي الحياة فى حين أن الرب نفسه يقول « الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئًا » (يو ٦: ٦٤) فإذن ليكن محرومًا كل من يقول إن الله الكلمة بطريقة بشرية صار بجهوده جسدًا ويصر على هذا القول بالنسبة إلى الرب يسوع المسيح . وهو نفسه قال لتلاميذه بعد قيامته « جسونى وانظروا لأن الروح لا لحم له ولا عظم كما ترون لى » (لو ٢٤: ٣٩)[١٣](*)

إن الدارس المدقق لهذه الحرمانات لتعاليم القديس كيرلس وتعاليم نسطوريوس والأنطاكيين يلاحظ بلا عناء ، أن القديس كيرلس ينبر على وحدة الطبيعتين ، الوحدة القوية العميقة كما لو كان لا يتكلم إلا عن طبيعة واحدة . ولذلك اتهمه الأنطاكيون بأنه لا يؤمن إلا بوجود طبيعة واحدة . « طبيعة الكلمة المتجسد » أو على الأقل بأنه خلط الطبيعتين وأدمجهما دمجًا . ولذلك نادى نسطوريوس والأنطاكيون على عكس ذلك بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى . ونبروا هم أيضًا بدورهم فى تعاليمهم على التمييز بين الطبيعتين ورفض الكثيرون منهم فى بعض الأحيان عقيدة « توصيل مميزات وصفات كل طبيعة للأخرى » . فنسبوا ولادة وآلام وموت المسيح للطبيعة البشرية ، للناسوت ، كما نسبوا المعجزات والقيامة إلى اللاهوت . فإن اللاهوت كان ساكنًا فى ناسوت كامل .

كان كل من كيرلس ونسطوريوس متفقين على الأمور الجوهرية . كيرلس اعترف وعلّم بأن اللاهوت لم يتألم فى جوهره كإله ، ولكنه كان يتألم فى جسده : فى ناسوته ، لأنه أصبح فعلاً جسد الكلمة : مثل الروح والجسد فإن الروح لا تتألم لأنها لا تشعر بالآلام ، لكنها تتألم لأنها ساكنة فى جسد يشعر بالآلام . ويقبل كيرلس فكرة أن الكلمة لم يأخذ بدايته من مريم العذراء ولكن يمكن أن ندعو مريم

---

(١٣) لدراسة هذه الحرمانات بالتفصيل ارجع إلى

A Select Library of Nicene and Post Nicene Fathers of the Christian Church, Second series, Vol. 14, PP. 206-221; Tixeront 3, 39044; Kelly 334-340; Camelot Ephese 206-207; E. Amann, Rev. S. R., 237-238; D. T. C. 102-106; Bardy 173-176

(*) مجموعة الشرع الكنسى حنانيا الياس ٣٠٧ — ٣٢١ . كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ٢٢٠ — ٢٢٩

والدة الإله لأنها حملت الجنين الذى اتحد به الكلمة . والأنطاكيون ونسطوريوس علموا بأن الكلمة قد اتحد بالجنين ولكن لم تكن مريم هى مصدر وأصل الكلمة ، بل ولدت الجنين الذى اتحد به الكلمة . وأن هذا الكلمة بحسب مفهوم نسطوريوس غير قابل للآلام كإله .

ونبَّر نسطوريوس على عملية التمييز بين الناسوت واللاهوت ، بين اللوغوس وبين الإنسان يسوع . إن نسطوريوس لم ينكر اللاهوت ، بل علّم بأن اللوغوس حلّ بملء لاهوته منذ اللحظات الأولى فى بطن مريم العذراء ، وهى التى ولدت يسوع الناصرى الذى كان فيه الكلمة بملء لاهوته .

كيرلس من جانبه لم ينكر قط التمييز بين الطبيعتين ، لكنه عندما شدّد فى كلامه على وحدة الطبيعتين وحدة كاملة شاملة ، فَهِم الأنطاكيون من هذا التعليم أن كيرلس لا يؤمن إلا بوجود طبيعة واحدة ، أو على الأقل أنه خلط أو أدمج الطبيعتين . ولأجل هذا السبب حاول الأنطاكيون ونسطوريوس التمييز الواضح الصريح بين الطبيعتين فنبّروا بشدة على حقيقة الناسوت واللاهوت وأن كلاً منهما متميز تمامًا عن الآخر . فإن الذى تألم ليس اللاهوت بل الناسوت ؛ الذى مات ليس اللاهوت بل الناسوت . وعندئذ فهم كيرلس من هذا التعليم بأن نسطوريوس والأنطاكيين علموا بوجود مسيحين أو ابنين . ومن هنا بدأ سوء التفاهم العقائدى .

مما لاشك فيه أنه كانت توجد بعض الخلافات العقائدية حول شخصية الرب يسوع المسيح ، بين الأنطاكيين وبين الإسكندرية ، بين نسطوريوس وبين كيرلس . على أنه كان يمكن التغلب على هذه الخلافات لو أتيحت الفرصة لكل من كيرلس ونسطوريوس أن يتقابلا ويتناقشا معًا وجهًا لوجه . ولكن للأسف الشديد لم يحاولا أن يتقابلا أو يُتَاقِشا معًا هذه المشاكل العقائدية . إن نسطوريوس وصل إلى مجمع أفسس فى نهاية شهر مايو وكيرلس فى بداية شهر يونيو ، ومن المؤسف والمؤلم أن ظل الاثنان كل مع وفده الذى اصطحبه إلى يوم ٢٢ يونيو ، أى اليوم الذى بدأ فيه مجمع كيرلس اجتماعاته . ولم يحاول أحدهما خلال هذه الفترة التى سبقت الاجتماعات أخذ المبادرة لحوار عقائدى ودى لتسوية الأمور . بل ظل كل منهما بعيدًا عن الآخر ، دون عمل أى مجهود للمقابلة والنقاش . آه لو كانا قد تقابلا وتناقشا بطريقة هادئة منطقية

كتابية لطيفة فى روح الصلاة والتعبد أمام الله بتواضع ، ربما حلت المشكلة وزالت الخلافات والصراعات التى عانت منها الكنيسة لأجيال طويلة وما زلنا نعانى منها نحن حتى الآن .

الفصل الثانى عشر

مفهوم كيرلس لمشكلة تقدم يسوع المسيح في القامة والمعرفة

هل كان المسيح يتقدم فى المعرفة كما كان فى القامة ؟ وهل كان يعرف كل شيء ، الماضى والحاضر والمستقبل وحتى اليوم الأخير الذى يقول عنه « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الأب » (مر ١٣: ٣٢، متى ٢٤: ٣٦، أع ١: ٧، إش ١١: ٢) كيف فهم وشرح القديس كيرلس (مرقس ١٣: ٣٢) والنصوص الآتية أيضًا « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده » (متى ٢٤: ٦). « وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئًا حكمة وكانت نعمة الله عليه ، وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس ». « ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب » (إش ١١: ٢) « فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه » (أع ١: ٧)، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا فى شبه الناس » (فى ٢: ٦) « وقال لهم أين وضعتموه » (يو ١١: ٣٤).

أمام هذه الآيات وآيات كتابية أخرى سوف نعرضها فى سياق الحديث ، تعترضنا بعض الأسئلة ومنها : هل كان المسيح ينمو فى المعرفة العقلية كما كان ينمو نموًا جسديًا طبيعيًا ؟ وإذا كان المسيح يتقدم فى المعرفة كما كان ينمو جسديًا فهل يعنى هذا أنه كان يتعلم مثل كل البشر ؟ هل كان المسيح يجهل بعض الأشياء أم كان يعرف كل شيء ؟ وهل الأسئلة التى كان يسألها المسيح مثل أين وضعتموه ... فقال لهم كم رغيفًا عندكم ؟.. تدل على أن المسيح كان يجهل الجواب ويريد أن يعرف حقيقته ؟ كيف فهم وشرح القديس كيرلس هذه النصوص ؟ هل يقبل فكرة أن المسيح كان يجهل بعض الأشياء ؟ أو كان يعرف كل شيء ؟

أشرنا سلفًا إلى أن القديس كيرلس كان تلميذًا أمينًا ومخلصًا للقديس أثناسيوس ولذلك نعرض لكثير من المشاكل العقائدية التى حاول القديس أثناسيوس معالجتها والدفاع عنها .وعلى منواله حاول القديس كيرلس معالجة المشكلة الكرستولوجية (التعاليم الخاصة بشخص المسيح يسوع) فى كتابه الذى يدعى الكنز (Le Thesaurus) فى الفصول ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٨، يلاحظ الدارس أن هذه الفصول الأربعة مأخوذة من كتاب القديس أثناسيوس الذى يدعى « ضد أريوس » .[١]

فالقديس أثناسيوس يعالج مشكلة معرفة أو جهل المسيح باليوم الأخير فى كتابه ضد أريوس الجزء الثالث من ٤٢ ــ ٥٠ . والقديس كيرلس يعالج نفس المشكلة ويستعمل نفس الأسلوب والطريقة والحجج فى كتابه الكنز فى الفصل الثانى والعشرين . وفى الفصل الثالث والعشرين يتعرض كيرلس لشرح عقيدة المواهب التى منحها المسيح وهى نفس العقيدة التى شرحها أثناسيوس فى كتابه ٣: ٣٥ و٣٦ و٣٨ و٤١. وكما أن المعلم أثناسيوس قدم تفسيرًا لمشكلة آلام المسيح (ضد آريوس ٣: ٥٤ــ٥٧) فإن كيرلس يستعمل نفس الحجج التى رجع إليها أثناسيوس فى شرحه لهذه العقيدة . وكما أن القديس أثناسيوس شرح مشكلة تقدم المسيح فى القامة والحكمة فى (ضد آريوس ٥١ــ٥٣) فإن كيرلس عالج أيضًا فى كتابه الكنز فى الفصل الثامن والعشرين نفس المشكلة وبنفس الطريقة مستعملاً نفس البراهين الكتابية والمنطقية التى استعملها أثناسيوس .

من هذا يتضح أن كيرلس كان تلميذًا أمينًا للقديس أثناسيوس ولتعاليمه ، ليس فقط فيما يخص موضوع آلام وموت وعلم وجهل المسيح ، بل فى كل المواضيع التعليمية تقريبًا .

دعونا نرجع الآن إلى مشكلة تقدم المسيح فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لو ٢: ٥٢) ثم مشكلة علمه أو جهله باليوم الأخير .

١ ــ التقدم فى الحكمة والقامة :

كان كيرلس يحاول فى كل تعاليمه الكرستولوجية أن يقدم لنا مسيحًا واحدًا

(1) St. Athan, Contra Arianos 3

وسيدًا واحدًا وربًا واحدًا ، رافضًا الإزدواجية التى نادى بها نسطوريوس والأنطاكيون . ففى معالجته لمشكلة آلام المسيح يقدم مسيحًا واحدًا ، الكلمة الذى اتحد بجسد وكان يتألم فى جسده . ولقد اتبع نفس الطريقة فى شرحه لعقيدة تقدم المسيح فى الحكمة والقامة . من الذى كان ينمو فى الحكمة والقامة ، الناسوت أم اللاهوت ؟ أمام هذا السؤال انقسم العلماء ولكن بطريقة غير متساوية . الأغلبية الساحقة من العلماء مثل بروس (Bruce) والأب شوالم (Schwalm) وكذلك ر. ف. سلرس (R. V. Sellers) والعالم ريهرمان (Rehrman) والأب لبرتون (Lebreton) وأيضًا كل من ا. ميشيل (A. Michel) والأب دى مانوار (Du Manoir) ، هذه الأغلبية تعتقد بأن كيرلس علّم بأن النمو لم يكن إلا نموًا خارجيًا ظاهريًا منظورًا ، وليس نموًا داخليًا فى جوهر الكلمة.[٢] والعالم ريهرمان لا يقبل بأن كيرلس علّم بنمو حقيقى فى الكلمة أو الحكمة.[٣] وكذلك الأب لبرتون الذى يقدم تحليلاً دقيقًا للفصل الثامن والعشرين من كتاب الكنز الذى يتحدث فيه كيرلس عن نمو المسيح فى الحكمة والقامة ، ويمكننا أن نلخص نظريته فى الآتى : كان الكلمة اللوغوس الإلهى كاملاً ولا يحتاج إلى معرفة أو نمو فى المعرفة . كان يمكن للكلمة الإلهى إظهار هذا العلم من البداية وفى كل الفرص . لكن بسبب الناسوت ــ الجسد الذى سكن فيه الكلمة قَبِلَ اللوغوس أن يشترك فى عجزنا . وبناء على ذلك ، أراد إظهار ذكاءه للناس بطريقة متدرجة متطورة ومتفقة مع نموه الجسدى.[٤] أما العالم إدورد فيجل (Ed. Weigle) فيعتقد على العكس أن كيرلس علّم بنموه الداخلى ، وأن المسيح كان ينمو كل يوم ليس فقط فى القامة والمظهر الخارجى ، بل فى المعرفة الداخلية أيضًا.[٥] ويتفق مع هذا الرأى الأب ديارل (Le P. Dubarle) فهو يعتقد أن المسيح كإنسان كان يجهل بعض الأشياء وبناء على ذلك يجب قبول فكرة نموه فى الحكمة وفى الذكاء البشرى.[٦] هذا ما يقوله بعض العلماء عن مفهوم كيرلس لمشكلة نمو المسيح . ولكن ماذا يقول كيرلس نفسه ؟ لقد كتب فى رسالة إلى نسطوريوس ما يختص بهذا الموضوع قائلاً :

---

(2) Jacques Liebaert, Cyp.., d' Alex.., 135-150

(3) Rehrmann, 362-370

(4) Lebreton, 571-580,

(5) Ed. Weigl, Christologie von Tode des Athanasius, 120-122

(6) Le Pére Dubarle, 112-116.

« لو أنه أبان وهو طفل من الحكمة ما يليق به كإله ، لظهر للجميع كأنه كائن غريب شاذ عن الجميع . ولكنه كان يتدرج فى إظهار حكمته بالنسبة إلى تقدمه فى العمر بحسب الجسد . وهكذا أراد أن يظهر للكل كأنه هو نفسه كان يزداد حكمة بما يتلاءم مع سنه .. ففى تأكيدنا أن ربنا يسوع المسيح هو واحد ، وفى نسبتنا له خواص اللاهوت والناسوت نؤكد حقيقة أنه ملائم لقياسات تواضع المسيح حتى أنه قَبِل زيادة جسدية ونموًا فى الحكمة . فأعضاء الجسد كانت تصل بالتدريج إلى تمام بلوغها ، ومن جهة ثانية يظهر كأنه امتلأ حكمة بنسبة ظهور الحكمة الكامنة فيه كأنها تبرز بدرجة ملائمة لنمو الجسد ... فهو يعرف من جهة اللاهوت لأنه حكمة الآب ولكنه إذ أخضع نفسه إلى القياس الناسوتى اتخذ لنفسه بحسب التدبير ذلك القياس . ولم يكن كما قلت سابقًا يجهل شيئًا لكن يعلم كل شيء كما يعلم الآب.[٧] وفى كتابه الكنز الفصل الثامن والعشرون يقدم لنا المسيح كإنسان أو كطفل ينمو فعلاً فى القامة.[٨] أما تقدمه فى الحكمة والنعمة فإن هذا التقدم تقدم ظاهرى . وإن هذا النمو لا يقصد به نمو الكلمة اللوغوس ، بل يقصد به الناسوت . فإن اللوغوس لم يكن فى حاجة للحكمة أو النمو فيها ، لأنه هو حكمة الله ومنه تصدر كل حكمة . فإن التغيير لم يحدث فيه بل كان يحدث فى تقدير الناظرين إليه . المسيح كطفل وكشاب ، كان يظهر للناس دائمًا أكثر حكمة وأكثر فطنة . وفى حقيقة الأمر أنه لم يتغير ولكن الذين كانوا معجبين به ، كانوا يعتقدون فى كل مرة يرونه فيها أنه ازداد حكمة ونعمة . فكيرلس يعتقد أن التغيير أو التطور لم يحدث فى داخل المسيح بل فى تفكير الناظرين إليه ، كما أنه كان لا يسمح بظهور كل حكمته ولاهوته للناظرين للناسوت .[٩]

---

(٧) مجموعة الشرع الكنسى... حنانيا الياس كساب ٣١٤

(8) Thesaurus, Col. 421-425

(9) Thesaurus, Col. 428; Tixemont 76-79

لدراسة موضوع تقدم المسيح فى الحكمة والقامة حسب مفهوم القديس كيرلس ، إدرس المراجع الآتية :

Bruce, The Humiliation of Christ, R. V. Sellers, 50. 571-580; R. P. Dubarle; A. Michel; Dic. Theo. cat, Se Science de De. Col. 1636-1637; De Manoir; Tixeront, 3, 76-79, P. G. 76, Col. 1100; Adv; Orient, Col. 340; P. G. 76, Col. 1332; Adv., Nest; P. G. 76, Col. 153; Mahe; Dit. Theo. Cat. 2513-2514; St. Athanase Contra Aria, 3; G. Liebaert; Cyp... d' Alea; 135-150; Cypr, Thesaurus, Col. 421-430.

ولقد استخدم كيرلس نفس الحجج والأساليب التى استعملها قبله القديس أثناسيوس لإثبات أن الكلمة اللوغوس لم يجهل شيئًا وأنه لا يليق أن ننسب للكلمة ، للاهوت نموًا أو تقدمًا فى المعرفة . لأنه هو مصدر كل معرفة. ولكن بسبب اتحاده بالناسوت كان لاهوته يتألم فى جسده الذى هو قابل للآلام ، وكذلك فيما يخص موضوع المعرفة . لم يسمح بأن تظهر كل حكمته الإلهية فى جسد بشرى أمام البشر .

يعتقد كيرلس أن الكلمة أخذ فى تجسده ، وبسبب الإتحاد بالناسوت ، كل ما هو خاص بالناسوت من ميلاد ونمو وجهل ، وجوع، وعطش، وتعب وآلام من كل لون.[١٠] فيمكن إذن أن نقول عن الكلمة المتجسد ، الذى حبل به فى بطن مريم العذراء إنه كان ينمو فى القامة والحكمة ، كما أنه جاع وعطش ومات فى جسده وقام من الأموات . كما يمكن أن نقول أيضًا عن نفس الكلمة المتجسد إنه خالق لكل الأشياء ، وهو الذى يقوم بعمل المعجزات.[١١] فبحسب مفهوم القديس كيرلس أن المسيح شخص واحد وابن واحد ولا يمكن فصل الطبيعتين فيه فإن اللاهوت كان يوصل قدرته وعلمه للناسوت . فمع أن الناسوت كان يجهل بعض الأشياء فإن اللاهوت لم يكن يجهل شيئًا ، وكان يوصل إلى ناسوته ما كان يجهله الناسوت بالطبيعة ، من هذه النصوص ومن نصوص أخرى غيرها ، يتضح جليًا أن كيرلس لا يقبل إلا نموًا ظاهريًا وليس حقيقيًا فى معرفة المسيح الإله ، لأن الكلمة المتجسد ابن الله لا يجهل شيئًا . ولكنه تظاهر بالجهل بسبب الناسوت .

٢ ــ علم يسوع المسيح :

لقد درسنا فى الصفحات السابقة محاولة القديس كيرلس الإجابة عما إذا كان الكلمة المتجسد ينمو فى الحكمة والمعرفة كما كان ينمو الجسد ؟ ولقد عرفنا بأن كيرلس يعلم أن الذى كان ينمو هو الجسد : الناسوت وليس الكلمة ، الذى كان يتقدم فى القامة والحكمة ويتطور من طفل إلى شاب فرجل ، هو الناسوت ، لأن الكلمة المتجسد هو حكمة الله ولا حاجة له أن ينمو فى الحكمة وفى المعرفة لأنه هو نفسه حكمة الله وعِلمه .

---

(10) Adv; Theodoret, P. G. 75. Col. 440
(11) P. G.- 76; Col. 340. 380; 77, Col. 788

ومن هنا ننتقل إلى النقطة الثانية فيما يخص علم أو جهل المسيح فى مفهوم القديس كيرلس وهى : هل كان المسيح يعرف كل شيء ؟ وإن كان يعرف كل شيء كيف شرح القديس كيرلس بعض النصوص الكتابية مثل « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » (مر ١٣: ٣٢)

سبق أن رأينا فريقين من العلماء ، حاول كل منهما شرح تعاليم كيرلس لفكرة النمو فى الحكمة والقامة . فالبعض يعتقد أن كيرلس يؤمن بتقدم المسيح فى القامة وفى المعرفة وهؤلاء هم أقلية ، بينما الأغلبية الساحقة من هؤلاء العلماء ترى أن كيرلس لا يقبل فكرة أن المسيح كان ينمو فى المعرفة بل إن الذى كان ينمو ليس الكلمة بل الناسوت .

وعندما تعرّض هذان الفريقان من العلماء لشرح عقيدة كيرلس الخاصة بعلم أو جهل المسيح لليوم والساعة اتخذ كل منهما نفس الموقف : الأقلية ترى أن كيرلس علم بجهل المسيح لبعض الأمور ؛ على أن الأغلبية الساحقة من العلماء اعتقدت أنه لا يقبل بأى حال من الأحوال فكرة أن المسيح كان يجهل أى شيء لا فى الحاضر أو المستقبل ولا حتى اليوم الأخير .

قدم رئيس أساقفة الإسكندرية شرحًا مسهبًا لعقيدة علم أو جهل المسيح لبعض الأمور فى كتابه « الكنز » فى الفصل الثانى والعشرين وكذلك فى كتاب « الحوار » الفصل السادس كما أنه عالج أيضًا نفس المشكلة فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا . ولقد تعرض لشرح هذه العقيدة لأن أستاذه القديس أثناسيوس تعرض لها أيضًا . ونحن نعلم أن القديس أثناسيوس رفض تعاليم الأريوسيين التى نادت بأن المسيح ككلمة الله المُتَجَسد كان يجهل بعض الأشياء[١٢] ولكى نفهم أفكار كيرلس فى هذا الموضوع يجب أن نفهم أولاً تعاليم أثناسيوس .

إن القديس أثناسيوس لا يقبل فكرة أن المسيح كان يجهل ، بل يمكن أن يقال إنه تظاهر بالجهل . فإن كان المسيح قد سأل بعض الأسئلة التى تدل على جهل فإن هذا الجهل يمكن نسبته إلى الطبيعة البشرية إلى الناسوت . ففى

---

(12) Athanase Contra Arianos 3. 42-47.

كتابه المعنون « ضد الأريوسيين » (Contra Arianos) يقدم أثناسيوس شرحًا مطولاً يبيّن فيه أن هذا الجهل ما هو إلا جهل حسب الظاهر أو جهل لسبب لا نعرفه ولكى يؤيد هذه الفكرة فقد رجع إلى قول الرسول بولس (أفى الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم) (٢كو ١٢: ٢). ويقول أثناسيوس إن بولس كان يعلم ما حدث لكنه يقول عن نفسه إنه لا يعلم . كما أنه يرجع أيضًا إلى قصة إيليا وأليشع : فمع أن أليشع كان يعرف أن سيده سوف يرفع عنه اصطحب إيليا وتظاهر أمامه كما لو كان لا يعلم شيئًا عن ارتفاعه (٢مل ٢: ١ــ١٦) كما أنه رجع أيضًا إلى سؤال الله لآدم أين أنت (تك ٣: ٩)، ويقول إن الله كان يعرف جيدًا أين آدم وبالرغم من ذلك يسأل كما لو كان لا يعرف مكانه الذى اختبأ فيه.[١٣] إن هذا النوع من التساؤل ليس لمعرفة الحقيقة المجهولة ، بل هو تساؤل عن حق . أى أن السائل له الحق فى السؤال لغرض ما سواء لبدء المناقشة أو لقيادة الشخص الذى طرح عليه السؤال إلى فكرة معينة . عندما حاول كيرلس معالجة هذه المشكلة رجع إلى كتابات أثناسيوس[١٤] بل أخذ بعض النصوص كما هى من كتابه « ضد الأريوسيين » فهو يعتقد بأن الآب فى الابن ، وأن كل ما يملكه الآب هو ملك للابن أيضًا .

وبما أن الآب يعرف اليوم والساعة ، فالابن أيضًا يعرفهما . ويواصل شرحه بالقول إن الابن هو صورة كاملة للآب ومن رأى الابن رأى الآب . فإذا كان الآب يعرف اليوم والساعة وإذا كان الابن يجهلهما فكيف يمكن إذن أن ذاك الذى يجهل يكون صورة كاملة لذاك الذى يعلم كل شىء ؟ إن الابن هو صورة حقيقية وكاملة لله الآب : وبناء على ذلك فإنه يعرف كإله كل ما هو فى ذهن الله[١٥] فإن الكلمة اللوغوس يعرف كل شىء ولا يجهل شيئًا سواء فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل . فهو يعرف إذن الساعة واليوم كإله ، ولكن عندما يتكلم كإنسان يقول إنه لا يعرف .. فيجب إذن أن ننسب الجهل وعدم المعرفة إلى الناسوت ، والمعرفة للوغوس .[١٦]

إن القديس كيرلس يعتقد أن المسيح كان يعرف كل شىء ولا يجهل شيئًا

---

(13) Liebaert, Cyrille, 86-90; M. Richard;
(14) P. G. 26, 417 A. B.
(15) P. G. 75, 272 C. D.
(16) P. G. 72. 252 A

إلا كإنسان . ولكي يؤيد فكرة معرفة الكلمة المطلقة يرجع إلى بعض النصوص الكتابية والبراهين العقلية التى لم تذكر فى كتاب أثناسيوس ، ومنها .. « أيها الإله الأزلى البصير بالخفايا، العالم بكل شيء قبل أن يكون» (دانيال ١٣ : ٤٢).(*)

ويعتقد كيرلس أن هذا العدد يتكلم عن اللوغوس الذى يعرف كل شيء قبل أن يحدث . وبما أنه يعرف كل شيء فإن اليوم الأخير وما سيحدث فيه هو واحد من هذا الكل المعروف لديه . ولقد استعمل القديس ديديموس الأعمى نفس النص لكى يبرهن به على أن معرفة الابن شاملة لكل الأشياء وغير محدودة .

٢ ـــ يقدم كيرلس برهانًا آخر به يبين أن معرفة الابن مطلقة فيرجع إلى قول الرسول « وليست خليقة غير ظاهرة قدامه . بل كل شيء عريان ومكشوف لعينى ذاك الذى معه أمرنا » (عب ٤: ١٣) وينبِّر على حقيقة أن كل الأمور عارية ومكشوفة أمام « ذاك الذى له العينان اللتان تخترقان أستار الظلام » (أى ٢٦: ٦، ٣٤: ٢١، أم ١٥: ١١) فهو لا يجهل شيئًا بل يعرف كل شيء كإله .

٣ ـــ والحجة الثالثة التى يقدمها ليبرهن بها على معرفة الابن المطلقة هى : إذا كان الابن لا يجهل إلا يوم الدينونة فقط (.. اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد .. ولا الابن ...) فهو يعرف إذن الأيام الأخرى وكل ما يحدث فيها . فهو يعرف كل ما سيحدث قبل وبعد يوم الدينونة . وبما أنه يعرف اليوم السابق واليوم اللاحق لهذا اليوم ، فهو يعرف إذن يوم الدينونة ، فإن الذى يعرف مكان الرقم ٩ يعرف أنه بعد هذا الرقم يأتى الرقم ١٠ . وبناء على ذلك فالابن يعرف اليوم الأخير مثل الآب ، حتى وإن قال إنه لا يعرفه ، بسبب الناسوت.[17] ويواصل كيرلس شرحه لهذه المشكلة فى الجزء الثانى من الفصل الثانى والعشرين من كتاب الكنز . فهو يعتقد أن المخلص قد تظاهر بأنه لا يعرف بعض الأشياء ، التى كان يعرفها جيدًا . مثل القول (أين وضعتموه) (يو ١١: ٣٤) أو سؤاله لفيلبس « كم عندكم من الخبز » (مر ٦: ٣٨، يو ٦: ٥ـــ٦)، أو سؤاله لتلميذى يوحنا « فقال لهما ماذا تطلبان » (يو ١: ٣٨) « وتظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد » (لو ٢٤: ٢٨) ثم سؤال

(*) الأصحاح الثالث عشر نص أبو كريفى (غير قانونى) . مضاف إلى سفر دانيال

(17) P.G. 75. 375 A-380 B; J. Liebaert, St. Cyr. 90-95; C. A. 3. 43-50

الله لآدم « أين أنت » . ففى تفسيره للوقا ٢٤: ٢٨ يبيّن أن الغرض من هذا السؤال هو الدخول فى المناقشة ، فإن المسيح كإله كان يعرف جيدًا ما يدور بخلدهما ولكنه يطرح عليهما هذا السؤال الذى يدل فى ظاهره على أنه لا يعرف غرضهما لكى يبدأ به الحديث ولكى يقودهما إلى المعرفة الحقيقية .

وفى شرحه ليوحنا ١١: ٣٤ « أين وضعتموه » ، يؤكد كيرلس أن المسيح لا يسأل هذا السؤال عن جهل بل لكى يجذب الجمهور إلى المكان الذى سوف يجرى فيه المعجزة . وفى تفسيره لسؤال المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟» (متى ١٦: ١٣) يبين أن الغرض من هذا السؤال هو تقوية وتعميق إيمان التلاميذ فى شخصه وليس جهل المسيح لما يقوله الناس عنه.[١٨] إنه أراد أن يعرفهم حقيقة شخصه ابن الله الحى ؛ ولأجل هذا السبب يسأل هذا السؤال لكى يعلن لهم الحقيقة الجوهرية . ثم يتعرض كيرلس لسؤال التلاميذ للمسيح بعد القيامة عندما قال « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه » (أع ١: ٧) فهو يعتقد بأن الآب أعطى للابن كل السلطان أن يعرف كل شىء . فلقد كان فى سلطانه أيضًا أن يعرف اليوم الأخير . وهنا نرى أن قديسنا لا يتفق فى هذه النقطة مع أستاذه أثناسيوس ، لأن القديس أثناسيوس يعتقد أن المسيح لم يتكلم بعد القيامة كما كان يتكلم قبلها : فقبل القيامة كان يتكلم كإله وإنسان ، أما بعد القيامة فى جسد ممجد ، فهو يتكلم كإله . يرفض كيرلس هذا الرأى ويؤكد أن الكلمة المتجسد يعرف كل شىء قبل القيامة وبعدها . فلو كان المسيح يجهل يوم القيامة لقال لتلاميذه بطريقة واضحة وصريحة ، قد سبق أن قلت لكم إنى لا أعرف هذا اليوم . ويواصل كيرلس شرحه لهذه المشكلة مبينًا أن الغرض من كلام المسيح (أع ١: ٧) هو توبيخ التلاميذ على هذا السؤال الذى يعتبره سؤالاً فضوليًا وليس من حقهم أن يعرفوا ما ليس لهم أن يعرفوه .

حاول أيضًا القديس كيرلس أن يشرح مشكلة جهل المسيح الظاهرى بطريقة أخرى ، فهو يعتقد بأن الجهل الذى يتحدث عنه الإنجيل ، هو جهل لمن له الحق أن يتجاهل وليس جهل الحقيقة . وهو بهذه العبارة (جهل من له

---

(18) P. G. 75. 376 A-380 B; Liebaert St. Cyrille 89-90.

الحق أن يتجاهل وليس جهل الحقيقة). يقصد أن المسيح الكلمة المتجسد الذى يعرف كل شيء ، له الحق أو من حقه أن لا يظهر معرفته الحقيقية .

إن تعاليم كيرلس الخاصة بمشكلة علم أو جهل المسيح هى نفس التعاليم التى نادى بها فى موضوع آلام المسيح وموته ،.... الخ . فهو يحاول دائمًا أن يطبق قاعدة اشتراك الطبيعتين فى المميزات والخواص . فاللاهوت لا يتألم ولا يعرف النمو ، ولا الجهل ، ولكن بالرغم من ذلك فإن هذا اللاهوت الذى سكن فى ناسوته ، كان يتألم وينمو ويجهل فى جسده الذى يتألم وينمو ويجهل . كان اللاهوت يوصّل المعرفة والمجد إلى الناسوت الضعيف . لأن الاتحاد الذى تم بين اللاهوت والناسوت كان قويًا وعميقًا ، فهو اتحاد عضوى جوهرى لدرجة أن كل طبيعة من الطبيعتين ، كانت تشترك فى مجد وضعف الطبيعة الأخرى . وكان اللاهوت يوصل مجده وعظمته ومعرفته للناسوت .

كان القديس كيرلس يحرص كل الحرص على الوحدة بين الطبيعتين . فهو يرفض فكرة أن الناسوت وحده كان يجهل ويتألم ويموت ، وأن اللاهوت وحده كان يمجد ويعمل القوات ... الخ ، وبناء على ذلك فإن كيرلس يعتقد أن التحدث عن كل طبيعة منفردة منعزلة عن الأخرى هو تقسيم للمسيح الواحد . فعن طريق عملية تبادل الخواص والمميزات بين الطبيعتين المتحدتين باتحاد جوهرى عميق ، أصبح الناسوت الإنسان يسوع الذى من طبيعته الجهل أو عدم الإلمام بكل العلوم والأحداث المستقبلية والزمنية ، عارفًا ومدركًا ليس للأحداث الحاضرة والمستقبلية فقط ، بل كان يدرك ويعرف جيدًا أيضًا حتى أسرار الله نفسه . لأن الذى كان فى حضن الآب قبل تأسيس العالم ، جاء إلى أرضنا لكى يكون إنسانًا دون أن يتخلى ولو لحظة واحدة عن لاهوته . إذن كان اللاهوت يوصل علمه ومعرفته للناسوت الذى كان ساكنًا فيه . إن عملية اتحاد الطبيعتين ، عملية تفوق إدراك العقل البشرى ، ولا تُقبَل إلا بالإيمان . لأن هذا الأمر سر عجيب : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد ». ومن ذواتنا لا يمكن أن نقبل هذا السر إلا بالإيمان الذى هو عطية الله . فعلينا إذن أن نطلب بخضوع وإيمان قائلين : يارب زد إيماننا ، ساعدنا لكى نؤمن حتى نفهم .

بعض المراجع لدراسة مشكلة علم أو جهل المسيح ببعض الأمور :

St. Cyrille Le Thesaurus, P. G. 75. 376 A-38 O B.

St. Cyril Dialogue 6; P. G. 75. 272 CD; P. G. 72. 252 A;

St. Athanase Contra Arianos 3. 42-50. P. G. 26. 417 A. B.

G. Liebaert, La Doctrine Christologique de St. Cyrille d Alexandrie; Bruce, The Humiliation of Christ; RV Sellers, Two Ancient Christologieo.

A Study in the Christological Thought of the Schools of Alexandria and Antioch in the Early History of Christian Doctrine, Londre 1940.

Lebreton G., Les Origines du Dogma de La Trinité T. 2 nots sur L' ignorance du jour du jugement, p. 556-559... Michel, A., Jésus Christ;

Dict. de Theol. Cath. 8; col. 1259; Michel A. Science de Jésus Christ;

Dict. de. Theol. Cath; 14. Col. 1636-1645; Schwalm, Les Controverses dés Péres Grecs sur La science du Christ. Revue, Thomiste, 12, 1904. P. 12-47, 257-297; Tixeront G. Histoire des dogmes 2. 75-80; Dubarle A. M., L' ignorance du Christ dans St. Cyrille d' Alexandrie; Du Manoire, De Juaye, Dogme et spiritualité chez St. Cyrille d' Alexandrie; G. M. de Durand, O. P. Cyrille d' Alexandrie Deux Dialogues Christologiques 143-149; Mahe; Dict; Theol. Cath 2513-2514; A. Rohmann; M Richard;(Article); Ed Weigle; Schutte.

مجموعة الشرع الكنسي ... حنانيا الياس كساب ٣١٤

٣ ــ المسيح الشفيع . أو الوسيط بين الله والناس :

شدَّد القديس كيرلس كثيرًا فى تعاليمه الكرستولوجية (التعاليم الخاصة بشخص المسيح يسوع) على عملية التجسد « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » ... (١تى ٣: ١٦). ولم يمل تكرار أن عملية التجسد تعنى أن اللوغوس . (كلمة الله الحى)، قد تنازل فى محبته التى تفوق كل عقل وإدراك ، وتجسد فى بطن مريم العذراء ، متخذًا جسدًا كأجسادنا ... « والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا » (يو ١: ١٤، كو ١: ١٩، ٢: ٣ و١٠). فعن طريق عملية التجسد صار الكلمة واحدًا من الناس يشترك معهم فى أفراحهم وأحزانهم ، لأنه صار بالفعل حقيقة إنسانًا ، دون أن يتخلى لحظة واحدة عن لاهوته . فقد ظل كما كان قبل التجسد . إن الله لم يفرغ نفسه من اللاهوت ، فى صيرورته إنسانًا بل حل الكلمة بملء اللاهوت فى الناسوت. وهنا تمت فى الجسد عملية اتحاد اللاهوت بالناسوت أو اتحاد الله بالإنسان . وإذا سألنا القديس كيرلس عن ما الهدف من عملية التجسد ؟ ولماذا صار الله العظيم إنسانًا ؟ يقول لنا إن الهدف الأساسى الذى من أجله تجسد الكلمة وصار إنسانًا هو فداء أو خلاص الإنسان الخاطىء وتحريره بالتمام من الخطية وسيطرتها . لقد تجسد لكى يمنح الإنسان الخاطىء تبريرًا كاملاً ، « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله أبينا بربنا يسوع المسيح » (رو ٥: ١) . قبل التجسد كان العالم يعيش فى ثورة ضد الله قائلاً له « ابعد عنا ، وبمعرفة طرقك لا نسر » . لأن الإنسان كسّر الناموس والوصايا والعهود التى قطعها الله معه فأصبحت الفجوة بين الله والإنسان واسعة شاسعة بلا حدود . كان الإنسان يعيش فى شره وإثمه وخطيته ، ثم صمّ أذنيه حتى لا يسمع صوت الله المحب الذى يدعوه بطرق كثيرة متنوعة (عب ١: ١) . لقد قام الإنسان بحرب شعواء ضد الله الذى اعتبره عدوًا لدودًا . ولذلك صرخ أيوب قديمًا متمنيًا أن يجد مصالحًا يصالح الإنسان المتمرد مع الله ، فقال « ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا » . عندما وصل الإنسان إلى هذه الحالة من العداوة والابتعاد عن الله ، إذا بالله فى محبته التى لا تعرف حدودًا للتضحية ، يرسل فى ملء الزمان « ابنه مولودًا من امرأة ، مولودًا تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » (غلا ٤: ٤ــ٥).

إذن أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم لكى يخلص الإنسان ويحرره . وبموته على الصليب تمت عملية المصالحة بين الله البار ، والإنسان الخاطىء العاصى فى شخص الرب يسوع المسيح .

لقد مات المسيح على الصليب لكى يعيد السلام بين السماء والأرض : لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحدًا ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة . (أف ١: ١٤، غلا ٣: ٢٨، كو ١: ٢٢، ٢: ١٤ و٢٠). يشدد القديس كيرلس كثيرًا على أهمية عملية الفداء التى قام بها المسيح لكى يخلص الإنسان الخاطىء ويحرره من الخطية والإثم . وكما يرى القديس كيرلس فى المسيح المحرر من الخطية ، فهو يرى فيه أيضًا الشفيع .

الشفيع بين الله والإنسان :

فى حديثه عن شفاعة المسيح يقدم لنا معلم الإسكندرية العظيم بحثًا عقائديًا رائعًا . ويتخذ أساسًا لبحثه هذا قول القديس بولس « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع » ... (١تيمو ٢: ٥ــ٦، عب ٨: ٦، ٩: ١٥) . ففى شرحه لهذا النص يقول ما معناه ، إن كثيرين من الأنبياء قاموا بدور الشفاعة مثل إبراهيم ،وموسى ، وإرميا (تك ١٨: ٢٣ــ٣٣، إر ١٨: ٢٠) ، فلماذا يقول الرسول « يوجد وسيط واحد » ؟ فى مفهوم كيرلس أن وساطة المسيح تختلف تمامًا عن وساطة كل الأنبياء والقديسين ، فهو الوحيد الفريد الذى ينطبق عليه هذا القول « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح » . فإن كل الأنبياء والقديسين مهما بلغت درجة قداستهم فهم لا يمثلون إلا جانبًا واحدًا هو جانب الإنسان . أما المسيح فيقول عنه الرسول « إله واحد » . ويقول الرسول أيضًا : الإنسان يسوع ، فإن الكلمة اللوغوس صار جسدًا صار إنسانًا . وبصفته الله ــ إنسان : « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » ، أصبح يمثل الله من ناحية ويمثل الإنسان من ناحية أخرى.[١٩] وهنا يكرر كيرلس العقيدة العزيزة على قلبه وهى عقيدة اتحاد الطبيعتين . فإن الطبيعة الإلهية « اللوغوس »، اتحد بالناسوت .. بالإنسان

---

(19) P. G. 73. 429 BC

يسوع المسيح ، وبهذا الاتحاد وفيه أيضًا تمت عملية الفداء وأصبح المسيح الشفيع الوحيد الفريد بين الله القدوس البار ، وبين الإنسان الخاطىء الأثيم . فالمسيح هو الوسيط الذى عن طريقه يصل الناس إلى الله . فهو الذى يصالحنا مع الآب ، وهو أيضًا الذى ببره يستطيع أن يتقدم أمام الله القدوس متشفعًا فينا وفى ضعفاتنا[٢٠] (١يو ٢: ١ــ٢). والذى استطاع أيضًا أن يؤسس علاقة صداقة ومحبة عميقة بين الله والإنسان . إنه هو نفسه الله الذى أصبح إنسانًا ، فهو المحامى والمدافع عن الإنسان لدى الله وهو أيضًا المعلن والكاشف عن الله للإنسان.[٢١]

ويكرر كيرلس بلا ملل حقيقة أنه كان من الضرورى أن الذى يقوم بعملية الشفاعة يكون إلهًا وإنسانًا فى وقت واحد معًا ، فإن الإنسان الخاطىء لا يستطيع أن يساعد الإنسان الخاطىء لكى يصالحه مع الله . ولهذا السبب فقد صار الكلمة جسدًا ، إنسانًا حتى يستطيع أن يمد يده كإنسان ليمسك بيد الإنسان الخاطىء ويقوده إلى الله السامى العظيم : فالمسيح هو الفادى والمصالح والشفيع الوحيد الفريد[٢٢] الذى استطاع أن يقوم بعملية الفداء والمصالحة والشفاعة لأنه إله وإنسان فى نفس الوقت . فهو مساوٍ فى الجوهر لله لأنه جوهر الله ومساوٍ للإنسان فى الجوهر لأنه إنسان.[٢٣] وبهذا التعليم رفض كيرلس هرطقة الأريوسيين الذين لم يقبلوا مساواة جوهر الآب بجوهر الابن . فلقد علم أريوس وأتباعه بأن الابن ليس من جوهر الآب بل أقل منه فى المكانة والدرجة . ولكى يؤيدوا هذه الفكرة رجعوا إلى قول الرسول الذى نحن بصدده الآن « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح (١تى ٢: ٥) فلقد رأى الآريوسيون فى كلمة وسيط الشخص « الوسط » الذى ليس هو بالحقيقة إلهًا كاملاً أو إنسانًا كاملاً ، بل هو خليط من اللاهوت والناسوت . ففى عرفهم أن المسيح يحتل مكانة الوساطة أو الشفاعة لأنه مكون من عنصر إلهى ولكن ليس من نفس جوهر الله الآب ، كما أنه أيضًا يحتوى على عنصر بشرى ولكن هذا العنصر البشرى يخلو من الروح

(20) P. G. 68, 385, B-388 A
(21) De Ador. P. G. 68. 385 B; 280 A; 621 B
(22) De Ador 297 C, 653 AB; Glaph, P. G. 69, 329; Hom; Pasc; 1; P. G. 77, 425 A; J. Liebaert, St. Cyrille, 217-225.
(23) Thesaurus, 504 ABC

البشرية . وبناء على ذلك فإن المسيح هو الوسيط : بين اللاهوت وبين الناسوت . ثم اقتبسوا نصًا آخر من كتابات القديس بولس « ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح . وأما رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح هو الله » (١كو ١١: ٣)

ولقد فسر الأريوسيون هذه الآية بالطريقة الآتية (الرجل هو رأس المرأة لأنه من نفس طبيعتها ومن نفس جوهرها بالرغم من أنه « أسمى منها » وبنفس الطريقة فإن المسيح هو رأس الرجل لأنه من نفس طبيعة الإنسان . وتوجد صلة طبيعية بين « الرجل » ـــ الإنسان وبين الإنسان يسوع المسيح لأنه واحد من الكائنات المخلوقة . فهو مشابه للإنسان ، ولكن مشابهته للاهوت ما هى إلا منحة من لدن الآب الذى رفَّعه وأعطاه هذه الدرجة . إذ يعلم الأريوسيون أن المسيح وصل إلى درجة اللاهوت عن طريق تقواه وعن طريق تدخل الله فى رفعه . وبناء على ذلك يمكن القول بحسب مفهومهم إن المسيح إله ولكن ليس إلهًا بالطبيعة أو ليس إلهًا من نفس طبيعة الآب.[٢٤] ولقد عالج القديس كيرلس هذه المشكلة العقائدية فى كتابه « الكنز » الفصل الرابع عشر وفى الفصل الثانى والثلاثين ، وكذلك أيضًا فى كتابه « الحوار » عن الثالوث.[٢٥] فهو يرفض تفسير الأريوسيين لكورنثوس الأولى (١١: ٣) ويقدم تفسيرًا آخر فيقول ، إن الرجل هو رأس المرأة لأنها منه أخذت وشكلت على صورته ومن نفس طبيعته أيضًا . والمسيح هو رأس الرجل لأنه رأس الجنس البشرى كآدم الثانى للخليقة الجديدة . فهو باكورة الجنس الجديد الذى تقدس بالروح ، ولهذا فإن المسيح يُدعَى آدم الثانى . فالمسيح إذن من الناحية البشرية هو رأس هذا الجنس فهو شبيه بالإنسان بل هو إنسان كامل . وفى نفس الوقت شبيه أيضًا بالآب : الذى هو رأس المسيح : فإن كان الآب هو رأس المسيح فإن المسيح هو من ذات طبيعة الآب الذى هو رأسه . لأن المسيح متحد مع الآب باتحاد قوى . فهو والآب واحد ، فهو إذن ذات جوهر الآب.[٢٦] وفى شرحه لكلمة « وسيط » التى رأى فيها الأريوسيون سمو الآب على الابن وأن المسيح ما هو إلا شخص وسيط بين اللاهوت والناسوت ، يقدم لنا عدة نقاط .

---

(24) Thesaurus 852 cd
(25) Thesaurus 14, 32; Dial; 1, P.G. 75, 677 D 680 A; J. Liebaert St. Cyrille 220-224
(26) P.G. 853 B. C., J. Liebaert op. cit. 225-229.

١ ــ فهو يعتقد أن هذا الإصطلاح « وسيط » ، لا ينطبق على الكلمة أو على اللوغوس منفردًا أو منعزلاً عن الناسوت ، بل يجب أن يطبق على الكلمة أو « اللوغوس المتجسد » أى الإله العظيم الذى صار فى حالة أو هيئة العبد . فهو الله من ناحية وإنسان من ناحية أخرى .

٢ ــ ثم يذكر نقطة أخرى ، فهو يرى أن كلمة وسيط ، لا تشير إلى جوهر الابن من ناحية اللاهوت والناسوت فحسب ، بل تشير أيضًا وبطريقة خاصة إلى طاعة المسيح المطلقة لأبيه ، فهو الابن المتجسد الذى أطاع أباه طاعة كاملة حتى الموت لكى ينفذ إرادة الآب فى عملية الفداء .

٣ ــ وفى شرحه لعقيدة المسيح الوسيط ، يرى أمرًا آخر ، هو أن هذا الوسيط الجديد هو رئيس كهنة العهد الجديد الذى دخل قدس الأقداس بدمه لا لكى يكفر عن نفسه بل لكى يكفر عن خطايا البشرية كلها . فإنه قدم نفسه لله كرائحة طيبة تنبعث منها رائحة الطهارة والقداسة والطاعة الكاملة (عب ٨: ٩) فهو حمل الله الذى رفع خطية العالم ويكرر كيرلس مرارًا وتكرارًا حقيقة أن الوسيط الجديد ، وسيط العهد الجديد ، يختلف تمامًا عن كل الوسطاء والشفعاء . لأنه مساوٍ للآب فى جوهره وفى كيانه ، لأنه كلمة الله ، اللوغوس وفى نفس الوقت مساوٍ للإنسان فى جوهره وكيانه فهو إله حق وإنسان حق .

ومن هذا المنطلق يتعرض رئيس أساقفة الإسكندرية إلى نقطة أخرى وهى ، اشتراك الإنسان فى الطبيعة الإلهية . فهو يعتقد أن الغرض من عملية التجسد ليس فقط فداء الإنسان الخاطىء الأثيم ، وخلاصه من الخطية وسلطانها ، وتحريره من الخطية الأصلية التى ورثها من آدم[٢٧] فحسب ، بل إن الله يريد أيضًا أن يرفع الإنسان الخاطىء العاصى المتمرد إلى درجة ابن الله . بل ذهب كيرلس إلى أبعد من ذلك ، فهو يعتقد بأن عملية التجسد لم تنقذ الإنسان من الموت الأبدى والهلاك فقط ، بل إنه أصبح الآن شريكًا فى الطبيعة الإلهية (لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤، مر ١: ١٢ــ١٣، ٢كو ٣: ١٨، اف ٤: ٢٤، عب ١٢: ١٠) . فإن كان الكلمة فى تجسده قد مجَّد ناسوته ومنح له كل امتيازات اللاهوت ، فإن الله فى محبته العظيمة يشرك

---

(27) Glaph; P. G. 69, 16 cd, 28 B, 32 BC, 61 A

الإنسان فى طبيعته الإلهية . وقد سبق القديس أثناسيوس ، ونادى بهذه الفكرة معلّما أن الكلمة الذى اتحد بالناسوت كان يمجد هذا الناسوت ، ويدعو البشرية كلها لكى تصير إلى مثال مجد ناسوت المسيح(٢٨،٢٩) ولقد قبل كيرلس نفس العقيدة وعلّم بها(٣٠) إذ يقول : « ونحن الذين نشبه الكلمة الذى تجسد من أجلنا نُدعى أبناء الله.(٣١) ولقد كرر كيرلس هذا التعليم الخاص بصيرورة الإنسان إلهًا فى كثير من كتاباته(*) وخاصة فى تفسيره لإنجيل القديس يوحنا . ويواصل معلم الإسكندرية شرحه لفكرة تمجيد الإنسان ، مبينًا أن هذه العملية تعتبر نتيجة من النتائج العظيمة التى حصل عليها الإنسان بعد عملية التجسد . فهى عملية تبادل بين الله والإنسان . فإن اللوغوس الكلمة ، قبل فى فرط محبته التى تفوق كل إدراك ، أن يلبس ضعفنا ويشترك معنا فى ضعف الجسد لابسًا جسدًا . وبذلك جعلنا أبناءَ لله ، لا بل أهّلنا للاشتراك فى كمالاته وفى حياته الإلهية . فهو يقول « لقد صار الكلمة — ابن الله مثلنا لكى نصير نحن أيضًا مثله ... ونزل إلى الحضيض لكى يرفع إلى فوق من كان بالطبيعة فى الحضيض . فإن ذاك الذى كان بطبيعته سيدًا وابنًا ، قد صار عبدًا لكى يحول (محررًا) من كان بالطبيعة عبدًا إلى درجة ابن الله . وبما أنه صار إنسانًا مثلنا ، فذلك لكى نصير نحن أيضًا مثله ، وأقصد بذلك أبناء . فإنه تحمل فى ذاته ضعفنا وأعطى لنا كمالاته ....(٣٢)

ويواصل القديس كيرلس فى نفس الفصل الذى اقتبسناه ونقتبس منه بعض الفقرات ، شرحه لعملية تبادل الصفات : أو بالمعنى الأصح منح الشرف والامتياز العظيم للإنسان بأن يسمو إلى درجة ابن الله باتحاده مع الله . فهو يقول ما معناه : « نحن عبيد (بالطبيعة) ولقد تنازل (اللوغوس) لكى يكون عبدًا معنا . على أنه هو إله بالجوهر ونحن أيضًا آلهة ، لأنه هو الذى رفعنا بالنعمة نحن البشر . فهو (اللوغوس) ابن ونحن أيضًا أبناء ولكن بالتبنى ،

---

(28) Contra Arianos 1, 38; P. G. 26, 92 A

(29) Contra Arianos, 42, 100 A

(30) Thesaurus, P. G. 75, 334 A, 428 C, G. Liebaert St. Cyr. 230-233.

(*) بعض الأماكن التى ذكر فيها كيرلس أن الله دعى الإنسان أن يكون إلهًا

(31) Thesaurus 428 C. In Jo. P. G. 73, 464 A, Cl, 423, 2559, G. P. 74, 513 AB, 11, 695.

(32) Thesaurus 32 P. G. 75, 561 BC, 397 C; G. Liebaert. 5t Cyril, 230-235.

فإذا كنا أبناء فنحن أيضًا آلهة ولكن بالتبنى ، أما هو فابن بالطبيعة .(٣٣)

إن كيرلس كعادته رجع إلى أستاذه أثناسيوس مقتبسًا بعض النصوص من كتاباته لكى يؤيد هذه الفكرة التى سبق أن دافع عنها أثناسيوس .(٣٤)

فمع أن القديس كيرلس يعطى للإنسان المتجدد لقب ابن الله ، فإنه لم ينسَ قط الفرق الشاسع الواسع الذى لا يقاس بين نسبة الابن اللوغوس للآب ، أو أبوة الله للابن وبين أبوته لنا . فهو يعتقد بأن الإنسان المتجدد يحصل فعلاً على لقب ابن الله ولكن هذا الامتياز ما هو إلا عطية تمنح للإنسان المؤمن من قِبَل الله . فهو ابن لله ولكنه ابن بالتبنى.(٣٥) أما اللوغوس فهو كلمة الله أى ، الابن الحقيقى الذى كان فى حضن الآب وخرج من عنده . فهو من ذات جوهر الآب . اللوغوس هو الابن الطبيعى لله الآب .(٣٦)

وكيرلس يرى فى المسيحى هيكلاً للروح القدس أخًا ليسوع المسيح وابنًا لله. وبناء على ذلك فهو أسمى من أبناء إسرائيل . هو عضو فى الكنيسة الجديدة ، الشعب الجديد المختار (٣٧) والمسيح أسمى وأعظم من الأنبياء ، وأسمَى من يوحنا المعمدان الذى يُدعى أعظم بنى البشر .(٣٨)

---

(33) Thesaurus, P. G. 75. 561, CD
(34) St. Atha, Contra Arianos, 3; J. Liebaert St. Cyril, 229-233.
(35) In. Jo; P. G. 73, 153, Bcd; P. G. 89 A
(36) P. G. 75, 749; 561 cd; P. G. 68. 153, Bcd.
(37) Pig. 68, 488.
(38) P. G. 73, 757 A; 72, 400 A, Du Manoir, 300-425.

بعض المراجع لدراسة موضوعى الشفيع والتبنى فى عرف القديس كيرلس :

P. G. 73, 429, BC; 68. 385, B-388 A, De Ador, P. G. 68. 385 B; 280 A; 621 B; De Ador 297 C, 653 AB; Glaph; P. G. 69, 329; Hom. Pasc, 1, P. G. 77, 425 A, G. Liebaert Sy. Cyrille... 217-225; Thesaurus 504, ABC; Thesaurus 3. 852 cd, 1432 Dial, 1; P. G. 75, 677 D 680 A; P. G. 853 BC G. Liebaert 225-230, Glaph; PG 69. 16 cd, 28 B. 32 BC, 61 A, Contra Arianos, 1, 38. P.G. 26, 92 A; C. Ari, 42, 100 A; Thesaurus, P.G. 75, 334 A, 428 C, G. Liebaert St. Cyrille 230-233, Athan; Contra Arianos 3; Liebaert... 229-233; p. G. 73; 153 Bcd; P. G. 89 A; P. G. 749, 561 cd; P. G. 73. 757 A; 72, 4004. L. Boyer, L' incarnation et L' Eglise - Corps du Christ dans la Théologie de St. Athanase; Du Manoir De Guage, Dogme et spiritualité Chez St. Cyrille d' Alexandrie, Paris, 1944. L 8 Ganssens, Notre Filiatrou divine d' afrés St. Cyrille d'Alexandrie, Louvain, 1938, T. 15 P. 233-278; A. Michel, Jesus Christ, Dict. Theol. Cath 8, Paris, 1924, col. 1259; R. V. Sellers, Two Ancient Christologies. A Study..... W. G. Burghardt, The Image of God in Man According to Cyril and Alexandria, These, Washington (DC) 1957, G. L. Prestige, Father and Heretics... Londers 1948; G.L. Prestige, God in Patristic Thought, Londres 1952, Richard A. Norris, G. R. Sources of Early Christian... Thought, The Christological Controversy.

لقد احتل شخص الرب يسوع المسيح فى تعاليم القديس كيرلس مكانة لا تقارن ، فهو الكلمة المتجسد ، الله العظيم ، الذى حل بملء اللاهوت فى الناسوت من اللحظات الأولى للتجسد « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد ».

مفهوم القديس كيرلس لعقيدة الإفخارستيا (العشاء الربانى) :

مما لاشك فيه أنه لا يمكننا أن نعرض كل تعاليم القديس كيرلس لأنها محيط واسع عميق . ولذلك فإننا لا نتعرض إلا للتعاليم التى تتعلق بموضوع بحثنا ، وهو شخص الرب يسوع المسيح . وتعاليم القديس كيرلس الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ترتبط ارتباطًا وثيقًا وقويًا بتعاليمه الخاصة بالإفخارستيا . فما هو مفهومه للإفخارستيا ؟ ماذا نتناول فى الإفخارستيا : هل نأكل الخبز ونشرب الخمر أم هذين العنصرين يتحولان إلى دم المسيح وجسده ؟ وهل نأكل ونشرب معهما اللاهوت ؟

فإن كان كيرلس قد رفض تعاليم نسطوريوس الخاصة بشخص المسيح ، كما رفض أيضًا تعاليمه عن الإفخارستيا ، فإن رئيس أساقفة القسطنطينية علّم بحضور جسد المسيح بطريقة حقيقية وليس بطريقة حرفية رمزية فى الإفخارستيا . على أنه لا يرى فى هذه الفريضة ذبيحة إلهية . كما أنه رفض أيضًا عقيدة التحول (Transsubstantiation)، أى اختفاء الخبز والخمر وحلول جسد ودم المسيح بدلاً منهما . إلا أنه يقبل فكرة الحضور المزدوج (Consubstantiation) أو Impanation والمقصود من الحضور المزدوج هو وجود جسد المسيح وفى نفس الوقت وجود الخبز والخمر معًا . أى وجود هذه العناصر الثلاثة معًا : جسد المسيح حقيقة بالإضافة إلى الخبز والخمر .

ولقد رجع نسطوريوس إلى الفصول الكتابية التى تتكلم عن العشاء الربانى (١كو ١١: ٢٢ــ٢٩، مت ٢٦: ٢٦ــ٣٠، لو ٢٢: ١٤ــ٢٣) وفى الشذرات رقمى ١٤، ٢٠ يحاول شرح كلمات المسيح القائلة « من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه » (يو ٦: ٥٦). فهو يعتقد بأن هذه الآية تشير إلى الجسد وليس إلى اللاهوت . « لذلك فهو يتساءل قائلاً : « ماذا نأكل إذن ، هل نأكل اللاهوت أم الجسد ؟ ولنصغ إلى ما يقوله

المطوّب بولس « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » (١كو ١١: ٦) . ويواصل نسطوريوس شرحه بالقول : « فإن الرسول لا يقول كلما أكلتم من هذا اللاهوت ، بل من هذا الخبز ..... والرسول يكرر مرات عديدة بأننا نأكل الجسد وليس اللاهوت .... إن المسيح نفسه يتكلم عن جسده ولست أنا الذى « أضفت كلمة جسدى ».(٣٩) إن الجسد الذى يتكلم عنه نسطوريوس فى فريضة العشاء الربانى هو الناسوت وليس اللاهوت . رفض كيرلس تعاليم رئيس أساقفة القسطنطينية لأنه لا يقبل بأن نتحدث عن اللاهوت وعن الناسوت بعد الاتحاد كما لو كانا طبيعتين منفصلتين . فهو يعتقد أن الاتحاد الذى تمّ بين الطبيعتين اتحاد قوى جوهرى بدون انفصال ، وفى الوقت نفسه بدون اختلاط أو امتزاج . فإن اللاهوت أضفى ألوهيته على الناسوت وأشركه معه فى علمه وقدرته ومجده ، كما أن اللاهوت اشترك أيضًا فى ضعف الناسوت . ولذلك فالجسد الذى نشترك فيه هو جسد الكلمة وليس جسدًا عاديًا . ولقد كتب القديس كيرلس يقول « عندما نشترك فى الجسد المقدس ، جسد المسيح مخلصنا ، فإننا لا نشترك فى جسد عادى ، فإن السيد يقول : « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو ٦: ٥٣) . ويعلق كيرلس على هذه الآية بالقول : « لا تظنوا أن جسد ابن الإنسان هو جسد عادى مثلنا ، وإلا فكيف يمكن لجسد إنسان عادى أن يعطى حياة ؟ فإنه جسد ذاك الذى صار إنسانًا من أجلنا.(٤٠) وهنا نلاحظ نقطة الخلاف بين أسقف الإسكندرية وأسقف القسطنطينية . نسطوريوس يعتقد بوجود عنصرين مختلفين فى الإفخارستيا : الخبز والخمر ثم جسد الرب ولا يعتقد بأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد الرب أو إلى الناسوت ، بل أن جسد الرب موجود فعلاً وحرفًا فى الخبز والخمر . وأن الخبز والخمر يظلان خبزًا وخمرًا دون تحول أو تغيير وأن وجود جسد الرب فى الخبز والخمر لا يلاشى هذين العنصرين .

---

(39) Loofs 228; M. Gugie 252-255;

كتابنا تاريخ الفكر المسيحى المجلد الثانى ١٨٤ـ١٨٦

المصلح مارتن لوثر : حياته وتعاليمه ١٦٧ـ١٧٢

(40) Epist. Ad. Nestorium; P. G. T. 27, Col. 113; Gugie 258.

دكتور حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ١٨٥

وفى عقيدته أن كل ما يحدث هو عملية اتحاد الخبز والخمر بجسد الرب . وهكذا فإن حضور الرب فى الإفخارستيا بحسب مفهوم نسطوريوس عبارة عن اتحاد وليس عملية تحول أو تغيير ، كما هو الحال فى عملية التجسد ..... إن نظريته فى الإفخارستيا تتفق كثيرًا ونظرية مارتن لوثر المصلح الألمانى ، كما أن هذا الأخير يتفق مع نسطوريوس فى فكرة أن اللاهوت ليس ذبيحة بل إن اللاهوت هو الذى تقبل هذه الذبيحة المقدمة.(٤١) رفض كيرلس مفهوم نسطوريوس لأنه يعتقد أن الجسد المقدم فى الإفخارستيا هو الجسد الذى به اللاهوت الكلمة لأن اللاهوت لا ينفصل عن الناسوت ولذلك كتب يقول « لأنه هو الحياة حسب طبيعته كإله ، ولما اتحد بجسده جعله مانحًا للحياة كما قال هو نفسه أيضًا . « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه » . فلا يجوز أن نفكر أنه جسد إنسان مثلنا إذ كيف يمكن أن يكون إنسان مانحًا للحياة بحسب طبيعته الخاصة ؟ ولقد كتب (٤٢) فى الحرمان الحادى عشر يقول : «فليكن محرومًا كل من لا يعترف بأن جسد الرب يمنح الحياة ، وأنه جسد كلمة الله الآب نفسه .... ولا يقول بالحرى بأنه جسد محيى لأنه أصبح جسد الابن القادر أن يعطى حياة للجميع .(٤٣)

ولقد سأل بعض المتخصصين فى تعاليم القديس كيرلس السؤال الآتى : هل كان معلم الإسكندرية يعتقد ويعلم بأن الإفخارستيا هى فعلاً جسد يسوع التاريخى والكلمة معًا ، وهل هذا الحضور مادى أم روحى ؟ وبالرغم من وضوح القديس كيرلس فى هذا الموضوع ، فقد انقسم العلماء أمام هذا السؤال إلى فريقين : فكل من ى . ميشوف (E. Michauf) ثم ج . ستايتز (G. E. Steitz) وكذلك العالم الألمانى ادولف هرنك (A. Harnack) وأخيرًا لوفس (Loofs) يعتقد أن القديس كيرلس علّم بحضور المسيح الروحى وليس المادى فى الإفخارستيا مؤكدين أن الإشتراك فى الأفخارستيا لا يعنى التهام لحوم بشرية كما يقول كيرلس نفسه .

---

(٤١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . مارتن لوثر ١٠١ــ١٠٥، ١٦٧ــ١٧٢

(٤٢) رسالة القديس كيرلس إلى نسطوريوس P. G. 77, 105 ، مجموعة الشرع الكنسى ... حنانيا الياس كساب ٣٠٤ــ٣٠٥

(٤٣) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى الجزء الثانى ص ٢٢٢

أما الفريق الثانى وعلى رأسه كل من العالم بور (Baur) ثم ثوماثيوس (Thomasius) وكذلك باتيفول (Batiffol) فيعتقد أن رئيس أساقفة الإسكندرية كان يؤمن ويعلم بأن حضور المسيح فى الخبز والخمر حضور حقيقى بل إن الخبز والخمر يتحولان فعلاً وحرفًا إلى جسد المسيح وأن هذين العنصرين صارا فعلاً جسد اللوغوس.(٤٤) إننا نعتقد أن الرأى الأخير يتفق وتعاليم القديس كيرلس ، لأنه علّم كما سبقت الإشارة إلى ذلك بوحدة الطبيعتين وعدم انفصالهما . فإن اللوغوس مع الجسد موجودان أيضًا فى هذا الخبز والخمر اللذين تحولا إلى جسد المسيح الحقيقى .

وأن المسيح فى الإفخارستيا هو خبز الحياة لكل من يريد الحياة إذ قال هو نفسه « أنا خبز الحياة » . إن معلم الإسكندرية يعتقد بأن الاشتراك فى الإفخارستيا يمنح الحياة الأبدية لكل الذين يتناولون هذا الجسد المقدس ، فهو حياة وواهب الحياة.(٤٥) كما أن جسد المسيح طاهر ومطهر ويقدس أيضًا أجسادنا وأرواحنا.(٤٦) فالنفس البشرية التى تشترك فى الإفخارستيا تصبح نقية طاهرة لامعة كالفضة بعد صهرها.(٤٧) ويقول فى مكان آخر إن الإفخارستيا دواء يهب الصحة والشفاء الروحى للمريض.(٤٨) ويرى القديس كيرلس فى الإفخارستيا رمزًا وأداة للوحدة العميقة القوية مع المسيح ، « فإن الإفخارستيا تتحدنا به وتدمجنا فيه فنصير بها واحدًا فى المسيح . فكما تذوب قطعتان من الشمع ويختلط ذوبهما فى سائل واحد ؛(٤٩) وكما أن الخميرة تخترق العجين كله وتخمره فكذلك المسيح عندما يدخل إلى أعماق أعماقنا يغيرنا كلنا جزئيًا وكليًا .إن أصغر جزء من الإفخارستيا مهما كان صغيرًا فهو كاف لعملية التغيير هذه ... لأن سيدنا يسوع المسيح موجود فى هذا الجزء .(٥٠)

ويعلم كيرلس بأن اشتراك عدد كبير فى الإفخارستيا الواحدة لا يعنى أن المسيح الواحد قسم أو تعدد بتعدد المشتركين فيه.(٥١) ومع أن كيرلس يشترط فى المشترك أن يكون نقيًا تقيًا طاهرًا حتى يستطيع أن يشترك فى

---

(44) Hubert, Du Manoir 180-210
(45) P. G. 73, 560 D, 561.
(46) P.G. T. 73, Col. 481
(47) P. G. 68, 297 D;
(48) P.G. 68. 793 B
(49) P. G. T. 73, Col. 584;
(50) G. P. T. 73, Col. 584
(51) P. G. T. 74, Col. 660

الإفخارستيا ، إلا أنه يحث المؤمن على عدم الفشل والتراخى والتهاون فيهمل الاشتراك فى الإفخارستيا بسبب ضعفاته وأخطائه ، بل عليه أن يعزم فى قلبه على أن يعيش عيشة مسيحية تليق باشتراكه فى الإفخارستيا.(٥٢) كما يعتقد أيضًا بأن الإفخارستيا تمنح للمؤمن قوة للابتعاد عن الخطية، وقمع الجسد وقتل الشهوات وتساعده على النمو فى حياة القداسة .(٥٣)

الاشتراك فى الإفخارستيا يهب الإنسان كل هذه الامتيازات الروحية لأنها جسد الكلمة المتجسد ، فإن جسد الإنسان العادى ليس فى مقدوره أن يمنح للإنسان هذه الهبات.(٥٤) ويشدد معلم الإسكندرية على عقيدة الحضور الحقيقى والفعلى فى الإفخارستيا « إن جسد ودم يسوع المسيح موجودان فعلاً على المائدة فى كنائسنا لأن السيد قال بطريقة واضحة « هذا هو جسدى وهذا هو دمى » ولا يجب أن نعتبر هذا القول مجازيًا أو رمزيًا بل يجب علينا أن نعرف أن العناصر (الخبز والخمر) قد تحولت فعلاً إلى جسد ودم يسوع المسيح ، بقوة الله التى تفوق كل وصف .(٥٥)

ويعتقد معلم الاسكندرية بأن الإفخارستيا هى ذبيحة غير دموية(٥٦) يجب أن تمارس فى الكنائس الأرثوذكسية فقط وليس من حق الهراطقة ممارستها .(*)

من الاقتباسات السابقة يتضح جيدًا أن القديس كيرلس يعلم بأن حضور المسيح فى الخبز والخمر ليس فقط حضورًا مزدوجًا بل هو حضور بدلى ، بمعنى أن الخبز والخمر يتحولان فعلاً وحرفًا إلى جسد ودم يسوع المسيح وهى تقريبًا نفس العقيدة التى تنادى بها الكنيسة الكاثوليكية . وهو يشدد كثيرًا على فكرة أن المشترك يتناول فعلاً وحقيقة جسد الرب كله ، الجسد واللاهوت معًا ، لأنه لا يقبل عملية الفصل بين الطبيعتين . وبناء على ذلك فهو يعتقد أن الإفخارستيا لها قوة فعالة وعظيمة فى تغيير حياة الإنسان ، فهى طعام روحى وهى التى تمنح الحياة الأبدية للمشتركين فيها . إننا نتفق مع معلم الاسكندرية فى أن العشاء الربانى هو طعام روحى أعطاه السيد الرب ، وعلى المؤمن أن يتغذى به مع الإخوة المجتمعين حول مائدة الرب للاشتراك فيها وإعلان موت وقيامة الرب لأجلنا . ولكننا لا نتفق مع معلم الاسكندرية فى موضوع أن

---

(52) P. G. T. 73 Col. 584
(53) P. G. T. 73, Col. 793
(54) P. G. T. 73, Col. 601.
(55) P. G. T. 72, Col. 452, 912.
(56) P. G. 72, Col. 297. 905.

(*) ربما يقصد القديس كيرلس بالهراطقة جماعة الأريوسيين الذين قاومهم ورفض تعاليمهم .

الإفخارستيا تمنح الحياة الأبدية ، وأننا نتناول لكى نخلص بها من الموت . وهنا يقدم القديس كيرلس المائدة كأداة أو كوسيلة عن طريقها نحصل على الحياة الأبدية . وفى حقيقة الأمر أننا لا نحصل على الحياة الأبدية باشتراكنا فى الإفخارستيا أو العشاء الربانى ، بل نحصل على الحياة الأبدية عند قبولنا لشخص الرب يسوع كمخلص وفاد . وعند قبولنا للرب كمخلص واعترافنا بسيادته المطلقة على حياتنا وتصرفاتنا ، نخلص به ، عندئذ يمكننا التقدم والاشتراك فى الإفخارستيا . فإننا لا نشترك لكى نخلص وننال الحياة الأبدية عن طريق الإفخارستيا ، بل نشترك فى الإفخارستيا لأننا حصلنا فعلاً فى شخص الرب يسوع المسيح وبه ، على الحياة الأبدية . وهناك نقطة أخرى يجب أن يتنبه لها القارىء ، وهى فاعلية فريضة العشاء الربانى . إن فاعلية الاشتراك فى الإفخارستيا لا تتوقف على الإفخارستيا نفسها ، بل على المشترك وعلى الإيمان الذى يمنحه الرب للمشترك . إن الاشتراك فى المائدة يصبح فعلاً طعامًا مغذيًا ولذيذًا وتعزية للمؤمن ، عندما يقترب المؤمن بإيمان وخضوع للاشتراك فى المائدة والتغذى روحيًا بكلمة الله . ففاعلية الإفخارستيا لا تتوقف إذًا ، على الاشتراك فيها ، بل تتوقف على حال المشترك فيها وإيمانه . على أية حالٍ ، لا نريد أن نسهب فى هذا الموضوع الذى سبق أن عالجناه فى كتب أخرى ، فعلى الدارس الكريم الذى يريد أن يعرف رأينا الشخصى بتوسع فى هذا الموضوع التكرم بالرجوع إلى ما كتبناه سابقًا .(*)

(*) ١ — الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الأول ٣٢٥—٣٣٧

٢ — الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الثانى ١٨٤—١٨٦

٣ — الدكتور القس حنا جرجس الخضرى ، المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه ١٦٧ — ١٧٢

٤ — الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . المصلح الفرنسى جون كلفن حياته وتعاليمه الجزء الأخير من هذا الكتاب .

لدراسة هذا الموضوع الخاص بالعشاء الربانى الرجا دراسة المراجع التى اقتبسناها أعلاه من كتابات القديس كيرلس ثم المراجع الآتية أيضًا :

Kelly, Early Christian Doctrine, P. 452-454;
G. Tixeront, 239-247; P. Batiffol, P. 275-280;
J. Lebreton, Le dogme de la Transsubstantiation et la théologie du 5e. siécle, dans les Etudes, T. 118 (1908) p. 477;
F. Cayre, A.A. T. 2. P 38-39; Du ,Manoire 185-210;
Mahe Dict. Theo Cath. 2520-2521; J. Mahe, L' Eucharistie d' aprés St. Cyrille d' Alex; dans la Revue d' histoire eccl..,
Oct. 1909, P. 677; Baur; Thomasius; E. Michauf; G. E. Steitz, Loofs; Ad. Harnack.

- عوض سمعان: الكهنوت ص ٣٧١ — ٣٨٨
- مجموعة الشرع الكنسى .... حنانيا الياس كساب ٣٠٤ — ٣٠٥
- كتبنا التى ذكرت سابقًا .

٥ ـــ تعاليم القديس كيرلس المريمية :

ما هو مفهوم معلم الإسكندرية لعقيدة منح لقب والدة الإله للقديسة مريم ؟ كيف فهم وشرح هذه العقيدة ؟ وما هو الاختلاف بين تعاليمه وتعاليم نسطوريوس الذى فضل أن يستعمل كلمة أم المسيح بدلاً من عبارة والدة الإله ؟ وما هو الاصطلاح الذى تفضل الكنائس الإنجيلية ، البروتستانتية استعماله ؟ هل تفضل استعمال عبارة والدة الإله أو عبارة أم يسوع المسيح أو عبارة أم المسيح ؟ وهل يوجد خطر عقائدى فى استعمالنا أو عدم استعمالنا للقب والدة الإله للقديسة مريم ؟

سوف نحاول بنعمة الله فى هذا الفصل الإجابة على هذه الأسئلة وعلى أسئلة أخرى متعلقة بموضوع التعاليم المريمية . إن الدارس المدقق لتعاليم القديس كيرلس الخاصة بمنح لقب والدة الإله للقديسة مريم ، يلاحظ أن معلم الإسكندرية لم يستعمل قط هذا اللقب قبل سنة ٤٢٨ . فالقديس كيرلس لم يستعمل عبارة والدة الإله فى كتاباته التى ألفها قبل سنة ٤٢٨ أى قبل النزاع النسطورى حول شخصية الرب يسوع المسيح.[٥٧] ففى هذه الفترة السابقة للنزاع النسطورى كان رئيس أساقفة الإسكندرية يستعمل عبارة « وُلِدَ من القديسة العذراء بحسب الجسد ، وأن الكلمة نزل من السماء.»[٥٨] ويرجع عدم استخدامه لعبارة والدة الإله فى هذه الفترة ، إلى حقيقة أن كيرلس كان مشغولاً فى معالجة مواضيع عقائدية أخرى ، وهى مقاومته للتعاليم الأُريوسية . فلقد ظهرت عبارة والدة الإله لأول مرة فى رسالته العقائدية الطويلة التى كتبها لرهبانه فى الصحراء فى سنة ٤٢٨ ، والتى يقول فيها بأن مريم جديرة بلقب والدة الإله وأن هذا اللقب معترف به وقبله آباء الكنيسة ، والذين لا يقبلونه ولا يستعملونه يظهرون جهلهم العقائدى ، لا بل ينادون بتعاليم مشكوك فى أرثوذكسيتها .[٥٩](*)

---

(57) J. Liebaert, L' evolution de la Christologie de St. Cyrille d' Alex.... Melange de Sci...; Reli... Revue 27 e année No. 1, Avril 1970, P. 27-30.

(58) J. Liebraeι, ibid, 29-31; P. G. 77, 569 C.

(59) E. Amann, Dict. Theo. Cath. 95-96.

الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الثانى ٢٠٣

(*) لدراسة هذا الموضوع بتوسع ومفهوم نسطوريوس لعقيدة والدة الإله ، الرجا الرجوع إلى كتابنا تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ١٦٠ـــ١٦٨، ٢٠٣ـــ٢٠٨

لقد كتب كيرلس هذه الرسالة لكى يرفض بها تعاليم نسطوريوس دون أن يذكر اسم رئيس أساقفة القسطنطينية فيها . وفى حقيقة الأمر لم يكن نسطوريوس أول من نادى بعدم قبول لقب والدة الإله لمريم ، أو عدم استعماله دون الشرح الكافى . فإن ديودوريوس الطرسوسى وهو معلم ثيودوريوس المبوسبستى رفض استعمال عبارة والدة الإله . وجاء بعده ديودوريوس تلميذ ثيودوزيوس واتخذ طريقًا وسطًا . فعلم بأن القديسة مريم هى أم الإنسان يسوع الناصرى ، ابن داود من ناحية الجسد ، وهى أيضًا والدة الإله ، لأن الكلمة كان يسكن فى هذا الإنسان الذى ولدته . ولقد علّم نسطوريوس بنفس التعليم الذى علم به ثيودوريوس المبوسبستى فقبل لقب والدة الإله ، شريطة أن يشرح جيدًا بأنها أم الكلمة بسبب الإتحاد ، وأنها لم تلد الكلمة بل يمكن أن نسميها والدة الإله ، لأنها استقبلت(*) الكلمة ، اللوغوس فى بطنها الذى حلّ جنينًا فيه.[٦٠] على أنه (نسطوريوس) يفضل استعمال اصطلاح أم المسيح (Χριστοτόκος كريستوتوكـــــوس) أو المستقبلــــــة لله (Θεο δόχος ثيودوكوس) بدل عبارة والدة الإله.[٦١] رفض نسطوريوس استعمال هذا اللقب لمريم إذا لم يحط بالشرح الواف الكافى لأنه كان يخشى الخلط بين الطبيعتين الطبيعة الإلهية الكلمة الأزلى المولود من الآب قبل كل الدهور ، والذى لا بداية لوجوده ، لأنه موجود منذ وجود الآب ، والطبيعة البشرية أو الناسوت الذى حلّ فيه الكلمة منذ لحظات الحمل . كان نسطوريوس يريد التمييز بين الاثنين وليس فصلهما أو عزلهما أو إنكار لاهوت المسيح كما اعتقد البعض ذلك . لقد فهم البعض أن نسطوريوس يرفض لاهوت المسيح برفضه لقب والدة الإله لمريم . وهذا ما فهمه كيرلس أيضًا ولذلك قام بثورة عنيفة شعواء ضد رئيس أساقفة القسطنطينية وضد تعاليمه . وهنا تظهر من جديد مشكلة التمييز بين الطبيعتين أو خلط الطبيعتين . نسطوريوس اعتبر أن المناداة بأمومة مريم لله يعنى خلط اللاهوت بالناسوت ، ولذلك يجب توضيح أن مريم لم تلد الله بل ولدت الجنين الذى كان يحمل فيه منذ لحظات الميلاد الكلمة ، اللاهوت . وإن هذا اللاهوت لم يأخذ بدايته وكيانه من مريم

(*) يفضل نسطوريوس الاصطلاح استقبلت بدل ولدت .

(٦٠) انظر كتابنا تاريخ الفكر المسيحى المجلد الثانى ٨٦ــ٨٧، ١٦٠ــ١٦٨، ٢٠٣ــ٢٠٨

(61) F. Cayre A. A. 36-37

بل من الآب ، فقبل أن تكون مريم كان الكلمة من البدء ، والكلمة كان عند الله . وأما كيرلس فكان يخشى كثيرًا أن تقود عملية التمييز بين الطبيعتين أو بين والدة الإله أو أم يسوع إلى الازدواجية أى وجود ابنين ومسيحين فى الأقنوم الواحد . وبناء على ذلك فإن كيرلس قد نبّر بشدة على أن مريم هى والدة الإله ، ولا يعنى ذلك أن مريم هى مصدر وأصل الكلمة بل هى أم ذاك الذى حلّ فيه الكلمة .

إن كيرلس يرفض بشدة وإصرار فكرة أن الكلمة أخذ أصله أو وجوده من العذراء مريم . ولذلك فقد كتب إلى نسطوريوس يقول : « ولذلك فالذى وُجِدَ قبل كل الدهور ووُلِدَ من الآب قِيلَ عنه إنه ولد بحسب الجسد من امرأة دون أن تعنى هذه الولادة أن طبيعته الإلهية قد أخذت بداءة وجودها من العذراء القديسة ، لأن هذه الطبيعة لم تكن بحاجة إلى ولادة ثانية بعد ولادتها من الآب لأنه من الجهل والحماقة أن يقال إن الذى كان قبل الدهور والمساوى فى الأزلية للآب احتاج وجوده إلى بداية ثانية . ولكن لأجل خلاصنا قد اتخذ جسدًا بشريًا وولد من امرأة لهذا السبب قيل عنه إنه ولد من امرأة وإنه ولد بحسب الجسد ، لأنه لم يكن قد ولد فى السابق انسانًا بسيطًا من العذراء مريم القديسة وإذ ذاك نزل الكلمة وحلّ فيه . على أن الإتحاد أو الحلول حدث وهو فى الرحم ..... وهكذا اعتقد الآباء القديسون . ولذلك تجرأوا أن يدعوا العذراء القديسة والدة الإله ، ليس لأن طبيعة الكلمة لم يأخذ بدايته من العذراء القديسة ، بل لأنه منها ولد الجسد المقدس بنفس عاقلة ، وهو الجسد الذى اتحد به شخصيًا الكلمة الذى قيل عنه إنه ولد بحسب الجسد .[٦٢]

من هذه الرسالة ومن كتاباته الأخرى العديدة[*] يتضح جيدًا أن القديس كيرلس يتمسك كثيرًا بلقب والدة الإله للقديسة مريم . وكما سلفت الإشارة ،

---

(62) P. G. 77, 117 D; Ep. 17, 11, Quasten 208-210; H. Du Manoir, Dogme et spiritualité 257-286; G. Jouassard, Marie à Travers La patristique Maternité divine Virginité, Sainteté, un: H. Du Manoir, Maria, Vol. 1, 69-158.

مجموعة الشرع الكنسى . حنانيا الياس كساب ٢٩٦ــ٢٩٧

(*) كتب كيرلس عدة أبحاث عن منح لقب والدة الإله لمريم انظر

Tixeront T. 3. 71-73;

P. G. 77 Col. 93, P. G. 77, Col. 2

فلا يعنى هذا اعتقاده بأن الكلمة أخذ أصله ووجوده من العذراء ، فها هو يقول : إنه من الحماقة والجهل أن يقال هذا عن الكلمة بل بالحرى لأن العذراء قد حملت فى أحشائها الكلمة الذى حلّ فى جنينها فيمكن أن تدعى والدة الإله .

فإن كيرلس يعترف بطريقة واضحة وصريحة بأن لقب والدة الإله، مُنح لمريم بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت فى بطنها . فهى لم تكن مصدر اللاهوت ، بل حملت الجنين الذى كان فيه اللاهوت . لنتذكر أن نسطوريوس علّم بإمكان دعوة مريم والدة الإله ، إذا شرحنا أنها أم ذاك الذى حلّ فيه اللوغوس . كان نسطوريوس يريد التمييز بين المولود من الآب قبل كل الدهور والمولود من العذراء فى أرضنا . أما كيرلس فلم يكن يريد التمييز خوفًا من الفصل . ولذلك رأى أن رفض لقب والدة الإله ، لمريم يعتبر هدمًا لسر التجسد .(٦٣)

ويعتقد كيرلس أن لقب والدة الإله (ثيوتوكوس) هو اللقب الخاص الذى يليق بمريم .إسمعه يقول : « فإن لم تكن مريم هى والدة الإله فلا داعى أن نلقبها بلقب أم المسيح ، أو التى استقبلت الله ، أو أم الإنسان كما يعلم بذلك نسطوريوس . فإن هذه الألقاب يمكن أن تمنح لأمهات أخريات لم يلدن المسيح.(٦٤) فما أنها ولدت المسيح بالجسد وبما أن الكلمة كان فى المسيح فهى إذن والدة الإله .

ولكى يشرح عقيدة منح لقب والدة الإله لمريم يقول : إن الأم لا تلد إلا الجسد والله يمنح الروح ، ومع ذلك فإننا لا نقول بأن الأم لم تلد إلا الجسد بل نقول ولدت الإنسان ، ونقصد من ذلك الإنسان كله روحًا وجسدًا.(٦٥) فكما أننا ندعو الأم أمًا للإنسان كله روحًا وجسدًا لأنها ولدت الإنسان كله ، فيجب إذن أن ندعو مريم أُمًا للكلمة . فهى حسب مفهوم القديس كيرلس جديرة بلقب والدة الإله .(٦٦)

---

(63) P. G. T. 76, Col. 24

(64) P. G. ; T. 76, Col. 265; G. P. 77, Col. 68; P. G. 77, Col. 20, 276.

(65) P. G. 76, 57 AB; Du Manoir 264-267; J. Liebaert. Melange Revue, Avril 1970 (SC. Rel....), P. 36-42.

(66) P. G. 77, 777, 77, 13 B; Du Manoir 266-270.

ويعترف معلم الإسكندرية بالصعوبات التى تعترض طريق من يريد التمسك بمنح هذا اللقب لمريم . ومن ضمن هذه الاعترافات أن هذا اللقب لم يذكر صراحة لا فى الكتاب المقدس ولا فى قانون الرسل النيقوى . ومع ذلك فقد حاول الرجوع إلى الكتاب المقدس باقتباسه لقول أليصابات « فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ » (مر ١: ٤٣) وفى شرحه « الكلمة صار جسدًا » يبين بأن الكلمة حلّ فى بطن القديسة مريم العذراء وهى التى ولدت الكلمة الذى كان فى أحشائها .

وبناء على ذلك فهى تدعى والدة الإله . وفى حديثه عن عملية التجسد التى تمّت فى بطن مريم العذراء ، يؤكد أن هذه العملية ـــ (التجسد) ـــ تمّت فى رحم العذراء مريم منذ اللحظات الأولى للتجسد . بل إن القديس كيرلس ذهب أبعد من ذلك فى حديثه عن التجسد فحدد بأن يوم التجسد كان يوم الجمعة ، وأن يوم الجمعة هو أيضًا يوم موت المسيح .[٦٧]

وفى رده على الاعتراض الخاص بأن هذا اللقب لم يذكر فى قانون الإيمان النيقوى ، يقول بأن هذه المشكلة لم تكن مطروحة بعد على المجمع وأن هذا المجمع قَبِل أن الابن هو من جوهر الآب وبما أن الابن وُلِد حسب الجسد من العذراء فهى إذن والدة الإله.[٦٨] ويعترف كيرلس بأن قانون إيمان نيقية لم يتحدث بطريقة واضحة عن هذه العقيدة ، ولكن بعض الآباء منحوا هذا اللقب لمريم وهذا صحيح ، فإن مدرسة الإسكندرية وبعض الآباء لقبوا مريم بوالدة الإله . ألم يقدم أوريجانوس معلم الإسكندرية شرحًا وافيًا عن لقب والدة الإله فى تفسيره لرسالة بولس لأهل رومية؟.[٦٩] كما أن الكسندروس رئيس أساقفة الإسكندرية كان يستخدم هذا اللقب بطريقة عادية ، بل إن غريغوريوس النزنيزى جرم كل من لا يدعو مريم والدة الإله .[٧٠]

إن كيرلس يرجع كعادته إلى أستاذه القديس أثناسيوس الذى استعمل هو أيضًا هذا اللقب للقديسة مريم.[٧١] وكما شرح قديسنا المصرى تعليمه بخصوص

---

(67) P. G. 77. 384 A; Du Manoir, 263-266.

(68) P. G. 77, Col. 64; Dict. Theol. Cath. Mahe, 2515-2516. J. Liebaert 35-39.

(٦٩) د . القس حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى المجلد الثانى ١٦٨

(70) Bardy, 170; Sozomene. Hist. Eccl; 7.32; Quacten 3. 208-210

(71) Contra Arianos 3. 29-33.

لقب والدة الإله لمريم ، فقد تعرض لمشكلة أخرى هى :

عذراوية مريم :

كما أن رئيس أساقفة الإسكندرية تمسك بشدة بلقب والدة الإله لمريم ، فقد تمسك بأكثر شدة بفكرة عذراوية القديسة مريم . وفى وصفه لأم المسيح دعاها بكلية الطهارة والقداسة،(٧٢) فإن المسيح وُلِدَ من أصل نقى طاهر(٧٣) وإن العذراء حبلت بطريقة معجزية وبقوة الروح القدس(٧٤) وأن يوسف لم يكن إلا الأب المتبنى لابن الله . ويواصل كيرلس شرحه لهذه العقيدة مؤكدًا أن الله وحده هو الذى يملك سلطان الدخول إلى العالم بطريقة غير طبيعية.(٧٥) لقد أخذ جسده من طبيعة بشرية مثل طبيعتنا ، وولد كما يولد الآخرون ، ولكن لم يُحبل به بنفس الطريقة . لقد كسر بدخوله إلى العالم نواميس الطبيعة وقوانينها .(٧٦)

لقد كانت وظلت العذراء مريم قبل الحبل وأثناءه وبعد الميلاد عذراء . ولكى يؤيد عقيدة الحبل العذراوى اقتبس بعض النصوص الكتابية ومنها (إش ٨: ٣، ٩: ٦، امثال ٩: ١) وخاصة إشعياء (٧: ٢٤). ويعتقد بأن ميلاد يوحنا المعمدان لم يكن إلا مقدمة بسيطة للمعجزة العظمى وهى معجزة حبل مريم العذراء بدون علاقة جنسية ، وأن الأناجيل تؤكد لنا هذه الحقيقة التى حدثت فعلاً .

لقد انتقد بعض الأنطاكيين تمسك رئيس أساقفة الإسكندرية تمسكًا شديدًا بعقيدة الميلاد العذراوى ، وخاصة اندراوس السموزاطى ، فقال معترضًا : « إذا كانت مريم قد حبلت بطريقة طبيعية فهى فقدت إذن عذراويتها ، فإذا تمسكنا بفكرة أن مريم كانت وظلت قبل وأثناء وبعد الحبل عذراء فذلك يعنى أن هذا الميلاد لم يكن حقيقيًا . وكيف يمكن أن يولد طفل من بطن سيدة وتظل هذه السيدة بعد الميلاد عذراء ، وفى رده على هذا الاعتراض اقتبس معلم الإسكندرية قول حزقيال النبى : « فقال لى الرب هذا الباب يكون مغلقًا

---

(72) P. G. 76, Col. 17
(73) P. G. 76, Col. 17.
(74) Jn Joa; 8. 39, P. G. T. 73, Col. 876, D. T. C. Mahe, 2515-2516.
(75) P. G. 77, 1068 A. Du Manoir 266-269.
(76) P. G. 76, 929 A.

ولا يفتح ولا يدخل منه إنسان لان الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقًا (خر ٤٤: ٢٢) . فهو يعتقد بأن الباب المغلق الذى دخل منه إله اسرائيل يشير إلى العذراء فإنها ظلت عذراء ، وإله اسرائيل هو اللوغوس.(٧٧) وحتى يؤيد هذه الفكرة يرجع إلى مثل العليقة الملتهبة فى الصحراء . فإن العذراء ولدت ابنًا دون أن يطرأ عليها أو فيها أى تغيير وظلت محتفظة بكمالها.(٧٨) ولقد وصف القديس كيرلس ميلاد المسيح بهذه الكلمات : حدث عجيب P. G. 77, 98 CA، معجزى P. G. 70,1180 D، حدث فائق للطبيعة وعظيم.P. G. 75, 1272, 70, 225 B حدث تحدَّى كل القوانين الطبيعية ويفوق كل فهم ووصف P. G. 70, 1180, Do; 73, 21 B حدث إلهى وسرى P. G. 76, 321 A. B; 70, 1180 D. لقد ولدت العذراء ابنها وظلت عذراء P. G. 76, 260 C ولدت العذراء مريم بدون آلام P. G. 72, 73, 489 C.

إن القديس كيرلس يدافع أيضًا بشدة وحماس عن فكرة أن القديسة مريم بعد ميلاد المسيح عذراء . واستعمل عدة عبارات تبين تمسكه بعذراوية مريم قبل الميلاد وبعده ، ومنها قوله : لقد ظلت القديسة مريم عذراء بعد أن ولدت ابنها الوحيد،(٧٩) ولقد حفظ الرب عذراوية أمه بعد ميلاده،(٨٠) إن مريم دائمة البتولية وهى تاج البتولية،(٨١) وهى زينة العذارى ، إنها لم تتزوج قط.(٨٢) من هذه النصوص الكثيرة التى أشرنا إليها هنا ، يمكننا أن نلخص تعاليم القديس كيرلس المريمية فى الآتى : منح لقب والدة الإله للقديسة العذراء مريم . إن الروح هو الذى حلّ على العذراء وحَبِلَت بابنها يسوع المسيح ، الذى وُلِدَ بطريقة معجزية بدون أى علاقة جنسية . ظلت مريم بعد ميلاد ابنها يسوع عذراء ولم تتزوج قط .

استعمل كيرلس كثيرًا لقب والدة الإله للعذراء القديسة مريم . وهنا نأتى إلى السؤال الأخير فى قائمة الأسئلة التى سبق أن طرحناها وهو : ما هو الاصطلاح الذى تفضل الكنائس الإنجيلية البروتستانتية استعماله ؟ هل تستعمل لقب أو عبارة والدة الإله أو عبارة أم المسيح أم عبارة أم يسوع ؟ وما هو

(77) P. G. 76, 31 C; 76. 321 AB
(78) P. G. 76, 1729 A.
(79) P. G. 76, 1317 C
(80) P. G. 76. 260 B;
(81) P. G. 77, 992 A; 77, 992 B;
(82) P. G. 76, 285 C, 76, 311 B; Du Manoir 260-280

موقفها وما هي تعاليمها المريمية ؟

خَطأً اعتقد كثير من الإخوة الكاثوليك والأرثوذكس ، أن الكنائس الإنجيلية البروتستانتية لا تعير أى اهتمام للقديسة مريم أو لحياتها .

مما لا شك فيه أن الكنائس الإنجيلية تتمسك بأقوال الكتاب المقدس ككلمة الله الموحى بها . وبما أن الكنائس الإنجيلية تؤمن وتعلن أن الكتاب المقدس هو موحى به من الله فهى تقبل إذن بكل احترام وتقدير كل ما قيل عن القديسة مريم . فماذا يقول الكتاب عن القديسة مريم ؟ إن الكتاب المقدس يعطى للقديسة مريم مكانًا عظيمًا وهذا واضح كل الوضوح فى الحوار الذى دار بين الملاك وبين القديسة المباركة التى اصطفاها وانتقاها الله بفضله وبمحبته وعلى أساس نعمته فقط . فلقد وجه الملاك تحية رقيقة عاطرة تحمل احترامًا وتقديرًا ، قائلاً لها « المنعم عليها ، مباركة أنت فى النساء » ، وتدهش مريم وتضطرب لأنها كانت فعلاً إنسانة تقية متواضعة متعبدة لسيدها . والذى زاد خوفها واضطرابها هو الشرف العظيم الذى يعلنه لها الملاك وهو شرف أن تكون أُمًّا ليسوع المخلص ، وكأنى بها تقول « من أنا حتى أُمنح هذا الشرف العظيم »؟ فعندما انصرف عنها الملاك قامت القديسة المباركة التى اختارها الرب بنعمته لكى تكون أُمًّا للمخلص يسوع المسيح ، منطلقة إلى قريبتها أليصابات لكى تفضى إليها بسرها وتحكى لها قصة التدخل الإلهى العجيب . ولكن عندما تقابلت هاتان المرأتان ، أليصابات التى كانت تحمل فى بطنها الجنين ، الذى سوف يكون السابق والمعلن لذاك الذى كانت تحمله مريم جنينًا أيضًا فى لحظاته الأولى من التكوين كإنسان ، والذى سوف يكون حمل الله الذى يرفع خطايا العالم ومخلص اسرائيل . عندما تقابلت هاتان المرأتان صرخت الأولى (اليصابات) قائلة « فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ » ياله من تقدير واحترام ، ليس فقط للجنين يسوع ، الذى هو طبعًا جدير ومستحق لكل تقدير واحترام ومحبة وعبادة ، بل تقدير أيضًا ومحبة واحترام لأم ذاك الذى تحمله فى بطنها ، يسوع المسيح . منذ تلك اللحظة تنظر الأجيال المسيحية كلها إلى القديسة الطاهرة النقية التى أحبها الله واصطفاها على أساس نعمته فقط ، تنظر إليها بتقدير واحترام وحب ، وتضم صوتها لصوت قديستنا العظيمة إذ قالت « فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى ». نعم سوف تطوبها جميع الأجيال . ولهذا السبب يسجل لنا الإنجيل هذه الكلمات « وفيما هو يتكلم

رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت له : « طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما ». صحيح أن السيد فى إجابته على هذه السيدة عمم هذه السعادة « الطوبى » على كل الذين يسمعون كلمة الله ، ولكنه لم ينفِ هذا الشرف العظيم السامى الذى امتازت به القديسة مريم فهى مطوّبة وسعيدة . فنحن الإنجيليين ، عندما ننظر إلى المكانة العظيمة المرموقة التى منحها الله بفضله ونعمته فقط ، إلى القديسة مريم ، نعرف جيدًا ونعترف أيضًا ، بأن الله اختارها حسب قصده الأزلى وبناء على محبته ونعمته فقط ، لكى تكون أمًّا لابنه يسوع المسيح المخلص . والكنائس الإنجيلية تنظر إلى القدنيسة مريم باحترام وتقدير ، لا بل تقدمها إلى الشعب كمثال حى للتقوى والقداسة ، وتحث النساء والرجال أن يتمثلوا بها وبحياتها وتقواها وقداستها ، كما يقول الرسول « انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم (عب ١٣: ٧، ٦: ١٢ و١بط ١: ١٥، ٣: ١٦، ٣: ١١ و٢تى ٣: ١٠) . وتعتبر الكنائس الإنجيلية القديسة مريم مثالاً حيًا لحياة التقوى والتضحية والقداسة يجب اتباعه فى الحياة العملية ، وليست إلهًا أو معبودًا تقدم لها الصلوات . وبما أن الكنائس الإنجيلية تؤمن وتعلم بأن طبيعتى الرب يسوع المسيح اتحدتا اتحادًا قويًا عميقًا بدون انفصال أو امتزاج ، فإنها تفضل أيضًا استعمال لقب أم سيدنا يسوع المسيح . كما أنها تعلم أيضًا بأن الروح القدس حل على القديسة العذراء وحبلت بالرب يسوع المسيح بطريقة معجزية فائقة للطبيعة بدون أى تدخل بشرى ، وأن(*) الرب يسوع المسيح المخلص هو إنسان حق وإله حق .

(*) لدراسة موضوع الميلاد العذراوى الرجا الرجوع إلى: الدكتور القس حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى: المجلد الأول ١٦٩—١٩٨

لدراسة مفهوم القديس كيرلس لعقيدة والدة الإله، الرجا الرجوع إلى كتاباته والاقتباسات الكثيرة التى ذكرناها فى هذا الفصل ثم إلى:
Hubert Du Manoir, Dogme et spiritualite 257-286; G. Jouassard, Marie à Travers La Patristique Maternité Divine, Virginité Sainteté, in, H. Du Manoir, Maria; Quasten 3.208-210; J.N.D. Kelly, Early Christian Doctrine 323-334. Tixeront 3. 69-73; F. Cayre A. A. Petrologie..., 36; M. Jugie, Immaculée Conception dans Dict. Theol. Cath. Col. 904-936; op. cit. Jugie Col. 905; J. Liebaert L' évolution de la Christologie de Cyrill d' Alex, Melange. de Sci. Reh. Revue, 1970, 27-42; A. Bardy 169-172; J. Mahe, Dict. Theol. Cath. 2515-2516. Camelot, Ephese et Chalcedoine 26-28, 38-39; G. Joussard dans Maria I, 132 et No. 47; G. M. de Durand, O. P. Cyrille d' Alexandrie Deux Dialogues Christologiares 330-350, Dictionnaire Encyclopédique de la Bible, Alex. Westphal. Marie 114-117; Dictionnaire Encyclopédique de la Bible. Brepals p. 793-795; A. Robert, La Sainte Vierge dans l' A. T., in Maria I, Paris, 1949, 21-39; R. Laurentin, Court Traite de Theologie - Mariale Paris, 1953; C Journet, Esquisse du développement du dogme marial Paris, 1954; J. J., Weber, Le Christ est né de la Vierge Marie, Foi et Temps 2, 1969, 475-496; A. Feuillet, Jésus et sa mére; J. Machugh, La mére de Jésus dans le N. T. Ld 90, 1977; R. E. Brown, Mary in the N. T., Paris 1978

مجموعة الشرع الكنسى . حنانيا الياس كساب ٢٩٦—٢٩٨، ٣٣٤.٣٠١، ٣٠٥—٣٠٦

القمص متى المسكين . ثيوتوكوس ١٩٦٠

الشماس جورج باق . القديس كيرلس عمود الدين ٧٤—٧٥

القمص تادرس يعقوب : القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى .

الدكتور القس حنا جرجس الخضرى. تاريخ الفكر المسيحى، المجلد الثانى ٨٦—٨٧، ١٢١—١٢٣، ١٦٠، ١٦٨، ٢٠٣—٢٠٨ (أنظر المراجع العديدة التى ذكرناها فى المجلد الثانى بخصوص أمومة مريم لله).

الفصل الثالث عشر

كتابات القديس كيرلس

يعتبر القديس كيرلس واحدًا من أعظم الآباء الذين شهدتهم القرون الخمسة الأولى . قال عنه ف. كرىء (F. Cayre) إنه أعظم معلم ظهر فى الكنيسة اليونانية بعد أريجانوس.[1] إن الذى يدرس كتابات القديس كيرلس يلاحظ بلا عناء ، سعة الإطلاع ليس فقط على الكتاب المقدس الذى اعتبره المصدر الأول لتعاليمه ، ولا على كتابات الآباء وحدها ، بل على كتابات الوثنيين أيضًا . ولذلك فقد درس وهاجم كتابات بعض الكتّاب الوثنيين . ألم يقدم تحليلاً دقيقًا لكتابات الإمبراطور يوليانوس الجاحد رافضًا إياها ومبينًا ضلالها ؟ وإن كان قديسنا المصرى تميّز بسعة الاطلاع فقد عُرِفَ عنه أيضًا عمق التفكير وقوة الحجة ومحبة الدرس والبحث .

فمع أن أسلوبه لم يكن سهلاً سلسًا ، إلا أنه كان عميقًا ، ينم عن تمكن واقتدار ومعرفة واسعة بالكتب المقدسة وكتابات الآباء وتعاليمهم . ولذلك تعتبر كتاباته مصدرًا من المصادر الهامة جدًا فى تاريخ الفكر المسيحى، احتلت منذ ظهور بعضها وتحتل حتى الآن ، مكانة مرموقة هامة جدًا فى الجامعات الأجنبية . وقد ظهرت فى حياته بعض الترجمات لبعض كتاباته ، ألم يترجم ماريوس مركاتوريوس بعضًا من أعماله إلى اللاتينية ؟ وكذلك قام أيضًا رابولا بترجمة بعضها إلى السريانية . وبعد ذلك ظهرت بعض كتاباته فى اللغة الأرمينية والأثيوبية والعربية ، والفرنسية والإنجليزية والألمانية وفى بعض اللغات الأخرى .

ولقد قدمت هذه الترجمات خدمة عظيمة جدًا ليس فقط للذين لا يعرفون اللغة اليونانية ، بل للعالم أجمع ، لأن بعض النصوص الأصلية اليونانية قد ضاعت ولحسن الحظ أننا نملك بعض هذه الترجمات .[2]

ولقد قام العالم الراهب الكاثوليكى جاك أوبر سنة ١٦٣٨[3] Jacques

---

(1) F. Cayre, A. A. 20
(2) Quasten, 3. 178-179.
(3) Dict. Theo. Cath. Mahe 1483-1500

Aubert بجمع كل ما أمكن جمعه من كتابات القديس كيرلس ، وليس كل كتاباته ، ونشر هذا الكنز العظيم باللغة اللاتينية فى سنة ١٦٣٨ فى ست مجلدات ضخمة . وبعد ذلك جاء العالم الكاثوليكى المشهور « مين » (Migne) الذى قام بجمع أقوال الآباء فوضعها فى ٢١٧ مجلدًا باللغة اللاتينية .

ولقد قام هذا العالم النابغة بدراسة وترتيب كتابات القديس كيرلس التى وجدها فى مجموعة أوبر وأضاف إليها بعض الكتابات التى وجدها أيضًا فى كتابات الكاردينال مايو (Mai). وظهرت هذه الموسوعة العلمية باللغة اللاتينية فى سنة ١٨٥٩[٤] فى عشر مجلدات ضخمة . وبالرغم من وجود بعض النصوص الأبوكريفية وبعض الأخطاء فى هذه الموسوعة ، إلا أنها حتى الآن تعتبر الطبعة الوحيدة التى تحتوى على هذا الكنز الثمين . ولا ننسى المجهود الضخم الذى قام به العالم الإنجليزى الأنجيليكانى ب. ى. بوسى (P. E. Pusey) حيث جمع كتابات القديس كيرلس بطريقة علمية دقيقة ونشرها فى سنة ١٨٦٨ فى أكسفورد باللغة اللاتينية فى سبع مجلدات .[٥]

ولنحاول الآن إلقاء نظرة ولو سريعة جدًا على هذا المحيط العميق الضخم . فقد كتب معلم الإسكندرية عددًا كبيرًا جدًا من الكتب العقائدية والتفسيرية والجدلية والدفاعية عن الإيمان والتعاليم المسيحية . واتفق العلماء على ترتيب أو تقسيم أعماله على حقبتين من الزمن :

١ ـــ القسم الأول يشمل كل ما كتبه كيرلس من بداية نشاطه الأدبى إلى سنة ٤٢٨ . ولقد ركز اهتمامه فى هذه الفترة على الدرس والبحث وجمع المعلومات ، ثم فى مهاجمة الأريوسية والوثنية واليهودية وخاصة فى مهاجمة التعاليم الأريوسية ونقدها .

٢ ـــ أما الفترة الثانية ، والتى تبدأ من سنة ٤٢٨ وتنتهى بموته سنة ٤٤٤ فقد كرّس كل جهده فى كتابة كتب عقائدية لمعالجة المواضيع الكرستولوجية (الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح) وبعض الكتب التفسيرية والرسائل .

فما هى إذن الكتب التى كتبها ؟

---

(4) Quasten 3. 179; Dict. Theol. Cath. Mahe 2483-2500

(5) F. Cayre 19; Pusey Oxford; P. G. 66-77; Tillemont, Mémoires; T. 14, 267-676, 747-795, Quasten 3. 179.

كتبه العقائدية :

١ ــ كتاب الكنز (Le Thesaurus) :[٦]

من الكتب الجدلية العقائدية التى كتبها معلم الإسكندرية كتاب « الكنز » الذى أهداه إلى صديقه ميميسيوس (Memesus). ويحتوى هذا الكتاب على خمس وثلاثين بندًا وهو تفسير لعقيدة الثالوث المقدس وذكر الاعتراضات الأريوسية على الثالوث والرد عليها . لم يأتِ كيرلس فى هذا الكتاب بشىء جديد ، بل ذكر أقوال الآباء السابقين أمثال الآباء الكابادوكيين وإبيفانيوس وخاصة تعاليم أستاذه أثناسيوس فإن ثلث كتاب الكنز عبارة عن أقوال اقتبسها كيرلس من الكتاب الثالث لأثناسيوس ضد أريوس . واستطاع كيرلس أن يقدم هذا الكتاب بأسلوب حى ومقنع . وتضاربت الآراء فى تاريخ كتابته : ربما كتب فى سنة ٤١٢ ، أو ٤٢٣ أو ٤٢٥.[٧] جدير بالذكر أن أول ترجمة لهذا الكتاب ظهرت فى اللغة اللاتينية فى سنة ١٥١٣ فى باريس .

٢ ــ كتاب الحوار Dialogues:

ويتناول هذا الكتاب نفس الموضوع الذى شرحه القديس كيرلس فى كتاب الكنز ، أى الثالوث المقدس ، ومساواة جوهر الآب لجوهر الابن وجوهر الروح القدس ، وأن الابن إله حقيقى مثل الآب والروح القدس أبدىّ فى الزمن وليس مخلوقًا . ولقد استعمل فى هذا الكتاب أسلوب الحوار . ويحتوى على سبعة حوارات بينه وبين صديقه هرمياس . وأهداه إلى صديقه ميميسيوس الذى أهدى له كتاب الكنز أيضًا . ولقد كتبه بعد الكنز حوالى سنة ٤٢٥ .[٨]

٣ ــ كتاب عن التعاليم الخاصة بتجسد الابن الوحيد ويدعى Les Scholia de incarnation Unigeniti

يعتقد كثير من العلماء أن هذا الكتاب من الكتب الأولى التى كتبها كيرلس وظهرت أثناء النزاع النسطورى.[٩] ولقد حاول القديس فى هـذا

(6) P. G. 75, 9-656; F. Cayre 22, Mahe D. T. C. 2489; Quasten 3. 186.
(7 Quasten 3. 186; D. T. C. Mahe 2488, P. G. 75. 9-654.
(8) Pusey, T. 3. P. 41-171; P. G. T. 75, Col. 658-1124.
(9) Garmier, dans P. G. T, 75, Col. 1363.

الكتاب الإجابة على الأسئلة الآتية : ماذا تعنى كلمة المسيح ؟ وماذا نفهم من كلمة عمانوئيل ؟ لماذا ندعو كلمة الله ، اللوغوس، إنسانًا ؟ وكيف اتحد الكلمة بالإنسان ؟ كيف يمكننا أن نشرح الوحدة الجوهرية ؟ وما هو المقصود بعبارة « والكلمة صار جسدًا وحل بيننا » ؟ ماذا تعنى عبارة « والدة الإله » .

٤ ـــ الإيمان المستقيم (De recta fide):

يحتوى هذا الكتاب على الرسائل التى كتبها كيرلس ويشرح فيها الإيمان المستقيم كما فهمه وعلّم به . ولقد أرسل هذه الرسائل إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى وزوجته أدوكس والأميرتين أختى الإمبراطور أركاوى ومارين ، وإلى أخته الكبرى بالخارى . كتب هذه الرسائل فى سنة ٤٣٠ قبل انعقاد مجمع أفسس الأول .(١٠)

٥ ـــ كتاب ضد تجاديف نسطوريوس :

يحتوى هذا الكتاب على خمسة فصول وكتبه فى سنة ٤٣٠ . ولقد كرس الفصل الأول منه لمعالجة موضوع منح لقب « والدة الإله » للقديسة العذراء مريم . وفى الفصول الأربعة الأخرى شرح عقيدة الإزدواجية فى شخص المسيح يسوع .(١١)

٦ ـــ الحرمانات :

التى أصدرها كيرلس ضد تعاليم نسطوريوس.(١٢)

٧ ـــ رسالة دفاع عن حرماناته :

لقد قام الأسقف اندراوس السموزاطى بكتابة نقد عقائدى للحرمانات التى نطق بها كيرلس ، وحالا كتب معلم الإسكندرية فى سنة ٤٣١ ردا على هذا النقد قبل انعقاد مجمع أفسس .(١٣)

---

(10) P. G. T. 76, Col. 1133-1200
(11) P. G. T. 76, Col. 9-248; Pusey P. 54-240, D. T. C. 2491; Quasten 3.182-183
(12) P. G. T. 76, Col 316-386.
(13) P. G. T. 76 Col. 316-386.

٨ ــ رسالة دفاع عن تعاليمه للحرمانات التى انتقدها ثيودوريطس[١٤]

٩ ــ تفسيرللحرمانات الاثنى عشر :

انتهز كيرلس فرصة سجنه المؤقت فى مدينة أفسس لكتابة تفسير مفصل لهذه الحرمانات .[١٥]

١٠ ــ رسالة دفاع كتبها إلى الإمبراطور :

بعد عودته إلى الإسكندرية كتب كيرلس فى نهاية سنة ٤٣١ أو فى سنة ٤٣٢ رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى . ولقد دافع فى رسالته هذه عن نفسه وعن تصرفاته قبل وبعد مجمع أفسس ، موضحًا أيضًا السبب الذى من أجله كتب إلى أفراد العائلة المالكة ، ليس لكى يبذر التفرقة بينهم ، بل كتب إليهم شعورًا منه بالمسئولية الملقاة على عاتقه كأسقف . ثم يشكر الإمبراطور على تكرمه بالسماح له بالعودة إلى الإسكندرية .[١٦]

١١ ــ بحث عن منح لقب والدة الإله للعذراء مريم :

وهو يعتقد بأن رفضنا لمنح لقب والدة الإله لمريم ، يعنى رفضنا للكتاب المقدس . وقد كتب هذا البحث حوالى سنة ٤٣٥ ــ ٤٤٠ .[١٧]

١٢ ــ المسيح واحد :

قدم كيرلس فى هذا الكتاب بحثًا عقائديًا عن وحدة المسيح . فهو يعتقد بأن المسيح سيد واحد ورب واحد ويجب ألا نقسمه إلى سيدين أو مسيحين . فإن الكلمة ولد مرتين . فهو مثل الله أزلى لا بداية أيام له ، كما أنه زمنى أيضًا بولادته من العذراء مريم التى ولدته بحسب الجسد . وبناء على ذلك فإن مريم هى والدة الإله .

١٣ ــ نصوص مجموعة :

لقد جمع كيرلس مجموعة من أقوال الآباء يحتمل أنها هى نفس المقالات

---

(14) P. G. 76 Col. 385-452; Pusey 382-498.
(15) Manoir T. 4, Col. 1419; D. T. C. 2493-2494.
(16) P. G. 76, Col. 453-488;
(17) P. G. T. 76, 259-292.

والأبحاث التى قرئت ، فى مجمع أفسس الأول .

١٤ ــ هجوم على الأبولوناريوسية :

بعض الشذرات التى اكتشفها الكاردينال مايو والتى يهاجم فيها تعاليم طائفة أبولوناريوسية متطرفة[١٨] كما أنه كتب أيضًا عن البلاجية ورفض تعاليمها .[١٩]

١٥ ــ دفاعه ضد تعاليم الإمبراطور يوليانوس المرتد :

كتب الإمبراطور يوليانوس المرتد فى سنة ٣٦٢ ثلاثة كتب يهاجم فيها الجليلى (المسيح) والجليليين ، ويبدو أن هذه الكتب كانت منتشرة ولها تأثيرها السيىء على البعض حتى فى القرن الخامس . لذلك كتب قديسنا العظيم بعد سنة ٤٣٣ بحثًا ضخمًا رائعًا ، ردًا على هذه الكتب .

ويحتوى هذا الكتاب على ثلاثين فصلاً لم يبق لنا من هذه التحفة الدفاعية العقائدية إلا الفصول العشرة الأخيرة . اتَّبع القديس كيرلس نفس الطريقة التى اتَّبعها أثناسيوس فى الرد على خصومه فى اقتباس حججهم وتفنيدها والرد عليها بندًا بندًا . ويشرح المدافع عن المسيحية وأساسها ، مبينًا بطريقة مقنعة سمو الكتب المقدسة الموحى بها على الخرافات اليونانية ، ذاكرًا أن بعض فلاسفة اليونان استوحوا بعض المثل العليا والتعاليم السامية من الكتاب المقدس . كما أنه شرح النقاط الآتية :

الله هو خالق الكون ، والمسيطر الوحيد عليه . الثالوث مذكور فى سفر التكوين (تك ١ : ٢٦) سمح الله بالسقوط للوصول لعملية التجسد . معجزات المسيح دليل على لاهوته . نعبد الكلمة المتجسد ، ولكننا لا نعبد الشهداء . تكلم كتّاب العهد الجديد عن لاهوت المسيح .. إن الذين تبرروا بالإيمان فى المسيح يسوع هم بالحقيقة أولاد لإبراهيم .[٢٠]

---

(18) P. G. T. 103, Col. 981; 89, Col. 940; Pusey 476-491

(19) Photius Bibliotheca, Cod. 54, P. G. T. 103, Col. 98.

(20) P. G. T. 76, Col. 503-1054 et Neuman-Nestle, p. 42-63, 64-87;
Paul Allard, Julien L' Apostat, T. 3. P. 107-127;
F. Cayre, 21-23; Quasten 3. 191-192
D. T. C. Mahe 249.

انظر المراجع فى كواستن
دكتور حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الثانى ٧٢ ــ ٧٣

٢ ـــ مؤلفاته التفسيرية :

مؤلفاته التفسيرية للكتاب المقدس فاقت بكثير فى عددها وحجمها مؤلفاته العقائدية . على أن كتاباته العقائدية أقوى وأفضل من مؤلفاته التفسيرية . لم يتفق مع أريجانوس فى موضوع أن كل نص فى العهد القديم له معنًى روحى ، ومعنًى حرفى ، ومع ذلك فقد اتَّبع فى أعماله التفسيرية نفس النظام الذى تبنته كنيسة الإسكندرية ، وهو التفسير الحرفى والرمزى . كما أنه لم يعتنِ فى تفسيره بالناحية التاريخية واللغوية .

تفسير العهد القديم :

١ ـــ العبادة بالروح والحق :

كتاب تفسيرى ضخم كرَّس له مين (Migne) مجلدًا كاملاً[21] ويحتوى على سبعة عشر فصلاً وهو عبارة عن حوار بينه وبين صديقه بلاديوس Palladius.

ويرجع القديس كيرلس إلى الحوار الذى دار بين المسيح والسامرية : وخاصة قول المسيح لها : « الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق (يو ٤ : ٢٤) ولكى يؤيد فكرة أن مجىء المسيح للعالم ليس لكى ينقض الناموس ، بل ليكمله ، وأن العبادة الحقيقية هى العبادة بالروح ، اختار بعض النصوص من الأسفار الخمسة الأولى . ففى الفصل الأول من هذا الكتاب ، يقدم لنا آدم الخاطىء ، وطريقة الحصول على الخلاص من الخطية ومن العبودية ومن الشيطان .

وفى الفصلين الثانى والثالث يواصل شرحه مبينًا أن المسيح هو الذى يمنح التبرير والتحرير من العبودية والخطية.[22] ويتحدث فى الفصل الرابع والخامس عن مسئولية الإنسان إزاء هذا التبرير والخلاص . وفى الفصل السادس يبين كيرلس أن أساس خلاصنا هو محبة الله.[23] وفى الفصل السابع والثامن يتحدث عن محبة القريب[24] ثم يقدم لنا فى الفصول ٩ــ١٣ صورًا عن الكنيسة والرموز .

---

(21) Migne 68, 133-1125; Quasten 3. 180-181
(22) P. G. T. 73, Col. 160
(23) P. G. 73, 408-477
(24) P. G. 73. 480-588.

فهو يرى فى خيمة الاجتماع صورة أو رمزًا للكنيسة المسيحية ، وكهنوت العهد القديم هو إشارة إلى كهنوت العهد الجديد.(٢٥) وفى الفصل الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر يتكلم عن الطهارة : إن الذين يتعبدون للمسيح يجب أن يقدموا ذواتهم كذبائح نقية طاهرة لا عيب فيها(٢٦) وفى الفصل الأخير يتحدث عن الأعياد الرسمية وخاصة عيد الفصح.(٢٧) كتب هذا الكتاب ما بين سنة ٤١٢ ـــ ٤٢٨ .

٢ ـــ جلافير (Glaphyres):

إن الكلمة « جلافير » تعنى تفسير أو شرح بعض الفصول المختارة . ويحتوى هذا الكتاب على ثلاثة عشر فصلاً ويعتبر تكملة للكتاب السابق . ففى هذا الكتاب اختار القديس كيرلس بعض فصول من الكتب الخمسة الأولى والتى يرى فيها رمزًا للمسيح أو لأعماله الفدائية . ويقدم لنا فى الفصول السبعة من هذا الكتاب شرحًا لبعض الفصول من سفر التكوين ، فهو يعتقد أن الآباء آدم ، هابيل ، نوح ، إبراهيم وأولاده ، وآخرين ، هم رمز يشير إلى سيدنا يسوع المسيح .(٢٨)

ولقد كرس ثلاثة فصول لسفر الخروج(٢٩) واتبع نفس الطريقة الرمزية فى التفسير .فهو يرى فى عليقة موسى المشتعلة وخروف الفصح والمن إشارة إلى سر المسيح : وفى الفصل الذى كرسه لسفر اللاويين يواصل شرحه الرمزى مبينًا أن الطقوس والأوامر التى وردت فى هذا السفر ترمز إلى آلام المسيح وتطهيرنا .(٣٠)

وفى الفصل الثانى عشر والثالث عشر يقدم لنا بعض الفصول المختارة من كتاب العدد عن الجواسيس الذين أرسلوا ليتجسسوا أرض الموعد وعن تقديم بقرة حمراء كذبيحة خارج المحلة وعن الحية النحاسية ، فكل هذه الأشياء تشير إلى المسيح .(٣١)

---

(25) Col. 725-885
(26) Col. 885-1009 Col. 1009-1061
(27) P. G. 73. 1061-1125; D. T. C. Mahe 2480-2481; Quasten 3. 180-181
(28) P. G. T. 69, Col. 13-385.
(29) P. G. 69, Col. 385-537.
(30) Col. 540-589
(31) Col. 589-611; Quasten 3. 181
انظر بعض المراجع الأخرى فى كتاب كواستن D. T. C. 2484-85

٣ ــ شرح لسفر إشعياء :

يحتوى هذا الكتاب على خمسة أجزاء ، وقد كتبه بعد كتابته لتفسير الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس . ونجد نص هذا التفسير فى المجلد رقم ٧ فى موسوعة (Migne)[٣٢]

٤ ــ تفسير لأسفار الأنبياء الصغار :

ولقد كتب مقدمة لكل سفر ثم تفسيرًا كاملاً لهذه الأسفار الاثنى عشر .[٣٣]

٥ ــ بعض الشذرات :

وصلت إلينا بعض المقتطفات لبعض التفاسير المبعثرة هنا وهناك من العهد القديم لبعض من : كتابى الملوك ، المزامير ، الأمثال ، نشيد الأنشاد ، إرميا ، حزقيال ، دانيال ، باروخ .

تفسير العهد الجديد

٦ ــ تفسير إنجيل القديس يوحنا :

ظهر هذا التفسير لأول مرة باللغة اللاتينية فى باريس سنة ١٥٠٨ . ويحتوى هذا الكتاب على اثنى عشر جزءًا . وللأسف الشديد أن هذا الكتاب قد اختفى ولم يبقَ منه إلا بعض الشذرات المبعثرة هنا وهناك ، وبعض الاقتباسات التى اقتبسها بعض الكتّاب . ومن هذه الشذرات والاقتباسات ، يستطيع الدارس أن يدرك الموهبة العقائدية التى يتمتع بها معلم الإسكندرية العظيم . فلقد رفض بأسلوب مقنع قوى تعاليم أريوس وأتباعه الذين رفضوا مساواة جوهر الابن لجوهر الآب ، وأنه كان مع الآب خالقًا لكل شىء وليس مخلوقًا . وفى شرحه ليوحنا ٩: ٢ــ٣ نادى بفكرة أن الأمراض الجسدية ليست نتيجة لخطية الماضى . فإن الله لا يحاسب الناس إلا على الخطايا التى يرتكبونها بطريقة فعلية .

إن الدارس لهذه الشذرات الباقية من هذا التفسير ، يلاحظ أن القديس

(32) p. G. T. 70, Col. 10-1449.
(33) P. G. T. 71, 9-364; Quasten 3. 182

كيرلس لا يشير من قريب ولا من بعيد إلى نسطوريوس أو إلى لقب (والدة الإله) للقديسة العذراء مريم . وبناء على ذلك يمكن القول إن هذا التفسير كتب قبل انفجار الصراع النسطورى ، ويعتقد البعض أن كيرلس شرع فى كتابته فى سنة ٤٢٥ وانتهى منه فى سنة ٤٢٨ .[٣٤]

٧ ـــ تفسير إنجيل لوقا :

يعتبر تفسير إنجيل القديس يوحنا دفاعًا عقائديًا ، أما تفسير إنجيل القديس لوقا فهو عبارة عن سلسلة مكوّنة من ١٥٦ عظة ألقاها معلم الإسكندرية على مسامع شعبه ، ولم تحتفظ المصادر اليونانية إلا بثلاث عظات كاملة منها . ولكن الطبعة السريانية ، التى يرجع تاريخها إلى القرن السادس أو السابع ، احتفظت لنا بهذه العظات (١٥٦ عظة) . كما احتوت أيضًا هذه النسخة على بعض المعلومات والتواريخ الهامة . ويلاحظ الدارس لهذه العظات ، أن روح الجدل النسطورى يسيطر عليها . كما أن كيرلس يشير إلى الحرمانات التى نطق بها ضد نسطوريوس فى العظة رقم ٦٣ وهذا يعنى أن هذه العظات ألقيت فى نهاية ٤٣٠ .[٣٥]

٨ ـــ تفسير إنجيل القديس متى :

لقد احتفظ ليوانس البيزنطى (Leoncede Bysance) وأفرايم الأنطاكى وآخرون من الكتّاب ببعض الشذرات التفسيرية لإنجيل متى . وهذه الاقتباسات العديدة من الأصحاح الأول إلى الأصحاح الأخير دليل على أن كيرلس فسر إنجيل متى كله . وعلى ما يبدو أنه كتب بعد سنة ٤٢٨ .[٣٦]

٩ ـــ تفاسير أخرى :

توجد بعض المقتطفات التفسيرية للقديس كيرلس لرسالة بولس إلى أهل رومية ، ورسالتيه إلى أهل كورنثوس ، والرسالة إلى العبرانيين ، وبعض الرسائل الكاثوليكية ... وإنجيل مرقس وأعمال الرسل ، وسفر الرؤيا .

---

(34) P. G. T. 73, Col. 16, T. 73. Col. 17-188; 189-397-900;
Quasten 3.182-183. D. T. C. Mahe 2495-2497; Bardenhewer Patrologie P. 339; Batiffoli; La Littetaure Grecque Paris 1897, P. 310, A. Ekrhard, P. 204

(35) Migne P. G. 72. Col. 475-950; R. Payne Smith, Oxford, 1858-1859 et de W. Wright; Quasten 3.184-185; D. T. C. 2497-2498.

(36) Migne, 72. 365-374; Quasten 3.185; Mahe D. T. C. 2487-2488.

عظاته :

يوجد نوعان من العظات :

١ ــ عظات عيد القيامة[٣٧] وهى ٢٩ عظة من سنة ٤١٤ ــ ٤٤٤ . ومما يؤسف له أن عظتى سنة ٤٤٢ ، ٤٤٣ قد فقدتا .

كان على رئيس الأساقفة أن يلقى كل سنة عظة رسمية بمناسبة عيد القيامة . ولقد احتوت بعض هذه العظات على تعاليم عقائدية لرفض الهرطقات وتثبيت المؤمنين فى إيمانهم وعقيدتهم . ولذلك فإننا نلاحظ فى العظات رقم ٥، ٨، ١٧، ٢٧ التنبير الشديد على حقيقة تجسد وأزلية الابن وأنه من نفس جوهر الآب ومساوٍ له فى الأزلية أيضًا . ولقد أراد القديس كيرلس بهذه العظات أن يدافع ضد الهرطقات التى أنكرت أزلية ومساواة الابن لجوهر الآب .

٢ ــ عظات متنوعة :

إن تفسيره لإنجيل القديس لوقا يعتبر موسوعة وعظية تحتوى على ١٥٦ عظة ، يضاف إلى هذه العظات ٢٢ عظة ألقيت فى مناسبات مختلفة وعلى ما يحتمل أن ثمانية من هذه العظات ألقيت فى صيف ٤٣١ أثناء مجمع أفسس . وأشهر عظة هى العظة رقم ٤ (Migne. 77. 996-997) عن القديسة مريم وألقيت فى كنيسة مريم فى أفسس .[٣٨]

يعتقد البعض من العلماء أن بعض العظات الأبوكريفية المنسوبة للقديس كيرلس وجدت طريقها إلى الإختفاء وسط العظات الأصلية .[٣٩]

رسائله :

لقد كرس العالم مين (Migne) مجلدًا كاملاً لهذه الرسائل[٤٠] يحتوى على ٨٨ رسالة . على أن بعض العلماء يعتقدون أن هذه الرسائل تحتوى على رسائل

---

(37) P. G. T. 77, Col. 391-981

(38) P. G. T. 77, Col. 452, 420-1140; Quasten 3.194-196, ACO 1, 1, 2, 92, 14; 17. 8, 104, Leipzig 1866, 88-98;

لدراسة عظاته الرجا دراسة :

E. Schwartz, ACO, 1, 1, 2, 102, 4, 25,

Laurentin...; Du Manoir Dogme et spiritualite... 58-60

(39) Mahe Dict. Theo. Cath. 2497-2498; Quasten 3. 194-195.

(40) P. G. T. 77, Col. 9-390.

أبوكريفية نسبت إلى كيرلس، وأن رسائله التى كتبها هى ٦٩ رسالة فقط.(٤١)

ولقد نوقشت فى هذه الرسائل مواضيع كثيرة ومختلفة تخص التعاليم والقوانين الكنسية والمدنية ، والعلاقة بين الكنيسة والدولة ، والعلاقات بين الدول والكنائس فى الشرق وفى الغرب ، والصراع بين المدارس الفكرية والعقائدية . وأهم هذه الرسائل رسالته التى تدعى بالعقائدية التى أرسلها إلى نسطوريوس . ولقد قبل مجمع أفسس فى يوم ٢٢ يونيو هذه الرسالة العقائدية كوثيقة تعبر عن الإيمان الكاثوليكى . كما أن ليون الكبير قَبِل هذه الرسالة أيضًا فى سنة ٤٥٠ ووافق عليها مجمع خلقدونية وقبلها أيضًا مجمع القسطنطينية فى سنة ٥٥٣ .

---

(41) D. T. C. Mahe 2498.

بعض المراجع لدراسة مؤلفات القديس كيرلس :

J. Aubert, Sancti Cyrille, Alexandrini Opera Omnia Graece et Latine, Paris, 1638. 6 vol; A. Mai, Nova Patrum Bibliotheca 2-3 Rome, 1844-1845; Migne. P. G.69-77; P. E. Pusey, 7 vol. Oxford 1868; E. Schwartz. Acta Conciliorum oecu.... 1, vol. 1-5

Berlin et Leipzig, 1927-1930; J. Lebron, CSCO 93-94, 101-112, 119-120; Mansi. F. C. Conybeare, The Armenian Version of Revelation and of Cyril of Alexandria's Scholia on the Incarnation. London, 1907; G. Joussard, L' activité littéraire de Saint Cyrille d' Alex..., jusquà 428... Essai de Chronologie et de synthése;

Melange E. Podechard (1945) 159-174; A. Kerrigan, St. Cyril of Alexandria, Interpreter of the Old Testament, Rome, 1952; idem. The Objects of the Literal and Spiritual Seneses of the N. T. according to St. Cyril of Alexandria: SPI (TU 63) Berlin 1957, 354-374; W. J. Burghardt, Cyril of Alex.. On «Wood and Linen» traditio 2 (1944) 484-486; J. Liebaert. St. Cyrille d' Alex, et l' arianisme, Lille 1948, 9-11. M. F. Wiles, The Spiritual Gospel,

The Interpretation of the Fourth Gospel in the Early Church Cambridge, 1960; W. Wright, Fragments of the Homelies of Cyril of Alex, on the Gospel of St. Luke.... R. Payne Smith, A Commentary Upon the Gospel according to St. Luke by St. Cyril of Alex...., 2 vol. Oxford 1859,

انظر أيضًا كتاب J. Quasten 3. 178-208 الذى يقدم قائمة رائعة باللغة الفرنسية والألمانية والإنجليزية واللاتينية لكتابات كيرلس .

انظر أيضًا كتاب J. Quasten 3. 178-208 الذى يقدم قائمة رائعة باللغة الفرنسية والإنجليزية واللاتينية بكتابات كيرلس .

F. Cayre A. A. Patrologie et l' histoire de la Theologie,

T. 2, 22-26, Tillemont, Memoires T. 14; Dict. Theol. Cath. 2483-2500,

Bardenhewer Patrologie; Batiffol, La Littérature Grecque Paris, 1897; A. Ehrhard; Du Manoir Dogme et spiritualité

الجزء الثانى

الفصل الأول

تطور التعاليم الكرستولوجية (Christologie) = (التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح) من بعد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ إلى مجمع خلقدونية سنة ٤٥١

تعرضت التعاليم الكرستولوجية فى هذه الفترة القصيرة التى لم تتجاوز العشرين عامًا من سنة ٤٣١ ــ ٤٥١ إلى تطورات خطيرة وتغييرات عديدة ومناقشات مستفيضة واجتماعات ومجامع مختلفة وخاصة المجمع الذى عقد فى مدينة خلقدونية سنة ٤٥١ ، الذى كان من نتائجه الانقسام المحزن المؤلم بين بعض كنائس الشرق وكنيسة روما .

إن هذه الفترة القصيرة تعد من أخطر وأكثف وأحرج الفترات التى عرفها تاريخ الفكر المسيحى ، فيما يخص التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح . ففى هذه الفترة زادت المناقشات أكثر من أى وقت مضى حول السؤال الذى سأله المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس : « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » .

وسوف نحاول أن ندرس فى هذا الجزء المفاهيم المختلفة الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح فى الحقبة من سنة ٤٣١ــ٤٥١ ، وكيف فهمت الكنيسة أو بالمعنى الأصح الكنائس شخص الرب يسوع المسيح ؟ سوف نعرض التطورات الكرستولوجية التى حدثت بعد مجمع أفسس الأول ثم ظهور أتيخوس أو أوطيخا (Eutyches) ومناداته بوجود طبيعة واحدة فى المسيح كما سوف نتحدث عن مجمع القسطنطينية ، وحرم أتيخوس وتعاليمه . ثم نعرض أيضًا لدراسة مجمع أفسس الثانى الذى قرر رجوع أوطيخا إلى منصبه . وبعد ذلك ندرس أيضًا بالتفصيل مجمع خلقدونية الذى رفض قرارات مجمع أفسس الثانى ، والذى كان من نتائجه المحزنة المؤلمة الانقسام الذى حدث بين بعض كنائس الشرق وخاصة كنيسة الاسكندرية وكنيسة روما ، ذلك الانقسام الذى مازلنا نعانى من آثاره حتى الآن .

كان المسيح يسوع منذ ظهوره على أرضنا طفلاً رضيعًا ، لغزًا وعلامة ، حاول الكثيرون منذ نعومة أظافره القضاء عليه وإزالته من الوجود (مت ٢: ١٦ــ١٨) . ألم يتنبأ له النبى الشيخ سمعان لما أخذه بين ذراعيه وهو بعد طفل رضيع فى أيامه الأولى قائلاً إنه .. « قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى إسرائيل ولعلامة تقاوم »(لو ٢: ٣٤) . نعم كان المسيح فى حياته علامة ولغزًا . ولهذا السبب سأل تلاميذه فى قيصرية فيلبس هذا السؤال الحيوى وهو « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان ؟ » . وهذا السؤال الذى سأله الرب لتلاميذه خلال حياته الأرضية ، طرح على كنيسة القرن الأول والثانى والثالث والرابع . ولقد درسنا فى المجلدين السابقين لتاريخ الفكر المسيحى ، كيف حاولت كنيسة كل عصر من هذه العصور ، الإجابة على هذا السؤال . ومن هنا ظهرت التعاليم المختلفة المتنوعة الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح . فالبعض رأى فى المسيح إلهًا وإلهًا فقط ، والبعض الآخر رأى فيه إنسانًا وإنسانًا فقط . على أن البعض الآخر رأى فيه إنسانًا صار عن طريق تقواه وتعبده وصلاته وقداسته إلهًا . ولكن أعلن البعض اتفاقهم مع القديس العظيم بطرس بالقول « أنت هو المسيح ابن الله الحى » (مت ١٦: ١٦) . عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد (١تيمو ٣: ١٦) .

سبق أن درسنا بعض الأجوبة المختلفة المتنوعة التى حاول بعض المعلمين وبعض الكنائس أيضًا تقديمها فى القرون الأربعة الأولى . ولقد رأينا فى دراساتنا الكرستولوجية أن معظم الهرطقات ، أو بالمعنى الأصح ، بعض التعاليم المتطرفة ظهرت لدحض تعاليم سابقة ، اعتُبرت تعاليم هرطوقية . وفى مقاومتهم لهذه التعاليم السابقة أو المنتشرة فى عصرهم والتى اعتبروها هرطقة ، سقطوا هم أنفسهم فى هرطقة جديدة أو شطوا متطرفين بعيدًا عن العقيدة الأرثوذكسية.[1] ولهذا السبب فإن الدارس لتاريخ العقائد الكرستولوجية ، يلاحظ توالد وتكاثر التيارات الكرستولوجية العديدة المختلفة بعد انفضاض كل مجمع . وهنا نطرح السؤال الآتى : ما هى التطورات الكرستولوجية (التعاليم

---

(١) تاريخ الفكر المسيحى : الدكتور القس حنا جرجس الخضرى : الجزء الثانى ص ٥٤ — ٧١ ، ٩٠ — ٩١

الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح) التى حدثت بعد مجمع أفسس ، والتى أدت فى نهاية الأمر إلى الانقسام المحزن المؤلم بعد مجمع خلقدونية ؟.

ما هي التيارات العقائدية الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ، التى انتشرت فى هذه الفترة من سنة ٤٣١ ـــ ٤٥١ ؟ قبل أن ندخل فى شرح التفصيلات العقائدية الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح ، والتى نادى بها البعض فى هذه الحقبة من الزمان ، ولكى نفهم الأمور بطريقة صحيحة دقيقة ، يجدر بنا أن نلقى نظرة ولو سريعة جدًا على بعض الشخصيات والأحداث التاريخية التى لعبت دورًا هامًا جدًا ، فى تغيير الأوضاع وتطور التيارات والتعاليم الكرستولوجية .

أول هذه الشخصيات التى لعبت دورًا هامًا جدًا فى الصراع الكرستولوجى فى هذه الفترة :

١ ـــ رومه : القديس ليون الكبير (Leon Le Grand)

لا نعرف الكثير عن حياته . يحتمل أنه ولد بين سنة ٣٩٠ وسنة ٤٠٠ فى توسكان[٢] Toscane بشمال إيطاليا . كان يحتل مكانة مرموقة سامية فى الكنيسة الكاثوليكية كشماس . ففى سنة ٤٣٠ طلب من صديقه يوحنا كاسيانوس أن يترجم بعض الوثائق الخاصة بنسطوريوس وتعاليمه.[٣] فى أيام البابا سلستينوس . كان سياسيًا محنكًا ماهرًا ، ولذلك وقع عليه الاختيار قبل أن يصير بابا لكنيسة رومه ليقوم بمهمات سياسية ودينية عديدة . فقد كُلِّف بالتوسط لمصالحة بعض أعضاء عائلة الإمبراطور ونجح فى ذلك . وعندما وقع عليه الاختيار لكى يكون بابا لكنيسة رومه وخليفة لسكستوس (Sixtus أو Sixte) كان فى مهمة سياسية فى بلاد الغال . فأرسلوا اليه مرسَلِين لكى يرجع حالاً . وعند وصوله إلى رومه توج بابا فى سنة ٤٤٠ وهو الأسقف السابع والأربعون لكنيسة رومه .

---

(2) Lire les Péres de l' Eglise, Soeur Gabriel, Peter, O. S. b. 735; Nicene and Post Nicene Fathers, vol. 12, p. 4-6.

(٣) دكتور حنا جرجس الخضرى تاريخ الفكر المسيحى : الجزء الثانى ٢١٣ ـــ ٢١٤

كان ليون قوى الشخصية ، أرثوذكسى العقيدة ، متحمسًا لدرجة التعصب فى بعض الأحيان لإعطاء الكرامة الأولى لكرسى روما . ولقد ظهر هذا التحمس أو التعصب فى الخطاب الذى أرسله إلى رئيس أساقفة الإسكندرية ديوسقوروس بمناسبة سيامته خليفة للقديس مرقس يطالبه فيه بالخضوع . فقد كتب له فى رسالة التهنئة التى أرسلها له يقول ما معناه : فكما أن القديس مرقس كان تلميذًا للقديس بطرس وخاضعًا له ، يجب على تلميذ مرقس أن يكون خاضعًا أيضًا لمعلمه وهو تلميذ بطرس . لقد حارب القديس ليون بعض الهرطقات والتعاليم التى ظهرت فى عصره مثل جماعة البلاجين والمانيكيين وآخرين . على أن صراعه العنيف كان مُرَكَّزًا ضد أوطيخا وحركته . ولقد كتب رسالته الشهيرة : التى تعرف باسم « التوم » «Tome» أو الرسالة العقائدية إلى فلافيلانوس التى شرح فيها تعاليمه عن شخص الرب يسوع المسيح .

قام أيضًا البابا ليون بمفاوضة الملك أتيلا «Attila» عندما غزا البرابرة البلاد فى سنة ٤٥٢ ، ونجح فى مفاوضاته فترك أتيلا رومه . كما تفاوض أيضًا فى سنة ٤٥٥ مع ملك الفاندال ، ومع أنه لم ينجح فى هذه المفاوضة كل النجاح إلا أنه استطاع بمهارته إنقاذ الأرواح البشرية من الهلاك.[٤] ومات البابا ليون الكبير فى سنة ٤٦١ ب . م .

٢ ــ أنطاكية ــ يوحنا الأنطاكى :

قام رئيس أساقفة أنطاكية بدور مهم وفعال جدًا فى مجمع أفسس الأول . فهو الذى قام برئاسة مجمع أفسس الذى أصدر حرمانه ضد كيرلس . وهو المجمع المعارض لمجمع أفسس الذى كان يرأسه كيرلس . ولقد بذل مجهودًا جبارًا بعد مجمع أفسس فى إعادة السلام إلى الكنيسة المنقسمة . فوقع على معاهدة الصلح التى أجراها كيرلس معه ومع الشرقيين فى سنة ٤٣٣ . مات يوحنا الأنطاكى فى سنة ٤٤١ أو ٤٤٢ وخلفه على كرسى أنطاكية ابن أخته الراهب دومنس الثانى (سنة ٤٤١ ــ ٤٤٩) . وكان على ما يبدو ضعيف الطبع والفكر ، إلا أنه كان على علاقة طيبة مع القديس كيرلس.[٥]

---

(4) Soeur Gabriel Peter o.s.b. 735-740

(5) Tillemont, Memoire 15, 580-583;

اسد رستم . الجزء الأول ص ٣٢٩

القسطنطينية :

بعد أن خلع نسطوريوس ونفى ، تربع مكسيمانوس على كرسى القسطنطينية ، ولكنه لم يعمِّر طويلاً ؛ فقد تنيح فى ١٢ أبريل (نيسان) ٤٣٤ . وخلفه بروكلوس الذى ترشح للمرة الثالثة لهذا المنصب . ولقد كان من الذين عارضوا نسطوريوس فى عقيدة دعوة مريم والدة الإله ، وهو الذى قام بكتابة ما يدعى بالرسالة إلى الأرمينيين والتى قدم فيها شرحًا مسهبًا واضحًا عن شخص الرب يسوع المسيح ، منبِّرًا على وجود الطبيعتين واتحادهما فى شخص المسيح الواحد . ولقد لعبت هذه الرسالة دورًا هامًا فى تاريخ العقائد الكرستولوجية لأن بروكلوس توخى فيها أسلوب الاعتدال بين التعاليم التى كانت تنبر على التمييز الكامل بين الطبيعتين وبين التعاليم التى كانت تنادى بوجود طبيعة واحدة ــ مشددة على الوحدة الكاملة الشاملة .

وجاء بعد بروكلوس فلافيانوس (٤٤٦ ــ ٤٤٩) الذى حكم فى مجمعه فى القسطنطينية سنة ٤٤٨ على أوطيخا وتعاليمه .

الإسكندرية :

بعد أن انتقل القديس العظيم كيرلس فى سنة ٤٤٤ خلفه فى رئاسة كرسى الإسكندرية سكرتيره الخاص ديوسقوروس . وكان الفرق واسعًا شاسعًا ــ وخاصة من الناحية العلمية والعقائدية بين القديس كيرلس وبين خليفته ديوسقوروس . ولقد اصطحب القديس كيرلس فى مجمع أفسس الأول ٤٣١ عندما كان سكرتيره وشماسه . وعندما نُصِبَ رئيس أساقفة أرسل بحسب العادة الكنسية المتبعة ــ بعض الرسائل إلى بعض الأساقفة . وعندئذ أرسل إليه البابا ليون رسالة يذكره فيها بأن واجب كنيسة الإسكندرية أن تكون على وفاق وانسجام مع كنيسة رومه . فكما كان مرقس الذى أسس هذه الكنيسة تلميذًا للقديس بطرس وخاضعًا له ، يجب على تلميذ مرقس (ديوسقوروس)، أن يكون خاضعًا أيضًا لمعلمه (ليون).[٦] كان البابا ليون يرى فى ديوسقوروس منافسًا خطيرًا له من الناحية السياسية . ولذلك حاول أن يشعره بأن مرقس يجب أن يكون خاضعًا لبطرس .

---

(6) Dict. Theo. Cat Tome 5, p. 1370.

كان ليون يعرف جيدًا مكانة خليفة كيرلس والنفوذ الذى يتمتع به من الناحيتين السياسية والدينية داخليًا وخارجيًا . وكان يخشى كثيرًا توسع هذا السلطان . خاصة وأن نفوذ رئيس أساقفة الإسكندرية لم يكن محصورًا فى مصر فقط بل كان له التأثير العظيم (وطول الباع) فى معظم بلاد الشرق ، وخاصة فى البلاط الإمبراطورى . فإن أوطيخا رئيس دير رهبان القسطنطينية ، كان خاضعًا لكل أوامره . وكان أوطيخا يتمتع هو أيضًا بدوره بنفوذ عظيم جدًا على خريسافيوس وزير الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى . وكان هذا الأخير مثل كرة صغيرة فى يده يلقى بها حيث يريد .

أتيخوس أو أوطيخا :

لا نعرف إلا القليل عن حياته وشبابه ، فعلى ما يحتمل أنه وُلِدَ حوالى سنة ٣٧٨ فى القسطنطينية أو فى ضواحيها . فقد قال هو نفسه فى خطاب كتبه إلى البابا ليون فى سنة ٤٤٨ إنه قد تجاوز السبعين من عمره ويعتقد أنه نُذِر بعد مولده للخدمة . ولذلك انخرط فى سلك الرهبنة فى سن مبكرة فى دير بالقرب من القسطنطينية .

ولقد اتخذ الراهب دالماتيوس Dalmatius مثالاً له ، فقطع على نفسه عهدًا بأن لا يخرج من الدير كل حياته.[7] ولقد اعتقد البعض أنه تتلمذ على يد الراهب ماكسيموس الذى اشتهر بتعصبه الدينى ومقاومته لتعاليم نسطوريوس .[8]

وفى الثلاثين من عمره رُسِمَ كاهنًا ونُصِبَ رئيسًا للدير الذى كان راهبًا فيه . وكان بهذا الدير أكثر من ثلثمائة راهبًا.[9] بدأ نجم رئيس الدير الجديد يلمع فى سماء القسطنطينية ، وخاصة بعد موت الراهب دالماتيوس . ولقد ذاع صيته وعرف بالتقوى والزهد . ولذلك كان الإمبراطور يجله ويحترمه كثيرًا ، بل كان يستشيره فى أمور كثيرة دينية وسياسية . والذى زاد من سلطان أوطيخا ليس فقط فى الأوساط الكنسية بل فى الأوساط السياسية أيضًا ، علاقته القوية الوثيقة مع كريسافيوس وزير الإمبراطور . لأن كريسافيوس كان أشبينًا (أبًا

---

(7) Histoire des Conciles d' apres les documents originaux par Charles Joseph Hefele, Tome 2; Dit Theo. Cath. p. 1582-1585; Mansi, Concil T. 5 Col. 1015; Mansi O. P. T. 7. 62; Duchesne. Hist. Anci... de l' Eglise Tome 3. 380-400;

(8) Duchesne, T. 3. 382-385

(9) Hefele, T. 2, p. 510-520; Hardouin

عن طريق العماد) لرئيس دير القسطنطينية. هذه العلاقات الكثيرة المختلفة التى خلقها أوطيخا بينه وبين السلطات السياسية والدينية ، جعلت منه قوة فعالة . ولذلك قال عنه نسطوريوس « وبما أنه لم يكن أسقفًا ، فبفضل السلطان والتأثير اللذين منحهما له الإمبراطور ، اعتبر نفسه أسقف الأساقفة.(١٠) وقد استخدم أوطيخا هذا السلطان فى مواقف عديدة ، لاضطهاد وطرد بعض الذين لا يتفق معهم فى التعليم . كان رئيس دير القسطنطينية على علاقة طيبة مع كيرلس ، وكان يعتبره صديقه الشخصى والمثالى فى محاربة نسطوريوس والنسطورية . ولقد أرسل له كيرلس نسخة من أعمال مجمع أفسس الأول ٤٣١ .(١١)

والأغلبية الساحقة من الذين كتبوا عن هذا الراهب يقدمونه لنا كشخص غير مثقف ، ضحل المعلومات محدود المعرفة ، بسيطًا فى تفكيره ، متناقضًا فى كثير من الأحيان فى حججه وأقواله . كما وصفه البابا ليون بالجهل وعدم الحرص .(١٢)

التطورات الكرستولوجية من بعد سنة ٤٣١ ـــ ٤٤٨

بعد أن استعرضنا بعض الشخصيات التى لعبت أو كانت ستعلب دورًا مهمًا جدًا فى تاريخ العقائد الكرستولوجية فى هذه الفترة ، لنتقدم الآن لدراسة التطورات التى مرت بها التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح بعد مجمع أفسس الأول إلى سنة ٤٤٨ .

بعد أن انفض مجمع أفسس فى سنة ٤٣١ ورجع المندوبون إلى بلادهم ، عاد كل أسقف ينادى بالتعاليم التى كان يؤمن بها . فنادى النسطوريون على اختلاف وتنوع أحزابهم بتعاليمهم ، وكذلك فعل كيرلس وأتباعه النسطوريون وخاصة الحزب المتطرف بينهم . تمسكوا تمسكًا عظيمًا بتعاليم نسطوريوس التى نبَّرت على تمييز بين الطبيعتين تمييزًا كاملاً شاملاً . كما أن كيرلس وأتباعه تمسكوا هم أيضًا بوحدة الطبيعة . وهنا ظهر من جديد شبح الانقسام الذى كان يهدد وحدة الكنيسة . فكان من الضرورى إيجاد حل عاجل لتفادى هذا الخطر الذى

---

(10) Nestorius Livre d' Heralide, Trad. NAU, p. 294-295; Dit Theo. cath. 1584.
(11) Mansi T. 7, Coll. 631; Dict. Theo. Cat. 1582-1585.
(12) Hefele, 2. 567-572; 512-520.

كان يهدد سلام الكنيسة والإمبراطورية معًا . أدرك القديس كيرلس بنظره الثاقب وتفكيره العميق ، ورؤيته البعيدة الواسعة للمستقبل هذا الخطر . فقام بمجهود جبار وبتضحيات عظيمة لإعادة السلام إلى الكنيسة والإمبراطورية ، وتم فعلاً بفضل جهوده الضخمة وبمجهود بعض القادة الآخرين الشرقيين ، أمثال يوحنا الأنطاكى ، وبولس الحمصى ، إبرام ما يدعى بمعاهدة السلام فى سنة ٤٣٣ . وقد مرت بالكنيسة بعد هذه المعاهدة التى سرت من سنة ٤٣٣ وحتى سنة ٤٤٨ فترة هدوء وسلام . لكن للأسف الشديد لم يكن هذا السلام إلا سلامًا ظاهريًا ونسبيًا ، ذلك لأن الأحزاب الدينية المتصارعة ، استمرت تعمل بنشاط ، تارة فى العلن ، وتارة فى السر والخفاء .

إن معاهدة السلام التى وقعت فى سنة ٤٣٣ بين كيرلس (أى كنيسة الإسكندرية)، والشرقيين شددت على نقطتين :

١ ـــ رفض التعاليم النسطورية والتشديد الواضح الصريح على وحدة المسيح .

٢ ـــ رفض التعاليم الأبولوناريوسية والتشديد الواضح الصريح على وحدة الطبيعتين فى المسيح : اللاهوت والناسوت .

قد سبق وشرحنا ردود الفعل المختلفة لهذه المعاهدة . ولكن ما يهمنا دراسته هنا هو تطور التعاليم الكرستولوجية خلال هذه الفترة . فبرغم المعاهدة تمسك بعض المتطرفين من الحزبين بما كانوا يعلّمون به قبل معاهدة ٤٣٣ . بل إنها كانت سببًا فى دفع بعض هؤلاء المتعصبين المتطرفين إلى المبالغة فى شرح وتفسير تعاليمه ، والعمل على نشرها بكل الوسائل . فالذين كانوا ينادون بتعاليم الطبيعة الواحدة ، حتى أصدقاء كيرلس رأوا فى هذه المعاهدة خيانة للتعاليم التى أخذوا على عاتقهم الدفاع عنها بكل مرتخص وغالٍ . كان أكاكيوس الميلينى وهو صديق حميم لكيرلس غير راض عن هذه المعاهدة ، لأنه كان من أوائل الذين دافعوا عن عقيدة الطبيعة الواحدة فى مجمع أفسس . وهوذا الآن يرى كيرلس يوقع على قانون إيمان الوحدة ، ويقبل عقيدة الطبيعتين فى المسيح ؛ فهذا القانون الإيمانى عبارة عن تعاليم إزدواجية ، تقسم المسيح الواحد إلى مسيحين والابن الواحد إلى ابنبن . ألم يستعمل إصطلاح « هيكل » لكى يشير به إلى الناسوت الذى حمله الكلمة ؟ ألم يستعمل بعض العبارات وبعض الاصطلاحات التى استعملها نسطوريوس والشرقيون ؟ كانت هذه المعاهدة خيبة أمل بالنسبة

للحزب المتعصب المتطرف . حاول كيرلس بطرق مختلفة متنوعة ، كتابة ووعظًا وإرشادًا ، أن يشرح لأصدقائه وأعدائه وجهة نظره وتعاليمه الخاصة بقانون إيمان الوحدة ، وأن محتويات هذا الإقرار الإيمانى لا تلغى بأى حال من الأحوال العقيدة التى دافع عنها فى أفسس ومازال يدافع عنها ويتمسك بها .

فإن الاعتراف بوجود طبيعتين فى المسيح لا يلاشى الوحدة ، والوحدة لا تلاشى عقيدة الطبيعتين . وبالرغم من الرسائل والكتابات التى قام بتأليفها لشرح هذه العقيدة ، لم يستطع القديس كيرلس أن يقنع المعارضين له . بل دفعت هذه الرسائل والكتب التى دافع فيها كيرلس عن قانون إيمان الوحدة ، دفعت بعض المتعصبين المتطرفين إلى المغالاة فى تعصبهم وتمسكهم بعقيدة الطبيعة الواحدة . ولقد حاولت هذه الجماعة لَمّ شملها وتوحيد صفوفها لمقاومة التعاليم التى تنادى بالطبيعتين . وكان على رأس هذا الحزب أسيدورس ، وأكاكيوس الميلينى والكاهن الوجيوس وفيليريانوس . واتهم هؤلاء القديس كيرلس بخيانتة لمجمع أفسس والتنازل عن تعليم الطبيعة الواحدة وقبوله قانون إيمان يعترف بطبيعتين فى المسيح .

قامت هذه الجماعة بتكوين جبهة مقاومة ضد التعاليم النسطورية ، وضد الذين وقعوا على قانون إيمان الوحدة ؛ وركزت جهدها ضد النساطرة ، الذين ، بحسب اعتقادهم قسموا المسيح إلى اثنين وعملوا من الابن ابنين : ابن الله وابن الإنسان . ويبدو أن هذا الحزب المتعصب المتطرف انصب على دراسة بعض الكتابات الأبولوناريوسية ، وخاصة الكتب التى كتبها أبولوناريوس تحت أسماء مستعارة فوجدوا فيها تأييدًا كاملاً شاملاً للتعاليم الخاصة بالطبيعة الواحدة . فاعتقدوا على خطأ أن القديس أثناسيوس وغريغوريوس العجائبى وآخرين ، نادوا بعقيدة الطبيعة الواحدة . وبعد موت القديس كيرلس نبش بعضهم كتاباته ، فوجدوا فيها بعض الجمل مثل « واحدة هى طبيعة كلمة الله المتجسد » ، وهى الجملة التى اعتقد كيرلس خطأ أنها من أعمال القديس أثناسيوس ، وفى حقيقة الأمر أنها من قلم أبولوناريوس كما سبقت الإشارة . ولذلك تمسكوا بهذه العقيدة ونادوا بها ، واعتبروا الذين ينادون بوجود طبيعتين فى المسيح هراطقة . وفى بداية الأمر نادى هؤلاء بوجود اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح ، على أن اللاهوت هو الذى كان

يسيطر ويقود الناسوت ، لكن تطرف بعضهم فيما بعد ، علّم بأن الناسوت الذى أخذه المسيح ليس من نفس الطبيعة البشرية التى يتكون منها كل إنسان ، لأن جوهر المسيح يختلف عن جوهرنا . وهنا تظهر الأوطيخية التى سنتعرض لدراستها فى الفصل الثانى . ولقد وجدت هذه التعاليم الخاصة بالطبيعة الواحدة أو التعاليم الأوطيخية ، رواجًا كبيرًا فى الأوساط الرهبانية وغير الرهبانية فى مصر والقسطنطينية وفى أماكن أخرى .

اعتقد الذين قادوا هذه الحركة أن مجمع نيقية ومجمع أفسس الأول علّما بهذا التعليم : أى الطبيعة الواحدة ، وأن كيرلس قبل هذا التعليم وعلّم به . وواجب الكنيسة هو التمسك بهذه العقيدة ، وأن الابتعاد عنها ، يعتبر هرطقة يجب محاكمتها والقضاء عليها .

ولقد جنّد أعضاء هذه الحركة أنفسهم لمقاومة النسطورية وكل الأحزاب التى تنادى بوجود طبيعتين فى المسيح كتعاليم هرطوقية . فعندما قام إيباس بترجمة أعمال ديودوريوس الطرسوسى وثيودوريوس الموبسوستى المعروفين بتعاليمهما عن الطبيعتين فى المسيح ، ثار كل من أكاكيوس الميلينى ورابوله الرهاوى وكتبا إلى الإخوة فى الكنائس الأرمينية لكى يحذراهم من الخطر العقائدى الداهم ، لما تحتويه هذه التعاليم من هرطقة.وأشارا إلى هذين المعلمين الأنطاكيين هما جدا نسطوريوس . وبناء على ذلك فإن تعاليمهما غير أرثوذكسية ولا تستحق إلا الحرم وعدم النشر . ومن الملاحظ أن الذى قام بترجمة هذه الكتابات هو إيباس وهو من الذين ينادون بوجود طبيعتين فى المسيح ، وأن الذى قاوم هذه الترجمة أكاكيوس ورابوله ، وهما أسقفان من الذين ينادون بوجود طبيعة واحدة فى المسيح .

وهنا يظهر بوضوح التياران العقائديان الخاصان بشخص الرب يسوع المسيح : التيار الذى ينادى بوجود طبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى ، وتبنى هذا التيار كثيرون من الأنطاكيين ، والتيار الثانى وهو الذى ينادى بوجود طبيعة واحدة فى المسيح . إلا أن التيار الذى ينادى بالطبيعة الواحدة اتخذ اتجاهًا جديدًا . فضاعف أتباع هذا الحزب جهودهم وبالغوا فى تفسيراتهم لعملية الاتحاد التى تمت فى شخص المسيح . فقد علّم بعضهم أن اتحاد اللاهوت والناسوت عبارة عن سقوط نقطة عسل أو خل فى محيط كبير من الماء . إن

الناسوت هو نقطة العسل التى اختفت وغير ظاهرة فى المحيط الكبير من الماء . صحيح أنهم لم ينادوا بزوال الناسوت ولكنهم اختزلوا الدور الذى يقوم به الناسوت حتى ليكاد يختفى ... « نقطة عسل فى محيط كبير من الماء » .

مما لاشك فيه أن بروكلوس فى رسالته الشهيرة التى سبق أن تعرضنا لها، حاول أن يقدم شرحًا عقائديًا أورثوذكسيًا مبينًا بطريقة واضحة إتحاد الطبيعتين معًا . كما أنه حاول أيضًا فى هذه الرسالة التى كتبها فى سنة ٤٣٥ ، أن يبين خطأ التعاليم التى تنادى بطبيعة واحدة فى المسيح ، والتى انتشرت فى أماكن كثيرة .(*)

استطاع حزب المنادين بطبيعة واحدة ، أن ينشر هذه التعاليم فى القسطنطينية وأنطاكية ومصر وخاصة فى الأديرة . وهنا يظهر معلم عظيم جدًا فى العقائد لمقاومة هذه التعاليم والذى وصفه دشن (Duchesne) بأنه أغسطينوس الشرق[١٣] ألا وهو ثيودوريطس الكورشى (أو المرعشى). كان هذا المعلم العالم من أعظم وأبرز قادة الكنيسة الشرقية فى عصره . ولقد وقف وقتًا طويلاً بجانب نسطوريوس وحزب الشرقيين المعتدل . وهو أيضًا الذى كلفه يوحنا الأنطاكى بتقديم تحليل عقائدى لحرمانات القديس كيرلس . ومع أنه قدم فعلاً تحليلاً عقائديًا ناقدًا فيه بعض حرمانات القديس كيرلس ، إلا أنه أظهر توافقه مع معلم الإسكندرية وخاصة بعد معاهدة السلام التى تمت فى ٤٣٣ فى عدة نقاط هامة وجوهرية .

لم يستطع الراهب الأسقف ثيودوريطس أن يظل صامتًا أمام التعاليم المزجية والخلطية (مزج وخلط الطبيعتين) التى انتشرت فى عصره . ولذلك فقد قام فى أواخر سنة ٤٤٧ بنشر مجلد يحتوى على ثلاثة أجزاء بعنوان الشحاذ (Eranistes).[١٤] ولقد نهج معلم كورش فى هذا الكتاب أسلوب الحوار : حوار دار بين الأرثوذكس وبين الشحاذ ، فالشحاذ يشرح للأرثوذكسى مفهومه لشخص المسيح فهو (الشحاذ) يعتقد بأن اللاهوت والناسوت لا يكونان فى المسيح إلا طبيعة واحدة ، وأن وجود المسيح فى بطن مريم لا يعتبر

(*) انظر هذا المجلد من صفحة ٨٢ — ٩٤

(13) Duchesne, Hist. Ancienne de l' Eglise, 3. 393-396.

(14) P. G. 83, 32-317; Camelot 87-88; J. Liebaert Hist des Dog; Incarnation 201-204; M. Richard, Notes sur l' évolution doctrinale de Théodoret, Rev. S. C. ph Th 25 (1935) 459-481.

إلا مرورًا فقط ، وأن الآلام التى قاساها المسيح ، تحملها وشعر بها أيضًا فى لاهوته : فاللاهوت تألم أيضًا . ويواصل الشحاذ شرحه ، مبينًا أن الطبيعة الإلهية ظلت بعد الاتحاد ما كانت عليه قبلاً ، ولقد امتص اللاهوت الناسوت كما يمتص البحر نقطة العسل أو الخل عندما تسقط فيه . إن الطبيعة البشرية لم تتلاشَ ، ولكنها تحولت إلى جوهر اللاهوت ، وأن جسد المسيح ليس من نفس مادتنا أو طبيعتنا . فحتى لو كان المسيح قبل التجسد مكونًا من طبيعتين ، فبعد التجسد لا يوجد إلا طبيعة واحدة . هذا هو تعليم الشحاذ .

ويقدم ثيودوريطس تعليقه على تعليم الشحاذ ، مبينًا بدوره العقيدة الأرثوذكسية الصحيحة : فهو يعتقد أن الطبيعة الإلهية أو اللوغوس لا يتألم ولا يتغير ولا يجهل ، ولا يموت لأنه الله الكلمة . وأن الإتحاد قد تم بين اللاهوت وبين الناسوت أى بين الطبيعتين ، بدون خلط أو اندماج أو ذوبان أو تلاشى الواحدة ووجود الأخرى . إن كل طبيعة من الطبيعتين المتحدتين ، احتفظت بميزاتها اللاهوتية والبشرية . كان اللاهوت ساكنًا فى الناسوت ويعمل فيه وبه (الناسوت) المعجزات والآيات الخارقات للطبيعة . كان يتألم ويتعب ويعطش ويشرب بناسوته ، وكان يشفى المرضى ويقيم الأموات بلاهوته . ويواصل ثيودوريطس شرحه للشحاذ مبينًا أن التعليم أو المناداة بعدم مشابهة جسد المسيح بأجسادنا تعتبر هرطقة أبولوناريوسية . لأن المسيح اتخذ فى تجسده روحًا عاقلة وجسدًا حقيقيًا فلو لم يصر المسيح واحدًا منا ومثلنا فى كل شىء ما عدا الخطية ، لما استطاع أن يخلصنا وأن يحررنا من الخطية والاثم والعبودية .(١٥)

لدراسة تعاليم ثيودوريطس انظر

(15) Theodoret Eranistes 1; P. G. 83. 69-72;
J. McNamara, Theodoret of Cyrus and the Unity of Person in Christ; I T q 22 (1955) 313-328;

انظر أيضًا

M. Richard «L' activité littéraire de Théodoret Avantle Concile d' Ephése RSPT (1935) 83-106.

ان A. Grillmeier يعطى قائمة مطولة لبعض المراجع بلغات عديدة لدراسة تعاليم ثيودوريطس فى كتابه

Grillmeier 484-492. Camelot. Ephése et Chalcedoine 85-88;
Tixeront 3. 99-103.

أسد رستم . الجزء الثانى ٣٢٩

لم يذكر ثيودوريطس فى كتابه هذا أى اسم ، ولكن كان من الواضح الجلى أن الشخص الذى كان يشير إليه والذى يمثل الشحاذ فى حواره ، هو أوطيخا ولو لم يذكر اسمه . لأنه هو الذى كان يتزعم جماعة الذين كانوا ينادون بهذه التعاليم التى وصفها ثيودوريطس على فم الشحاذ فى حواره .

كان هذا الكتاب الذى ظهر فى أواخر سنة ٤٤٧ بمثابة القنبلة التى فجرت الثورة أو الصراع الأوطيخى . كان الكاتب شجاعًا فى الكتابة ضد هذا الراهب القوى ، الذى كان يتمتع بسلطان عظيم جدًا من الناحية السياسية والدينية .

فمع أن ثيودوريطس لم يذكر اسم رئيس دير القسطنطينية ، إلا أن الكثيرين فهموا جيدًا أنه كان يشير بطريقة غير مباشرة إلى أوطيخا . وقد كان هذا الكتاب عاملاً قويًا شجع البعض فيما بعد مثل دومنوس الأنطاكى وأسابيوس أسقف دوريله أن يرفعا صوتهما عاليًا وجهرًا صارخين فى وجه السلطة وفى وجه أوطيخا بأنه هرطوق . فما هى إذن قصة أوطيخا وما هى تعاليمه عن شخص الرب يسوع المسيح ؟ هذا هو الموضوع الذى سوف ندرسه فى الفصل الثانى .

الفصل الثانى

الصراع الكرستولوجى على وجود طبيعة أو طبيعتين فى شخص المسيح يسوع وقضية أوطيخا

كان أوطيخا أو (أوطيخوس Eutyches) رئيس دير القسطنطينية من المتحمسين لعقيدة الطبيعة الواحدة فى شخص الرب يسوع المسيح . ألم يتتلمذ على يد الراهب ماكسيموس (Maxime) الذى اشتهر بتعصبه وصراعه ضد نسطوريوس والنسطورية ؟[١] وهو الراهب الذى نصحه القديس كيرلس بالاعتدال فى صراعه هذا.[٢] أراد أوطيخا أن يحارب النسطورية بكل قوته ولذلك كون حزبًا قويًا متعصبًا متحمسًا . فالتف حوله وأيده معظم الذين رفضوا معاهدة السلام والصلح الخاص بعقيدة الطبيعتين فى المسيح يسوع . وكان هذا الحزب برئاسة هذا الراهب الجاهل المتعصب على تمام الاستعداد لاستعمال كل الوسائل للوصول إلى هدفه : وهو الإطاحة بالنسطورية والنساطرة وبالذين وقعوا على معاهدة الصلح والسلام فى سنة ٤٣٣ أينما وجدوا ومهما كلف الأمر . ولقد استغل أوطيخا نفوذه وعلاقاته واتصالاته الشخصية بالبلاط فى تنفيذ مخططه هذا . فمنذ أن وصل ابنه بالمعمودية خريسافيوس ، إلى السلطة فى بلاط الإمبراطور ثيودوسيوس فى سنة ٤٤١ لم يكف هذا الراهب المتعصب عن استعمال هذا النفوذ فى الضغط على أتباع نسطوريوس والعمل على نشر تعاليمه الخاصة بالطبيعة الواحدة . وابتداء من سنة ٤٤٨ أصدر البلاط الإمبراطورى عدة قوانين ضد النساطرة . ففى يوم ١٦ فبراير سنة ٤٤٨ أصدر الإمبراطور قرارًا أحيا به القرار الذى كان قد سبق أن أصدره فى سنة ٤٣٥ ، والذى أمر بموجبه بحرق الكتب النسطورية والكتب التى تعارض مجمع أفسس . وكان هذا القرار الإمبراطورى مصوبًا كالسهم القاتل ضد الكتاب الذى كتبه ثيودوريطس[٣] بعنوان « الشحاذ »والذى حلل فيه تحليلاً دقيقًا التعاليم التى كان ينادى بها أوطيخا دون أن يذكر اسمه . لقد شرح المعلم الأنطاكى ثيودوريطس عقيدة الطبيعتين فى

---

(1) Duchesne, Hist. Anc. de l' Eglise Tome 3. 382-385.

(2) Hist des Conciles Oecuméniques. Camelot 88-90, P. G. 77, 45.

(3) Mansi 5, Col. 417, D. T. C. 1583; Epist. 83. P. G. 83, Col. 1265; G. Bardy, Hist. de l' Eglise 212-216.

المسيح ، ثم انتقد انتقادًا لاذعًا الذين ينادون بوجود طبيعة واحدة فى المسيح . ويعتقد الكثيرون أن أوطيخا وخريسافيوس ، وربما ديوسقوريوس أيضًا كانوا هم اليد التى دفعت الإمبراطور إلى اتخاذ هذا القرار لتحطيم الذين ينادون بوجود طبيعتين فى المسيح . ولم يكتفِ أوطيخا بأن تُحرق كتب هؤلاء وخاصة كتاب ثيودوريطس ، بل حث الإمبراطور الذى كان يحتل فى قلبه وفى بلاطه مكانة مرموقة ممتازة ، على إصدار أمر آخر يقضى بعدم خروج الأسقف ثيودوريطس من دائرة أبروشيته . وهو الذى دفع الإمبراطور إلى منع هذا الأسقف المعارض لتعاليم أوطيخا ، من حضور مجمع أفسس ما لم يطالب الأساقفة بذلك . ومما قاله عنه نسطوريوس : « وبما أنه لم يكن أسقفًا ، فقد اعتبر نفسه أسقفًا للأساقفة بفضل السلطان الذى منحه له الإمبراطور » .(٤)

ولقد بالغ فى استغلال نفوذه لدى الإمبراطور والحاشية الملكية ، وخاصة لدى خريسافيوس ، لدرجة أنه كان يَطرد من الكنيسة من أراد أو من يعارضه فى الفكر أو العقيدة ، ويشجع ويساعد الذين يتبعون تعاليمه فى الصعود إلى المراكز العالية.(٥) ويعتقد بعض المؤرخين أن أوطيخا كان من الشخصيات التى اعتمد عليها ديوسقوريوس أسقف الإسكندرية ، وهاجم أصدقاء نسطوريوس وكل الذين يقبلون عقيدة الطبيعتين . فبفضل نفوذ أوطيخا وسلطانه فى البلاط الإمبراطورى ، استطاع ديوسقوريوس دفع الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى إلى خلع أبرناوس أسقف صور لأنه كان من الذين قاوموا القديس كيرلس فى مجمع أفسس الأول .(٦)

بعد موت الراهب الشهير الذى كان يتمتع هو أيضًا بنفوذ روحى عظيم فى البلاط الملكى ، احتل أوطيخا هذا المكان . فكان الإمبراطور يستشيره فى أمور كثيرة روحية وسياسية ، وهكذا كان يفعل أيضًا وزير الإمبراطور خريسافيوس . وامتدت سلطة هذا الراهب داخل البلاط فى القسطنطينية وخارجها وانضم إليه الراهب العنيد الشرس « برسوم » ، الذى جاء بجماعة من رهبانه إلى مجمع أفسس الثانى للدفاع عن أوطيخا وتعاليمه .

---

(4) Nestorius Livre d' Héraclide Trad. Nau, P. 294-296; D. T. C. 1584.

(5) D. T. C. 1584-1585.

(6) J. Turmel, Hist. des Dog, P. 350-356.

إن الحرب الشعواء التى قام بها هذا الراهب لم تكن موجهة ضد نسطوريوس والنساطرة فحسب ، بل كان يحارب بكل قوته وجهده ، ونفوذه كل من لا يقبل عقيدة الطبيعة الواحدة .

فكان يحارب إذن النساطرة ، والحزب المعتدل الذى حكم على نسطوريوس . ولقدجنّد رهبانه ونفوذه وعلاقاته الشخصية للقضاء على هذين الحزبين لأنه كان يرى فيهما نسطورية وهرطقة . ولأجل هذا السبب كتب إلى ليون فى ربيع سنة ٤٤٨ يشرح له الخطر الداهم الذى يهدد الأرثوذكسيين المتمسكين بتعاليم مجمع أفسس ولقد رأى فى كل من ثيودوريطس الكورشى ودومنوس (Domnus) الأنطاكى مثلاً حيًا يهدد كيان التعاليم الصحيحة . على أنه لم يشرح فى خطابه هذا للقديس ليون ما هى هذه التعاليم الأرثوذكسية الصحيحة التى كان يعلم بها والتى كان يشعر بأنها مهددة ؟ كان رد القديس ليون ينطوى على الحكمة والحذر : فقد هنأه أولاً على حماسه ودفاعه عن الأرثوذكسية ، إلا أنه لا يستطيع أن يدافع عنه دون أن يعرف تفاصيل القضية .(٧)

لقد أخذ أوطيخا على عاتقه محاربة ومقاومة الأحزاب التى لا تقبل تعاليمه . وقبل أن ندرس هذه التعاليم ، يجدر بنا أن نذكّر الدارس بالأحزاب أو التيارات العقائدية التى انتشرت بعد مجمع أفسس الأول : فلقد انقسم الشرقيون فى مجمعيهم اللذين عقدوهما فى طرسوس وأنطاكية بعد مجمع أفسس إلى ثلاثة أحزاب .

١ ـــ كان الحزب الأول يرغب فى إرساء وتوطيد دعائم السلام بين رئيس أساقفة الإسكندرية كيرلس وبين الشرقيين . ولقد أظهر هذا الحزب المعتدل استعداده لقبول تعاليم كيرلس إذا قَبِل أسقف الإسكندرية بعض التغييرات والتعديلات فى مفاهيمه الكرستولوجية والمريمية .

٢ ـــ أما الحزب الثانى فهو الحزب النسطورى المتطرف الذى لم يقبل حرم وخلع نسطوريوس . كما أنه رأى فى القديس كيرلس عدوًا لدودًا وأبولوناريوسيا يجب محاربته .

---

(7) D. T. C. P. 1584-1585; J. Turmel, 350-355; Hefele, Hist. des Conciles, T. 2. P. 515-520.

٣ـ قبل الحزب الثالث مبدأ مناقشة الحرمانات الاثنى عشر التى نطق بها كيرلس ، ولكنه رفض الموافقة على حرم نسطوريوس ، وكان على رأس هذا الحزب ثيودوريطس الكورشى .

هذه هى الأحزاب التى ظهرت فى جماعة الشرقيين . أما أتباع كيرلس فقد انقسموا إلى حزبين أو تيارين عقائديين : الحزب المعتدل الذى قبل معاهدة الصلح والسلام التى تتضمن الاعتراف باتحاد الطبيعتين فى المسيح وعلى رأس هذا الحزب القديس كيرلس . والحزب الثانى هو حزب المتطرفين الذى رفض معاهدة السلام ، ونادى بوجود طبيعة واحدة فى المسيح وكان على رأس هذا الحزب أكاكيوس الميليتى(٨) والكاهن الوجيوس وفيليريانوس وآخرون . هذا هو الحزب أو التيار العقائدى الذى قام بإحيائه الراهب أوطيخا ، ونشره فيما بعد وخاصة بعد موت القديس كيرلس وهنا نأتى إلى السؤال : ما هى التعاليم التى كان يعلم بها أوطيخا ؟

إن دارس تاريخ التعاليم الكرستولوجية يلاحظ رواج وانتشار تعاليم أبولوناريوس فى هذه الفترة أكثر من أى وقت مضى ؛ وخاصة كتاباته التى وضعها تحت عناوين مزيفة مستعارة . فقد كتب أبولوناريوس كتبًا باسم القديس أثناسيوس والقديس غيرغوريوس العجائبى والبابا يوليانوس وانخدع الكثيرون بهذه الكتب التى تعلم بوجود طبيعة واحدة فى المسيح . فحتى القديس كيرلس نفسه اقتبس من هذه الكتابات بعض النصوص التى تعلم بوجود طبيعة واحدة ، معتقدًا أن كاتب هذه النصوص هو القديس أثناسيوس . وبعد موت القديس كيرلس ، قام أوطيخا بدراسة هذه الكتب المزيفة واعتقد أن الآباء أثناسيوس وغريغوريوس العجائبى ويوليانوس ، كتبوا هذه الكتب . ولقد زاد تمسكه بهذه التعاليم التى تنادى بوجود طبيعة واحدة فى المسيح عندما وجد أن القديس كيرلس قد اقتبس منها بعض النصوص وخاصة الجملة الشهيرة « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » . ولكن للأسف الشديد لم يفهم أوطيخا أن هذه الكتب مزيفة ، كما أنه لم يفهم أيضًا تعاليم القديس العظيم كيرلس على حقيقتها . ولذلك فقد تطرّف فى تعليمه وانحرف فى تفسيره لهذه العقيدة الكرستولوجية .

---

(8) Quasten, T. 3. 266-267; St. Cyr. Epist. 45.

كان أوطيخا وأتباعه يعتقدون أن الأحزاب الأخرى التى تنادى بتمييز الطبيعتين الواحدة عن الأخرى بطريقة واضحة ، إنما هى تيارات عقائدية لا أساس لها ، لا فى كتابات الآباء ولا فى الكتاب المقدس ، ويجب مقاومتها والحكم عليها . وفى تمسكه بعقيدة الطبيعة الواحدة فى المسيح ، واعتقاده بأن التعليم بوجود طبيعتين فى المسيح هرطقة يجب القضاء عليها ، سقط فى هرطقة جديدة . فما هى هذه التعاليم التى نادى بها أوطيخا ، وما هى هذه الهرطقة ؟

كان القديس العظيم كيرلس يعمل جاهدًا طوال حياته ، لشرح عقيدة وحدة الطبيعتين فى شخص واحد . فقد حارب بكل قواه جميع التيارات التعليمية التى بدا له أنها تقسم المسيح إلى مسيحين والابن الواحد إلى ابنين . فعندما ظهر المعلم الأنطاكى نسطوريوس ينادى بالتمييز الواضح الصريح بين الطبيعتين ، اعتقد أنه فصل أو قسم المسيح الواحد غير المنقسم وغير المنفصل ، فشدد فى تعليمه على الوحدة الكاملة وعدم فصل الطبيعتين . وفى حقيقة الأمر ، لم يقصد نسطوريوس الفصل بل كان يريد تمييز الطبيعتين الواحدة عن الأخرى .

وهنا يظهر أوطيخا الذى فهم تعليم القديس كيرلس بطريقة خاطئة . والفرق شاسع واسع بين تعليم المعلم العظيم كيرلس وبين تعاليم أوطيخا . فما هو مفهومه عن شخص المسيح ؟

أولاً : مفهومه لمشكلة الطبيعة الواحدة :

كان أوطيخا محدودًا جدًا فى دراساته واطلاعه ، ومعظم الكتب التى درسها فى هذا المجال هى كتب أبولوناريوسية .

وكما أن القديس كيرلس دافع عن وحدة الطبيعتين فى المسيح كما لو كانتا طبيعة واحدة ، وكما أن القديس كيرلس اقتبس خطأً جملة « ... واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » ، اعتقد أوطيخا أن كيرلس يعلم بوجود طبيعة واحدة فى المسيح . إلا أنه تطرف جدًا وابتعد كثيرًا فى مفهومه لتعاليم القديس كيرلس عن الوحدة .

إن أوطيخا يعترف ويعلم بوجود طبيعتين . فعندما سأله رئيس الأساقفة فلافيانوس قائلاً : « هل تؤمن بأن السيد الذى وُلِدَ من العذراء كان مكونًا من

طبيعتين » ؟ فأجاب قائلاً : « إننى أومن بأن سيدنا يسوع المسيح كان مكونًامن طبيعتين قبل التجسد أو الاتحاد ، ولكن بعد التجسد لا توجد فيه إلا طبيعة واحدة »(٩)

ماذا قصد أوطيخا بهذه الجملة ؟ ليس من السهل معرفة ذلك ، أو ما هى تعاليمه بالضبط ؟ لأنه كان ينفى فى كثير من الأحيان ما علّم به سابقًا وكان يؤكد ويثبت ما قد نفاه.(١٠) فعلى ما يظن بأن راهب القسطنطينية كان يشايع معلم الإسكندرية أوريجانوس فى عقيدة الوجود الأزلى للأرواح . فبحسب مفهوم أوريجانوس .. « الأرواح البشرية مخلوقة من زمن بعيد ، فهى سابقة إذن فى وجودها للأجساد التى تسكن فيها على الأرض الآن(١١) كان أوطيخا يعتقد بوجود طبيعتين مختلفتين فى المسيح يسوع قبل التجسد ، أى الروح المخلوقة والموجودة منذ وجود الخليقة وهى = (الروح) تمثل الطبيعة البشرية .

كما أنه كان يعتقد بوجود اللوغوس كلمة الله . فالروح البشرية الموجودة منذ وجود الخليقة . واللوغوس كلمة الله يكونان هما الاثنان طبيعتين مختلفتين ومنفصلتين الواحدة عن الأخرى . وهكذا ظلت الطبيعتان منفصلتين الواحدة عن الأخرى إلى وقت التجسد . وهنا ذابت الطبيعة البشرية ، لم تتلاش بل ذابت فى الكلمة وكونت طبيعة واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد .(١٢)

إن النقطة الأساسية والجوهرية فى تعاليمه هى وجود الطبيعتين قبل التجسد وطبيعة واحدة بعد التجسد ، الأمر الذى دهش له البابا ليون ووبخ أساقفة الشرق على صمتهم إزاء هذه الهرطقة ، فمن غير المنطقى أن توجد طبيعتان قبل التجسد وتوجد طبيعة واحدة بعد أن اتخذ كلمة الله جسدًا ، طبيعة بشرية مكونة من روح وجسد .

---

(9) J. Turmel, 350-360; Harnack, Precis de l' Histoire, 215-218;
History of the Christian Church, 420-422, History of the Christian Church; P. H. Schaff, Vol. 3, P. 734-740; Mansi Tome 6. Col. 744; J. Hefele, T. 2. 500-515; Bardy, op. cit. p, 211-215; Tixeront, Hist. des Dog 3. 80-90.

(10) F. Bonifas, T. 2. 120-125; Bardy cita 211-214; D.T. Cath. 1588-1590
D. T. Cath. 1588-1590.

(١١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . المجلد الأول . ص ٥٥٠ ـــ ٥٦٠

(12) J. Hefele Tome 2. 495-528.

ولقد سأل فلورنت (Florent) ممثل الإمبراطور أوطيخا أثناء محاكمته فى القسطنطينية قائلاً : هل تعترف بوجود طبيعتين فى المسيح وأن ناسوته من نفس طبيعتنا ؟ فأجاب رئيس دير القسطنطينية قائلاً لقد درسنا كتابات القديسين كيرلس وأثناسيوس وهما لا يتكلمان عن طبيعتين ، بل عن طبيعة واحدة بعد التجسد . فطرح عليه فلورنت السؤال الآتى : هل تعترف بوجود طبيعتين فى المسيح بعد الاتحاد . فاعترف بأنه يؤمن بوجود طبيعتين قبل الاتحاد ، لكن بعد التجسد لا توجد إلا طبيعة واحدة .

ثم نصح فلورنت والمجمع الذى كان يحاكمه بدراسة كتابات كيرلس وأثناسيوس فعندما قال أوطيخا إنه درس كتابات كيرلس وأثناسيوس كان يشير إلى الكتابات المزيفة التى كتبها أبولوناريوس ظنًّا منه أن هذه الكتب كتبها كيرلس وأثناسيوس.[١٣] وبناء على ذلك كان يدافع بحماسة وبكل قوة عن تعاليم الطبيعة الواحدة . وهى نفس الحجة التى سوف يستند إليها أيضًا ديوسقوريوس رئيس أساقفة الإسكندرية فى مجمع خلقدونية فى دفاعه عن عقيدة الطبيعة الواحدة فى المسيح[١٤] عندما أعلن أنه على استعداد أن يثبت من كتابات كيرلس والآباء صحة تعليم الطبيعة الواحدة ، علمًا بأنه دون أن يدرى كان يرجع أيضًا إلى كتابات أبولوناريوس . والذى لاشك فيه أن كيرلس شدد كثيرًا على وحدة الطبيعتين فى المسيح . وفى حديثه عن الوحدة يشعر الدارس فى بعض الأحيان كما لو أنه كان يتحدث عن طبيعة واحدة فى المسيح لكى يرفض التمييز الواضح الذى نادى به معلمو أنطاكية وخاصة نسطوريوس . لقد فهم أوطيخا تعليم كيرلس عن الوحدة بطريقة خاطئة . وظن أن كيرلس يعلم بوجود طبيعة واحدة فقط فى المسيح .

فهم أوطيخا عملية التجسد كما لو كانت عملية اختلاط وامتزاج بين الطبيعتين . فالطبيعتان الموجودتان المنفصلتان قبل التجسد ، صارتا طبيعة واحدة بعد التجسد . ومع أنه يعترف بأن الناسوت لم يتلاش تمامًا بعد الاتحاد ، إلا أنه يعتقد بأن اللاهوت امتص الناسوت ، الذى ذاب فى اللاهوت

---

(13) Hefele, T. 2, 350-540;
كتاب الدرة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، عصر المجامع بقلم القمص كيرلس الأنطونى
Dict. Theo Cath. 1590-1592, Mansi P. 186-216.

(١٤) الشماس منسى القمص . كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ٢٨٦ ــ ٢٨٧

كما تذوب نقطة عسل عندما تسقط فى محيط من الماء.(١٥) فبهذا التشبيه ، أراد أوطيخا أن يعلم بأن ناسوت المسيح موجود ولم يتلاشَ تمامًا ، ولكن وجوده كوجود نقطة عسل فى محيط من الماء ، أى لا تأثير ولا فعالية لهذه النقطة الضئيلة من العسل فى المحيط الواسع .

فهو يعتقد أن اللاهوت كان يعمل كل شيء فى يسوع المسيح الناصرى ، أما الناسوت فلا سلطان ولا فعالية له . وهنا نرى أن أوطيخا نادى بعملية امتزاج الطبيعتين واختلاطهما بصورة تامة . ففى صراعه وحربه ضد النسطورية التى نادت بتمييز الطبيعتين الواحدة عن الأخرى ، انزلق فى هرطقة جديدة ، هرطقة خلط ومزج الطبيعتين ، الأمر الذى حاول كيرلس تجنبه ورفضه فى تعاليمه رفضًا باتًا .

دعونا ننتقل إلى نقطة أخرى فى تعاليم أوطيخا وهى : ما هو مفهومه لناسوت المسيح ؟ أو بمعنى أصح هل اللوغوس أخذ جسدًا حقيقيًا أم شبه جسد ؟ هل هو من نفس طبيعتنا أم أن طبيعته التى أخذها تختلف عن الطبيعة البشرية ؟

فى الكتاب الذى كتبه ثيودوريطس الكورشى ضد تعاليم أوطيخا دون أن يذكر اسمه ــ(اسم أوطيخا)ــ يحكى المؤلف عن جماعة من الناس كانت تعلم بأن لاهوت وناسوت المسيح لا يكونان إلا طبيعة واحدة ، وأن الكلمة المتجسد لم يأخذ ناسوته أو طبيعته البشرية من مريم العذراء.(١٦) والجماعة التى كان يقصدها ثيودوريطس هى جماعة أوطيخا . ولكن عندما سأله سنودس القسطنطينية عن عقيدته فى الطبيعتين ، أعلن أنه يؤمن بوجود الطبيعتين قبل التجسد ، لكن بعد التجسد لا توجد إلا طبيعة واحدة ، ثم أضاف بأن المسيح ولد من العذراء مريم وهو إنسان كامل وإله كامل . ويعتقد البعض أنه أنكر قوله إن جسد المسيح نزل من السماء . إلا أنه رفض قبول فكرة أن جسده أو طبيعته البشرية من نفس جوهر طبيعتنا.(١٧) ولقد اعتقد

---

(15) Bardy, cite. 211-215; J.M.A. Salles-Dabadie, Les Conciles oecu...; dans L' histoire 120-140; J. Kelly, 340-344; Harnack, Precis 312-320. A. Grillmeier 448-543.
الدكتور أسد رستم . الجزء الأول ص ٣٢٨

(16) Kelly, 340-344; Theodoret de Cyr. Era; P. G. 83.28, 153
(17) Kelly 341-344

البعض الآخر أن أوطيخا علّم بأن اللاهوت كلمة الله ، استحوذ واخترق بل سيطر تمامًا على الناسوت لدرجة أن جسد المسيح لا يعتبر مشابهًا لأجسادنا.[١٨] كما شاع عنه أيضًا أنه علّم بأن « الابن الأزلى لم يأخذ شيئًا من مريم العذراء ، لأنه تحول وتغير إلى لحم ودم ، فجاز فى بطنها دون أن يأخذ منها شيئًا.[١٩] وأن جسد المسيح ليس من نفس الجوهر الذى تتكون منه أجسادنا فالألم لا يعرف طريقه إليه ..... رفض أوطيخا وجود الطبيعتين مقترنتين فى المسيح ، زاعمًا أن الإله الكلمة انحدر من السماء بجسد سماوى واجتاز فى بطن البتول كما لو كان ولد منها ، وفى الحقيقة أنه لم يولد ......[٢٠] إن طبيعة الابن المتجسد تغيرت بعد التجسد ، وهى لا تشبه طبيعتنا . فحتى جسد المسيح يختلف عن أجساد بقية البشر.[٢١] وأشاع البعض أن أوطيخا أعلن أنه لم يعلِّم قط بأن جسد المسيح نزل من السماء ، كما أنه يعترف بأن الذى ولد من العذراء مريم هو إله كامل وإنسان كامل ، فهو يقول « إنى أعترف بأن ابن الله تجسد من جسد العذراء مريم وصار إنسانًا لأجل خلاصنا ، وأن مريم هى شبيهة بنا ، وأن إلهنا تجسد منها ».. كما أنه حرم كل من يعلّم بأن جسد المسيح نزل من السماء .[٢٢]

كما سلفت الإشارة ، ليس من السهل معرفة ما كان يؤمن ويعلم به هذا الرجل نصف الجاهل ونصف العالم . لأنه كان ينفى فى أحيان كثيرة ما أثبته فى موضع آخر ، ويثبت ما قد نفاه سابقًا . ومع ذلك ، سنحاول الآن معرفة ما علّم به أوطيخا فيما يخص هذه النقطة وهى : هل كان يؤمن بأن طبيعة المسيح مثل طبيعتنا أم تختلف عنها ، وهل جسده (المسيح) نزل من السماء أم هو جسد بشرى ؟

والخيط الذى يمكن أن يصل بنا للإجابة هو ، أن نتتبع سير القضية والأسئلة التى طرحت عليه فى مجمع القسطنطينية . فلقد سأله أسابيوس رئيس أساقفة

---

(18) Hist. of Christian Church 418-425.

(١٩) اسحق بن العسال . أصول الدين الباب التاسع

(٢٠) انظر كتاب عصر المجامع : القمص كيرلس الأنطونى ٢٠٠ ــ ٢٠٧ ، تاريخ الكنيسة المسيحية نقله من الروسية إلى العربية الكسندروس مطران حمص وتوابعها ١٦٢ ــ ١٦٧

(21) The Ecumenical Councils, William. 240-247.

(22) Dict. Theo. Cath. 1588-1591, Mansi, Col. 740-741, P. L. T. 14, Col. 717-718.

القسطنطينية قائلاً « هل تعترف بوجود طبيعتين فى المسيح بعد التجسد ، وهل تؤمن بأن المسيح كان من نفس الطبيعة البشرية ؟[٢٣]

فأجاب أوطيخا بالقول : « إننى أصلى للآب دون أن أبعد الابن ، وأصلى للابن دون إبعاد الآب ، وأصلى للروح القدس دون إبعاد الآب والابن » كما أننى أعترف بأن جسده ... وُلِدَ من بطن العذراء وصار إنسانًا بكل ما تحمله كلمة إنسان من معنى ... هذا هو ما أؤمن به أمام الآب وأمام الابن وأمام الروح القدس وأمام قداستكم.[٢٤] وعندئذ سأله أسابيوس (Eusebe): هل تعترف أيضًا بأن نفس الابن الوحيد سيدنا يسوع المسيح من نفس جوهر الآب من ناحية اللاهوت ، ومن نفس جوهر أمه من ناحية ناسوته ؟ وهل تعترف بأن المسيح مكون من طبيعتين ؟ فقال أوطيخا لم أسمح لنفسى أن أتساءل عن طبيعة إلهى ، ولم أقل أبدًا كيف فهمت أنه كان من نفس طبيعتنا . ولم أقل حتى هذا اليوم إن جسد سيدنا يسوع المسيح وربى كان مثل طبيعتنا ، على أننى أعترف بأن العذراء هى من نفس طبيعتنا وأن إلهنا ولد من جسدها . وعندئذ قال الكاهن فلورنت (Florent): « بما أن أوطيخا يعترف بأن العذراء كانت من نفس جوهرنا وأن المسيح أخذ ناسوته منها ، فإن المسيح إذن كان من نفس طبيعتنا » . فأجاب أوطيخا قائلاً : « يجب أن تفهمونى جيدًا فأنا لا أقول بأن جسد الإنسان صار جسد الله ، ولكنى أتحدث هنا عن جسد الله البشرى وأعترف بأن الرب عمل لنفسه جسدًا من العذراء ، فهل ترغبون أن أضيف إلى هذا أيضًا أن جسده هو من نفس طبيعتنا ؟ سبق أن قلت إنى لا أتكلم عن مساواة طبيعته بطبيعتنا ، ولكنى الآن على تمام الاستعداد أن أفعل ما تأمر به قداستكم . فقال له رئيس الأساقفة « فأنت لا تقبل هذا عن اقتناع بل مرغمًا ». فأجاب بأنه يفعل ذلك خضوعًا لأمر المجمع . وهنا سأله ممثل الإمبراطور فلورنت بطريقة واضحة وبأسلوب مباشر : « هل تؤمن بأن سيدنا يسوع المسيح الذى ولد من العذراء هو من نفس طبيعتنا وأنه ذو طبيعتين بعد التجسد ؟ » فأجاب أوطيخا بالقول : « إننى أعترف بوجود طبيعتين فى المسيح . ولكن بعد الإتحاد ، لا أعترف إلا بطبيعة واحدة . ثم أضاف بأنه

---

(23) Hefele, Tome 2. 536; Hardouin, Coll. Concil; T. 2. Col. 159; Mansi Concil Amplisse, Coll. T. 6. Col. 734-738.

(24) Hardouin Coll. Concil, T. 2. 162-164; Mansi 6. Col 739; Hefele 2. 536.

على استعداد أن يقبل عقيدة مساواة طبيعته بطبيعتنا ، وأن المسيح يتكون من طبيعتنا ما دام المجمع يطلب ذلك لكنه لم يجد لا فى الكتب المقدسة ، ولا فى أقوال الآباء ما يؤيد ذلك . وهنا صرخ أعضاء المجمع قائلين : « فليكن محرومًا »(٢٥)

إن من يدرس هذه القضية من الناحية العقائدية ، يلاحظ أن أوطيخا رفض وجود طبيعتين فى المسيح بعد التجسد . كما أنه رفض أيضًا حقيقة أن طبيعة المسيح هى من نفس طبيعتنا . وبناء على ذلك فهو غير قابل للآلام أو التعيير . وأن لاهوته امتص ناسوته كما تذوب نقطة عسل أو خل فى محيط ماء . فمع أنه لم ينكر ناسوت المسيح إلا أنه خلط أو أدمج اللاهوت بالناسوت لدرجة أنه لا توجد حسب مفهومه إلا طبيعة واحدة بعد عملية التجسد .

هذه هى بعض التعاليم التى نادى بها رئيس دير القسطنطينية ، والتى حاول أن ينشرها فى كل الكنائس . ولقد استعمل كل الوسائل السياسية والدينية ونفوذه فى البلاط الإمبراطورى وخارج البلاط لمحاربة النسطورية وحزب معاهدة السلام ، ونشر هذه التعاليم . كان يعتقد بأن الله قد أقامه لإعادة الأرثوذكسية إلى الكنائس التى ضربت بهذه الأرثوذكسية عرض الحائط . ولقد استطاع فعلاً بفضل نفوذه فى البلاط الإمبراطورى وحاشيته ، خاصة بمساعدة الوزير خريسافيوس نشر هذه التعاليم الهرطوقية فى طول البلاد وعرضها . كما أنه كوَّن أحزابًا سياسية ودينية قوية للقيام بهذه المهمة . وبما أنه كان يتمتع فى بداية الأمر بسمعة طيبة ، ونظرًا للنفوذ السياسى والدينى العظيم الذى كان له ، لم يستطع أحد أن يرفع صوته ضده أو يعارضه . وإنه لمما يدعو للأسف الشديد ، أنه لم يحاول نشر هذه التعاليم بطريقة سلمية وعن طريق الإقناع ، بل استعمل أيضًا بعض وسائل الضغط التى كان يتمتع بها عن طريق اتصالاته وعلاقاته بالهيئة الحاكمة لهدم وملاشاة الأحزاب الدينية الأخرى ونشر هذه التعاليم . واستمرت هذه الحالة إلى سنة ٤٤٧ ، إلى أن قام الأسقف ثيودوريطس الكورشى بتأليف كتابه المشهور بعنوان « الشحاذ » منددًا بهذه التعاليم وهرطقتها . ومع أنه لم يجسر على ذكر اسم أوطيخا بسبب ما كان يتمتع

(25) Hefele, op. cit. T. 2. 537; Hardouin op. cit; T. 2, Col. 163; Mansi op. cit; 6, 742-743.

به من النفوذ و« الباع الطويل »، فإن الكثيرين فهموا أن هذا الأخير هو المقصود بالهرطقة وضلال التعليم المشار إليه فى هذا الكتاب . وبعد ظهور هذا الكتاب ، كتب دومنوس أسقف أنطاكية رسالة إلى الإمبراطور يعلن فيها هرطقة أوطيخا أيضًا . وبعد ذلك تقدم أسابيوس بشكوى لمجمع القسطنطينية ضد أوطيخا وتعاليمه . وهذا هو الموضوع الذى سندرسه بالتفصيل فى الفصل الثالث .

بعض المَراجع الهامة لدراسة حياة وتعاليم أوطيخا :

(1) Philip Schaff, History of the Christian Church, V. 3.
(2) The Imperial Church From Constantine to the Early Middle Ages by Karl Baus, Hans-Georg Beck, Eugen Ewig.
(3) Dr. A. Harnack, History of Dogma, V. 4,
(4) William P. Dubose, S. T. D.
Ten Epocks of History, The Ecumenical Councils by William P. Durose.
(5) Ed, Rochie, Hardy Christology of the Later Fathers.
(6) History of the Christian Church.
(7) Acts of the Synod ACO 2; 1, 1, 124-144.
(8) The Emperor's Decree of Convocation, ACO 11, 1, 1, 69
(9) W. Cunningham. Historical Theology 1. 811-815.
(10) J. Tixeront, Histoire des Dogmes 3.
(11) A Grillmeier. Le Christ dans La Tradition Chrétienne.
(12) J. Kelly, Initiation à La Doctrine des Péres de L' Eglise.
(13) L. Duchesne, Histuire Ancienne de L' Eglise, T. 3
(14) Hefele-Leclerc, Histoire des Conciles, T. 2.
(15) Tillemont, Mémoire, T. 15.
(16) Jaffe - Wattenbach
(17) Histoire de L' Eglise depuis les origines jusqu'à nos jours. p. de Labriolle, G. Bardt, L. Behier.
(18) Dic; Theo. Catholique (1924), Vol. 5, 1582-1609.
(19) R. Draguet, La Christolofge d' Eutyches...
(20) J. Liebaert, Histoire des Dogmes
(21) P. Th. Camelot, Ephése et Chalcedoine
(22) L. Prestige, fathers and Heretics
(23) J. N. D. Kelly, Early Christian Doctrine.
(24) Batiffol, Le Siége Apostolique.
(25) Cyrille Ep. 57; P. G. 83, 69-72; 77. 320-321; ACO 11, 11, 91; Synodicon 203; P. G. 84, 828. Le Livre d' Héraclide, Trad. F.Nav. 294-297.
(26) Joseph Turmel, Histoire des Dogmes 11.
(27) A. Harnack, Précis de L' Histoire des Dogmes.
(28) J. M. A. Salles - Dabadie, Les Conciles Occumeniques dans l' Histoire.
(29) F. Bonifas, Histoire des Dogmes, de L' Eglise Chrétienne.
(30) Mansi, 6, 652, 700, 741, 744-748; 817; Mansi 6, 972, Tome 7, 104-105, 116, 146. Encyclopédie des Sciences Religieuses Tome 4.
(٣١) الدكتور أسد رستم . كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى . الجزء الأول .
(٣٢) تاريخ كنيسة أنطاكية . تأليف المؤلف الكبير العلامة خريسوستمس بابادوبولس . تعريب الأسقف استفانس حداد .

(٣٣) مجموعة الشرع الكنسى أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة جمع وترجمة وتنسيق الأرشمندريت حنانيا الياس كساب .
(٣٤) المطران غريغوريوس بولس بهنام : مطران السريان الأرثوذكس البابا ديوسقوروس الإسكندرى حامى الإيمان .
(٣٥) أنطونيوس الدويرى . حكم الولاة (التبعية) من نحو نصف القرن الخامس إلى أواخر القرن التاسع : موجز تاريخ المسيحية .
(٣٦) تاريخ الكنيسة المسيحية نقله من الروسية إلى العربية الكسندروس مطران حمص وتوابعها .
(٣٧) القمص كيرلس الأنطونى : عصر المجامع .
(٣٨) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة . الجيل الخامس بدعة أوطاخى
(٣٩) أبو اسحق بن العسال ، أصول الدين .
(٤٠) ابن الراهب : المجمع الخلقدونى . ابن العبرى : منارة الأقداس .
(٤١) الدرة النفيسة فى تاريخ الكنيسة
(٤٢) الشماس منسى القمص . تاريخ الكنيسة القبطية .

الفصل الثالث

محاكمة أوطيخا

رأينا فى الفصل السابق النشاط الذى قام به أوطيخا لمقاومة وملاشاة النسطورية وحزب معاهدة السلام ، لأنه اعتبرهما حزبين هرطوقيين . كما أنه بذل مجهودًا جبارًا لنشر تعاليمه التى خلطت ومزجت طبيعتى المسيح فى طبيعة واحدة .

إن حقيقة تطرف هذا الراهب فى التعليم ، وعدم أرثوذكسية العقيدة التى كان ينادى بها ، وسلطانه ونفوذه فى البلاط الإمبراطورى ، أثارت ضده الكثيرين من أعدائه بل ومن أصدقائه أيضًا . وأول من تجرأ برفع صوته ومعارضة هذا الرجل الذى يتمتع بحماية الإمبراطور نفسه ووزيره خريسافيوس ، هو المعلم المشهور فى عصره ثيودوريطس الكورشى عندما كتب كتابه الشحاذ ، مفندًا وناقدًا ضلال وهرطقة هذه التعاليم . كانت هذه الخطوة التى اتخذها أسقف كورش ضد رئيس رهبان القسطنطينية خطوة محفوفة بالمخاطر ، على أنها فتحت الباب أمام الآخرين لمقاومة تعاليم أوطيخا . فعندما ظهر كتاب « الشحاذ » سنة ٤٤٧ ، واطلع عليه دومنوس (Domnus) أسقف أنطاكية أدرك خطورة الموقف ، وضلال التعاليم التى كان ينادى بها أوطيخا . فقام بكتابة رسالة معلنًا فيها أن رئيس دير رهبان القسطنطينية يعلم بتعاليم أبولوناريوس ، وأرسل هذه الرسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى فى سنة ٤٤٨ ، أى بعد ظهور كتاب ثيودوريطس بعدة شهور . ولكن للأسف الشديد ، لم يُعر الإمبراطور هذه الرسالة أى اهتمام لأنه كان من المدافعين عن هذا الراهب.[1] بل إن رد فعل الإمبراطور جاء عكس ما كان ينتظره دومنوس . فلقد أصدر الإمبراطور فى (شباط) سنة ٤٤٨ أمرًا يمنع نشر وتوزيع كتابات بعض الذين هاجم أوطيخا تعاليمهم . إذ يبدو أن رئيس دير رهبان القسطنطينية ، استطاع بفضل النفوذ الذى كان يتمتع به فى البلاط ، دفع الإمبراطور إلى إصدار هذا القرار .

---

(1) P. L. T. 77, Col. 723, 849; Dic. Theo. Cat. 1584;
الدكتور أسد رستم . الجزء الأول ص ٣٢٩

وبالرغم من السلطان العظيم الذى كان يتمتع به هذا الراهب ، وبالرغم من المخاطر التى كان يتعرض لها كل من تسول له نفسه رفع صوته ضده وضد تعاليمه ، فقد قام أسابيوس أسقف درولة بعد أن اطلع على كتاب « الشحاذ »، بتقديم شكوى رسمية ضد تعاليم أوطيخا . فلنحاول الآن دراسة ملابسات هذه القضية مع إعادة عرض بعض وقائعها .

الحكم بحرم أوطيخا

فى يوم ٨ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ٤٤٨ عقد فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية مجمعًا محليًا ، للنظر فى قضية فلورنديس متروبوليت ساردس والأسقفين الخاضعين له وهما يوحنا وكاسيانوس . واشترك فى هذا المجمع ما يقرب من ثلاثين أسقفًا.(٢) فالغرض الأساسى الذى من أجله اجتمع هذا المجمع فى مدينة القسطنطينية كان حل المشكلة القائمة بين فلورنديس وأسقفيه . وفى أثناء انعقاد هذا المجمع وقف أسابيوس أسقف مدينة دوريلا أو دورله وقدم شكوى مكتوبة بخط يده ضد أوطيخا وتعاليمه ، واتهمه بالهرطقة فى التعليم ، وأن التعاليم التى ينادى بها غير أرثوذكسية.(٣) وقد دهش فلافيانوس رئيس المجمع لهذه التهمة وحاول أن يدافع عن رئيس الدير.(٤) وهنا نتساءل : هل كان يدافع عنه لأنه كان يعتقد أن أوطيخا ليس هرطوقيًا أم خوفًا من السلطات القوية الجبارة التى كانت وراء هذا الراهب ، أم أنه دافع عنه لكى يجنب الكنيسة خطر الانقسام والانشقاق من جديد ؟

على أن فلافيانوس كان رجلاً معتدلاً ومحبًا للسلام . ويعتقد البعض أنه سبق وكتب رسالة إلى أوطيخا راجيًا إياه أن يشفق على كنيسة الرب التى مرّت فى الأيام الأخيرة بتجارب الانقسام والانشقاق.(٥) على أية حال لم يقبل رئيس أساقفة القسطنطينية فى بادىء الأمر هذه الشكوى المقدمة ضد أوطيخا ، وطلب من أوسابيوس أسقف دروله (Eusebede Dorlee) أن يتناقش مع رئيس

---

(2) Bardy, Hist, de L' Eglise... 212-217
تاريخ الكنيسة المسيحية نقله من الروسية إلى العربية الكسندروس ص ٢٦٣ — ٢٦٦ ، القمص كيرلس الأنطونى : عصر المجامع ١٥٦ — ١٥٨

(3) Hefele, 2. 517-540; Encyclopedie des Religieuse, T. 5. 634-637; Bardy. op. cit. 213-216 J. Turmel 350-355
خريسوستمس ٢٨٣ — ٢٨٨ . د . أسد رستم ٣٣١

(4) Hefele, 2. 518-530

(5) Dic. Theo. Cath; 1583-1585; Le Livre d' Heraclide, p. 295.

رهبان القسطنطينية ، ويحاول إقناعه بالخطأ العقائدى . فأجاب يوسابيوس بأنه قد سبق وناقش هذه التعاليم مع أوطيخا عدة مرات ، وحاول أن يقنعه بأخطائه على انفراد وفى حضور عدة شهود أيضًا ، وأردف قائلاً : « لقد ناقشت معه هذه الأمور كصديق له » .(*)(٦)

ولقد قدم أسابيوس فى اعتراضه على تعاليم أوطيخا شرحًا مطولاً لهذه التعاليم المضلة وخطرها . كما أنه أوضح أيضًا أنه من المتمسكين بقانون الوحدة وبتعاليم القديس كيرلس.(٧) وطالب المجمع ببحث هذه القضية العقائدية بجدية وحزم . والتمس منه أن يطلب من أوطيخا الحضور لكى يدافع عن التعاليم التى ينادى بها حتى يستطيع أن يحكم بنفسه بأرثوذكسية هذه التعاليم أو هرطقتها .

وبرغم المحاولات التى بذلها رئيس المجمع فى إقناع أسابيوس بالذهاب إلى أوطيخا لإقناعه بضلال تعاليمه ، أصر أسابيوس بإلحاح على طلبه ، وانضم إليه بعض الأساقفة مؤيدين هذا الطلب.(٨) فقرر المجمع فحص هذه القضية بصفة رسمية . وفى يوم ١٢ نوفمبر (تشرين الثانى ٤٤٨) أى بعد أربعة أيام من الجلسة الأولى اجتمع المجمع للنظر فى قضية أوطيخا .

وفى هذه الجلسة الثانية ، شرح أسابيوس للمجمع الخطر الداهم الكامن فى هذه التعاليم ، كما أنه بيّن أيضًا ، أنه رغم المناقشات الودية ، لم يغير أوطيخا موقفه ، ولم يتنازل عن المناداة بهذه التعاليم التى قبلها الكثيرون . ثم التمس من

---

(٦) انظر كتابنا تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ص ١٦٢ ، القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع ص ١٥٥ ـــ ١٥٨

(*) كان أوطيخا العدو اللدود لنسطوريوس وقام بثورة عنيفة ضد تعاليمه . وكان أيضًا يوسابيوس من الذين قاوموا تعليم نسطوريوس من البداية ومن الذين أيدوا كيرلس الإسكندرى وتعاليمه . ولأجل هذا السبب كان الرجلان صديقين حميمين لأنهما كانا ضد نسطوريوس وتعاليمه . على أن أوطيخا انزلق إلى الهرطقة . ولم يقبل أسابيوس هرطقة هذا الرجل ، حتى ولو كان صديقه المخلص . وهذا يذكرنا بما حدث بين القديس العظيم أثناسيوس وأبولوناريوس . دافع الاثنان عن تعاليم مجمع نيقية وربطت الصداقة قلب الاثنين . لكن عندما انزلق أبولوناريوس فى هرطقته لم يسكت أثناسيوس على ذلك (انظر كتابنا تاريخ الفكر المسيحى الجزء الأول ص ٦٦٧)

(7) Ten Epochs of History, The Ecumenical Councils by W. P. Durose 241-245, Christian History 417-422.

(8) Encyclopedie des Reli... Tome 4, 635-637.

المجمع التكرم بقراءة الرسالة الثانية ، التى أرسلها القديس كيرلس إلى نسطوريوس وكذلك دراسة رسالته إلى يوحنا الأنطاكى ، لأن هاتين الرسالتين تعتبران وثائق تاريخية عقائدية شرح فيها القديس كيرلس العظيم الإيمان الأرثوذكسى . فيجب على المجمع الإصغاء لهذه الرسائل ومقارنتها بتعاليم أوطيخا . فقرئت فعلاً رسالتا القديس كيرلس على أعضاء المجمع . بعدها وقف رئيس أساقفة القسطنطينية ، وأعلن أنه والمجمع المقدس يؤمنون بهذه التعاليم التى علّم بها القديس كيرلس ، والتى علّم بها قبل ذلك مجمع نيقية ، وقبلها مجمع أفسس ، فكلنا يؤمن بأن يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد فهو إله حق وإنسان حق ، وأن يسوع المسيح الذى ولد من القديسة العذراء مريم هو إنسان كامل وهو أيضًا إله كامل مساوٍ للآب فى الجوهر بلاهوته . فهو من ذات جوهر الأم بالناسوت ومن نفس جوهر الآب باللاهوت . ونعترف أيضًا بأن المسيح بعد التجسد مكوَّن من طبيعتين مختلفتين ، ومع ذلك فهو ابن واحد ورب واحد وسيد واحد.(٩) وبعد المناقشة قرر المجمع إرسال مندوبين إلى أوطيخا للمثول أمام المجمع المقدس لكى يدافع عن التعاليم التى يعلم بها .

وفى الجلسة الثالثة التى عقدت فى يوم ١٥ نوفمبر (تشرين الثانى) ، قدم المرسلان الكاهن يوحنا والشماس أندراوس تقريرًا عن مقابلتهما لأوطيخا ، وملخصه أن رئيس دير القسطنطينية رفض الحضور ، لأنه قد نذر عدم الخروج من الدير كل حياته ، وأنه يعتبر الدير المقبرة التى لا يخرج منها أبدًا.(١٠) عندئذ قرر المجمع أن يرسل له وفدًا آخر ، فأرسل كاهنين وهما ماماس (Mamas) وثيوفيلوس يطلبان منه الحضور إلى المجمع . ولقد سلم المجمع رسالة لأوطيخا ملخصها أن سلوكه ورفضه الحضور ، كذلك التعاليم التى ينادى بها كانت سببًا فى تعثير الكثيرين فى المجمع لأنها أقوال تحتوى على هرطقة مرفوضة . فإذا حضر ودافع عن نفسه وبرهن على أرثوذكسيته ، فإن المجمع على تمام الاستعداد أن يغفر له . أما فيما يخص تبرير موقفه بعدم الخروج من الدير ، لأنه نذر هذا النذر فإن الأمر غير مقبول ويجب الحضور . وعندما

(9) Hefele, 523-525; Mansi, Concil, Ampliss Coll. T. 6, Col. 539, 679, T. B. Col 824; Hardouin; Kelly 341-344.

(10) Bardy op. cit. 215-218; Encyclopedie des Sciences Rel... Tome 4, 634-636; Dict. Theo. Cat. 1585; Turmel 351-354; Hefele 2. 525.

وصل المرسلان إلى الدير وجدا الأبواب مغلقة ، ورفض أوطيخا مقابلتهما بحجة أنه مريض . وبعد محاولات عديدة استطاعا مقابلته . فطلب من المرسلين أن يقدما اعتذاره للمجمع لسبب مرضه . والتمس منهما أن يسلما رسالة كتبها للمجمع . على أن ماماس وثيوفيلوس رفضا استلام هذه الرسالة وأعلناه بأن يحضر ليقدم هو بنفسه هذه الرسالة . لكنه رفض الحضور وقال إنه سيرسل خطابه للمجمع.(١١) وعندما بلغ فلافيانوس أن أوطيخا رفض الحضور ، قرر مع المجمع أن يرسل له وللمرة الثالثة وفدًا آخر ، حسب العادة المتبعة بأن يرسل للمتهم ثلاث مرات . فأرسل المجمع لجنة أخرى مكونة من ثلاثة أشخاص وهم ممنُّون (Memnon) وأبيفانيوس (Epiphane) والشماس جرمانيوس (Germain) وطلب هذا الوفد من رئيس دير الرهبان الحضور وشرح له النتيجة السيئة التى ستلحق به إذا رفض الحضور . ولقد عيّن له الوفد المرسل من قبل المجمع يوم الأربعاء الموافق ١٧ من نوفمبر (تشرين الثانى) لحضور الجلسة . وفى يوم ١٦ من نفس الشهر أرسل أوطيخا وفدًا إلى المجمع يعتذر عن عدم حضوره لسبب مرضه . ولقد حاول فلافيانوس من خلال الوفد إقناع أوطيخا بالحضور حتى يعم السلام فى الكنيسة .(١٢)

كان أوطيخا يعتقد أن التهديدات التى ينطق بها الأساقفة ضده لا قيمة لها . وكيف يستطيع هؤلاء إلحاق الأذى بمن يحميه الوزير الأول فى البلاط الإمبراطورى بل الإمبراطور ثيوديوس الثانى نفسه ؟!! ولقد اتصل رئيس الرهبان بخريسافيوس ابنه بالعماد والمدافع عنه . فأرسل له جيشًا ضخمًا لحمايته وانضم إلى هذا الجيش الضخم عدد كبير جدًا من رهبانه وكذلك عدد كبير من خدم رئيس المدينة . ولقد وصل هذا الجمهور العظيم من الجيش والخدم والموظفين والرهبان إلى مكان الإجتماع فى ٢٢ نوفمبر . وأعلن هؤلاء أن أوطيخا لن يدخل إلى قاعة الاجتماعات إن لم يعطِ المجمع وعدًا بأن يخرج رئيس الدير حرًا طليقًا . وعندما دخل الراهب أوطيخا المجمع قرأ ممثل الإمبراطور رسالة من الإمبراطور يقول فيها ما معناه إنه يريد سلام الكنيسة والمحافظة على أرثوذكسيتها.(١٣) ولقد طالب الإمبراطور بأن يحضر فلورنت (Florent)

---

(11) Hefele, 2. 526-530.
(12) Dict. Theo. Cat. 1584-1586; Hefele 526-536.
(13) Hefele, 2.530-538; D. T. C. 1584-1587.

جلسات المجمع ؛ فقبل المجمع وكذلك أوطيخا طلب الإمبراطور فدعى المجمع للإجتماع .

وجلس المتهم أسابيوس والمتهم أوطيخا أمام السنودس وطلب رئيس أساقفة القسطنطينية أن تقرأ على مسامع المجمع وعلى مسامع أوطيخا وأسابيوس رسالة القديس كيرلس الثانية إلى نسطوريوس ثم رسالته إلى يوحنا الأنطاكى حتى يستطيع الآباء مقارنة تعاليم كيرلس الأرثوذكسية بتعاليم أوطيخا . وقرئت أيضًا محاضر الجلسات السابقة واستمع إليها أوطيخا . وبعد أن قرئت محاضر الجلسات السابقة ورسالتا كيرلس اللتان علّم فيها باتحاد الطبيعتين اتحادًا حقيقيًا وجوهريًا بدون امتزاج أو خلط أو فصل طبيعتان متحدتان فى شخص واحد وسيد واحد ورب واحد هو يسوع المسيح سأل رئيس الأساقفة فلافيانوس رئيس الرهبان قائلاً : هل تؤمن بأن السيد الذى وُلِدَ من العذراء كان مكونًا من طبيعتين ؟ فقال نعم إننى أؤمن باتحاد الطبيعتين . وعندئذ سأله مرة ثانية قائلاً : هل تعترف بوجود طبيعتين فى المسيح بعد التجسد . وهل تعترف بأن المسيح هو من نفس جوهرنا كإنسان ؟ فأجاب الراهب قائلاً : لم أسمح لنفسى أن أتساءل عن طبيعة إلهى ، ولم أقل أبدًا كيف فهمت بأنه كان من نفس طبيعتنا ، ولم أعلم حتى هذا اليوم بأن جسد سيدنا يسوع المسيح وربى كان مثل طبيعتنا ، على أننى أعترف بأن العذراء هى من نفس طبيعتنا وأن إلهنا ولد من جسدها . فأنا أصلى للآب دون أن أبعد الابن وأصلى للابن دون إبعاد الآب ، وأصلى للروح القدس دون إبعاد الابن والآب كما أننى أعترف بأن جسده ... ولد من بطن العذراء وصار إنسانًا بكل ما تحمله كلمة إنسان من معنى.[١٤] هذا هو ما أؤمن به أمام الآب والابن والروح القدس وأمام قداستكم . فسأله من جديد : هل تعترف أيضًا بأن جوهر الابن الواحد الوحيد ، سيدنا يسوع المسيح من ذات جوهر الآب من ناحية اللاهوت ومن ذات جوهر أمه من ناحية ناسوته ؟ وهل تعترف بأن يسوع المسيح مكون من طبيعتين ؟ فأجاب أوطيخا قائلاً : يجب أن تفهموا جيدًا أنى لا أعلم أن جسد الإنسان صار جسد الله ، ولكنى أتكلم عن جسد الله البشرى ، وأننى أعترف بأن الرب عمل لنفسه جسدًا من العذراء . فهل ترغبون أن أضيف

---

(14) Hefele, 2. 535-538; Hardouin, Coll. Concil T. 2, 162-164; Mansi 6, Col. 739.

إلى هذا أيضًا أن جسده هو من نفس طبيعتنا . إنى على تمام الاستعداد أن أفعل ما تأمر به قداستكم . فقال له رئيس الأساقفة . فأنت لا تقبل هذا التعليم عن اقتناع بل مرغمًا . فأجاب بأنه يفعل ذلك خضوعًا لأمر المجمع .

وعندئذ سأله ممثل الإمبراطور (فلورنت) بطريقة واضحة وبأسلوب مباشر : هل تؤمن بأن سيدنا يسوع المسيح الذى ولد من العذراء هو من نفس طبيعتنا وأنه مكون من طبيعتين بعد التجسد ؟ فأجاب رئيس الدير قائلاً : « إننى أعترف بوجود طبيعتين فى المسيح ، ولكن بعد الاتحاد لا أعترف إلا بطبيعة واحدة ». ثم أضاف قائلاً بأنه على استعداد أن يقبل عقيدة مساواة طبيعة المسيح بطبيعتنا حسب أمر المجمع . ولكنه لم يجد لا فى الكتب المقدسة ولا فى أقوال الآباء ما يؤيد ذلك . وحتى لو وجد ذلك فى أقوال الآباء لرفضه لأن الكتب المقدسة أفضل وهى أكثر تأكيدًا من أقوال الآباء . وهنا صرخ أعضاء المجمع قائلين فليكن محرومًا[١٥] فقال أوطيخا إن القديس أثناسيوس وكذلك القديس كيرلس وبعض الآباء يعلمون بوجود طبيعة واحدة بعد الاتحاد . ولقد حث أعضاء المجمع على دراسة كتابات كيرلس وأثناسيوس التى تعلم منها هذه التعاليم . فقال له فلورنت ، إن كل من لا يعترف بوجود طبيعتين فى المسيح لا يملك الإيمان الحقيقى . ويقال إن أوطيخا علّق قائلاً إن كل من يقبل أى عقيدة عن طريق الضغط لا يقبل الإيمان الحقيقى .

وهنا وقف رئيس الأساقفة وقال : إن أوطيخا الذى كان سابقًا كاهنًا وأرشمندريتا قد جدد تجديفات فالانتينوس وأبولوناريوس ورفض الرجوع إلى التعليم الصحيح بالرغم من نصائحنا . ولأجل هذا السبب نعلن والحزن يعصر قلوبنا والدموع تملأ عيوننا ، على فقدانه وضلاله ، إنه مخلوع من إدارة الدير الذى كان يقوم بالإشراف عليه ومجرد من درجة الكهنوت ، فباسم المسيح الذى جدف عليه نعلن حرمه .[١٦]

---

(15) Hefele, op. cit. T. 2, 536-539; Hardouin op cit. 2. 162-166; Mansi, op. cit. T. 6, Col. 742-744.

(16) Hefele 2. 535-542; Mansi, T. 6, 747-750; Dict. Theo. Cat. 1585-1586; Bardy, op. cit. 216-218; Encyclopedie T. 4. 636.

الكسندروس (ذكر سابقًا) ص ٢٦٣ ــ ٢٦٦ ، خريسوستمس ٢٨٦ ــ ٢٨٨ ، القمص كيرلس الأنطونى ، أسد رستم الجزء الثانى ص ٣٣٠ .

موقف أوطيخا من حكم مجمع القسطنطينية

عندما تجرأ مجمع القسطنطينية وأصدر حكمه بخلع وحرمان الأرشمندريت أوطيخا : فقد كان يتخذ قرارًا خطيرًا جدًا وجريئًا جدًا . إذ يعتبر هذا القرار لطمة قوية قاسية ، ليس فقط على وجه أوطيخا ، بل على وجه خريسافيوس أيضًا ، وبطريقة غير مباشرة على وجه الإمبراطور نفسه ، الذى كان يدافع عن رئيس الدير.[١٧] فهل قبل أوطيخا الذى كان يتمتع بالباع الطويل والسلطان العظيم حكم مجمع القسطنطينية بحرمه !!؟

سجل لنا بعض المؤرخين[١٨] أنه بعد أن نطق فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية بهذا الحرمان ، وقبل أن ينصرف الأساقفة من القاعة ، اقترب أوطيخا من فلورنت ممثل الإمبراطور وأعلمه أنه سوف يرفع قضيته إلى مجامع روما والإسكندرية وأورشليم لإنصافه . وفعلاً فى مساء نفس اليوم ، كتب أوطيخا إلى بعض الأساقفة فى الشرق والغرب ، وخاصة إلى القديس ليون رئيس أساقفة روما . وفى رسالته للقديس ليون استعمل أسلوبًا سياسيًا ملتويًا . ففى مقدمة الرسالة حيا ليون تحية تقدير واحترام ملقبًا إياه ببابا روما المدافع عن الديانة . ثم قدم نفسه لرئيس أساقفة روما كالشخص المدافع عن العقيدة الأرثوذكسية ، والمجاهد ضد الأريوسية التى انتشرت بطريقة مخيفة وعلى نطاق واسع . وهو لا يمكنه أن يحيد قيد أنملة عن تعاليم أثناسيوس وغريغوريوس ويوليانوس وفيليكس . على أن أوطيخا لم يذكر لبابا روما ما هى التعاليم الأرثوذكسية التى ادَّعى أنه يعلم بها.[١٩] ثم ناشد بابا روما المدافع عن الديانة أن ينصفه من الظلم الذى وقع عليه من فلافيانوس ومجمعه.[٢٠]

وفى رسالته إلى ديوسقورس رئيس أساقفة الإسكندرية ، لابد أنه قدم نفسه له كالمناضل والمكافح لنشر تعاليم كيرلس . ونحن نعلم أنه كان فعلاً من الذين دافعوا بكل قواهم عن تعاليم كيرلس ، لكنه للأسف الشديد أساء فهم تعاليم كيرلس . ولقد وجد أوطيخا نعمة فى عينى ديوسقوروس للدفاع عنه وعن قضيته ضد فلافيانوس لعدة أسباب سياسية ودينية منها : كان ديوسقوروس

---

(17) Dict. Theo. cath. 1584-1588.
(18) C. Y. Hefele, T. 2, P. 538-540.
(19) Dic, Theo. Cat. 1584-1589.
(20) St. Leon, Epist, 23; Ad Flavianum, PL. T. 64, Col. 732; H. L. 540-542.

طموحًا من الناحية السياسية والدينية ولقد رأى فى الصراع الجديد بين النسطورية والأوطيخية فرصة مناسبة للقضاء النهائى على النسطورية ، وبذلك ينجح فى تحقيق ما لم يستطع تحقيقه كيرلس نفسه وهو القضاء على النسطورية نهائيًا.[٢١] كان الصراع السياسى بين الإسكندرية والقسطنطينية صراعًا عنيفًا على السلطة ، خاصة بعد أن حصلت القسطنطينية على لقب روما الجديدة . لقد ظهرت الحساسيات القديمة الدفينة فى الأعماق . ألم يحكم ثيوفيلوس فى مجمع البلوطة على القديس يوحنا فم الذهب ؟ كانت الإسكندرية تريد أيضًا أن تتزعم قيادة العالم المسيحى فى الشرق . هذه الأسباب وأخرى غيرها ، دفعت رئيس أساقفة الإسكندرية لمساندة رئيس دير القسطنطينية والدفاع عنه .

ولقد تطرف ديوسقوروس متسرعًا فى دفاعه عن أوطيخا ، عندما أعلن قبول أوطيخا فى شركة الكنيسة وربما تحديًا لمجمع القسطنطينية الذى حرمه ، ودون أى اعتبار لقراراته .[٢٢]

هذا بالإضافة إلى الرسائل التى أرسلها أوطيخا إلى عدد كبير من الأساقفة فى الشرق والغرب . ثم إنه أبلغ حاميه الوزير خريسانيوس بهذا الحرمان والخلع ، الأمر الذى يعد إهانة ليس له (أوطيخا) فقط بل للسلطة الحاكمة أيضًا التى تسانده فى صراعه ضد النسطورية .

يبدو أن كل حزب من الحزبين تطرَّف مبالغًا فى التمسك بموقفه ضد الحزب المعارض ، إذ ادعى أوطيخا أن بعضًا من الجماهير التى كانت محتشدة أمام مكان انعقاد المجمع ، قد وجه إليه بعض العبارات المهينة ، وكتب بعض المنشورات التى شرح فيها موقفه ، والظلم الذى وقع عليه من هذا المجمع ، الذى حكم عليه ظلمًا وعدوانًا . ثم طالب الإمبراطور والأساقفة بالتدخل العاجل لحمايته وإنصافه من الظلم الذى راح وحده ضحية له .

وأمر أوطيخا بتعليق هذه المنشورات فى الأماكن العامة فى القسطنطينية،[٢٣] فأثارت ضجة كبيرة فى المدينة وخارجها . كما أن فلافيانوس ، على ما يعتقد البعض[٢٤] أصدر هو أيضًا أمرًا بتعليق قرار المجمع

---

(22) C. J. Hefele, T. 2. 556-565; Hardouin, Coll. Concil; T. 2. Col. 345, 379, Mansi, T. 6, Col. 1045-1099.

(23) Dict. Theo. Cath. 1585-1590; PL, T 64, Col. 731.

(24) C. J. Hefele, T. 2. 558-562.

رى على نص حرمان رئيس الدير ، وبعض رهبانه الذين تمسكوا بتعاليمه والدفاع عنه ، فى الأماكن العامة فى المدينة ، وهنا اتسعت شقة الخلاف بين الحزبين . وزاد أوطيخا على ذلك أن اتهم سلطة المجمع بالغش وعدم النظام ، وأن فلافيانوس قد سبق وأعد هذا الحكم بالحرم والخلع قبل التئام المجمع . ولذلك فهو يلتمس من الإمبراطور عقد مجمع آخر للنظر فى قضيته . وبناء على ذلك أمر الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى بتشكيل لجنتين للتحقيق فى سير أمور مجمع القسطنطينية وبدأت هذه اللجنة الأولى عملها فى ربيع سنة (٤٤٩) ، وقدمت هذه اللجنة تقريرًا يدل على أن مجمع القسطنطينية سار سيرًا قانونيًا فى قضية أوطيخا.[٢٥]

ثم تكونت لجنة أخرى للبحث فى هذه القضية وفى بعض الاعتراضات التى قدمها أوطيخا ضد فلافيانوس ومجمعه . ولكن قبل أن تنتهى هذه اللجنة الثانية من بحثها وقبل أن تقدم تقريرها ، أمر الإمبراطور بعقد مجمع مسكونى فى مدينة أفسس للنظر فى قضية أوطيخا .[٢٦]

ولقد اتفق معظم المؤرخين على أن الذى دفع الإمبراطور إلى اتخاذ قرار عقد مجمع هو تدخل وزيره خريسافيوس ، ثم تدخل ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية .[٢٧]

لم يكن فلافيانوس (القسطنطينية) ولا ليون (روما) متحمسين لعقد مجمع مسكونى . فعندما كتب فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية إلى رئيس أساقفة روما شارحًا له قضية أوطيخا وتعاليمه ، لم يجد أى صعوبة فى إقناع ليون بهرطقة أوطيخا . وما لبث أن كتب رئيس كرسى رومه إلى فلافيانوس رسالة عرفت فى التاريخ باسم (Tome = رسالة). ولقد أصبحت هذه الرسالة مشهورة ومعروفة فى تاريخ الفكر المسيحى ، وسوف نتعرض لمحتوياتها فيما بعد . وحكم ليون فى رسالته هذه على أوطيخا وتعاليمه .[٢٨]

---

(25) J. Hefele, T. 2, 540-560, Encyclo...., des Scie... Rel..., Tome 4. 636-640.

(26) J. Hefele, op. cit. 539-562

(27) J. Hefele, op. cit. 540.

(28) Encycl...., T. 4, p. 634-640.

على أن أوطيخا استعمل كل الوسائل للضغط على الإمبراطور لعقد مجمع جديد للنظر فى قضيته . وبناء على ذلك وبسبب تدخل كل من خريسافيوس وزير الإمبراطور ، وأوطيخا نفسه وديوسقورس رئيس أساقفة الإسكندرية أمر الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى بعقد مجمع مسكونى فى مدينة أفسس . أخيرًا وفى ٣٠ مارس سنة ٤٤٩ ، كتب خطاب الدعوة لمجمع أفسس باسم الإمبراطورين ثيودوسيوس الثانى وفالانتينوس الثالث (Valentinien)، وأرسلت الدعوة إلى كل الأساقفة عدا ثيودوريطس رئيس أساقفة كورش الذى طلب منه عدم الحضور إلى المجمع إلا إذا أرسل له المجمع دعوة خاصة باسمه للحضور(٢٩) وهكذا صدر الأمر بعقد مجمع أفسس الثانى الذى دعاه القديس ليون فيما بعد « بمجمع القراصنة ».

(29) Mansi. 6. Col. 588; Hefele. 556-565; Hefelt, Tome 1, P. 15 Mansi, 6. 1111;
كتاب تاريخ الكنيسة المسيحية : الكسندروس ٢٦٣ ــ ٢٦٦ ، عصر المجامع : القمص كيرلس الأنطونى ١٥٦ ــ ١٦٠

William, The Ecumenical Councils, 240-247.

لدراسة موضوع محاكمة أوطيخا وحرمه ، ثم موقفه من هذا الحرم الرجا التكرم بدراسة المراجع المذكورة أعلاه .

الفصل الرابع

مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩
تبرئة أوطيخا من الهرطقة وإعادته إلى منصبه

تحول مجمعا أفسس وخلقدونية إلى مسرح للصراع العنيف والنضال المريع وتمزيق لجسد المسيح الواحد . وللأسف الشديد بلغ الانقسام المحزن بين الكنائس ذروته .

إن عرض تفاصيل هذين المجمعين يحتاج إلى دراسة عميقة واعية ، ونضوج فكرى ، وحياد علمى نزيه ، والابتعاد عن التعصب المذهبى المقيت . إن الأمانة العلمية تتطلب من كل باحث مدقق نزيه ، أن يقدم الحقائق العلمية التاريخية بطريقة صحيحة ، دون تشويه أو تغيير وهذا مقصدنا . وسنتعرض فى دراستنا أولاً لمجمع أفسس ثم لمجمع خلقدونية .

لقد أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى فى يوم ٣٠ مارس سنة ٤٤٩ مرسومًا بعقد مجمع أفسس الثانى فى أول أغسطس (آب) من نفس السنة . وهو نفس الإمبراطور الذى أمر بعقد مجمع أفسس الأول قبل حوالى ثمانية عشرة سنة (عام ٤٣١). فعندما اندلعت الخلافات الكرستولوجية واشتد الصراع بين نسطوريوس رئيس أساقفة القسطنطينية وكيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية ، عمل نسطوريوس جاهدًا لدى الإمبراطور ، لعقد مجمع مسكونى لحل المشكلة الكرستولوجية . فإن نسطوريوس الذى كان يخشى التعاليم التى تنبّر بشدة على الوحدة ، حاول أن يميز تمييزًا واضحًا وصريحًا بين اللاهوت والناسوت . فثار ضد تعاليمه القديس كيرلس الذى رأى فى تعاليم معلم القسطنطينية تعاليم ازدواجية : أى أنه يعلم بابنين وبسيدين وبمسيحين . ومع أن الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى كان يدافع عن نسطوريوس ووقف بجانبه أثناء انعقاد مجمع أفسس الأول، فإن كيرلس خرج من مجمع أفسس ظافرًا منتصرًا وتمسك الكثيرون بتعاليمه وحرم نسطوريوس وتعاليمه . والآن ، وبعد مرور ثمانى عشرة سنة على مجمع أفسس الأول ها هى ذى المشكلة الكرستولوجية تظهر من جديد . فإن الحزب الذى كان يتمسك بنسطوريوس وتعاليمه علّم بتمييز

الطبيعتين الواحدة عن الأخرى فى المسيح الواحد . كما أن حزب المقاومة الذى تزعمه أوطيخا نادى بعقيدة الطبيعة الواحدة التى رفضها مجمع القسطنطينية فى سنة ٤٤٨ . على أن أوطيخا لم يقبل قرار مجمع القسطنطينية والتمس من الإمبراطور أن يعقد مجمعًا مسكونيًا لإنصافه . ولقد قبل ثيودوسيوس عقد هذا المجمع بفضل تدخل خريسافيوس وديوسقوروس ، والدارس المدقق لتاريخ الفكر المسيحى يلاحظ ما يلى :

كان ثيودوسيوس الثانى مؤيدًا ومساندًا لنسطوريوس وتعاليمه الازوادجية : (المناداة بوجود طبيعتين فى شخص يسوع المسيح) فى مجمع أفسس الأول ، ومقاومًا لتعاليم الإسكندرية ولكيرلس الذى كان يشدد على التعاليم الوحدوية . ولكن فى مجمع أفسس الثانى كان نفس الإمبراطور مساندًا ومؤيدًا للإسكندرية ولأوطيخا وتعاليمه الوحدوية (المناداة بوجود طبيعة واحدة فى المسيح) ومقاومًا للقسطنطينية وللتعاليم الازدواجية (التعاليم التى تقبل عقيدة وجود طبيعتين فى المسيح) . كانت روما وعلى رأسها البابا سيليستينوس بجانب القديس كيرلس فى مجمع أفسس الأول وضد نسطوريوس.[1] أما فى مجمع أفسس الثانى فإن البابا ليون يقف بجانب فلافياثوس رئيس أساقفة القسطنطينية وضد ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية الذى دافع عن تعاليم أوطيخا الوجودية . ولنحاول الآن دراسة هذا المجمع وما حدث فيه بطريقة موضوعية حيادية علمية .

مجمع أفسس الثانى

مع أن الذى أصدر قرار اجتماع مجمع أفسس الثانى هو ثيودوسيوس الثانى إمبراطور الشرق ، إلا أن هذه الدعوة كتبت باسمه وباسم الإمبراطور فالانتينوس الثالث إمبراطور الغرب مثلما فعل عند دعوته لعقد مجمع أفسس الأول.[2] ولقد حدد الإمبراطور فى دعوته التى كتبت فى ٣٠ مارس (آذار) ٤٤٩ تاريخ اجتماع المجمع يوم أول أغسطس (آب). على أن المجمع لم يتسنَّ له بدء أعماله قبل يوم ٨ أغسطس (آب) من نفس السنة . استلم رئيس أساقفة رومه دعوة الإمبراطور فى يوم ١٦ مايو (آيار).[3] ولم يكن متحمسًا

---

(١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى : تاريخ الفكر المسيحى — الجزء الثانى ص ٢٠٩ — ٢٥٢ .

(٢) انظر كتابنا تاريخ الفكر — الجزء الثانى صفحة ٢٣٠

(3) P. Th. Camelot, Ephése et Chalcedoine 95-99.

لانعقاد هذا المجمع . ومع ذلك فقد قام فى يوم ١٣ يونيو (حزيران) بكتابة عدة رسائل نمر عليها مرورًا سريعًا ومنها : رسالته إلى الإمبراطور التى هنأه فيها على سهره وعنايته وغيرته على الكنيسة المسيحية . كما أنه عرّف أيضًا الإمبراطور بخطأ أوطيخا وهرطقته وأنه سوف يرسل مكتوبًا إلى فلافياثوس رئيس أساقفة القسطنطينية مفصلا فيه عقيدة الكنيسة الجامعة . ولقد ذكر البابا ليون فى خطابه للإمبراطور أسماء الذين سيمثلونه فى مجمع أفسس الثانى . وفى نفس اليوم ١٣ يونيو (حزيران) كتب ليون رسالة أخرى إلى الإمبراطورة بولخارى ، ومدحها أيضا على إيمانها وغيرتها ، وشرح لها أن هرطقة أوطيخا هى نتيجة حتمية لجهله وعدم حكمته.(٤) كما أنه أرسل رسالة أخرى بذات التاريخ إلى كل المسئولين فى كنيسة القسطنطينية يحثهم فيها على عدم الانضمام إلى أوطيخا وتعاليمه ، معلنًا لهم أن أوطيخا سوف يحاكم على هرطقته إن لم يتنازل عنها . وانتهز بابا روم هذه الفرصة لكى يثبت سلطان بطرس فوجه مكتوبًا إلى المجمع كله فحواه أن بطرس هو الذى اعترف قائلاً « أنت هو المسيح ابن الله الحى » فإذا قبل أوطيخا هذا الإعتراف لن يضل الطريق . وقد حث المجمع أن يكون ثابتًا فى أحكامه وفى الوقت نفسه مترفقًا أيضًا بأوطيخا إذا أظهر توبته ورجع عن ضلال تعاليمه . وكتب بابا روما عدة رسائل أخرى بخصوص هذا المجمع إلى يوليانوس الكيوسى (Julien de Kios) ممثله فى القسطنطينية وإلى الذين اشتركوا فى مجمع القسطنطينية فى محاكمة أوطيخا.(٥) على أن أعظم رسائله وأشهرها الرسالة التى تدعى بالتوم (Tome) = أو الرسالة العقائدية إلى فلافيانوس(٦) (Epistola dogmatica ad Flavanium). فعندما استلم القديس ليون فى ٢١ مايو (آيار) رسالة رئيس أساقفة القسطنطينية التى شرح فيها ما حدث فى مجمع القسطنطينية وما هى هرطقة أوطيخا ، ومرفقًا بها أعمال المجمع أيضًا ؛ عندئذ انجلى الأمر أمام ليون وعرف ما هى التعاليم التى كان ينادى بها رئيس دير القسطنطينية . فكتب لفلافياثوس

---

(4) C. J. hefele 2. 580-583.

(5) Epp. 32, 33, 34; PL 54, 795-802; ACO ib 11-12, 15-17; Camelot 98-100.

(6) نجد نص هذا الخطاب فى : PL 755; ACO 2, 2, 24-33
ولقد ترجم العالم آمن E. Amann هذا الخطاب إلى اللغة الفرنسية =
Le dogme Catholique dans les Péres de L' Eglise, 344-355;
Camelot. Ephése..., 97, 105, 216-224; Hefele 2. 563-575;
Mansi 5. 5, Col. 1366; Hardouin op. cit. T. 2. 290

الرد يشكره فيه على توضيح الأمور التى كانت غامضة وغير معروفة له من قبل .

ثم كتب الرسالة العقائدية الشهيرة التى شرح فيها مفهومه لشخص المسيح يسوع . وللأسف الشديد ، لم تقرأ هذه الرسالة فى مجمع أفسس ، ولكنها كانت فى مجمع خلقدونية مع رسائل القديس كيرلس أساسًا قويًا ومتينًا يُرجع إليها فيما يتعلق بموضوع الطبيعتين فى شحص الرب يسوع المسيح . وسوف نناقش محتويات هذه الرسالة عندما نتعرض لدراسة مجمع خلقدونية .

وصول الوفود إلى مجمع أفسس :

يعتقد بعض المؤرخين أن الاختيار وقع على مدينة أفسس كمكان للاجتماع بسبب موقعها الجغرافى وإمكانية الوصول إليها بسهولة بحرًا وبرًا.[٧] كما أنها المدينة التى انتصر فيها القديس كيرلس على نسطوريوس . ولذلك اختارها الإمبراطور مرة ثانية حتى يستطيع أوطيخا الذى كان يدّعى أنه تلميذ للقديس كيرلس أن ينتصر على أعدائه النساطرة .[٨]

يبدو أن أوطيخا كان أول الذين وصلوا إلى مكان الاجتماع وتبعه الراهب برسوم السورى مع عدد كبير من الرهبان.[*] ثم وصل بعد ذلك رئيس أساقفة الإسكندرية مع حوالى عشرين أسقفًا وعدد كبير من البحارة والرهبان ذوى البنية القوية ، كما يعتقد بعض المؤرخين.[٩] أما الوفد الرومانى فكان مكونًا من الأسقف يوليانوس والكاهن ريناتوس الذى مات فى الطريق قبل وصوله ، والشماس هيلريوس (Hilaire) الذى أصبح بابا رومه فيما بعد ، والكاتب دولسيتيوس (Dulcitius). ثم جاء أيضًا وفد أورشليم وعلى رأسه رئيس الأساقفة جيوفنال الذى كان أيضًا الذراع اليمنى لكيرلس فى مجمع أفسس الأول.[١٠] كما وصل وفد القسطنطينية مع رئيس الأساقفة فلافيانوس ثم جاء

---

(٧) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ص ٢٣١
Camelot 44-45

(8) F. Bonifas, T. 2, 124-130

(*) يعتقد بعض المؤرخين أن برسوم الراهب جاء وأحضر معه ما يقرب من ألف شخص من الرهبان والجنود والبحارة المصريين وأحاطوا بالمجمع (انظر Camelot, op. cit. p. 105-107

(9) A. Grillmeier, 529-532

(١٠) انظر كتابنا تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ص ٢٣٥ ـــ ٢٤٠

أيضًا ، إلى أفسس دومنس رئيس أساقفة أنطاكية مع وفده ولا ننسى وفد أفسس المدينة التى اجتمع فيها المجمع . وقد أرسل الإمبراطور اثنين من البلاط الملكى للإشراف على هذا المجمع وهما البيديوس (Elpidius) والوجيوس (Eulogius). كما سبق أن عيّن رئيس أساقفة الإسكندرية لرئاسة هذا المجمع ، وجوفنال الأورشليمى (Juvenal) ثم ثالاسيوس (Thalassius) القيصرى لمساعدة ديوسقوريوس فى الرئاسة ؛ وهما مشهوران بغيرتهما على تعاليم كيرلس . إلا أن بعض المؤرخين يعتقدون أن الأسقف يوليانوس كان واحدًا من نواب الرئيس .(١١)

ولقد تضاربت الأراء فى عدد الأساقفة الذين حضروا مجمع أفسس الثانى . لكن الأغلبية الساحقة من المؤرخين اتفقت على أن عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع كانوا حوالى ١٣٠ أو ١٤٠ أسقفًا .(١٢)(*)

قبل أن نبدأ فى تتبع ما حدث فى مجمع أفسس ، ولفهم أحداث هذا المجمع بطريقة صحيحة ، علينا أن نعى جيدًا الحقائق الآتية حتى لا تغيب عن ذهننا :

الصراع الطائفى أو الحزبى والسياسى :

سبق أن رأينا كيف قام أوطيخا بحرب شعواء ضد نسطوريوس والنساطرة ، وأراد أن يلاشيهم من الوجود . ولقد وقف بجانبه فى هذا الصراع الحزبى (الطائفى) ابنه بالعماد خريسافيوس الذى دفع الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى إلى إصدار بعض القرارات ضد النساطرة والحد من نشاطهم . على أن النساطرة المعتدلين(**) كوّنوا حزبًا قويًا لكى يدافعوا عن تعاليمهم بالرغم من الضغوط

---

(11) A. Harnack, Hist. of Dogma, vol. 4, 204-210
عصر المجامع . القمص كيرلس الأنطونى ص ١٦٨

(*) يعتقد بعض المؤرخين أن بعض الأساقفة جاءوا إلى المجمع مع وفد صغير من الأساقفة ، لكنهم اصطحبوا عددًا كبيرًا جدًا من الرهبان والبحارة والجنود . مثل ديوسقورس رئيس أساقفة الإسكندرية وبرسوم المسئول عن الأديرة فى أنطاكية وأوطيخا .
A. Grillmeier, 529-532; H. Bacht,
Chalkedon, 11, 227, note 4.

(12) P. Schaff, Hist. of Chri... Chu, 735-740; Harnack op. cit. 206-210; Hefele 2. 585-590.
دكتور أسد رستم . الجزء الأول ص ٣٣٣

(**) يجب الإنتباه عند استعمال كلمة نسطورى إلى الفريق الذي يستعمل هذا الإصطلاح . فإن أتباع أوطيخا وصفوا كل من لا ينضم إلى تعاليمهم بالنساطرة . كما أن النساطرة المعتدلين الذين قبلوا بعض تعاليم القديس كيرلس ، وصفوا الحزب الذى رفض التوقيع على معاهدة الصلح والسلام فى سنة ٤٣٣ بالنساطرة .

السياسية التى فرضها عليهم الإمبراطور وخريسافيوس . ويبدو أن الإمبراطورة بلخاريا التى كانت تعتبر أخاها الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى وخريسافيوس عدوين لدودين ، كانت وراء هذا الحزب بطريقة خفية وفعالة ، وساعدته على الانتقام من خريسافيوس . ولذا فإن الحكم الذى أصدره مجمع القسطنطينية فى سنة ٤٤٨ على أوطيخا كان لطمة قوية ومهينة على وجوه الإمبراطور وخريسافيوس وأتباعهما.[١٣] فلم يتوان هؤلاء عن محاولة إلغاء الحكم الذى أصدره مجمع القسطنطينية بحرم أوطيخا وإرجاعه إلى منصبه ، معتبرين أن انتصاره انتصار لهم وهزيمته هى هزيمتهم . ولكى يحصلوا على هذه النتيجة اتبعوا التكتيك الآتى :

١ ــ تعيين ديوسقوروس رئيسًا للمجمع:

عندما أسند الإمبراطور ثيودوسيوس رئاسة مجمع أفسس الثانى إلى رئيس أساقفة الإسكندرية ، كان يعرف جيدًا ماذا يعمل وما هو الهدف من ذلك . لقد كان يعرف جيدًا وكذلك خريسافيوس أن الصراع بين كرسى الإسكندرية وكرسى القسطنطينية صراع عميق ومتشعب وقديم . ألم يقم ثيوفيليوس بخلع القديس يوحنا الذهبى الفم فى مجمع البلوطة ؟ ألم يقم ابن أخته كيرلس بخلع وحرم نسطوريوس رئيس أساقفة القسطنطينية فى مجمع أفسس الثانى ؟ ألم يكن أيضًا الصراع عنيفًا وقاسيًا ومريرًا بين هذين الكرسيين بعد أن أصبحت القسطنطينية رومه الجديدة ؟ إضافة إلى ذلك ، ألم يقبل ديوسقوروس أوطيخا ورهبانه فى شركة الكنيسة بعد أن حرمه مجمع القسطنطينية ؟ وبذلك تحدى ديوسقوروس قرارات مجمع القسطنطينية وسلطته.[١٤] هذا من الناحية السياسية والدينية ، ولكن من الناحية العقائدية ، ألم يتزعم أوطيخا حركة المناداة بعقيدة الطبيعة الواحدة مدعيًا أن هذا التعليم هو الذى نادى به القديس كيرلس ضد نسطوريوس والناسطرة وأن مجمع القسطنطينية حكم عليه لأنه ضد الناسطرة ؟ فعندما عيّن الإمبراطور رئيس أساقفة الإسكندرية رئيسًا لهذا المجمع كان يريد تحطيم فلافيانوس ومجمعه ونصرة أوطيخا .

---

(13) J. M. A. Salles-Dabadie, Les Conciles oeu..., 128-134

(14) C. J. Hefele, Z.P. 550-570; W. Bright, dans Dict. of Christian Biography, T. 1. Col. 854-862; Tillemont, T. 15, p. 520-530; Hardouin Coll. Conc. T.2, col. 345, 379, Mansi, Tome 6, Col. 1045-1099.

٢ ـــ تحطيم السلطة المعارضة لأوطيخا :

لم يكتف الإمبراطور بإسناد رئاسة المجمع إلى ديوسقوروس وهو من المدافعين المتحمسين عن القديس كيرلس وتعاليمه ، بل إنه حاول شل كل حركة تهدف إلى محاكمة أوطيخا . ليلاحظ الدارس المدقق أن الإمبراطور أرسل دعوة الحضور لحوالى ١٣٠ أسقفًا ، وأن مائة أسقف تقريبًا من المدعوين كانوا من المنادين بعقيدة الطبيعة الواحدة ، أى مؤيدين لأوطيخا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . ومنهم أساقفة الإسكندرية ، أفسس ، أورشليم ، وبعض الأنطاكيين.[١٥] ولكى يخمد الحركة المعارضة إخمادًا تامًا فقد فرض على كل الذين اشتركوا فى مجمع القسطنطينية عدم الاشتراك فى التصويت فى مجمع أفسس الثانى وهم حوالى ٤٠ أسقفًا.[١٦] وفى هذا الصدد سجل لنا كاتب الخريدة النفيسة ما يلى : « ثم إن الملك عيّن اثنين من معاونيه نائبين عنه وأمرهما أن الذين كانوا قضاة فى أمر أوطاخى يحضرون صامتين » دون أن يجالسوا القضاة ...[١٧]

٣ ـــ الأمر بعدم حضور ثيودوريطس إلى المجمع :

سبق أن شرحنا أن ثيودوريطس كان واحدًا من علماء العقائد فى كنيسة أنطاكية . وهو أيضًا الذى كتب كتابه المشهور « الشحاذ » والذى انتقد فيه تعاليم أوطيخا وهرطقتها . إلى هذا الشخص العالم الرافض لتعاليم أوطيخا ، أصدر الإمبراطور أمره ألا يحضر إلى مجمع أفسس ، إلا إذا قرر جميع الآباء دعوته للحضور.[١٨] كان الإمبراطور وحاشيته يعلمون جيدًا تأثير هذا العالم على المجمع فقرر منعه من الحضور . ويقول أنطونيوس الدويرى فى كتابه تاريخ المسيحية . « كما وجه (يقصد الإمبراطور) إليه خطابًا يمنع ثيودوريطس النسطورى من دخوله (يقصد المجمع)[١٩] وأن السبب الذى من أجله

---

(15) J. M. A. Sàlles-Dabadie, op. cit. p. 120-135.

(16) A. Grillmeier, op. cit. 529-532

(١٧) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة الجزء الأول ص ٤٩٩ .

(18) Mansi, Concil..., T. 6. Col. 388; Hefele, T. 2. 559-570; Bardy op. cit. 217-220; p. Schaff, op. cit. vol. 3. 735-740

(١٩) أنطونيوس الدويرى. موجز تاريخ المسيحية ص ٢، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ٤٤٩، القمص كيرلس الأنطونى: عصر المجامع ١٦٧، خريسوستمس، تطور الفكر المسيحى ٢٨٦—٢٨٩. د . أسد رستم . الجزء الثالث ٣٣٢

أصدر الإمبراطور أمره بمنع الرجل العالم من الحضور إلى مجمع أفسس أنه كان ضد أوطيخا وتعاليمه ».

٤ ـــ دعوة الأرشمندريت برسوما أو برسوم : (Barsauma)

كان رئيس دير الرهبان السريانى برسوم معروفًا بمعارضته الشديدة ورفضه لتعاليم نسطوريوس ، واتحاده مع رئيس دير القسطنطينية أوطيخا . ولقد وصفه البعض بالقول « ... يأمره (يقصد الإمبراطور) بقبول الأرشمندريت برسوم ضمن آباء المجمع كنائب عن جميع من هم فى رتبته ، لطهارة سيرته وحسن أمانته[٢٠] على أن بعض المؤرخين يرى فيه شخصًا مشاغبًا متغطرسًا متوحشًا متعصبًا وثائرًا ضد النساطرة.[٢١] على أن الأكيد ، والذى أجمع عليه كل المؤرخين تقريبًا ، أن برسوم كان من المؤيدين والمناصرين لأوطيخا والمعارضين لحزب فلافياثوس رئيس مجمع القسطنطينية المعتدل الذى حكم على أوطيخا . ولذلك دعاه الإمبراطور إلى مجمع أفسس متوقعًا منه أن يكون عضوًا نافعًا عاملاً ونشيطًا بجانب أوطيخا . ولقد اختار الإمبراطور وحاشيته برسوم لكى يمثل كل رهبان الشرق فى هذا المجمع . فهو نفسه الذى أعلن اختيار هذا الراهب إلى رئيس المجمع ديوسقوروس فى خطاب كتبه إليه فى ١٥ مايو (أيار) سنة ٤٤٩ ، بل طلب من ديوسقوروس أن يستقبله بحفاوة وأن يمنحه حق التصويت فى المجمع . كما أن الإمبراطور كتب خطابًا بهذا المعنى إلى برسوم فى نفس يوم ١٤ مايو (أيار)[٢٢]

٥ ـــ الوفد الرومانى والوفد القسطنطينى :

من الظلم أن نقول إن كل الوفود التى دعاها الإمبراطور لحضور مجمع أفسس الثانى كانت من مؤيدى أوطيخا . فقد دعى أيضًا مجمع القسطنطينية ورئيسه وهم حوالى ٤٠ شخصًا لكن فُرِضَ عليهم الصمت المطلق وعدم

---

(٢٠) القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع . ١٦٧ ، كتاب تاريخ مجمع خلقدونية باب ١٨٠ : ٨٤ ـــ ٨٥

F. Bonifas 2. 125-130.

(21) A. Grillmeier, 528-532; Camelot, op. cit. 105-106; Hefele T. 2. 588-591; Wright, Çatalogue, p. 1123; Bibl. Orient; T. 2, p. 296.

(22) Hardouin, op. cit, T. 2. Col. 76; Mansi, op. cit. T. 6. Col. 593; Hefele, 2. 560-575

الاشتراك فى التصويت أو فى محاكمة أوطيخا . لأنه اعتبر هذا المجمع مجمع القسطنطينية هو الذى كان قد حكم على أوطيخا ومن ثم ليس له الحق فى التصويت . وبهذا استطاع الإمبراطور أن يتخلص من أكبر منافس لأوطيخا فى سبيل عودته لمنصبه . بعد ذلك يتبقى وفد رومه ، وكان هذا الوفد مؤيدًا لموقف رئيس أساقفة القسطنطينية فلافيانوس ، ومنافسًا لأوطيخا وتعاليمه . لكن هذا الوفد كان مكونًا من أربعة أشخاص مات واحد منهم وهو الكاهن ريناتوس قبل وصولهم إلى أفسس والثلاثة الآخرون لا يتكلمون اللغة اليونانية وهى لغة المناقشات فى السنودس .(*)

كان من الضرورى أن نقدم للدارس هذه الملاحظات السابقة حتى يستطيع أن يلم ولو بطريقة جزئية موجزة بالعوامل الظاهرة والخفية التى لعبت دورًا كبيرًا ومهمًا جدًا فى مجمع أفسس الثانى وفى قراراته وأحكامه . ولنتقدم الآن لدراسة هذا المجمع .

إفتتاح مجمع أفسس الثانى(**)

لم يستطع المجمع البدء فى أعماله قبل يوم ٨ أغسطس (آب) ٤٤٩ . وفى هذا اليوم دخل الآباء حوالى ١٤٠ مندوبًا إلى قاعة كنيسة القديسة العذراء مريم بأفسس ، وهى نفس الكنيسة التى اجتمع فيها مجمع أفسس الأول برئاسة القديس العظيم كيرلس الإسكندرى منذ حوالى ثمانية عشرة سنة (٤٣١) لمحاكمة رئيس أساقفة القسطنطينية نسطوريوس على تعاليمه الكرستولوجية . وفى نفس المدينة وفى نفس الكنيسة يجتمع المجمع الثانى وتحت رئاسة ديوسقوروس الإسكندرى لتبرئة أوطيخا من هرطقته والحكم على فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية .

كان يرأس هذا المجمع بحسب أمر الإمبراطور ديوسقوروس الإسكندرى ويعاونه فى إدارة الجلسات كل من يوليانوس النائب عن أسقف رومه ثم

(*) كان فلورنت Florent يقوم بالترجمة . ولكنه لم يستطع أن يترجم لكل الوفد الرومانى (ثلاثة) لأن يوليانوس كان بجانب ديوسقوروس والمندوبين الآخرين كانا فى مكان آخر .

(**) لقد حفظ لنا مجمع خلقدونية فى سجلاته ، المناقشات التى دارت فى الجلسة الأولى لمجمع أفسس الثانى . لأن آباء مجمع خلقدونية ، طلبوا تلاوة قرارات ومناقشات مجمع أفسس الثانى .

جيوفنال رئيس أساقفة أورشليم ، وثلاسيوس القيصرى.[٢٣] وكان السكرتير العام للمجمع هو يوحنا : وهو واحد من أكليروس ديوسقوروس . فبعد أن جلس الأساقفة والمندوبون فى أماكنهم ، وقف السكرتير معلنًا أنه بحسب أمر الأباطرة الأتقياء الغيورين على الديانة يجتمع اليوم هذا المجمع . وعندئذ طلب الرئيس من السكرتير أن يقرأ نص دعوة الإمبراطور فقرئت . وبعد أن أنهى القس يوحنا قراءة نص الدعوة الإمبراطورية ، وقف واحد من الوفد الرومانى ويحتمل أن يكون الأسقف يوليانوس معلنًا أن رئيس أساقفة رومه قد دعى لحضور هذا المجمع لكنه لم يستطع الحضور شخصيًا لعدة أسباب منها : أن التقليد لم يذكر أن رئيس أساقفة رومه اشترك شخصيًا فى مجمع نيقية أو مجمع أفسس الأول ، كما أن الظروف السياسية التى تمر بها البلاد لا تسمح لقداسته بالتغيب خارج روما . ولذلك فقد أرسل وفدًا لتمثيله ورسالة للمجمع . والتمس أن تقرأ هذه الرسالة التى كتبها ليون على مسامع أعضاء المجمع . وهنا قال رئيس المجمع ديوسقوروس ، بعد أن استلم رسالة ليون إن المجمع المقدس يتقبل رسالة الأخ جزيل التقوى ليون ،[٢٤] ثم سلمها ليوحنا السكرتير العام . وكان من المنتظر أن يقرأ القس يوحنا الإسكندرى رسالة البابا ليون ، ولكنه بدأ فى قراءة رسالة لا صلة لها بمكتوب البابا ليون . بل قرأ الأمر الإمبراطورى الخاص بقبول الراهب برسوما كعضو فى المجمع . ولم يقرأ خطاب البابا ولم يطلب ممثلو رومه قراءته لأنهم اعتقدوا أنه سوف يقرأ فيما بعد .

اعتقد بعض المؤرخين أن ديوسقوروس لم يكن راغبًا أن تقرأ رسالة بابا رومه فى المجمع ، ولذلك طلب عمدًا من السكرتير أن يقرأ رسالة

(23) J. M. A. Salles, Dabadie, op. cit. 120-132, Hefele 2. 586-595.

خريسوستمس ٢٨٨ ــ ٢٩١ : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٤٩٩

(24) Hefele, 2. 584-595; J. Danielou et H. Marrou, Nouvelle Hist., 390-400; Camelot, op. cit. 107; A. Grillmeier 530-532; E. R. Hardy, Christology of the Fathers, 1954, 359-370 (W. Bright); J.M.A. Salles-Dabadie, op. cit. 120-130; A. Harnack, Hist. of Dog. op cit. vol. 4, 205-210. William p. Dubose, S. T. D. op cit. 245-250; Karl Baus... op. cit. 112-114

هذه المراجع تتحدث عن رسالة ليون التى لم تقرأ فى مجمع أفسس الثانى : وتوجد مراجع أخرى كثيرة فى هذه الكتب .

الإمبراطور.(*) على أن البعض الآخر وخاصة كتاب الكنيسة الأرثوذكسية يعتقد أن ديوسقوروس لم يحاول المرور على رسالة ليون دون قراءتها بل عندما طلب من السكرتير العام قراءة رسالة الإمبراطور الخاصة بقبول الأرشمندريت برسومًا كعضو فى المجمع ، أراد بذلك أن ينهى الأعمال المتعلقة أولاً بأوامر الإمبراطور .(**)

إلا أننا نتفق مع كثير من العلماء على أن رئيس أساقفة الإسكندرية لم يكن راغبًا فعلاً أن تقرأ هذه الرسالة العقائدية التى تضمنت كثيرًا من التعاليم الكرستولوجية التى كان يرفضها ديوسقوروس .

وبالرغم من أن انطونيوس الدويرى كان من المدافعين عن ديوسقوروس فقد كتب فى كلامه عن موقف رئيس أساقفة الإسكندرية فى مجمع خلقدونية يقول : « ثم طلب نواب رومه قراءة رسالة أسقفهم ليون التى لم تقرأ فى مجمع أفسس الثانى ، فاعترض البابا ديوسقوروس على تلاوتها لما فيها من أخطاء عقائدية ... ثم يقول نفس الكاتب « وعند الشروع فى تلاوة محاضر جلسات مجمع القسطنطينية المكانى والمستأنف أمام هذا المجمع ، طلب نواب رومه تلاوة رسالة أسقفهم أولاً ... فلم تُتْلَ الرسالة .. »(٢٥) إن الدارس المدقق لقضية أوطيخا فى مجمع أفسس يلاحظ بلا عناء أن نواب رومه طلبوا أكثر من مرة قراءة هذه الرسالة ولم يفلحوا فى طلباتهم المتعددة أثناء انعقاد هذا المجمع . بل إن ممثل رومه هدد بالانسحاب من المجمع إن لم تقرأ الرسالة ولكن دون جدوى .(٢٦)

(*) لدراسة هذه النقطة فيما إذا كان ديوسقوروس يريد أو لا يريد قراءة رسالة ليون الرجا دراسة المراجع فى الصفحة السابقة . ثم المراجع الآتية أيضًا :

Arendt, Monographie de page Léon, 242 et 483; Dic. Theo. Cath. T. 5, 1587; Bardy, op. cit. 220-222;

د . أسد رستم . الجزء الأول ٣٣٢ — ٣٣٤

(**) لدراسة هذه النقطة الرجا دراسة الكتب الآتية : أنطونيوس الدويرى موجز تاريخ المسيحية ٢ ، ٦

القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع ١٦٩ ، ٢٠٢ ، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٤٩٩ — ٥٠٠

(٢٥) أنطونيوس الدويرى : موجز تاريخ المسيحية ص ٦ ، ص ٣

(26) Hefele 2. 592; 599-601; Hardouin op. cit. T. 2, Col. 236-254;
Mansi; T. 6, Col. 871-902, Louis Duchesne, vol. 3, p. 285-290;
William Grusch, Sources of Early Christian Thought.

بعد أن انتهى يوحنا من قراءة دعوة الإمبراطور للأرشمندريت برسوم ، اقترح حالاً إلبيديوس (Elpidius) الذى كان يشرف على النظام من قِبَل الإمبراطور(*) أن يتقدم أوطيخا للمجمع لكى يعلن عن إيمانه . ودخل رئيس رهبان دير القسطنطينية إلى المجمع متوشحًا بثوب التواضع والطاعة والخضوع ، مستودعًا نفسه التى كرسها منذ الصغر للعبادة والتقشف ، بين يدى الآب والابن والروح القدس وبين يدى الآباء العادلين فى حكمهم . ثم انتقد مجمع القسطنطينية انتقادًا لاذعًا ، وطالب مجمع أفسس الموقر بإنصافه ، ثم قدم إقرار إيمانه . وقام القس يوحنا السكرتير العام بقراءة هذا الإقرار الذى أعلن فيه أوطيخا موافقته الكاملة على قانون إيمان نيقية وقانون إيمان مجمع أفسس الأول وتعاليم القديس كيرلس . كما أعلن أيضًا أنه يحرم هرطقة مانوس (Manes) وفالانتينوس وأريوس وأبولوناريوس ونسطوريوس ، وكل الهراطقة من أيام سيمون الساحر . ويحرم أيضًا التعاليم التى تنادى بأن جسد سيدنا نزل من السماء .. ولقد أكد فى إقرار الإيمان الذى قرأه على مسامع المجمع ، أن هذه هى التعاليم التى تعلمها من آبائه ونشأ فيها وينادى بها وسوف يموت فيها . ثم قال إنه من أجل هذا الإيمان الذى يعترف به الآن اتهمه بوسابيوس الدوروولى وبعض الأساقفة الآخرين ، وحكم عليه فلافيانوس ومجمعه فى القسطنطينية . بل إن هذا المجمع حكم عليه مسبقًا قبل أن يمثُل أمامه ، وإن فلافيانوس لم يسمح له بأن يقرأ قانون إيمانه ، وهكذا أصدر مجمع القسطنطينية حكمه بحرمه ، وأن فلافيانوس أذاع ونشر هذا الحرمان على مسامع الجميع أما هو (أوطيخا) ، فالتمس من الإمبراطور عقد مجمع للنظر فى مشكلته وهو يناشد الآن الآباء المجتمعين فى هذا المجمع المقدس أن يصلحوا الخطأ الذى ارتكبه مجمع القسطنطينية وأن يوقع العقاب اللائق على خصومه .(**)

(*) يعتقد وليم دوبوس (Will. p. Du. Bose, S. T.) بأن الإمبراطور وحاشيته كانوا يديرون أعمال هذا المجمع بطريقة غير مسئولة لم يسبق لها نظير . W. B. 243-246

(**) لدراسة إقرار إيمان أوطيخا بالتفصيل الرجا دراسة المراجع الآتية :

Hefele, 2. P. 590-594; Hardouin op. cit. T. 2, Col. 97...; mansi, T. 6, Col. 630; Col. 633; Hardouin, Col. 100, 102..., Mansi. 6, Col, 640; Danielou..., op. cit. 390-400, A. Grillmeier, op. cit. 531; J. M. A. Salles-Dabadie, op. cit. 120-130; Dic. Theo. cat. 1587-1589; A. Harnack, Hist. of Dog; vol. 4. 206-214; Bardy, op. cit. 220-223.

كتاب خريسوستمس . ٢٨٧ — ٣٠٠ ، أسد رستم الجزء الأول ٣٣٣ — ٣٣٥ ، انطونيوس الدويرى ٢ — ٤ ، القمص كيرلس الأنطونى ، عصر المجامع ١٦٩ — ١٧١ ، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٥٠١ — ٥٠٣ ، كتاب الكسندروس ، ذكر سابقًا ٢٦٢ — ٢٦٨ .

ph. Schaff, op. cit. vol. 734-740, Tillemont; Memoires, T. 15.

بعد أن انتهى القس يوحنا من قراءة إقرار إيمان أوطيخا ، التمس فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية الإستماع إلى شهادة يوسابيوس أسقف دوروله . فهو الذى اتهم أوطيخا بالهرطقة وطلب من مجمع القسطنطينية محاكمته كهرطوق ، ولذلك فإن شهادته تعتبر جوهرية وأساسية فى هذه القضية . وعندئذ تدخل البيديوس ممثل الإمبراطور رافضًا هذا الاقتراح ، معلنًا أيضًا أن أوامر الإمبراطور هى أن الذين حكموا على أوطيخا فى القسطنطينية يجب محاكمتهم.[٢٧] ولم يسمح للأسقف يوسابيوس المُتهَّم الأساسى لأوطيخا بأن يعرض على المجمع وجهة نظره أو حتى أن يلفظ بكلمة واحدة !!!! واقترح ممثل الإمبراطور النظر فيما حدث فى مجمع القسطنطينية . وثَنَّى على هذا الاقتراح ديوسقوروس وبعض الأساقفة . وهنا وللمرة الثانية طالب ممثلو رومه بقراءة رسالة البابا ليون . فاعترض أوطيخا على هذا الاقتراح وقال إنه يشك كثيرًا فى حيادية ممثلى رومه من ناحيته ، لأنهم منذ وصولهم نزلوا ضيوفًا على فلافيانوس الذى أكرمهم إكرامًا عظيمًا ، وأغدق عليهم الهدايا بسخاء . وعندئذ أعلن رئيس المجمع قائلاً : « بناء على طلب بعض الأساقفة يجب أن تقرأ أولاً أعمال مجمع القسطنطينية وبعد ذلك نستمع إلى رسالة ليون » . ولم تقرأ الرسالة .[٢٨]

فمع أن وفد القسطنطينية وكذلك أيضًا الوفد الرومانى أدركا جيدًا حتى قبل وصولهما أن البلاط الإمبراطورى يلعب دورًا هامًا جدًا فى إدارة هذا المجمع وقراراته ، إلا أنهما لم يتصورا أن يتطور هذا التدخل إلى حد الضغط ومصادرة الحرية . فإن أوطيخا كان يتمتع بالحرية الكاملة فى الدفاع عن نفسه وعن التهم الموجهة إليه من قبل مجمع القسطنطينية . وفى دفاعه عن نفسه اتهم مجمع القسطنطينية ببعض الأخطاء التى لم يرتكبها هذا المجمع ، وفى الوقت نفسه لم تمنح الفرصة لأسابيوس لعرض أفكاره وتعاليمه وعلى أى أساس كان يتهم أوطيخا بالهرطقة . ومما زاد الأمر سوءًا أن رسالة ليون لم تقرأ بعد أن طالب الوفد الرومانى للمرة الثانية بقراءتها . وهنا شعر الوفد الرومانى ووفد القسطنطينية بالتخطيط الذى خطَّطه الإمبراطور وحاشيته لإعادة أوطيخا إلى

---

(27) Hefele 2. 592

(28) Hefele; 592-595; M. P. Martin, Brigandage d' Ephese, dans La Rev. des Questions, Hist. 1874, T. 16, p. 16

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ٥٠٠ ــ ٥٠٢ ، أنطونيوس الدويرى . موجز تاريخ المسيحية ص ٣

منصبه ، وهو نفس التخطيط الذى اتبعه المجمع فى الجلسات التى سوف نتعرض لها الآن . ولكن قبل أن ندرس ما حدث فى المجمع أثناء هذه الجلسات ، ولكى نفهم أو على الأقل نحاول فهم ما حدث فى هذا المجمع، يجب أن لا يغيب عن ذهن الدارس العوامل الآتية : كان المجمع مكونًا من حوالى ١٤٠ أسقفًا ومندوبًا تقريبًا ، وأن مائة أسقف تقريبًا من الذين أرسلت إليهم الدعوة الإمبراطورية كانوا من الذين ينادون بعقيدة الطبيعة الواحدة : أى الذين كانوا يؤيدون أوطيخا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . إن مجمع القسطنطينية كان يتكون من حوالى ٤٠ أسقفًا لم يكن له الحق فى التصويت أو الاشتراك فى الحكم ، أما الوفد الرومانى كان لا يفهم اللغة اليونانية التى كانت مستعملة فى المناقشات . هذه الأمور سوف تساعدنا على فهم ما دار فى هذا المجمع عندما نبدأ فى مناقشة جلسات مجمع القسطنطينية .

دعا رئيس أساقفة الإسكندرية المجمع للإستماع لقراءة أعمال مجمع القسطنطينية وقام بقراءتها القس يوحنا رئيس أمناء السر . وقد سلم له فلافيانوس نسخة كما سلمه أوطيخا نسخة أخرى.(٢٩) وكان المجمع يصغى صامتًا لقراءة أعمال مجمع القسطنطينية و لم يحدث أى تعليق على ما كان يُقرأ . ولكن فى الجلسة الثانية وبعد الإنتهاء من قراءة رسالتى القديس كيرلس إلى نسطوريوس وإلى يوحنا الأنطاكى ، قال أسطاسيوس أسقف بيروت معلقًا على تعاليم هاتين الرسالتين ، بأن القديس كيرلس علم بوجود طبيعة واحدة وليس بوجود طبيعتين ، وهذا واضح من رسائله المتأخرة التى كتبها فيما بعد إلى أكاسيوس وسوكسانوس وآخرين.(٣٠) وصرخ المجمع أو بالمعنى الأصح الأغلبية الساحقة من المائة شخص التى كانت تؤيد أوطيخا قائلة : « لا توجد إلا طبيعة واحدة » . وواصل يوحنا قراءته لأعمال المجمع إلى أن وصل إلى سجلات الجلسة السابقة التى احتوت على بعض الأسئلة التى سألها أسابيوس الدورولى لأوطيخا ، والخاصة بوجود طبيعتين فى المسيح بعد الاتحاد . وهنا ارتفعت الأصوات عالية مجلجلة قائلة « ليطرد يوسابيوس ، ليحرق وليحرق حيًا ، فليمزق إربًا إربًا ، كما أراد أن يقسم المسيح غير المنقسم ». وفى وسط هذه الضوضاء والأصوات العالية التى تنادى بالإنتقام وتمزيق جسد الأسقف

---

(29) Hefele 2. p. 594; Hardouin, op. cit. T. 2, Col. 105-110; Mansi op. cit. T. 6, Col. 643-650
(30) Hefele 2. p. 594; Hardouin op. cit; T. 2. Col. 114-126; Mansi 6, Col. 658-674.

أسابيوس ، وقف ديوسقوروس محاولاً أن يستغل هذه الفرصة فقال للمجمع بصوت مرتفع جدًا . أتقبلون قداستكم هذا التعليم الذى ينادى بوجود طبيعتين فى المسيح الواحد بعد التجسد ؟ فارتفعت الأصوات مرة ثانية قائلة « لا لا . فليحرم كل من ينادى بهذا التعليم » . وعندئذ تقدم ديوسقوروس وصرخ بصوت أعلى قائلاً ، « أريد أن ترفعوا أصواتكم ، والذى لا يستطيع أن يرفع صوته فليرفع يده » . وهنا ارتفعت الأصوات وانطلقت الحناجر صارخة « فليكن محرومًا(*) كل من يعلم بوجود طبيعتين فى المسيح » . وفى وسط هذه الضوضاء والإنفعال طرح ديوسقوروس السؤال الآتى على المجمع :

« أى إقرار إيمان تقبلون ؟ هل تقبلون إقرار إيمان أوطيخا أم تقبلون إقرار إيمان أسابيوس » ؟ فصرخ البعض قائلاً : لا تدعوه أسابيوس (يعنى التقى) بل آسب (Asebe) النجس » .[٣١]

ويبدو أن صوت الصراخ والضوضاء سُمِع خارج الكنيسة ، فضم الملاحون والرهبان الذين جاءوا مع الراهب برسوم وديوسقوروس أصواتهم من الخارج مع أصوات المجتمعين داخل الكنيسة مكررين نفس العبارات : اشطروا إلى اثنين كل من يحاول شطر المسيح الواحد . فليُمزَّق إربًا إربًا كل من يعلم بتقسيم المسيح . ويقول كاتب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة . « صاح حينئذ المجمع : (فليحرق أسابيوس هذا ليحرق حيًا كما قسم المسيح هكذا يجب أن يشق إلى نصفين).

بعد أن هدأت الأصوات من الداخل ومن الخارج ، وبعد أن قرئت أيضًا تقارير اللجنتين اللتين تكونتا لبحث قضية أوطيخا بعد مجمع القسطنطينية،(**)

---

(31) Hefele, T. 2, 596.

(*) سجلات مجمع خلقدونية تعرفنا بأن الأساقفة المصريين وحدهم هم الذين نادوا بحرم من يعلم بوجود الطبيعتين وليس كل الأساقفة .

Hefele, op. cit. T. 2, p. 596;

Hardouin, 2, Col. 163, 166; Mansi T. 6, 739-743.

(**) قدم أوطيخا اعتراضًا على مجمع القسطنطينية واتهمه بأنه حكم عليه ظلمًا وأن أعماله كانت مزورة ، وأن المجمع حكم عليه بالحرم قبل أن يستمع إلى دفاعه . وتكونت بناء على طلبه لجنتان للبحث فى هذا الأمر . وقدمت اللجنتان تقريرهما بأن الأمور سارت بطريقة قانونية ولا يوجد تزوير فى محاكمة أوطيخا فى مجمع القسطنطينية . (انظر هذا المجلد صفحة ٢٠٤ ـــ ٢٠٩)

كان على مجمع أفسس الثانى أن يجيب على سؤال ديوسقوروس وهو « هل تقبلون إقرار إيمان أوطيخا أم إقرار إيمان أسابيوس » ؟ وطلب ديوسقوروس من كل عضو أن يعبر عن رأيه فى أرثوذكسية أوطيخا ، وما هو القرار الذى يجب على أعضاء المجمع اتخاذه فى هذا الأمر . وعندئذ قال جيوفينالوس أو (يوبيناليوس) : « بما أن أوطيخا اعترف بتعاليم مجمع نيقية وبتعاليم الآباء الذين اجتمعوا سابقًا فى هذه المدينة ، فإننى أحكم بإعادته إلى الكرامة الكهنوتية ولإدارة الدير الذى كان يقوم بالإشراف عليه » . فكان جيوفينالوس هو أول من صوت بأرثوذكسية أوطيخا ، وتبعه فى ذلك مباشرة دمنوس رئيس أساقفة أنطاكية وابن أخت يوحنا الأنطاكى . وتوالت أصوات التأييد ، وكانت النتيجة أن ١١٤ عضوًا صوتوا بأرثوذكسية أوطيخا . وكان آخر صوت مؤيد لقضية أوطيخا هو ديوسقوروس رئيس المجمع عندما قال : « إننى أثبت الحكم الذى نطق به هذا المجمع المقدس وأحكم معه أن يرجع أوطيخا إلى درجته الكهونتية وإلى إدارة ديره » . ولكن وفد رومه لم يصوّت ولم نجد أى توقيع لأى واحد منهم فى قائمة التوقيعات . وبعد أن قبل مجمع أفسس الثانى تبرئة أوطيخا من الهرطقة وإعادته إلى كرامته ، تقدم القس يوحنا أمين عام سر المجمع ، وبيده رسالة كتبها رهبان أوطيخا يطالبون فيها المجمع المقدس بأن يتكرم وينظر فى الحكم الذى سبق أن أصدره فلافيانوس رئيس مجمع القسطنطينية ضدهم وحرمهم مع رئيسهم أوطيخا . وبعد أن سأل المجمع الراهب لوسيانوس بالنيابة عن رهبان الدير ، وبعد أن اتضح أن رهبان دير القسطنطينية يؤمنون بالتعاليم التى علّم بها رئيسهم أوطيخا ويتمسكون بتعاليم الآباء المذكورة فى مجمعى نيقية وأفسس ، حكم المجمع بتبرئتهم وقبولهم فى شركة الكنيسة .(*)

(*) لدراسة أحداث الجلسة التى صرخ فيها أعضاء مجمع أفسس الثانى طالبين طرد وتمزيق جسد أسابيوس ثم دراسة عملية التصويت وكيف تمت ، وقبول أوطيخا فى الشركة ، الرجا الرجوع إلى المؤلفات الآتية :

Bardy, op. cit. 220-224; Hardouin 2. 200-240; Mansi 6. 833-867;
Hefele 2. 592-609; Early Hist. of the Christian Church...,
Lopis Duchesne, vol. 285-291; ph. Schaff op cit. 3. 735-740;
A. Grillmeier, 529-532; Camelot, 105-111; ep. 120, 2; PL 54, 1049; ACO 11, 11, 79; ACO 11, 1, 1, 182-183; P. Batiffol, le siege Apostolique 500-525; Dr. A. Harnack, vol. 206-212; Harnack, Précis des Dogmes, 210-216; Karl Baus..., The Imperial Church From Constantine to the Early Middle Ages 111-114; Leo's Letters Epp. 28-35; ACO 2. 4; J. M. A. Salles-Dabadie, les Conciles oeu; 120-132; F. Bonifas, T. 2. 120-132; J. Danielou. 392-399;
William p. Dubose. S. T. D. 240-250; D. T. C. 1585-1589.

كتاب خريسوستمس ٢٨٧ـــ٢٩١، د. أسد رستم الجزء الأول ٣٣٣ـــ٣٣٥، أنطونيوس الدويرى . موجز تاريخ المسيحية ١ـــ٤، كتاب الكسندروس ٢٦٤ ـــ ٢٦٦ ، كتاب الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٥٠١ـــ٥١٠ القمص كيرلس الأنطونى. عصر المجامع ١٦٩ـــ١٧١، كتاب تاريخ مجمع خلقدونية باب ١٥: ٤٥ باب ١٦: ٦٢.

الحكم على أعداء أوطيخا

اعتُبِر الحكم الذى أصدره مجمع أفسس الثانى بإعادة أوطيخا إلى الكرامة الكهنوتية واستلام إدارة ديره نصرًا عظيمًا جدًا ليس فقط لأوطيخا ورهبانه بل لديوسقوروس والسلطات الحاكمة التى كانت تخطط من أمد بعيد للحصول على هذه النتيجة . على أن ديوسقوروس والسلطات الحاكمة لم يكتفوا بهذا النصر . بل حكموا على أعدائه بالهرطقة .

ولكن كيف حدث ذلك ؟ بعد أن حكم مجمع أفسس الثانى ببراءة أوطيخا الذى قدم إقرار إيمان يعترف فيه بوجود طبيعة واحدة فى المسيح وأنه يقبل قانون إيمان نيقية ومجمع أفسس الأول ، أمر رئيس المجمع بقراءة بعض الفصول الخاصة بالإيمان والعقيدة المذكورة فى أعمال مجمع أفسس الأول حتى يستطيع الآباء معرفة التعاليم التى علّم بها ووافق عليها آباء مجمع أفسس الأول .

وبدأ فعلاً يوحنا السكرتير بقراءة ما سجله هذا المجمع فى الجلسة السادسة . وقد احتوى هذا الفصل على قانون إيمان نيقية وكثير من أقوال الآباء ، وخاصة اقتباسات من كتابات نسطوريوس والرد عليها مبينًا بأنها تعاليم غير أرثوذكسية.[٣٢] وبعد أن أنهى القس يوحنا قراءة هذه الفصول قال ديوسقوروس : لقد سمعتم قداستكم أن مجمع أفسس يهدد بحرم كل من يعلم بتعاليم أخرى غير التى علّم بها مجمع نيقية ، كما أنه يهدد أيضًا بحرم كل من يبتدع تعليمًا جديدًا لا يتفق مع مجمع أفسس ومجمع نيقية . ولذلك فإنى ألتمس من قداستكم أن تقدموا كتابة موافقتكم على عقاب كل من تعدّى فى تعاليمه أو فى ابتداعاته قانون نيقية (وتعاليم أفسس) . كان السؤال شَرَكًا وقع فيه الكثيرون ، فحتى الوفد الرومانى كان موافقًا على معاقبة كل من يبتدع تعليمًا جديدًا لا يتفق وروح قانون إيمان نيقية . وانتهز ممثل رومه هذه الفرصة وطالب للمرة الثالثة قراءة رسالة ليون . ويعتقد بعض المؤرخين أن كيرلس تظاهر بعدم سماع طلب الممثل الرومانى،[٣٣] فواصل حديثه قائلاً : « بما أن مجمع أفسس يهدد بحرم كل من يغير أى شىء فى تعاليم نيقية أو يضيف عليها ابتداعات

---

(32) Hardouin, op. cit. T. 2. 236; Hefele 2. 599; Mansi 6. 867.
(33) Hefele 2. 600

جديدة ، فإنى أقترح خلع فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية ، وأسابيوس أسقف دوروله ، لأنهما أدخلا عقيدة الطبيعتين على ما قرره مجمع أفسس » . ويعتقد بعض المؤرخين أنه أضاف قائلاً « يجب على كل واحد منكم التصويت وسوف نعرِّف الإمبراطور بكل ما يحدث هنا »(*)

نزل هذا التصريح بخلع فلافيانوس وأسابيوس كالصاعقة فصرخ الممثل الرومانى هيلريوس (Hilaire) بصوت مرتفع باللاتينية قائلاً : (Contradicitur) = « أنا غير موافق ». لقد أثار هذا الاقتراح ضجة عظيمة جدًا وبلبلة لا حدود لها . وأدرك الذين كانوا يتمتعون بالحكمة والذكاء ، والذين كانت لهم رؤى مستقبلية ، خطورة هذا الاقتراح الذى سوف يهدد سلام الكنيسة ويؤدى بها إلى الإنقسام والإنشقاق . فاقترب بعضهم من ديوسقوروس ونصحه بالإعتدال واستعمال روح المحبة واللطف بدلاً من روح الإنتقام ، وأنه ليس من العدل ولا من المحبة المسيحية توقيع هذا العقاب القاسى على هذين الأسقفين وآخرين أيضًا .

لقد انقسم المؤرخون فى وصفهم لرد فعل ديوسقوروس بالنسبة لطلب الأساقفة ، فالبعض اتهمه بالقسوة والعنف ، والبعض الآخر حاول أن يبرئه من هذه التهمة . سنعرض هنا الموقفين ثم نقدم تعليقًا شخصيًا .

فى عرضنا لموقف الذين اتهموا أو الذين يبرئون رئيس أساقفة الإسكندرية ، سنحاول تقديم آرائهم بطريقة أمينة ودقيقة ، وموجزة جدًا نظرًا لتشعب الموضوع .

١ ــ موقف الذين اتهموا ديوسقوروس باستعمال العنف فى مجمع أفسس الثانى :

يعتقد العالم لويس ديشن (L. Duchesne) وكذلك ف. بونيفاس (F. Bonifas) وآخرون كثيرون أنه عندما طالب ديوسقوروس بحرم فلافيانوس وأسابيوس اقترب منه بعض الأساقفة والتمسوا منه استعمال الرحمة والمحبة والعدل .

(*) اعتبر البعض أن هذه الجملة تحمل تهديدًا للذين لا يقبلون محاكمة فلافيانوس وأسابيوس المعتبرين من الحزب المعارض للإمبراطور . Hefele 2. 600-605

ويعتقد ديشن أن بعضًا من هؤلاء الأساقفة ألقوا بأنفسهم عند قدميه[٣٤] طالبين منه أن يتريث فيما هو مزمع أن يفعل وأن لا يسلك فى هذا الطريق . يواصل العالمان شرحهما ويتفق معهما عدد كبير جدًا من العلماء ، أن ديوسقوروس لم يسمع لهذه الأصوات ولم يعرها أى اهتمام بل انتهز فرصة اقتراب هؤلاء منه لإشعال النار واستخدام القوة والعنف فتظاهر كما لو كان مهددًا منهم . فصرخ بصوت مرتفع طالبًا النجدة من الحرس الإمبراطورى . وكان كل من البيديوس وأوليوجيوس بالقرب من الباب فأمرا بفتح الأبواب ودخل الجنود حاملين السيوف والسلاسل ، وانضم إلى هذا الجيش المدجج بالسيوف عدد كبير من البحارة والخدم الذين جاءوا مع ديوسقوروس والرهبان الذين أحضرهم الراهب الثائر المتعصب برسوم . وأغلقوا الأبواب حتى لا يهرب أحد . فاستولى الذعر والخوف على الأساقفة ، وكان كل منهم يهرع خوفًا باحثًا عن أى مكان يختبىء فيه ، واختفى بعضهم تحت المقاعد . أما استفانوس الأفسسى فقد اختفى فى السكرستيه . ويقول البعض من هؤلاء العلماء إن ديوسقوروس أعلن أن أى مقاومة سوف يكون عقابها عظيمًا مما أثار الخوف والاضطراب والانزعاج فى قلوب الأساقفة . وهنا أمر ديوسقوروس رئيس المجمع أن يجلس كل واحد فى مقعده استعدادًا للإدلاء بالأصوات ثم أردف قائلاً : « وإذا امتنع أى واحد عن التصويت فسوف أهتم أنا شخصيًا بأمره ، وإن الإمبراطور بنفسه سوف يطلع على أصوات الجميع . فيجب أن تفكروا فى ذلك جيدًا » . وهنا بدأ التصويت من الصف الأول الذى كان جالسًا فيه جيوفينال الأورشليمى الذى لم يتردد لحظة واحدة فى خلع فلافيانوس وأسابيوس . وتبعه فى ذلك دمنوس رئيس أساقفة أنطاكية . بل إن يورانيوس الهيميريسى (Uranius d' Himeres) طالب بحكم الموت على فلافيانوس وأسابيوس . ويواصل هؤلاء العلماء شرحهم لموقف رئيس المجمع ، بأنه أمر بغلق الأبواب وعدم السماح لأى شخص بالخروج حتى يوقع الجميع على خلع هذين الأسقفين . وطالبهم بالتوقيع على أوراق بيضاء[٣٥] لأن

---

(٣٤) د . أسد رستم . الجزء الأول ص ٣٣٣ — ٣٣٤ ، (34) Bardy, op. cit. 220-221-223;
L. Duchesne, Early Hist. of Christian Church..., 3. 287-292;
F. Bonifas 2, 125-131; Mansi, 6, 829; 7. 69; Council of Chalcedon Acts 1 and 4

(35) L, Duchesne, op. cit. 3. 290; Hefele 2, 557, 602, Mansi 6, 662-630
كتاب خريسوستمس ٢٨٩ — ٢٩١ ، كتاب الكسندروس ٢٦٤ — ٢٦٦

المَحْضَر لم يدَّون بعد . وكان رئيس المجمع يمر وسط الصفوف وبجانبه رئيس أساقفة أورشليم لجمع التوقيعات ، والذين ترددوا فى التوقيع على خلع الأسقفين كان عقابهم الإهانات واتهامهم بالهرطقة والنسطورية . ولقد كتب العالم تيلمونت (Tillemont) فى هذاالصدد يقول إن عدد الجنود الذين اشتركوا فى خلع هذين الأسقفين أكثر من عدد الأساقفة . ويسجل لنا المجمع ١٣٥ توقيعًا لحرم وخلع فلافيانوس وأسابيوس ومنها : اثنان قد وقعا مرتين ، وأسقفان طلبا التوقيع بدلاً منهما لأنهما لا يعرفان القراءة والكتابة .

ظلت الأبواب مغلقة طوال هذه الجلسة الطويلة الصاخبة ، حتى أسدل الليل أستاره وأضيئت المشاعل . وكان فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية واقفًا فى ركن من الكنيسة فاقترب منه رئيس أساقفة الإسكندرية ورماه بالشتائم بل ضربه على خديه . فهرع فلافيانوس مسرعًا نحو المذبح وتمسك به محتميًا فيه حتى لا يلمسه أحد . ولكن بالرغم من ذلك اقترب منه اثنان من شمامسة رئيس الإسكندرية وهما « هاربوكراتيوس » (Harpocratien) وبطرس (Pierre) وألقياه على الأرض فأوسعه ديوسقوروس ضربًا وداسه بالأقدام . وانضم إليهم بعض من رهبان برسوم ، ذلك الراهب المتعصب الثائر ، الذى كان يصرخ قائلاً « اقتلوه .. اقتلوه » . ولم يجرؤ أحد على التدخل لإنقاذه من أيديهم ، بل انطلق الجميع إلى الخارج عندما فتحت الأبواب للنجاة بأنفسهم .(٣٦)

وفى الغد اقتيد فلافيانوس إلى المنفى بأمر الإمبراطور . ويعتقد نسطوريوس أن فلافيانوس لفظ أنفاسه الأخيرة بعد أربعة أيام من هذه الحادثة(٣٧) إلا أن هذا الأمر غير أكيد .

أما أسابيوس فقد استطاع الهروب إلى رومه ، وهناك وجد كُلاً من الأسقف يوليانوس والشماس هيلريوس اللذين استطاعا هما أيضًا الهروب بعد مخاطرات عظيمة . وهناك قص أسابيوس أسقف دوروله ويوليانوس والشماس هيلريوس ما حدث فى مجمع أفسس على البابا ليون وقد سلمه هذان الأخيران رسالة من فلافيانوس يلتمس منه فيها عقد مجمع لتصحيح الأوضاع التى حدثت فى

(36) L. Duchesne, 3. 290, 292; Bardy, 222-223; Camelot 109
(37) Nestorius, Livre d' Héracle 316; Camelot 110

هذا المجمع . وعندما عرف ليون ما حدث دعا هذا المجمع بمجمع اللصوص أو القراصنة (Latrocinium Ephesinum)[٣٨]

٢ ــ موقف الذين حاولوا تبرئة ديوسقوروس من استعماله القوة والعنف فى مجمع أفسس الثانى :

سبق أن رأينا عددًا كبيرًا من العلماء المشهود لهم بدقة البحث والنزاهة العلمية يتهمون رئيس أساقفة الإسكندرية باستعمال العنف فى مجمع أفسس الثانى . ولقد رجع معظم هؤلاء العلماء فى بحثهم ودراساتهم إلى ما سجله آباء مجمع خلقدونية الذى سوف نتعرض لدراسته فيما بعد . فإن مجمع خلقدونية تناول من جديد ما حدث فى مجمع أفسس ، لأن الأغلبية الساحقة

---

(38) Bardy, 224; Duchesne, 3. 291; J. M. A. Salles-Dabadie Les Concil..., oeu..., 129-132; Hefele 2. 555; 585

من يريد التوسع فى دراسة آراء هؤلاء العلماء واتهاماتهم لديوسقوروس بأنه استخدم القوة والعنف فى مجمع أفسس الثانى عليه التكرم بالعودة إلى المراجع التى نذكرها هنا والمراجع المذكورة أيضًا أدناه فهى فى غاية الأهمية :

J. Hefele, T. 2. P. 556 557; 585, 591-595; L. Duchesne 3. 285-293;

Camelot, Ephese Chal.... 105-114; Bardy, 220-225; P. Martin,

Le Brigandage d' Ephese, dans La Revue des Questions Hist..., 1874, T. 16; P. 16; Manuscrit du British Museum, Syr. addit. 12, 156. (Fol 59 b, a 68; Le Brigandage d' Ephe..., d' Aprés ses actes Recement découverts, dans La Rev., des Sci... eccle. 1874, Série, 3, T. 9, p. 505-544; T. 10, p. 22-61, 209-226, 305-339, 385-391, 518-543; A. Iargent, Le Brigandage d' Ephése...; et Le Concile de Chalcedoine dans La Rev., des quest., Hist., 1880 T. 27, p. 83-150.

Phil. Schaff; History of Christian Church, vol. 735-740;

F. Bonifas, 2. 120-135; J. Danielou et H. Marrou, 394-400;

J. M. A. Salles-Dabadie.... 120-130; A. Harnack, Précis de L' hist., 215-222; A Grillmeier, 529-532; Turmel 352-359; William p. Dubose,

S. T. D., The Ecum... Councils 240-350; A Harnack, Hist. of Dog. vol. 4, 206-210, The Acts of the Synod in Mansi 5 and 6 in Thiel...;

The Syriac Acts of the Robber Synod; Karl Baus, Hans-Georg Beck....

The Imperial Church..., 111-114; Dict. Theo. Cath. Tome 5... 1588;

Dic. Theo, Cath. Tome 5. 1373-1374; Tillemont: Mémoires Tome 15, 475, 905, Council of Chalcedon, Acts 1 and 4; Mansi 6. 829; 7; 68;

Hardouin, T. 2. Col. 75-83; H. Chadwick, The Exile and Death of Flavian.... dans The Jou.. of Theol. Stud., N. S. (6. 1955), 16-34

انظر أيضًا كتاب خريسوستمس ٢٨٦ ــ ٢٩٢
الدكتور أسد رستم . الجزء الأول ٣٣١ ــ ٣٣٦
الكسندروس ٢٦٢ ــ ٢٧٢

التى كانت فى مجمع أفسس الثانى سنة ٤٤٩ حضرت أيضًا مجمع خلقدونية ٤٥١ حيث قرئت محاضر جلسات مجمع أفسس.(٣٩)

على أن البعض الآخر لم يقبل هذه التهمة التى وصف بها هؤلاء العلماء رئيس أساقفة الإسكندرية ، وحاولوا إثبات براءته وأن مجمع أفسس الثانى كان مجمعًا قانونيًا وأن جلساته سارت بطريقة منظمة ، ولم يحدث فيه أى خلل أو شوشرة أو اضطراب ، وأن ديوسقوروس قاد جلسات هذا المجمع قيادة حكيمة ومنح لكل عضو الحرية فى الكلام والتعبير عن آرائه بدون ضغط أوعنف .

سبق أن أشرنا بأن معظم العلماء الذين اتهموا رئيس أساقفة الإسكندرية باستعمال العنف والقسوة رجعوا إلى سجلات مجمع خلقدونية . أما الذين حاولوا تبرير رئيس أساقفة الإسكندرية فقد رجعوا إلى السجلات السريانية لأعمال مجمع أفسس . فقد اكتشفت نسخة باللغة السريانية لأعمال مجمع أفسس ويرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٥٣٥ فى دير مار ــ أسابيوس فى كافرا بيرثا . وكان هذا الدير حصنًا من الحصون التى تدافع عن عقيدة الطبيعة الواحدة . وكان العالم الألمانى ج . هوفمان (G. Hoffmann) هو أول من قام بترجمة هذه الوثائق إلى اللغة الألمانية فى سنة ١٨٧٣ وترجمها للفرنسية العالم المشهور مارتان (Martin) فى سنة ١٨٧٤ وظهرت فى اللغة الإنجليزية فى سنة ١٨٨١ .(*)

والدارس لجلسات هذا المجمع كما سجله الكاتب السريانى الذى كان ينتمى لأتباع عقيدة الطبيعة الواحدة ، لا يرى أى اضطراب أو فوضى ، بل يرى السلام والهدوء يسيطران على كل جلساته .

---

(39) Hefele. 2. 583-586.

(*) على من يريد التوسع فى دراسة هذه السجلات السريانية الرجا دراسة المراجع الآتية :

Duchesne, vol. 3. 290-293

The Syriac Acts of the Robber Synod; Germ; G. Hoffmann (The Kiel Festschrift For Olshausen), Perry; The Second Synod of Eph...; Martin Actes de Brigandage d' Ephe...; Revillont, A Report of Dioscurus on the Council of Charcedon, From the Coptic Rev. Egypt.. 1880. Hefele, 2. 555-558; 584-587; 590-595

فالكاتب يقدم المجمع كمجمع قانونى سار فى كل جلساته سيرًا قانونيًا تحت قيادة القديس ديوسقوروس الذى منح الحرية الكاملة لكل أعضائه حتى يعبر كل منهم بطريقة حرة عن أفكاره وعقيدته . إلى هذه الوثيقة رجع الكثيرون من الذين يحاولون تبرير رئيس أساقفة الإسكندرية . ولقد حاول أنطونيوس الدويرى فى كتابه موجز تاريخ المسيحية دفع تهمة لصوصية هذا المجمع ، فلخص المجمع فى النقاط التالية:

١ ـــ انعقاد المجمع تم بأمر الإمبراطور .
٢ـــ تمثيل جميع الكراسى المشهورة فيه ...
٣ ـــ ترك الحرية للأعضاء ليدلى كلٌ برأيه .
٤ ـــ نظر الأمور بتأنٍّ مع أخذ الأصوات قبل الحكم على أى شخص .
٥ ـــ جلساته المتعددة ...

ولقد كتب أيضًا كتاب الخريدة النفيسة يقول « ..... إن الهدوء كان سائدًا فى المجمع وكل واحد من أعضائه كان يستعمل حريته التامة وقد وقع على قرارات المجمع بلا إكراه . وإن ديوسقوروس كان كغيره يستعمل حريته لا نفوذه . ومع ذلك نعت بعضهم المجمع باللصوصية كاذبين .[٤٠]

فى عرضنا للموقفين حاولنا أن نقدم عينات موجزة جدًا . فمن الواضح الجلى أن الكنائس اللاخلقدونية رجعت إلى هذا النص السريانى الذى أشرنا إليه سابقًا كما أن الكنائس الخلقدونية رفضت ، لا أقول كل هذه الوثيقة التى تعتبرها نصف تاريخية ، بل الكثير منها.[*] فما هو إذن موقفنا نحن من هذا المجمع وقراراته ؟

---

(٤٠) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ٥١٠

(*) من يريد التوسع فى معرفة أراء المؤيدين لديوسقوروس ومجمع أفسس الثانى عليه دراسة : الوثيقة السريانية الموجودة فى المتحف البريطانى .

Le Manuscrit Syriaque 14530 du British Museum Fol. 108 b;

Dict. of Christian Biography, Word Eusebius; Hefele 2. 555-557; 585-588; 590-595; L. Duchesne 3. 290-293.

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ٤٩٦ ـــ ٤٩٧ ، ٥٠٧ ـــ ٥١٠
أنطونيوس الدويرى : موجز تاريخ المسيحية ص ١ ، القمص كيرلس الأنطونى عصر المجامع ١٦٧ ـــ ١٧١
تاريخ الانشقاق الجزء الأول ، تاريخ مجمع خلقدونية باب ١٨ : ٨٧ و٨٨ باب ١٥ : ٤٥ ـــ ١٦ : ٦٣ ، تاريخ الانشقاق جراسيوس .

٣ ــ موقفنا من مجمع أفسس أو مفهومنا لهذا المجمع :

أول سؤال يطرح نفسه على دارس تاريخ هذا المجمع هو ما يلي : هل تصرف ديوسقوروس بطريقة لا تليق مستعملاً العنف والقسوة والقوة ليملى إرادته على أعضاء المجمع ؟ لكى تتسنى لنا الإجابة على هذا السؤال بطريقة حيادية علمية وتاريخية ، يجدر بنا أن نتذكر أن الصراع لم يكن صراعًا عقائديًا فقط بل كان للأسف الشديد صراعًا سياسيًا أيضًا على السلطات وعلى المراكز الأولى . فمنذ أن حكم رئيس أساقفة الإسكندرية ثيوفيلوس على رئيس أساقفة القسطنطينية القديس يوحنا فم الذهب بالخلع وخُلع فعلاً ، توترت الأمور ، وكانت العلاقات الدينية والسياسية بين المدينتين متوترة من قبل ، وكما سلفت الإشارة كان رئيس أساقفة الإسكندرية يحتل مكانة مرموقة فى الشرق ، مما أثار نوعًا من الغيرة والحسد فى قلب بعض رؤساء الكراسى الأخرى وخاصة بابا رومه ، الذى كان يعتبر نفسه الجالس على كرسى بطرس وله الأولوية المطلقة . يتضح هذا الأمر من الخطاب الذى كتبه ليون بابا رومه إلى ديوسقوروس بمناسبة تنصيبه على كرسى مرقس فى هذا الخطاب رقم ٩ يقول ليون ما معناه إن كنيسة الإسكندرية هى كنيسة مرقس ، أما كنيسة رومه فهى كنيسة بطرس أى معلم مرقس . وللمعلم (يقصد بطرس) الحق فى إصدار الأوامر والقوانين لتلميذه وعلى هذا التلميذ مرقس ، أى ديوسقوروس أن يكون خاضعًا ومطيعًا لمعلمه .[٤١]

لم يكن ليون راضيًا كل الرضى عن تعيين ديوسقوروس رئيسًا لمجمع أفسس الثانى بل كان يرغب أن يسند الإمبراطور هذه المسئولية أو بالمعنى الأصح هذا الشرف إلى ممثل كرسى رومه . على أن هناك أمرًا آخر زاد من حدة التوتر ، وهو أن ديوسقوروس كان يتصرف فى كثير من الأحيان كما لو كان هو السيد المطلق فى الشرق أو على الأقل على كنائس سوريا وفلسطين.[٤٢] كان ديوسقوروس من الذين فسروا تعاليم القديس كيرلس بطريقة حرفية متمسكًا بعقيدة الطبيعة الواحدة ، محاولاً نشرها بل فرضها على كل الكنائس . وقد أراد أن ينجح حيث فشل كيرلس فى فرض عقيدة الطبيعة الواحدة على كنائس

(41) Turmel op. cit. 352-359.
(42) A. Harnack, Precis de L' hist.. 207, 211.

الشرق.[٤٣] كان ديوسقوروس يؤمن بأن عقيدة الطبيعة الواحدة فى شخص المسيح هى العقيدة الأرثوذكسية ، وأن رفضها أو التهاون فى التمسك بها يعتبر خيانة للأرثوذكسية . بل رأى أن من واجبه كرئيس أساقفة أن يستعمل كل الوسائل فى نشر هذه العقيدة ، وملاشاة التعاليم التى تنادى بوجود طبيعتين فى شخص المسيح ، وهى التعاليم التى كانت تنادى بها أنطاكية والقسطنطينية ورومه . وتوجد نقطة أخرى فى غاية الأهمية وهى الخطة التى رسمها البلاط الملكى حتى يحصل أوطيخا على النصر ويعود إلى مركزه . فإن الأغلبية الساحقة التى دعاها الإمبراطور لحضور هذا المجمع كانت من الأساقفة الذين يؤيدون أوطيخا : حوالى مائة أسقف من الذين يؤيدون أوطيخا والمجمع كله كان يتكون من حوالى ١٤٠ أسقفًا ، منهم ما يقرب من ٤٠ أسقفًا من مجمع القسطنطينية لم يكن لهم الحق فى التصويت . ثم إبعاد ومنع بعض المنافسين لأوطيخا وتعاليمه من حضور المجمع والإدلاء بأرائهم مثل ديودوريطس الكورشى وأسابيوس . علاوة على تأييد ومساندة السلطات الحاكمة لأوطيخا وتعاليمه . كان وفد رومه المعارض لأوطيخا وتعاليمه مكونًا من ثلاثة أشخاص فقط ولا يتكلم اللغة اليونانية المستعملة فى المجمع . زد على ذلك أن المجمع لم يستمع للرسالة التى كتبها ليون والتى كان يعتقد أنها تحمل الحل العقائدى السليم للمشكلة الكرستولوجية المتنازع عليها بين أوطيخا ومجمع القسطنطينية . وهنا نلاحظ العوامل الكثيرة التى لعبت دورًا هامًا جدًا فى الجانبين : فإن الوفود المعارضة لأوطيخا وديوسقوروس والبلاط وجدت نفسها عند وصولها إلى هذا المجمع فى موقف حرج لا بل مشلولة الحركة . فأثار هذا الأمر غيظ وغضب الوفد الرومانى ووفد القسطنطينية وبعض الأساقفة المحايدين . ولكنهم قلة قليلة من ناحية ، ومن ناحية أخرى حكم على الأغلبية الساحقة من هذه القلة بأن لا تشترك فى التصويت .

بعد هذه الملاحظات يمكننا الرجوع إلى السؤال الذى طرحناه سابقًا وهو : هل سلك ديوسقوروس رئيس المجمع بطريقة لا تليق مستعملاً العنف والقسوة والإرهاب حتى يذعن أعضاء المجمع لرغباته ؟

نملك حاليًا على الأقل نوعين من المصادر التاريخية القديمة التى تحدثنا عن

---

(43) W. P. Durose, S. T. D. The Ecu... Counc., 240-250

مجمع أفسس الثانى :

المصدر الأول

سجلات أعمال مجمع خلقدونية . وقد اشتملت هذه السجلات على المناقشات التى دارت فى هذا المجمع والخاصة بمجمع القسطنطينية الذى كان يرأسه فلافيانوس فى سنة ٤٤٨ ومحاضر جلساته ، ثم محاضر جلسات مجمع أفسس الثانى الذى عقد فى سنة ٤٤٩ تحت رئاسة ديوسقوروس.[٤٤] فعندما قرئت محاضر جلسات مجمع أفسس الثانى فى مجمع خلقدونية ، اعترف كثير من الآباء الذين حضروا مجمع أفسس ثم مجمع خلقدونية بأن العنف والإرهاب استُعمِلا فعلاً فى مجمع أفسس الثانى . وأن الآباء الذين أقروا باستعمال العنف والإرهاب فى هذا المجمع ليسوا فقط أعداء ديوسقوروس بل حتى الذين أيدوه فى مجمع أفسس الثانى ، وسوف نعالج هذه النقطة بتوسع عندما نصل إلى مجمع خلقدونية .

المصدر الثانى :

النسخة السريانية لأعمال مجمع أفسس التى يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ٥٣٥ أى بعد مضى أكثر من ثمانين عامًا على مجمع خلقدونية . وقد ترجمت حوالى سنة ١٨٧٣ . على أن كاتب هذه المحاضر أو جامعها هو سريانى ، وقد كتبت فى دير معارض لمجمع القسطنطينية ومجمع خلقدونية . ولهذا السبب حاول أن يحذف من محاضر الجلسات أى إشارة لإثارة الشكوك فى وجود اضطراب أو إرهاب أو عنف إذ يشعر من يطلع على محاضر هذه الجلسات كما لو كان المجمع يسير بطريقة منظمة وفى حرية وانسجام . وحقيقة الأمر أن النسخة السريانية لأعمال مجمع أفسس الثانى لا تتحدث من قريب أو من بعيد عما حدث فى الجلسة الأولى من هذا المجمع ، تلك الجلسة التى كانت مليئة بالعواصف.[٤٥] والدارس لهذه المحاضر يكاد يشعر فى كثير من الأحيان أنها عبارة عن محاضرات هدفها تبرئة بعض الأشخاص أمثال ديوسقوروس وآخرين من تهمة استعمال الإرهاب والعنف فى هذا المجمع . فهى تعتبر محاضرات دفاعية وليست سجلات تاريخية بما تحمل كلمة تاريخ من معنى علمى حيادى

---

(44) Mansi, T. 6. Col. 539-1102; 7, Col. 1-627.

(45) Hefale, 2. 555-558; 583-595.

موضوعى أمين . وبالرغم من هذا ، فإن هذه السجلات مهمة جدا ، لأنها تعطينا فكرة عن الطريقة التى استعملها الحزب الموالى لأوطيخا فى الدفاع عنه .

وهنا نكرر نفس السؤال ولكن بطريقة أخرى مباشرة : هل لجأ ديوسقوروس إلى الإرهاب أم لا ؟ وما هو موقفنا من هذا المجمع ومفهومنا له ؟

أرى أن الخطأ العظيم الذى ارتكبه كثير من المؤرخين والكتاب والعلماء هو أنهم عالجوا مشكلة مجمع أفسس بعقلية القرن العشرين وبفكر غربى بحت . فقد تعاملوا مع ديوسقوروس وأوطيخا والبلاط الإمبراطورى كما لو كانوا عائشين فى القرن العشرين ، ومتمتعين بالديمقراطية الكاملة ، ومجردين من النعرة المذهبية والحزبية ، وحتى فى القرن العشرين ، لا توجد هذه الروح ، ولكى نفهم هذه المشكلة على حقيقتها ، دعونا ننظر إلى الأمر بعيون ديوسقوروس وفى نفس ظروفه . فعندما اجتمع مجمع أفسس الثانى رأى ديوسقوروس الفرصة العظيمة المتاحة له: الإمبراطور خلفه ، وخريسافيوس وأكثر من ١٠٠ أسقف فى المجمع يؤيدون تعاليمه ، ومنافسوه فى التعليم فى الخارج مبعدون .... فشعر أن هذه فرصته الذهبية ، بل ربما اعتقد أنها ترتيب إلهى . وكيف لا يعتقد ذلك وهو من الذين يؤمنون أنه أرثوذكسى التعاليم ؟!!!! كان ديوسقوروس من القادة الذين اتصفوا بالغيرة والدفاع عن التعاليم التى اعتقد أنها تعاليم القديس كيرلس ، وبناء على ذلك يجب الدفاع عنها مهما كلف الأمر بهذه الروح : روح الغيرة والتحمس ، بل دعنا نقول روح التعصب المتطرف . كان ديوسقوروس مدفوعًا لخمد وملاشاة كل ما كان يرى أنه نسطورى أو شبه نسطورى . كان يؤمن بعظمة كيرلس ولكنه لم يستطع ملاشاة النساطرة وإزالتهم من الوجود ، فعليه هو أن يقوم بهذا الواجب . ولذلك رأى فى مجمع أفسس وفى كل الامتيازات التى منحت له فيه ، ترتيبًا إلهيًا لتحقيق هذا الحلم . وربما كان مجربًا أيضًا بالتجربة التى يسقط فيها الكثيرون ، من الذين يدافعون عن مجد العقيدة والمذهبية والطائفية أكثر من دفاعهم عن « الله محبة » : الذى لا يقبل إلا دفاع المحبة والإحترام المتبادل : كانت مشكلة الهرطقة فى ذلك الوقت وحتى وقتنا الحاضر فى بعض الديانات ، من المشاكل التى عوقب مرتكبها بالموت .

كان ديوسقوروس متحمسًا ومتمسكًا بما كان يعتقد أنها تعاليم أرثوذكسية

كيرلسية ، وكان يرفض أيضًا كل التعاليم التى يشتم فيها رائحة الهرطقة . بهذه الروح ربما استعمل شيئًا من العنف والإرهاب لملاشاة عقيدة الطبيعتين وفرض وتعميم عقيدة الطبيعة الواحدة التى كان يعتقد أنها العقيدة الوحيدة الأرثوذكسية ، والتى يجب نشرها . أما فيما يخص العنف والإرهاب والضرب والإهانة التى تعرض لها رئيس أساقفة القسطنطينية ، والتى تحدث عنها الكثيرون من الكتّاب ، فإن روايات هؤلاء الكتّاب لم تتفق جميعها فى ذلك . وإننا نشك فى أن رئيس أساقفة الإسكندرية هاجم رئيس أساقفة القسطنطينية فأوسعه ضربًا بالأيدى وبالأرجل كما يعتقد البعض . والدليل على ذلك أن فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية لم يذكر شيئًا عن هذه الحادثة فى خطابه الذى أرسله مع وفد رومه بعد الجلسة العاصفة التى شهدت هذه الأحداث . كما أننا لا نرى أى أثر لذلك فى تقرير الوفد الرومانى بعد رجوعه من القسطنطينية . يرد البعض على ذلك بالقول إن الوفد الرومانى كان مضطربًا ومنزعجًا ولم يستطع أن يتحقق أو يحقق فى موضوع من الذى أهان ومن الذى أُهِينَ ، بل كان كل همه الهروب ، وأن فلافيانوس لم يذكر شيئًا عن هذه الحادثة لأن كل ما كان يريده من البابا ليون ، عندما أرسل له هذه الرسالة السريعة السرية مع أحد الممثلين لرومه ، هو أن يسرع البابا بعمل اللازم لعقد مجمع . بالرغم من هذه الردود ، نعتقد أن ديوسقوروس لم يهجم هو نفسه على رئيس أساقفة القسطنطينية . وربما قام بالهجوم الذى تعرض له فلافيانوس — إذا كان قد حدث فعلاً — من بعض الرهبان الجهلة المتعصبين المتطرفين الذين جاءوا مع الراهب برسوم أو بعض الملاحين أو الخدم الذين كانوا فى حاشية ديوسقوروس وليس ديوسقوروس نفسه رئيس المجمع .(٤٦)

محاكمة بعض الأساقفة الآخرين

بعد هذه الجلسات العاصفة احتاج أعضاء المجمع إلى فترة من الراحة

---

(٤٦) لدراسة موضوع الإهانات الجسدية التى تعرض لها فلافيانوس ومن الذى قام بها الرجا دراسة:
Bardy, op. cit. 221-225; mansi, T. 6. 691, 1017; 7. 69;
Hefele 2. 600-609; Hardouin Concilia T. 2, Col. 79-82;
Tillemont, Memoires, T. 15, p. 904; Duchesne, T. 3, 288-293; ph. Schaff, vol. 3. 738-740; Camelot, p. 109-111; H. Chadwick,
The Exile and the Death of Flavian of Cons. dans the Journal of Theol..., Studies N. S. 6 (1955) 16-34.
د . أسد رستم . الجزء الأول ٣٣٣ — ٣٣٤ ، الكسندروس ٢٦٤ — ٢٦٦

والهدوء ، ولذلك لم يستأنف المجمع جلساته إلا يوم ٢٢ أغسطس (آب)[٤٧] للنظر فى بعض القضايا الأخرى مثل قضية إيريناوس أسقف صور الذى اتُّهم بالنسطورية وببعض التهم الأخلاقية فحكم المجمع بخلعه.[٤٨] وجاء دور « دمنوس » أسقف أنطاكية ، وكان هذا الأسقف على ما يبدو ضعيف الإرادة يُحمل بكل ريح.[٤٩] فمع أنه سبق أن كتب إلى الإمبراطور عن هرطقة أوطيخا فإنه وافق على قرارات مجمع أفسس بخلع رئيس أساقفة القسطنطينية . وها هو الآن يخلع من منصبه فى ذات المجمع لأنه اتُّهم أيضًا بالنسطورية . ألم يكن هو أول من أعلم الإمبراطور كتابة بهرطقة أوطيخا؟[٥٠] ثم قدمت شكوى من الحزب المعارض لحزب النساطرة والمؤيد لتعاليم الطبيعة الواحدة من مدينة الرها ضد الأسقف ايباس أو أيهيبا المتحمس لتعاليم ديودوريوس وثيودوريوس ، والذى قام من مدة طويلة بترجمة بعض كتاباتهما . وحكم المجمع أيضًا بهرطقته وخلعه من الكرامة الأسقفية .[٥١]

وفحص المجمع برئاسة ديوسقوروس قضية عقائدية أخرى وهى قضية ثيوذوريطس الكورشى حيث استمع المجمع لبعض الاقتباسات من كتاباته . وكان قد سبق وكتب ضد الحرمانات الاثنى عشر التى نطق بها كيرلس ، كما أنه كتب أيضًا رافضًا تعاليم أوطيخا .

ولقد طالب ديوسقوروس ليس فقط بخلعه وحرمه بل بإصدار أمر بحرق كل الكتب التى كتبها لأنها تحتوى على تعاليم هرطوقية.[٥٢] وهكذا حكم على هذا الرجل العالم .

كان عدد كبير من أعضاء المجمع يصرخ بصوت مرتفع عند عرض قضية إيهيبا أو ايباس الرهاوى وقضية ثيودوريطس الكورشى بالقول : « الحرم للمجدفين » . وبعد أن تمت عمليات الحرم والخلع ، تقدم رئيس المجمع بطلب

---

(47) L. Duchesne vol. 3, 290-292; Hefele 2. 507-512.

(48) Bardy, op. cit. 223.

(٤٨) الخريدة النفيسة ٥٠٦ — ٥٠٩

(49) Hefele 597

(50) Hefele, 507-511, 516-518; 591-594

(51) Hefele, T. 2. 508-512; 604-606; Tillemont, Hist., eccl., T. 13, P. 829, 966.

(52) Hefele 2, 507-512, 561-563; Bardy, 223-224

آخر وهو قبول الحرمانات التى نطق بها القديس كيرلس ضد نسطوريوس والتى كانت أحد الأسباب الأساسية والهامة التى وسَّعت شقة الخلاف بين كنائس أنطاكية والقسطنطينية من ناحية ، وكنائس مصر من ناحية أخرى . وعندئذ ارتفعت الأصوات مرة أخرى طالبة من رئيس المجمع قبول هذه الحرمانات ، بل إن البعض كان يصرخ قائلاً : « إن الله يتكلم على فم ديوسقوروس » .

يعتبر هذا المجمع نجاحًا عظيمًا باهرًا لكل من ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية وأوطيخا رئيس دير رهبان القسطنطينية وخريسافيوس وزير الإمبراطور والإمبراطور ثيودوسيوس الثانى . ففى مجمع أفسس الثانى استطاع ديوسقوروس الحصول على موافقة المجمع على قبول عقيدة الطبيعة الواحدة وخلع فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية ونفيه ، وتعيين أناطوليس بدلاً عنه كرئيس أساقفة لمدينة القسطنطينية . كما أنه استطاع أيضًا الحصول على موافقة المجمع على خلع ونفى وتشتيت بعض الأساقفة المنافسين لتعاليم الطبيعة الواحدة . ولقد وافق الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى على كل قرارات هذا المجمع .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هل استطاع مجمع أفسس الثانى أن يقدم جوابًا صحيحًا سليمًا على سؤال الرب يسوع المسيح فى قيصرية فيلبس عندما قال « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » ؟ هل استطاع ديوسقوروس ومجمعه أن يحلا المشكلة العقائدية الكرستولوجية التى كانت تهدد سلام الكنيسة ووحدتها ؟ أم أن هذا المجمع كان سببًا فى توتر الجو وإثارة الأحقاد وتشعب الأحزاب السياسية والدينية ، وانقسام الكنيسة وتمزيقها ؟ وهل قبلت رومه والأحزاب السياسية والدينية الأخرى قرارات هذا المجمع ؟ هذا هو موضوع الفصل القادم عندما نتعرض لدراسة مجمع خلقدونية .

الفصل الخامس

مجمع خلقدونية ٤٥١

عندما انفجرت المشكلة العقائدية الكرستولوجية فى الشرق ، وبعد أن عقد مجمع القسطنطينية فى ٤٤٨ الذى حكم على أوطيخا ، كتب البابا ليون رسالة عقائدية طويلة يشرح فيها التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح وسر التجسد . ولقد عقد بابا رومه الآمال الكبار على هذه الرسالة التى كان يرى فيها حلاً سلميًا للمشكلة العقائدية التى كانت تهدد وحدة الكنيسة . ولكن كانت خيبة أمل البابا كبيرة وبلا حدود ، عندما عرف أن رسالته التى صب فى كتابتها وصياغتها عصارة ذهنه لم تُقرأ فى مجمع أفسس.[1] وحدث أن ممثل الشماس هيلاريوس (Hilaire) والذى أصبح بابا لروما فيما بعد ، استطاع أن يفر هاربًا من مجمع أفسس بعد أن خدع حارسه بترك كل أمتعته فى حجرته ، وجاء إلى رومه وأخبر البابا ليون بكل ما حدث فى هذا المجمع . ويبدو أنه قدم للبابا تقريرًا مفصلاً عن طرق العنف والضغط والقسوة التى اتُّبعت فى إدارة المجمع وكيف عومل ممثلو روما معاملة سيئة ، وأن ديوسقوروس أظهر روح العداوة للبابا ولم يسمح بأن تقرأ رسالته العقائدية.[2] فبعد أن عرف ليون هذه الأمور التى حدثت فى مجمع أفسس أعلن فى غيظ وحزن وألم أن هذا المجمع هو « مجمع قراصنة »[3]

ما هو رد فعل رومه ؟ وما هو موقف البابا ليون من مجمع أفسس الثانى ؟ هل يقبل قرارات مجمع وصفه بمجمع القراصنة ؟ هل يقف مكتوف الأيدى ؟ وما هو موقف الأساقفة الآخرين من هذا المجمع ؟

اعتقد البعض أن الذى أثار الضجة والضوضاء والإضطرابات ضد مجمع أفسس ورئيسه ديوسقوروس ، هو البابا ليون الذى كان يحقد عليه ، خاصة بعد أن أسندت إليه رئاسة هذا المجمع . مع أن البابا ليون لم يكن راضيًا كل

---

(1) Joseph Turmel, p. 356-360
(2) Camelot, 111-112.
(3) J. M. A. Salles-Dabadie, Les Conciles, 130-132; Turmel, Hist. des Dog., 356-360; Bardy op. cit. 223-225

الرضى أن يرأس ديوسقوروس هذا المجمع ، بل كان يتمنى أن يمنح الإمبراطور هذا الإمتياز لأحد نواب رومه ، ومع أنه أيضًا لم يغفر لديوسقوروس عدم سماحه بقراءة الرسالة العقائدية التى أرسلها إلى مجمع أفسس ، إلا أن هذا لم يكن السبب الأساسى الذى دفع رئيس أساقفة رومه إلى طلب عقد مجمع آخر لإلغاء قرارات مجمع أفسس الذى أسماه بمجمع القراصنة . إذ أن أصوات الاحتجاج ارتفعت ضد هذا المجمع بعد انفضاضه مباشرة.(٤) فبعد الجلسة العاصفة التى حكم المجمع فيها على فلافيانوس بالنفى ، كتب رئيس أساقفة القسطنطينية (فلافيانوس) شكوى إلى رئيس أساقفة رومه يلتمس فيها عقد مجمع آخر لتصحيح الأخطاء التى ارتكبها مجمع أفسس.(٥) وسلم فلافيانوس هذه الرسالة إلى الشماس هيلاريوس لكى يسلمها هذا بدوره لبابا رومه . ولم يكن فلافيانوس هو الشخص الوحيد الذى احتج على مجمع أفسس وما حدث فيه ، بل إن ثيودوريطس أسقف كورش كتب رسالة إلى ليون وإلى الإمبراطور محتجًا على قرارات مجمع أفسس ومطالبًا بعقد مجمع آخر(٦) لإلغاء قرارات هذا المجمع .

ولقد كلّف الأسقف ثيودوريطس بعضًا من كهنته بحمل هذه الرسالة إلى رئيس أساقفة رومه . كما أن أسابيوس أسقف دوروله أو دوريليو (Dorylee) الذى رأيناه سابقًا فى مجمع القسطنطينية يتقدم بشكوى ضد أوطيخا وتعاليمه ويطالب بمحاكمته ، أرسل هو أيضًا كاهنين من أسقفيته إلى رئيس أساقفة روما حتى يتدخل سريعًا لتصحيح الأخطاء التى حدثت فى مجمع أفسس . بل إن الأسقف أسابيوس استطاع أن يهرب من مجمع أفسس وجاء بنفسه إلى رومه

---

(4) Bardy op. cit. 224

(٥) لدراسة موضوع هذه الشكوى الرجا دراسة :

Camelot, 111-114; Bardy 223-226;
Tixeront 3, 88-89; T. A. Lacey, Appellatio Flaviani, 1903.
L. Duchesne vol. 3. 290-293; Flavian's Appeal
Acc 2, 1, 1, 77-79; J. M. A. Salles-Dabadie, 129-133.
A. Grillmeier, op. cit. 530-531

(6) Camelot, op. cit. 112; P. Batiffol, Le Siége Apost.. 510-520;
L' Duchesne 3, 290-294; Flavian's Appeal, ACO 2, 1, 77-79. Bardy 224

د. أسد رستم الجزء الأول ص ٣٣٣ — ٣٣٦ ، خريسوستمس بابادوبولوس (ترجمة حداد) ٢٩٠ — ٢٩١

Theodoret, Epist. 113.116; F. Bardy 225, P. Batiffol, Le Siege Apost.. 512-520.

طالبًا مساعدة ليون وتدخله السريع .[٧]

ماذا يفعل إذن ليون إزاء هذه الطلبات المُلِحَّة من أسابيوس ومن ثيودوريطس ومن شماسه هيلاريوس الذى قدم له تقريرًا مفصلاً عمَّا حدث فى مجمع أفسس ؟ كان لابد له أن يتخذ موقفًا حاسمًا من هذا المجمع .

مجمع رومه :

انتهز ليون الفرصة التى اعتاد أساقفة رومه أن يحتفلوا فيها بعيد تنصيبه رئيس أساقفة لهذه المدينة ، فعقد اجتماعًا محليًا رومانيًا فى يوم ٢٩ سبتمبر ٤٤٩ للنظر فى قضية مجمع أفسس . ولقد قرر هذا المجمع إلغاء قرارات مجمع أفسس وطالب بعقد مجمع آخر مسكونى فى إيطاليا لتصحيح الأخطاء التى ارتكبها هذا المجمع .

وفى ١٣ أكتوبر ٤٤٩ أرسل البابا ليون مجموعة ضخمة من الرسائل[٨] يدعو فيها لعقد مجمع مسكونى فى إيطاليا . فقد أرسل رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى وإلى أخته الإمبراطورة بولخارى . (Pulcherie) وقد مدح الإمبراطورة على تقواها وتمسكها بالعقيدة الأرثوذكسية والتمس منها العمل على عقد مجمع مسكونى يحضره ممثلون من المسكونة كلها . كما أرسل رسالة بهذا المعنى إلى إكليروس القسطنطينية وإلى فلافيانوس الذى كان يعتقد أنه على قيد الحياة . وكتب إلى رهبان مدينة القسطنطينية الذين لم يشاركوا أوطيخا تعاليمه . ثم كتب إلى شخصيات كثيرة أخرى مثل أناستاسيوس التسالونيكى ويوليانوس القيوسى وآخرين .[٩]

لم يعر ثيودوسيوس إمبراطور الشرق أى اهتمام لهذه الرسائل . وبالرغم من ذلك فإن بابا رومه وضع فى قلبه أن يمضى قدمًا إلى أن يحقق الهدف الذى وضعه نصب عينيه ، ألا وهو دعوة مجمع مسكونى . فكتب مرة ثانية إلى الإمبراطور ثيودوسيوس فى يوم ٢٤ ديسمبر ٤٤٩ . ولم يغير الإمبراطور موقفه

---

(7) L. Duchesne, 3. 291-294;
Bardy 225; Camelot 112; ACO 2, 2, 77-79

(8) L. Duchesne 3. 291-295; Camelot 111-114; Epp. 44, 45, 50, 51 PL 54, 827-835; ACO 19-23, 25, 29.

(9) Camelot, 112-114; Bardy 225; A. Grillmeier, 531-533;
Tixeront 3. 88-90; Kelly 348-352; Turmel 355-360

د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٣٦

بل ظل صامتًا ولم يجب على هذه الرسالة الأخيرة أيضًا .[10]

إلا أن صمت الإمبراطور لم يثن عزم بابا رومه عن السير فى الطريق الذى رسمه وهو عقد مجمع مسكونى ولذلك انتهز فرصة زيارة إمبراطور الغرب فالانتينوس الثالث لرومه فى ٢٢ فبراير ٤٥٠ ، فتقدم إليه ليون وبعض أساقفته والتمس منه ومن والدته جالا بلاسيديا (Galla Placidia) وزوجته ليسينيا ادوكسيا (Licinia Eudoxia) وهذه الأخيرة هى أخت الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى ، بأن يتكرموا بالكتابة إلى إمبراطور الشرق وحثه على عقد مجمع مسكونى . ولقد وعد إمبراطور الغرب بالكتابة إلى إمبراطور الشرق . وكتب فعلاً إلى ثيودوسيوس الثانى معبرًا عن رغبة ليون فى عقد مجمع مسكونى لحل هذه المشكلة العقائدية . والتمس منه استجابة هذا الطلب لأن ليون يعتبر رأسًا للكنيسة كلها لأنه جالس على كرسى بطرس . وكذلك كتبت أيضًا أمه جالا بلاسيديا إلى الإمبراطور رسالة بنفس المعنى.[11] وأخيرًا تفضل ثيودوسيوس إمبراطور الشرق بالرد على خطاب فالانتينوس إمبراطور الغرب برسالة بتاريخ أبريل (نيسان) سنة ٤٥٠ شارحًا له أن مجمع أفسس عقد بطريقة رسمية وسار سيرًا قانونيًا فى جلساته وأنه متمسك بقرارات هذا المجمع ويرفض رفضًا باتًا تدخل رئيس أساقفة روما فيما يتعلق بأمور الشرق وأن الذين خُلِعوا من مناصبهم ، قد خلعوا بعد محاكمة عادلة ، عقابًا لهم على تصرفاتهم غير اللائقة بأساقفة ، وأن الكنيسة الآن تعيش فى السلام بعد إبعاد هذه العناصر التى كانت السبب فى الإضطرابات والإنزعاجات ولا داعى إذن لعقد مجمع آخر .[12]

كان وقع خطاب الإمبراطور على نفسية بابا روما كالصاعقة . إذ رأى كل

---

(10) EP. 54, PL 54, 855-856, ACO 2, Camelot 113-114; Jean-Remy Palanque et Jean Chelimi 46050; Karl Baus 12-16; Bardy 225

د . أسد رستم الجزء الثالث ص ٣٣٦

(11) L. Duchesne 3. 292-294; Leo Epp. 55-58; Camelot 112-114; J. R. Palanque, 46-50.

(12) Mansi, Conc., 7. 494-496; Leo. Epp 62-64. Duchesne 3. 293-295; Camelot 113-114; PL 54, 875. Turmrel 356-360; Baus 14-16; Bardy 225-226., Palanque 46-50

د . أسد رستم ٣٣٦ ، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٥١٠ ــ ٥١٤ ، أنطونيوس الدويرى موجز تاريخ المسيحية ٤ ــ ١٠ ، القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع ١٨٥ ــ ١٩٠ ، كتاب تاريخ الهرطقات رأس ٥ . ح ، ٤ف ا ص ٢٥٦ عدد ٦١

المجهودات التى بذلها لعقد مجمع مسكونى ، تضيع فى مهب الريح . وبالرغم من هذا الموقف الحرج المؤلم القاسى الذى لا يبشر إلا باليأس فى تنفيذ عقد مجمع مسكونى ، وبالرغم من أن رسالة الإمبراطور كانت واضحة وصريحة بعدم عقد مجمع آخر ، فإن اليأس لم يستولِ كُلِّية على هذا الرجل . ففى يوم ١٦ يوليو (تموز) ٤٥٠ كتب مرة ثالثة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس فيما يخص موضوع تنصيب أناتوليوس أو أناتول على كرسى القسطنطينية .

وشرح بابا روما للإمبراطور أن تأخره فى الرد على رسالة اناتوليوس التى يعلن فيها تنصيبه رئيس أساقفة للقسطنطينية لا يعنى أنه يرفض صداقته ومحبته ، بل ينتظر بأن يقدم رئيس الأساقفة الجديد إقرار إيمان يعترف فيه بصحة تعاليم الآباء عن شخص الرب يسوع المسيح ، وبصحة رسالة القديس كيرلس إلى نسطوريوس وبصحة رسالته التى أرسلها إلى فلافيانوس ، ويجب أن يوقع على هذه المستندات . وأرسل ليون أسقفين وكاهنين لحمل هذه الرسالة إلى القسطنطينية وللتأكد من تعاليم أناتوليوس . فإن كان الأسقف الجديد لا يعترف بنقاوة الإيمان القويم يجب على الإمبراطور أن يأمر بعقد مجمع عام فى إيطاليا للنظر فى الأمور الخاصة بالإيمان.(١٣) فمع أن البابا ليون قد عاود الطلب فى رسالته المؤرخة بتاريخ ١٦ يوليو (تموز) ٤٥٠ بعقد مجمع عام فى إيطاليا ، إلا أننا بشىء من التدقيق ، نلاحظ أن اليأس بدأ يتسرب إلى نفسه . فلقد كتب فى نفس اليوم (١٦ يوليو ٤٥٠) رسالة إلى بعض المسئولين فى كنيسة القسطنطينية مفصحًا لهم عن قلقه وخوفه من الشر الذى استولى على الكنيسة . وفى هذه الرسالة وصف بابا رومه مجمع أفسس ٤٤٩ بالاسم الذى يظل عالقًا به طوال خمسة عشر قرنًا وهو مجمع القراصنة.(١٤) وعندما علم ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية بالجهود التى يقوم بها ليون لإلغاء مجمع أفسس ، حرمه من الشركة .(١٥)

---

(13) J. Turmel, 354-356; Camelot 113-114, Ep. 69; PL 54, 890-892; ACO 30; L. Duchesne 3. P. 292-296, Jaffe Regesta 452-454

(14) J. Turmel, 2. p. 359

(15) J. Turmel, 2, p. 359

القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع . ص ١٨٧

تغيير جذرى غير منتظر (موت الإمبراطور ثيودوسيوس)

عندما وصل الوفد الإيطالى (أسقفان وكاهنان)إلى القسطنطينية ، وكان يحمل معه رسالة البابا ليون العقائدية وبعض الرسائل الأخرى ، وجد أن الوضع قد تغير تمامًا . فقد توفى الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى فى يوم ٢٨ يوليو (تموز) ٤٥٠ بعد أن سقط من فوق حصانه . وكان الإمبراطور يُعتبر العقبة الكبرى والأساسية إذ كان يرفض رفضًا باتًا عقد مجمع مسكونى للنظر فى مجمع أفسس الثانى .

وبما أن الإمبراطور مات دون أن يترك ذكرًا ليخلفه فى الحكم ، فإن أخته بولخاريا أو بوليكاريا (Pulcherie) التى كانت تشاركه الحكم بطريقة نظرية ، صارت هى الإمبراطورة الرسمية والوارثة للعرش والحاكمة.[١٦] وتم تتويجها فى عام ٤١٥ . وأثناء مشاركتها لأخيها فى الحكم لم تكن موافقة كل الموافقة أو راضية عن سياسة أخيها ، لذلك حاول إبعادها عن المجال السياسى . وساعده فى ذلك وزيره خريسافيوس الذى كان يبث سمومه القاتلة لتقسيم وتمزيق هذه العائلة . فلقد وشى لدى الإمبراطور بأن زوجته تسلك سلوكًا سيئًا فجردها من نعمتها وكرامتها ، فانطلقت إلى أورشليم لكى تعيش هناك . وكرر نفس الأمر مع بولخاريا لإبعادها عن الحكم فى أيام الملك ثيودوسيوس الذى كان يسمع وينفذ أوامر الوزير خريسافيوس . ولذلك عندما جلست بولخاريا على العرش ، أمرت بالقبض على خريسافيوس ومحاكمته وإعدامه . وكان هذا الوزير اليد اليمنى بل العاملة والمنفذة فى الإمبراطورية بعد الإمبراطور .[١٧]

لدراسة صعود بولخاريا على العرش وتغيير الظروف السياسية والدينية إدرس :

(16) J. Tixeront, 3. 89-91; Bardy op. cit. 224-228;

L. Duchesne 3, 294-299; p. Goubert «lerole dr Saint Pulcherie et de L' eunque Chrysaphios-Chalkedon 1, 303-321; p. Schaff, vol. 3, p. 740-747; A. Grillmeier, 531-534, Camelot 114-121; J. Turmel 2, 359-365; Baus 14-17;

J. R. Palanque - Jean Chelini 40-55; Bonifas 2. 128-132.

A. Harn cak Precis de L' histoire) 214-220; J. M. A. Salles-Dabadie 130-134;

أسد رستم ٣٣٦ ، القمص كيرلس الأنطونى ١٨٨ ــ ١٩١ ، الخريدة النفيسة ٥١٠ ــ ٥١٦ ، أنطونيوس الدويرى موجز تاريخ المسيحية ٤ ــ ٦ : ألكسندروس . ترجمة ٢٦٤ ــ ٢٦٧

(17) J. Tixeront 3. 90; Theodore Le Lecteur, Hist... eccl. 1, 1; Bardy 226; p. Goubert op. cit. 301-321, Duchesne 3. 295

كانت الإمبراطورة قوية الشخصية محنكة فى اختباراتها السياسية ، ومع ذلك شعرت أن الإمبراطورية أكبر من أن تحكمها وحدها ، فكان زواجها من قائد جيشها النبيل ماركيانوس أو مرقيانوس (Marcien) وكان ماركيانوس قد بلغ الثامنة والخمسين وبولخاريا فى الثانية والخمسين عند زواجهما . ويعتقد أن الإمبراطورة اشترطت على ماركيانوس الذى توج فى يوم ٢٤ أغسطس ٤٥٠ كإمبراطور شريك أن تظل بولخاريا عذراء . وأن تكون علاقاتهما قاصرة على الحكم والإدارة فقط .[١٨](*)

سياسة الإمبراطورة بولخاريا الدينية

اتبع الإمبراطور والإمبراطورة فى سياستهما الدينية منهجًا يختلف تمامًا عن السياسة التى كان يمارسها الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى . صدر الحكم بالموت على خريسافيوس وكان هذا كارثة كبرى بالنسبة للحزب المؤيد لرئيس أساقفة الإسكندرية وأوطيخا . ثم صدرت الأوامر بطرد أوطيخا من الدير الذى كان يقوم بإدارته وبتحديد إقامته فى مكان آخر بالقرب من القسطنطينية.[١٩] ووجه الإمبراطور الجديد وجهه صوب رومه طالبًا من رئيس أساقفتها الصلاة من أجله . ثم اقترح على البابا ليون رسالة كتبها فى ٢٢ سبتمبر ٤٥٠ أن يحضر بنفسه مجمعًا مسكونيًا ، وإذا تعذر على قداسته ذلك ، فإن المجمع سوف يتبع تعليماته حسب قوانين الكنيسة.[٢٠] وفى نفس الوقت كتبت الإمبراطورة بولخاريا إلى البابا تعرفه بأن أناطوليوس رئيس أساقفة القسطنطينية قد تخلّى عن خطئه وقبل الإيمان القويم . وكانت تعنى بذلك أن رئيس أساقفة القسطنطينية قبل التوقيع على رسالة ليون . كما أنها عرفته أيضًا بأن الأساقفة الذين حكم الإمبراطور ثيودوسيوس بنفيهم قد رجعوا إلى أبرشياتهم ، وأن أناطوليوس ترك ديوسقوروس . والتمست الإمبراطورة من البابا التكرم بالرد بطريقة إيجابية على طلب ماركيانوس فيما يخص موضوع عقد مجمع[٢١] للنظر فى ما حدث فى مجمع أفسس الثانى .

---

(18) L. Duchesne 3. 294-296; Bardy 226-227; p. Schaff 3. 741.

(*) يعتقد البعض أن بولخاريا كانت على علاقة غير شريفة مع ماركيانوس قبل الزواج وهذا الأمر مشكوك فى صحته من بعض من العلماء ١١١ (انظر أنطونيوس الدويرى . موجز تاريخ المسيحية ص ٥)

(19) Camelot 115, Bardy 227

(20) Dans S. Leon, EP 76. PL 54. 903-904; ACO 2, 1, 8.

(21) Dans S. Leon EP. 77; PL 54, 905-909; Camelot 116

وفى أكتوبر ٤٥٠ اجتمع السنودس المحلى فى القسطنطينية وقبل رسالة ليون العقائدية وحكم بخطأ تعاليم أوطيخا.(٢٢) وهذا ما كان ينتظره ليون من رئيس أساقفة القسطنطينية للإعتراف بأسقفيته . ويبدو أن بعض الأساقفة الذين اجتمعوا فى القسطنطينية اعترفوا بخطأ تصرفاتهم وسلوكهم فى مجمع أفسس الثانى . ثم قام رئيس أساقفة القسطنطينية أناطوليوس باستعادة رفات أو بقايا الأسقف فلافيانوس الذى حكم مجمع أفسس الثانى بخلعه ، حيث أعيد دفنه فى مقبرة الرسل باحترام عظيم جدًا كرفات القديسين.(٢٣)

وهنا نرى التغير الشامل الكامل ، رجوع الأساقفة المنفيين وخاصة ديوريطس أسقف كورش وأسابيوس أسقف دوروله . كما نرى أن الإمبراطور نفسه هو الذى يطالب الآن بعقد مجمع لا بل إن الإمبراطورة تلتمس من ليون بأن يتكرم ويقبل عقد هذا المجمع الذى كان يطالب البابا بدموع لعقده . وأكثر من ذلك ، فإن الأساقفة الذين اجتمعوا فى القسطنطينية فى شهر أكتوبر ٤٥٠ وقعوا على رسالة البابا ليون التى لم تقرأ فى مجمع أفسس الثانى وحرموا أوطيخا وتعاليمه .

عندما رأى البابا ليون هذا التغيير الشامل ، عدل عن فكرة عقد مجمع لأنه رأى أن معظم مطالبيه قد استجيبت . فلا داعى إذن لعقد مجمع قد لا يمنحه كل هذه الامتيازات التى حصل عليها الآن بدون مجمع . لأنه كان يدرك جيدًا أنه يكفى أن يقترح أحد الأساقفة أو بعضهم اقتراحًا فى المجمع فيلاشى كل هذه الامتيازات التى حصل عليها الآن.(٢٤) وقد كتب البابا ليون إلى الإمبراطور فى ١٣ ، ٢٣ أبريل (نيسان) ٤٥١ يخبره بأنه لا داعى الآن لعقد مجمع ، مادامت الكنيسة تعيش فى هدوء وسلام.(٢٥) على أن الإمبراطور كان متمسكًا بعقد مجمع مسكونى لعدة أسباب . كان يعتقد أن المشكلة العقائدية

---

(22) A. Grillmeier 533; Tixeront 3. 90-91; Leon Ep. 69.

خريسوستمس باباديولس ص ٢٩٣

Leon, Ep. 69; William P. Dubose.

S. T. D. 248-252; D. T. C. 4, 1588.

(23) F. Bonifas 2. 129-132; J. M. A. Salles-Dabadie, Les Conc.., oeu; 130-135; Turmel 358-362; duchesne 3. 295-297.

(24) Bardy, 226-267; Turmel 2. 358-362; J. M. A. Salles Dabadie 133; F. Bonifas 2. 130-133.

(25) Camelot, 116-117; Epp. 83; PL 54, 917-919; ACO 37-41

الخاصة بشخص المسيح لم تُحَلّ بعد ، حتى وإن كان بعض أساقفة القسطنطينية قد وقعوا على رسالة ليون العقائدية . فلحل هذه المشكلة يجب أن ينعقد مجمع من جديد وتناقش فيه هذه المشكلة الإيمانية العقائدية ، وأن يوافق كل الأساقفة على القرارات . وكان الإمبراطور يخشى من زيادة نفوذ وسيطرة ديوسقوروس فأراد أن يكسر شوكته . ولن يتسنى له ذلك إلا عن طريق مجمع يجتمع قانونيًا ويصدر قراراته ضده . وهنا نرى أن الضغط الذى أُستُعمِلَ فى مجمع أفسس ضد فلافيانوس وحزبه ، يظهر من جديد ضد ديوسقوروس ، ولكن بصورة أخرى غير عنيفة . كان الإمبراطور ينوى أن يصدر المجمع المسكونى إقرار إيمان جديد يطبقه ويتبعه الجميع ، وسوف نتعرض لهذه النقطة فيما بعد .

لهذه الأسباب وأسباب أخرى سياسية ودينية ، قرر الإمبراطور عقد مجمع مسكونى رابع لمناقشة وحل المشاكل العقائدية التى كانت تهدد سلام ووحدة الكنيسة فى الشرق والغرب . وكتب الإمبراطور مركيانوس إلى رئيس أساقفة القسطنطينية فى يوم ١٧ مايو (آيار) سنة ٤٥١ يعلن له قراره بعقد مجمع مسكونى فى مدينة نيقية فى أول سبتمبر ٤٥١.[٢٦] وقبل ليون عقد المجمع على أن يرأسه أحد نواب الوفد الرومانى.[٢٧]

وقبل أن نشرع فى دراسة مجمع خلقدونية نود أن نلفت نظر الدارس إلى نقطة مهمة : لقد اعتقد البعض أن الإمبراطورة بولخاريا كانت نسطورية ، وبناء على ذلك كانت ضد تعاليم كيرلس.[٢٨] وحقيقة الأمر غير ذلك ، إذ أن الإمبراطورة كانت من المعجبين جدًا والمؤيدين للقديس كيرلس . فعندما اندلع الصراع الكرستولوجى العقائدى بين نسطوريوس وكيرلس ، كتب معلم الإسكندرية رسالة إلى بولخاريا.[٢٩] ولقد قامت الإمبراطورة بحملة عنيفة ضد نسطوريوس ووقفت بجانب كيرلس فى هذا الصراع العقائدى .[٣٠]

إنعقاد مجمع خلقدونية

لقد تردد كثيرًا بابا رومه فى قبول عقد مجمع مسكونى لتصحيح أخطاء

---

(26) Bardy, 227; Camelot 117; L. Duchesne 3. 295-901; J. Turmel 2. 359-363; p. Schaff 3. 740-744
(27) J. Turmel 2, 359-362; Tixeront 3, 90-91

(٢٨) أنطونيوس الدويرى . موجز تاريخ المسيحية ص ٥
(٢٩) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر . الجزء الثانى ٢٠٨
(٣٠) الدكتور القس حنا الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى . الجزء الثانى ١٥٩ ــ ١٦٠

مجمع أفسس الثانى ، بعد أن رأى النتائج الإيجابية التى حصل عليها حتى الآن ، وخاصة بعد ان عرف أن معظم أساقفة القسطنطينية وآخرين أيضًا اعترفوا بالخطأ الذى ارتكبوه فى مجمع أفسس وبدأوا هم أنفسهم فى إصلاح هذا الخطأ . على أن الإمبراطور مركيانوس كان مصرًا ومصممًا على عقد هذا المجمع ، فأصدر قرارًا امبراطوريًا باسمه وباسم الأباطرة الآخرين فى الشرق والغرب ، كما كانت العادة متبعة بتاريخ ١٧ مايو (آيار) سنة ٤٥١ بأن المجمع المسكونى سوف يجتمع فى مدينة نيقية فى أول سبتمبر ٤٥١ . وبيّن الإمبراطور أن الهدف من عقد المجمع المسكونى ، هو البحث فى مشكلة الإيمان الخاصة بشخص الرب يسوع وتحديد العقيدة الصحيحة فى هذا الأمر حتى تتلاشى الشكوك من الأذهان ، ويعود السلام الحقيقى إلى الكنيسة وإلى الإمبراطورية . ورجا رؤساء الأساقفة أن يختاروا عددًا من أساقفتهم الأرثوذكسيين لحضور هذا المجمع ووعد بأن يحضر هو نفسه هذا المجمع إذا سَمحت له الظروف الحالية .[٣١]

وبالرغم من أن بابا رومه لم يكن موافقًا على عقد هذا المجمع ، وخاصة عقده فى أسيا وليس فى إيطاليا كما كان يريد،[٣٢] فقد قبل الدعوة وعيّن نوابه الذين سوف يمثلونه ، وبالتالى يمثلون بطرس وكرسيه ، وعليه يجب أن تكون لهم رئاسة المجمع . وقد عين البابا الأسقف باسشاسينوس (Paschasinus) كرئيس للمجمع يدير باسمه وباسم بطرس الرسول جلسات هذا المجمع . ويساعده فى هذه المهمة النواب الآخرون الذين تكوّن منهم الوفد الإيطالى وهم الأسقف لوسانسيوس (Lucensius) والكاهن بونيفاس (Boniface) والكاهن باسيليوس (Basile) وكاتب . ثم انضم إلى هذا الوفد فيما بعد يوليانوس القويوسى وكان مترجمًا . وكتب البابا ليون فى ٢٦ يونيو (حزيران) رسالة إلى المجمع يعلن فيها عدم تمكنه من الحضور ، ولكن سوف يرأسه فى ممثليه الموفدين من طرفه والذين سيقومون بإدارة جلساته باسم بطرس . ولقد طالب بابا رومه المجمع فى خطابه هذا ، بأن يتبع التعاليم الخاصة بعقيدة التجسد التى شرحها فى رسالته العقائدية والتى سبق أن أرسلها إلى مجمع أفسس مع عدم الابتعاد عن تعاليم كيرلس والتمسك بها . كما أنه طلب أيضًا من المجمع إعادة

---

(31) P. Schaff 3. 740-743; L. Duchesne 3. 425-429
(32) Camelot 118-119; Schaff 3. 742.

الأساقفة الذين خلعهم مجمع أفسس الثانى إلى مراكزهم.[٣٣]

كانت الدعوة التى أرسلت إلى الأساقفة قد حددت مكان المجمع « نيقية » وتاريخه أول سبتمبر . وفى هذا التاريخ توافدت الوفود من كل حدب وصوب إلى مدينة نيقية التى اجتمع فيها سابقًا المجمع المسكونى الأول فى سنة ٣٢٥ للنظر فى قضية أريوس وتعاليمه الهرطوقية التى هاجم فيها مساواة جوهر الآب لجوهر الابن . وإلى هذه المدينة عينها جاء عدد كبير ضخم من الآباء حوالى ٦٣٠ أسقفًا للنظر فى قضية عقائدية أخرى متعلقة أيضًا بشخص الرب يسوع المسيح . وعد الإمبراطور مركيانوس أن يحضر شخصيًا هذا المجمع كما فعل أيضًا الإمبراطور قسطنطين فى مجمع نيقية . على أن الإمبراطور لم يستطع الحضور بسبب الحروب التى كانت تجتازها البلاد ضد البرارة . والتمس من الأساقفة انتظاره ، إلا أن الإنتظار طال ومرض بعض الأساقفة . وفى نفس الوقت رفض ممثلو رومه بدء أعمال المجمع قبل حضور الإمبراطور.[٣٤] وبناء على ذلك قرر الإمبراطور نقل المجمع إلى مدينة خلقدونية التى تقع على الجانب الآخر من مدينة القسطنطينية. حتى يستطيع أن يحضر ولو جزئيًا جلسات المجمع . وبالرغم من ذلك فإن الإمبراطور لم يحضر على ما يعتقد إلا جلسة واحدة (أو اثنتين) فقط من جلساته . ولقد أمر الإمبراطور بعمل الاحتياطات اللازمة الخاصة بالمحافظة على حياة الوفود . فقد أمر باخراج الرهبان من المدينة كما أنه شدد المراقبة على الرهبان الذين قد يرتدون ملابس عادية ويندسون وسط الجماهير أو بين الوفود لإثارة الاضطرابات والقلق[٣٥] وخاصة أتباع أوطيخا والراهب برسوما السورى .

بدأ المجمع أعماله ليس فى أول سبتمبر (أيلول) وهو التاريخ الذى ظهر على الدعوة ، بل فى يوم ٨ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ٤٥١ فى مدينة خلقدونية بدلا من نيقية . أما عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع فقد فاق كل المجامع التى اجتمعت فى تاريخ المسيحية حتى ذلك الوقت . ولقد

---

(33) Camelot 117-120; Duchesne 3. 426-430; Bardy 227;
Jaffe-Wattenbach 470; Leo 1, Epp. 89; 92, 95, ACO 2, 4, 47-52;
Baus 15-17; Schaff 3. 741-743; Turmel 2. 359-562

(34) Camelot 120 — (٣٤) القمص كيرلس الأنطونى عصر المجامع ص ١٩١

(35) L. Duchesne 3. 427-430; Camelot 120-121

تضاربت الأراء حول عدد الأساقفة الذين اشتركوا فى هذا المجمع(*) على أن الأغلبية الساحقة من العلماء تعتقد أن عدد الآباء الذين حضروا مجمع خلقدونية يتراوح بين ٥٥٠ و ٦٣٠ أسقفًا .

الجلسة الأولى

فى يوم الإثنين الموافق الثامن من شهر أكتوبر (تشرين الثانى) سنة ٤٥١ وصلت وفود الأساقفة الذين كانوا يمثلون الطوائف المسيحية كلها تقريبًا ، إلى كنيسة القديسة أفيميه فى مدينة خلقدونية . ولقد تضاربت الأراء فيما إذا كان الإمبراطور والإمبراطورة قد حضرا الجلسة الأولى . يعتقد البعض أنهما حضرا وألقى الإمبراطور « مركيان » بنفسه خطاب الافتتاح[٣٦] إلا أن هذا الأمر يشوبه الشك ، فالأغلبية الساحقة من العلماء تعتقد أن الإمبراطور لم يحضر الجلسة الأولى[٣٧] ولم يحضر تقريبًا إلا الجلسة الأخيرة فى يوم ٢٥ أكتوبر .

على أن الأكيد هو أن الإمبراطور أرسل وفدًا من حوالى عشرين شخصًا من الأشراف والقضاة والحكام والمسئولين من الدرجة الأولى ليس للحضور فقط ، بل للإشتراك أيضًا فى إدارة المجمع . ولقد جلس هؤلاء المسئولون والمندوبون فى وسط الكنيسة وجلس عن يسارهم وفد رومه القديمة وأناتوليوس رئيس أساقفة رومه الجديدة (القسطنطينية) ومكسيموس أسقف أنطاكية وبقية أساقفة الشرق . ثم جلس عن يمينهم ديوسقورس رئيس أساقفة الإسكندرية ، ثم جيوفينال أوبيناليوس أسقف أورشليم وأساقفة مصر وفلسطين .(**)

(*) يعتقد العالم ل. ديشن L. Duchesne أن الذين حضروا مجمع خلقدونية حوالى ٥٢٠ أسقفًا، بوس Baus = ٣٥٠ أسقفًا ، فيليب شاف Schaff = بين ٥٢٠ — ٦٨٠ أسقفًا ، البابا ليون حوالى ٦٠٠ ، تلمونت Tillemont حوالى ٦٣٠ أسقفًا ، هيفليه Hefele = ٦٣٠ ، باردى Bardy = حوالى ٥٠٠

(٣٦) القمص كيرلس الأنطونى ، عصر المجامع ص ١٩٢ — ١٩٣ ، مجموعة الشرع الكنسى ... حنانيا إلياس كساب ص ٣٧٥ الطبعة الفرنسية

(37) L. Duchesne, vol. 3. 429-430;
Camelot 121-122; Palanque et Jean Chelini 50-52;
Baus 14-17; Schaff 742-744; Hefele 2. 667-670; Bardy 228-229

(**) لدراسة عدد الوفود والأشخاص الذين حضروا مجمع خلقدونية الرجا دراسة :
Hefele 2. 665-669; Mansi, 6. 563; Hardouin 2. Col. 53;
Bardy 228-229; Camelot 121;
د . أسد رستم الجزء الأول ٣٣٦ — ٣٤٠ خريسوستمس بابادوبولس صفحة ٢٩٣ — ٢٩٤
Palanque 50-52

والجدير بالملاحظة أن الأغلبية الساحقة التى حضرت هذا المجمع المسكونى كانت من الكنائس الشرقية اليونانية ولم يحضر من الكنائس الغربية إلا ممثلو رومه وهم أربعة أشخاص واثنان من كنائس أفريقيا . وحتى هذان الأفريقيان وجدا عن طريق الصدفة فى خلقدونية بسبب الحرب .

سبق أن أشرنا إلى أن البابا ليون قد طالب بأن يرأس باشاسينوس ممثل كرسى روما هذا المجمع . وقد أسندت فعلاً رئاسة المجمع إلى ممثل رومه ، واشترك معه فى السلطة والإدارة بقية الوفد الرومانى والوفد الإمبراطورى .

وما كاد كل واحد يجلس فى مقعده حتى وقف رئيس المجمع وممثل بابا رومه الأسقف باشاسينوس أوباسكاسينوس وبجانبه الوفد الرومانى وقال « إن جزيل القداسة أسقف كنيسة رومه التى هى رأس كل الكنائس قد أمرنا بأن ديوسقوروس لا يليق له أن يجلس فى هذا المجمع . فإذا قبلتم قداستكم بأن يبقى هنا فإنه لا يمكننا حسب الأوامر التى سلمها لنا بابا رومه أن نبقى معه . فَأْمُروا بأن يُطْرَدَ من المجمع وإلا نخرج نحن . وعندئذ سأله قضاة المجمع « ما هى الشكوى التى تقدمونها ضده حتى يخرج من المجمع ؟ » فكرر نائب رومه أنه إن لم يطرد نخرج نحن ، إننا لا نقبل وجوده . وبعد نقاش طويل ، قال الممثل الثانى لرومه لوكنديوس إنه من غير المنطقى أن يجلس المتهم مع القضاة . وبما أن ديوسقوروس يعتبر متهمًا وخصمًا فيجب أن يجلس فى الوسط كمتهم وليس كقاضٍ. فأمر المجمع بأن يجلس ديوسقوروس فى الوسط كمتهم .

وهنا خرج أسابيوس أسقف دوروله أو دوريلوس (Dorylee) من مكانه ووقف فى الوسط كمتهم وبيده شكوى.(*) والتمس أن تُقرأ هذه الشكوى على مسامع أعضاء المجمع . لقد اتهم أسابيوس أسقف دوريلوس ، ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية بأنه أساء استعمال وظيفته كرئيس لمجمع أفسس

(*) كان أسابيوس محاميًا (رجل قانون) قبل أن يصير أسقفًا . ولهذا السبب فتى كل مرة تقريبًا يظهر على مسرح التاريخ نرى فى يده شكوى أو عريضة : انظر هذا المجلد ثم كتابنا الجزء الثانى ١٦٢

Hefele 2. 668-669; L. Duchesne 3. 430-432; Baus 116-118;

Schaff 3. 741-744; Bonifas 2. 130-134; J. M. A. Salles-Dabadie..., 130-134, Bardy 229; Camelot 12

د . أسد رستم الجزء الأول ص ٣٤٠ ، القمص كيرلس الأنطونى ص ١٩٣ . الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ٥١٣ .

فاستخدم العنف والقوة للوصول إلى هدفه : وهو إرجاع أوطيخا إلى وظيفته وتوقيع العقوبات والأحكام الظالمة على بعض الأساقفة القديسين مثل فلافيانوس الذى راح ضحية لظلمه وعنفه . ويذكر أسابيوس أنه هو نفسه واحد من الضحايا التى امتدت إليهم يد ديوسقوروس . وأنه (أسابيوس) على استعداد لأن يبيّن للمجمع الموقر أن رئيس أساقفة الإسكندرية لم يكن فقط قاسيًا عنيفًا ظالمًا فى رئاسته لمجمع أفسس الثانى ، بل كان هرطوقيًا أيضًا فى تعاليمه . ولكى يثبت ذلك طلب من المجمع قراءة أعمال مجمعى القسطنطينية (٤٤٨) وأفسس الثانى (٤٤٩) ووافق المجمع على قراءة أعمال هذين المجمعين .[٣٨]

بدأ السكرتير القراءة وكانت المحاضر طويلة جدًا واحتوت على بعض التفصيلات الدقيقة . وقد استمرت قراءة أعمال هذين المجمعين والمناقشات الطويلة والاقتراحات والاعتراضات ، من الصباح إلى المساء المتأخر . وبالرغم من أن الجلسة الأولى استغرقت اليوم كله ، إلا أن أعضاء مجمع خلقدونية لم يشعروا بملل بل كانوا فى غاية الحماس والنشاط ، أو بالمعنى الأصح كانوا فى غاية التعصب والثورة ، والحركة وربما الفوضى أيضًا . ولقد ظهرت هذه الروح عندما وصل السكرتير فى قراءته لأعمال مجمع أفسس إلى خطاب الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى الذى أمر فيه بعدم اشتراك ثيودوريطس أسقف كورش . وهنا أعلن نواب الإمبراطور مركيانوس أن الأمور قد تغيرت الآن ، وأن الإمبراطور والإمبراطورة يرحبان بثيودوريطس فى مجمع خلقدونية . ثم أضاف قائلاً إن قداسة بابا رومه قد قبله أيضًا فى الشركة وأرجعه إلى مقامه . وبناء على ذلك يمكنه الاشتراك فى هذا المجمع .

عندما دخل ثيودوريطس الكنيسة بعد هذا الإعلان ، ارتفعت الأصوات الصاخبة من الجانبين . فلقد صرخ الذين جلسوا على اليمين وهم المصريون والفلسطينيون قائلين : « ليخرج معلم نسطوريوس ، ليخرج من هنا عدو الله ، ليخرج من هنا هذا اليهودى ، ليخرج الهرطوقى الذى أفسد الإيمان القويم » . ثم ارتفعت الأصوات من الجانب الآخر مع رئيس أساقفة القسطنطينية وأنطاكية ووفد رومه : « ليخرج من هنا ديوسقوروس ، ليخرج من هنا الذى قتل فلافيانوس فليخرج من هذا المجمع الذين ضربونا وأرغمونا

(38) Camelot 122-123. Duchesne 3. 430-432

أن نوقع على أوراق بيضاء » . ثم وقف ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية وأشار بيده إلى ثيودوريطس وصرخ بصوت مرتفع قائلاً : « لقد حرم هذا الرجل القديس كيرلس فهل تريدون الآن طرد كيرلس بقبوله فى المجمع ؟ »

وهنا ارتفعت الأصوات من الجانبين بطريقة مزعجة فالبعض يطالب بإخراج « قاتل فلافيانوس » والبعض الآخر يصرخ قائلاً « ليخرج الهرطوق معلم نسطوريوس » واستمرت هذه الضجة طويلاً . عندئذ اضطر ممثلو الإمبراطور إلى التدخل وتذكير الأساقفة بأنهم تجاوزوا الحدود ووصلوا إلى درجة لا تليق بهم .(*)

بعد أن عاد الهدوء نسبيًا إلى المجمع الهائج ، واصل السكرتير قسطنطين القراءة وتعرض لبعض النصوص التى تتحدث عن العنف الذى استعمله ديوسقوروس . وهنا هب رئيس أساقفة الإسكندرية معترضًا وقال إن مجمع أفسس قد عُقِد بأمر من الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى الذى كلف جيوفيناليوس أسقف أورشليم وثالاسيوس أسقف قيصرية بإدارته معى ، وإن الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع كانوا متفقين فى أصواتهم وقراراتهم . ثم نظر إليهم وقال « كيف يمكنكم أن تنكروا ، قولوا إذن إنكم لم تحضروا هذا المجمع » . وهنا ارتفعت الأصوات والاعتراضات والاحتجاجات من الجانب الشمالى الذى جلس فيه نواب القسطنطينية وأنطاكية .... وأعلن بعض الأساقفة الذين حضروا مجمع أفسس الثانى أنهم وقعوا فعلاً على خلع رئيس أساقفة القسطنطينية ولكنهم أرغموا على ذلك . وأعلن البعض الآخر أنهم وقعوا على أوراق بيضاء بسبب الخوف والتهديد الذى استعمله ديوسقوروس والجنود والرهبان . وعندما سمع نواب مصر كلمة « وقعنا على أوراق بيضاء بسبب الخوف » نظروا إليهم بنوع من السخرية والاستهزاء قائلين : « يالكم من شهداء أبطال للمسيح !!!! إن المسيحى الحقيقى لا ينكر تعاليمه وعقيدته بسبب التهديد أو السجن أو القتل.(٣٩) فقال الشرقيون « لقد أخطأنا ونعلن الآن

(*) لدراسة موقف مجمع خلقدونية من ديوسقوروس وثيودوريطس فى هذه الجلسة الرجا دراسة :
J. Hefele 2. 670-676; Bardy 229; Camelot 122-124; L. Duchesne 3: 428-433; Palanque 48-52; Baus 115-118; Schaff 3. 740-744;
Turmel 2. 359-363; J. M. A. Salles-Dabadie 132-136
خريسوستمس بابا دوبولس ٢٩٤ ــ ٢٩٥ ، القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع ٢٩٣ ــ ٢٩٤ ، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة [illegible]

(39) Camelot. 123-124; L. Duchesne 3. 429-433; Baus 116-118; Hefele 2. 674-678;
الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٥١٩ ــ ٥١٦ ، القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع ١٩٤

أسفنا وحزننا وندمنا ونطلب من المجمع أن يغفر لنا كلنا أخطاءنا فاغفروا لنا».[٤٠]

ثم وقف أسابيوس وأعلن للمجمع أن ديوسقوروس استبد فى إدارته لمجمع أفسس الثانى والدليل على ذلك أنه « منعنى من أن أقدم تعاليمى وأن أدافع عن أفكارى فى مجمع أفسس » . وعندئذ سأل القضاة كلاً من ديوسقوروس وجيوفيناليوس وثالاسيوس عن سبب منع أسابيوس من الكلام . وكان الجواب بأن الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى أمر بذلك على فم ممثله البيديوس.[٤١]

بعد أن جلس أسابيوس واصل الأمين العام قراءة أعمال مجمع أفسس ، فقرأ رسالة القديس كيرلس إلى نسطوريوس ورسالته إلى يوحنا الأنطاكى . وهنا وللمرة الأولى ترتفع الأصوات متفقة منسجمة قائلة « كلنا نقبل هذا التعليم كلنا مثل كيرلس » . ولكن لم تستمر هذه الوحدة إلا لحظات قليلة صرخ بعدها الشرقيون قائلين إن فلافيانوس نادى بهذا التعليم . وعندما ذكرت تعاليم فلافيانوس قرأ السكرتير إقرار إيمان رئيس أساقفة القسطنطينية الذى قدمه فى مجمع القسطنطينية فى سنة ٤٤٨ والذى شرح فيه تعاليمه عن الطبيعتين فى شخص الرب يسوع المسيح .

وبعد أن انتهى الأمين العام من القراءة طرح القضاة الموفدون من قِبَل الإمبراطور السؤال الآتى : ما هو رأى المجمع المقدس فى تعاليم فلافيانوس هل هى تعاليم هرطوقية أو أرثوذكسية ؟ عندئذ وقف باسشاسينوس أو باسكاسينوس رئيس المجمع ممثل رومه معلنًا أن تعاليم فلافيانوس تعاليم أرثوذكسية لا غبار عليها وتتفق تمامًا وتعاليم أسقف رومه الرسولى . ووقف بعده مباشرة رئيس أساقفة القسطنطينية أناطوليوس وقال : إن فلافيانوس المُطَوب قدم شرحًا جميلاً قويمًا للإيمان . ووافق رئيس أساقفة أنطاكية على أرثوذكسية فلافيانوس ، وعندئذ صرخ الشرقيون قائلين إن فلافيانوس قدم تعليمًا صحيحًا للإيمان . وهنا أدرك جيوفيناليوس رئيس أساقفة أورشليم أن دفة الأمور قد تغيرت وأن الريح تهب فى اتجاه عكسى ، فلا فائدة من مساندته لديوسقوروس الذى وقف بجانبه فى الماضى . فوقف واعترف هو أيضًا بأرثوذكسية رئيس أساقفة القسطنطينية . ثم انتقل من مكانه الذى كان يجلس

(40) Hefele 676-679; Hardouin 2. 99-102; Mansi 6, 634-639.
(41) Hefele 2. 678.

فيه ناحية اليمين وانضم إلى جماعة الشرقيين الذين جلسوا على اليسار ، واستقبلوه بفرح وهتاف كخروف ضال رجع إلى الحظيرة . وحالاً تبعه عدد كبير جدًا من أساقفة أورشليم وفلسطين وآيليريا . بل إن أربعة من الأساقفة المصريين(*) انتقلوا هم أيضًا من الجانب المؤيد لديوسقوروس إلى الجانب المعارض . كان هذا الأمر قاسيًا ومريرًا على نفسية ديوسقوروس . وبالرغم من ذلك فقد وقف رئيس أساقفة الإسكندرية ليدافع عن نفسه متهما فلافيانوس بالهرطقة معلنًا أن الحكم الذى أصدره مجمع أفسس الثانى على فلافيانوس حكم عادل وصحيح لأن رئيس أساقفة القسطنطينية علّم بوجود طبيعتين فى المسيح . « وأنا لا أقبل عبارة : (يوجد طبيعتان فى المسيح)، بل أوافق على عبارة (أن المسيح من طبيعتين)[٤٢] وإنى على استعداد أن أثبت للمجمع الموقر أن الآباء أمثال أثناسيوس وغريغوريوس العجائبى ، ويوليانوس وكيرلس رفضوا وجود طبيعتين فى المسيح بعد التجسد.[٤٣] فأنا أدافع عن هذه العقيدة التى دافع عنها هؤلاء الآباء .. وأنا على استعداد أيضًا للموت فى سبيل الدفاع عنها » .

عندما قال ديوسقوروس إن الآباء أمثال أثناسيوس وغريغوريوس ويوليانوس وكيرلس رفضوا عقيدة الطبيعة الواحدة ، كان يفكر فى بعض الكتب التى كتبها أبولوناريوس بأسماء مزيفة كما لو كان هؤلاء الآباء الذين ذكر أسماءهم هم الذين كتبوها ، دون أن يعرف ذلك .

لقد تمسك ديوسقوروس بعبارة « المسيح من طبيعين » ولكنه رفض عبارة « يوجد طبيعتنان فى المسيح » . إن أوطيخا قبل هذه العبارة « المسيح من طبيعتين » وهذا يعنى أن المسيح الواحد الوحيد الذى كان قبل التجسد مكونًا من طبيعتين صار طبيعة واحدة بعد التجسد . أما عبارة « توجد طبيعتان فى المسيح » فيفهم منها أن وجود الطبيعتين لم يتلاشَ بعد التجسد . فإن التجسد لم يلاشِ الوحدة ، والوحدة لم تلاشِ ازدواج الطبيعتين .

وبعد مناقشة طويلة حول مفهوم ديوسقوروس وأسابيوس لعقيدة الطبيعة

(*) لقد بالغ بعض المؤرخين مثل شاف : Schaff, Vol. 2, P 743-744
عندما قال إن معظم الأساقفة المصريين انتقلوا إلى الجانب المعارض وفى حقيقة الأمر لم ينتقل غير أربعة أساقفة فقط من المصريين .

(42) Hefele 2. 679-682; Camelot 124

(43) J. Hefele 2. 680-682; Hardouin, Tome 2. 139; Mansi 6. 679-683; Bardy 229-231

الواحدة أو الطبيعتين ، قال ثالاسيوس أسقف قيصرية وشريك ديوسقوروس فى رئاسة مجمع أفسس ، إن فلافيانوس علّم بنفس التعاليم التى علّم بها كيرلس وتبعه كثيرون من أساقفة الشرق . وهنا ارتفعت الأصوات من جديد صارخة : إن كيرلس علّم التعليم الصحيح وكذلك أيضًا علّم فلافيانوس وهكذا تعلّم رسالة ليون . وبعد أن هدأت الأصوات قال لوكنديوس ممثل روما إن تعاليم فلافيانوس المُطوَّب الذكر تتفق تمامًا مع تعاليم الكرسى الرسولى وتقليد الآباء . وبناء على ذلك يجب إلغاء الحكم الذى أصدره مجمع أفسس الثانى ضده . وعلى هذا المجمع أن يحكم بنفس الحكم على الذين حكموا عليه أى خلعهم ونفيهم . عندئذ أعلن أساقفة الشرق بصوت عالٍ ، إن هذا الأمر عادل وصحيح .

استمر النقاش إلى ساعة متأخرة من الليل حول تعاليم فلافيانوس الخاصة بالطبيعتين وتعاليم أوطيخا التى نادت بوجود طبيعة واحدة فى المسيح بعد التجسد . بعد ذلك أعلن نواب الإمبراطور قطع كل من ديوسقوروس الإسكندرى ، وجيوفيناليوس أو يوبيناليوس الأورشليمى ، وثالاسيوس القيصرى ، ثم أسابيوس من أنقيرة وأفستاثيوس البيروتى وباسيليوس ، كمسئولين عما حدث فى مجمع أفسس الثانى.(٤٤) وكان النواب يصرخون قائلين « منح الله الإمبراطور والإمبراطورة حياة طويلة ...

وبعد أن رفعت الجلسة الأولى خرج الآباء وهم يرنمون ، خاصة الشرقيون قائلين « قدوس الله قدوس القوى ، قدوس الذى لا يموت ارحمنا » وهذه هى المرة الأولى التى يذكر فيها تاريخ الكنيسة هذه الترنيمة .

---

(44) Bardy 229-231; Camelot 125; Duchesne 3. 432-434;

A Select Library of Nicene and Post Nicene Fathers of the Christian Church, vol. 14, p. 247-248.

خريسوستمس ، يابادوبولس ٢٩٦ — ٢٩٧، مجموعة الشرع الكنسى ٣٧٦ — ٣٧٨ ، د . أسد رستم. الجزء الأول ٣٤٠

لدراسة ما دار فى الجلسة الأولى فى مجمع خلقدونية والتوسع فى الموضوع الذى عرضناه فى الصفحات السابقة عن : ديوسقوروس وموقف الشرقيين وروما منه والحكم عليه ... إدرس المراجع الآتية والمراجع التى تشير إليها أيضًا هذه المراجع :

The Seven Ecumenical Councils, Vol. 14. 267-268; Bardy 228-231; Camelot 121-125; P. Batiffol, Le Siege Apost..; J. Turmel 2. 359-364; Duchesne 3. P. 297-303; A. Grillmmeier 530-535; Mansi, 7; Hardouin 2; p. Schaff 3. 740-744; Sellers, The Council of Chalcedon...; H. M. Diepen, Les Trois Chapitres... J Danielou et H. Marron, Nouvelle Hist. de L' Eglise; J. M. A. Salles-Dabadie.. Les Con., oec..., 132-140; F. Bonifas 2. 130-136; A. Harnack Precis... 216-222, Hefele 2. 669-685.

تاريخ الكنيسة المسيحية ترجمة ألكسندروس ٢٦٥ — ٢٦٧ ، عصر المجامع، القمص كيرلس الأنطونى ١٩٢ — ١٩٦ ، الخريدة النفيسة ٥١٢ — ٥٢٢ ، د . أسد رستم الجزء الأول ٣٤٠ مجموعة الشرع الكنسى ٣٧٦ — ٣٧٨، خريسوستمس بابادوبولس ٢٩٤ — ٢٩٧ .

الجلسة الثانية فى ١٠ أكتوبر

إجتمع مجمع خلقدونية للمرة الثانية فى يوم ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) كما يتضح من سجلاته . على أن الأساقفة المخلوعين لم يحضروا ويبدو أن الأساقفة المصريين امتنعوا هم أيضًا عن الحضور.(٤٥) وعندما اتخذ كل مندوب مجلسه ، وقف واحد من القضاة المسئولين عن إدارة المجمع وشرح الغرض الأساسى الذى من أجله دعا الإمبراطور لإنعقاد هذا المجمع : ألا وهو التحديد الكافى الوافى للإيمان أو ما هو الإيمان الحقيقى أو التعليم الصحيح الذى يجب أن تقبله الكنيسة وتعّلم به ؟(٤٦) لأن تشعب وتكاثر التعاليم الخاصة بشخص المسيح قد سبب اضطرابات كثيرة على الصعيدين الدينى والسياسى الأمر الذى يخشاه الإمبراطور . ولهذا السبب فقد طالب المجمع بأن يصوغ تعاليمه ومعتقداته الخاصة بشخص المسيح ، وأن يوافق على هذا التعليم كل الأعضاء ، أو بالمعنى الأصح طالب الإمبراطور أعضاء المجمع بالبحث معًا عن تعليم واحد مشترك يتفق عليه الجميع أو على الأقل الأغلبية الساحقة من الأعضاء ، حتى يتجنب الإنقسامات الدينية والسياسية فى الإمبراطورية .

عندما سمع أعضاء المجمع عبارة « صياغة » تعاليم ومعتقدات ، رفضوا رفضًا باتًا هذ ا الاقتراح الذى طالب به مندوبو الإمبراطور ، بل إن بعضهم صرخ قائلاً « إنه غير مسموح لنا أن نصوغ صورة أخرى للإيمان غير النصوص والصيغ التى علّم بها الأباء وحُفِظَت لنا فى كتاباتهم . فلا يمكننا أن نقول غير ما قالوا أو نعلم غير ما علّموا به .(٤٧)

وهنا وقف سيكروبيوس أسقف سيباستوبولس وشرح مبينًا أن هرطقة أوطيخا العقائدية قد حُكِم عليها وأن قداسة بابا روما قد أرسل رسالته العقائدية التى تقدم نموذجًا صحيحًا للإيمان ووقع عليها أعضاء مجمع القسطنطينية . ووافق الجميع على هذا الأمر . إلا أن القضاة عادوا يطالبون بعمل صيغة جديدة للإيمان يتفق عليها أعضاء المجمع . ولقد استمر النقاش مدة طويلة لأن القضاة متمسكون بأمر الإمبراطور لوضع صيغة جديدة للإيمان ، والآباء يرفضون هذا

---

(45) Hefele 2. 684-686; Schaff 3, 747.
(46) J. Kelly, 348-350; ACO, 2, 1, 78
(47) Camelot 126; Kelly, Early Christian Creeds, London, 1950, 296-301; Hefele 2. 685-688.

الإقتراح لأنهم رأوا فيه مخالفة للمجمع الثالث الذى منع وضع أى قانون إيمان جديد ، لأن ما وُضِعَ فيه الكفاية . وقال الأسقف سيكروبيوس إن الآباء ال ٣١٨ (يقصد أباء مجمع نيقية سنة ٣٢٥) ، قد حددوا لنا الإيمان الصحيح الذى وافق عليه وثبته الآباء اللاحقون . ثم طالب بأن تُقرأ قوانين الإيمان التى وضعها الآباء ال ٣١٨ سنة ٣٢٥ فى نيقية والآباء ال ١٥٠ فى القسطنطينية سنة ٣٨١ والآباء فى أفسس فى سنة ٤٣١ وأخيرًا رسالة ليون . ووافق الجميع قضاة وآباء على قراءة هذه الرسائل .

أثناء قراءة هذه القوانين الإيمانية ، وخاصة رسائل القديس كيرلس إلى نسطوريوس وإلى يوحنا الأنطاكى ، إرتفعت أصوات الإستحسان والإعجاب قائلة هذا هو إيمان الآباء ، هذا هو إيمان الرسل ، كلنا نؤمن بهذا الإيمان ، ومحروم من لا يقبل هذه التعاليم . إن القديس كيرلس علّم بالتعليم المستقيم . ارتفعت أصوات الذين سبقوا أن درسوا رسالة ليون ووقعوا عليها فى القسطنطينية فى شهر أكتوبر ٤٥٠ قائلين إن هذا الإيمان الذى يعلم به كيرلس هو نفسه الإيمان الذى يعلم به ليون أيضًا . ليون وأناطوليوس يعلمان بنفس التعاليم . ليعش كيرلس ولتسمو وتنتشر تعاليمه . هذا هو الإيمان الذى يؤمن به ليون وإيمان أناطوليوس وإيماننا نحن.[٤٨]

وبعد الإنتهاء من قراءة رسائل كيرلس اقترح القضاة قراءة الرسالة العقائدية التى أرسلها ليون رئيس أساقفة رومه ولم تقرأ فى مجمع أفسس الثانى . وسوف نتعرض لتحليل هذه الرسالة فى حينه .

وما حدث مع رسائل كيرلس تكرر مع رسالة ليون ، إذ عند تلاوتها ، راح الكثيرون يرددون بصوت عالٍ« : هذا إيمان وتعاليم الرسل وتعاليم الآباء ، ونحن نؤمن ونعلّم بهذه التعاليم . لقد تكلم بطرس على فم ليون . إنه يعلم بنفس التعاليم التى علّم بها كيرلس ، إنهما يعلمان تعليمًا واحدًا».[٤٩] وبالرغم

---

(48) Camelot 126; Hefele 2. 687; Hardouin 2. 286, Mansi 6. 955; The Seven Ecum...., Councils, vol. 14. p. 248-253.

مجموعة الشرع الكنسى ص ٣٨٠ — ٣٨٤

(49) The Seven Ecum... Coun. 14. 254-258; Kelly, 348-350

مجموعة الشرع الكنسى ٣٨٤ — ٣٩١

من أصوات الاستحسان والإعجاب والموافقة ، فقد ظهرت بعض الأسئلة التى دلت على عدم الموافقة الكاملة والانسجام التام بين كل الأعضاء ، حول رسالة ليون أو على عدم فهم وهضم بعض التعاليم التى نادى بها فيما يخص وجود الطبيعتين فى المسيح .

إن بعض الأساقفة من ايليريا وفلسطين أظهروا قلقهم وعدم ارتياحهم لبعض العبارات التى وردت فى رسالة ليون حيث نبَّر رئيس أساقفة رومه على التمييز الواضح بين الناسوت واللاهوت ، بين الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية . خشية أن تقود هذه التعاليم إلى النسطورية ، وفصل الطبيعتين المتحدتين فى المسيح الواحد .(٥٠)

لإزالة هذا الشك اقتبس اتيوس (ايتيوس) Aetius رئيس شمامسة القسطنطينية بعض الفصول من كتابات القديس كيرلس التى تبيّن أنه يمكن التكلم عن طبيعتين فى المسيح الواحد ، دون فصل هاتين الطبيعتين وأن كل طبيعة منهما تعمل حسب خواصها ومميزاتها : اللاهوت يعمل المعجزات والناسوت يتألم دون فصل الطبيعتين.(٥١) وبالرغم من هذه الاقتباسات ، وبالرغم من التفسيرات التى حاول بعض الآباء تقديمها لآباء فلسطين وايليريا فقد ظل بعض هؤلاء الآباء غير مقتنعين . ولذلك فإن اتيكوس (Atticus) أسقف نيوكوبوليس اقترح أن ينصرف المجمع ويقضى عدة أيام فى التفكير والتأمل حتى يستطيع أن يقدم حلاً يرضى الله . ثم طالب أيضًا بتوزيع نسخة من رسالة القديس كيرلس التى أرفق بها حرماناته الاثنى عشر .

قَبِلَ المجمع الجزء الأول من الإقتراح ورفض الجزء الثانى . وقد التمس القضاة من الآباء أن يجتمعوا فى بيت رئيس أساقفة القسطنطينية أثناء فترة الخمسة أيام القادمة للتناقش مع الذين لم يقتنعوا تمامًا برسالة القديس ليون . وتحدد ميعاد الجلسة التالية فى يوم ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) . ولكن قبل أن ترفع الجلسة ، وقف بعض الأساقفة ، أغلب الظن أنهم من الأيليريانيين والتمسوا من المجمع أن يستعمل الرحمة والشفقة والمحبة نحو الآباء الذين خُلِعوا وطالبوا بقبولهم فى المجمع . ثم أضافوا قائلين « كلنا أخطأنا وكلنا يلتمس العفو ، فليتفضل

---

(50) Hefele 2. 687-689; Mansi 6, 663; 7. 971; Hardouin 1. 1275; 2. 118. 307; Turmel 362-364.
(51) Hefele 2. 688-689; Mansi 6. 663; 7. 971; Hardouin 1, 1275, 2. 118-307; mansi 5, 322.

الإمبراطور والإمبراطورة بقبول طلبنا هذا » .

وعندئذ تعالت الأصوات من جديد لأن البعض رفض هذا الطلب والبعض الآخر أيده . وحالاً تدخل القضاة فأمروا برفع الجلسة الثانية فرفعت وانصرف الآباء .(*)

الجلسة الثالثة ١٣ أكتوبر (تشرين الأول) ٤٥١
الحكم بخلع ديوسقوروس رئيس أساقفة الإسكندرية

كان من المتفق عليه فى الجلسة السابقة يوم ١٠ أكتوبر أن تترك الفرصة لأعضاء المجمع حتى يستطيعوا أن يدرسوا ويناقشوا بطريقة هادئة رسالة ليون ، قبل الاجتماع الرسمى للجلسة الثالثة فى يوم ١٥ أكتوبر . لكن المجمع عاد واجتمع يوم ١٣ أكتوبر أى قبل الميعاد المحدد له بيومين . وكان عدد الحضور فى هذه الجلسة قليلاً بالنسبة للجلسات الأخرى . فعلى ما يعتقد « هيفيله » أن الذين حضروا الجلسة الثالثة كانوا مائتى أسقف أو أكثر بقليل . على أننا نعتقد أن العدد كان أكثر من ذلك بكثير ، فحتى « هيفيله » نفسه يظن أن قوائم الأسماء الخاصة بالذين حضروا غير كاملة.(٥٢)(**) ولم يحضر هذه الجلسة ولا واحد من القضاة أو ممثلو الإمبراطور . وقد اعتقد بعض العلماء أن ممثلى الإمبراطور والسلطة الحاكمة لم يحضروا هذه الجلسة لكى يتركوا للسلطة الكنسية الحرية الكاملة دون ضغط أو تدخل من جانبهم.(٥٣) على أن البعض الآخر يظن أن القضاة والمشرفين الذين كُلِّفوا من قبل الإمبراطور بإدارة مجمع خلقدونية والإشراف على قراراته وأحكامه ، كانوا من العلمانيين ، ولم يكن مسموحًا أو على الأقل لم يكن مفضلاً أن يحكم علمانى بخلع أسقف .(٥٤)

رأس هذه الجلسة باسشاسينوس أو باسكاسينوس أسقف ليليبوم فى صقلية

(*) لدراسة أحداث الجلسة الثانية إدرس المراجع التى ذكرناها سابقًا .

(52) Hefele 2. 680-682.

(**) يمكننا الإطلاع على أعمال هذه الجلسة الثالثة فى :

Mansi 6, 975-1102

Hardouin, T. 2, 310-382

(53) Hefele 2. 691

(54) Camelot 127

ونائب رئيس أساقفة رومه . وفى بداية حديثه أراد قبل كل شيء أن يثبت سلطان رئيس أساقفة رومه ، معلنًا أنه رئيس باسمه وتحت سلطانه.(٥٥) ثم طلب من رئيس شمامسة القسطنطينية أن يتفضل ويقرأ الشكاوى المقدمة ضد رئيس أساقفة الإسكندرية .

وكانت أول شكوى مقدمة ضد ديوسقوروس هى شكوى الأسقف أسابيوس كالمعتاد . ثم بعض الشكاوى الأخرى التى قدمها بعض المصريين ضد رئيس أساقفتهم .

اتهم أسابيوس أسقف دوروله أو (دوريليوس) ديوسقوروس بالهرطقة وأنه يعلّم بنفس التعاليم التى علّم بها أوطيخا ، وبهذا فإنه احتقر الإيمان الحقيقى . كما اتهمه أيضًا باستعمال العنف والقسوة فى المجمع الذى كُلِّف بإدارته فى أفسس . ومنعه من عرض أفكاره وتعاليمه أو التحدث فى هذا المجمع الذى كان يرأسه .

كما اتهم أسابيوس الدورولى رئيس أساقفة الإسكندرية بأنه عامله فى مجمع أفسس معاملة قاسية وظالمة وأنه خُلِع من أبرشيته ظلمًا . وبناء على ذلك يلتمس من مجمع خلقدونية إرجاعه إلى منصبه كأسقف وإيقاع القصاص العادل على ديوسقوروس . وإنه على أتم الاستعداد لمواجهة رئيس أساقفة الإسكندرية ، بل طالب رسميًا بمواجهته بهذه الأمور .(٥٦)

عندئذ أرسل المجمع لاستدعاء ديوسقوروس لكى يدفع التهم التى وجهت إليه . فقال ديوسقوروس إنه على تمام الاستعداد للحضور ، غير أن الحرس الإمبراطورى يمنعه من الخروج . عندئذ أرسل المجمع إلى نواب الإمبراطور للتحقق من صحة هذا الأمر . فأكد نواب الإمبراطور أن رئيس أساقفة الإسكندرية حر طليق ويمكنه أن يحضر إلى المجمع عندما يريد ذلك.(٥٧) ولذلك فقد جاء إلى المنزل الذى كان ساكنًا فيه ديوسقوروس ممثلون من قبل المجمع وطلبوا منه الحضور . فقال لهم إنه لا يمكن أن يحضر إلى المجمع إن لم

(55) Camelot 127.
(56) Hefele 2, 682-683; Mansi 6986; Hardouin 2. 311
(57) Hefele 2. 692; Mansi 6. 987-995; Hardouin 2. 374.

يحضر نواب الإمبراطور هذه الجلسة . فى هذه الأثناء نظر المجمع فى بعض الشكاوى الأخرى المقدمة ضد رئيس أساقفة الإسكندرية ومنها : شكوى من الشماس أشيريون من الإسكندرية (Ischyrion) يتهمه بالقسوة والعنف والسلوك الردىء اللاأخلاقى.(٥٨) وقدم الشماس ثيودوروس من الإسكندرية أيضًا شكوى أخرى وصف فيها كيف عامله ديوسقوروس معاملة قاسية لسبب واحد هو أن ثيودوروس كان محبوبًا ومقربًا من القديس كيرلس.(٥٩) ثم قدم أثناسيوس ، ابن شقيقة القديس كيرلس وهو كاهن من مدينة الإسكندرية عريضة طويلة يشرح فيها الظلم الذى أوقعه عليه ديوسقوروس.(٦٠) ثم شكوى أخرى قدمها علمانى سكندرى يدعى سوفرون (Sophrone) يتهم فيها رئيس أساقفة الإسكندرية ببعض الاتهامات اللاأخلاقية وغيرها.(٦١) ويبدو أن بعض الذين قدموا هذه الاتهامات واتهامات أخرى أيضًا ، قدموها عن غيرة وحقد شخصى على هذا الرجل . لم يتوقف المجمع طويلاً أمام هذه الشكاوى . فقد حضر الأساقفة الثلاثة الذين أرسلهم المجمع للمرة الثانية برسالة مكتوبة إلى ديوسقوروس لدعوته للحضور وعرّفوا المجمع بأن رئيس أساقفة الإسكندرية رفض المثول أمام المجمع لأنه ادَّعى المرض ، وعندما قال له ممثلو المجمع الثلاثة إنه يتمتع بصحة جيدة ولا تبدو عليه أى أعراض مرض أو تعب ، قال إنه لن يحضر إلى المجمع إلا إذا حضر مندوبو الإمبراطور والخمسة أساقفة الذين خُلِعوا من مناصبهم . فقال له المرسلون إن التهمة موجهة له وليس للخمسة أساقفة ويجب عليه أن يجاوب هو شخصيًا على هذه الإتهامات . فرفض الحضور.(٦٢) فأرسل إليه مرة ثالثة ثلاثة من الأساقفة والكاتب الشماس بالاديوس (Pallade) فرفض الحضور أيضًا للمرة الثالثة .(٦٣)

فوقف باسكاسينوس رئيس المجمع وممثل وفد رومه وسأل الأعضاء قائلاً : « ما هو حكم المجمع المقدس على من يحتقره ولا يقيم له وزنًا ؟ هل توافقون أن

---

(58) Hefele 694-695

(59) Mansi 6, 1006; Hardouin 2. 322; Hefele 2. 593-594.

(60) mansi 6, 1022; Hardouin 2. 331; Hefele 2. 692

(61) Hardouin 2. 331; mansi 6. 1022; Hefele 2. 697

د . أسد رستم الجزء الأول ٣٤١ ، القمص كيرلس الأنطونى . عصر المجامع ١٩٦ ـــ ١٩٧

(62) hefele 2. 693; Mansi 6, 1006; Hardouin 2. 326.

(63) Hardouin 2. 335; Mansi 6, 1030; Bardy 231-232; Camelot 128

تصدر عليه عقوبات كنسية ؟ فقال مكسيموس إننا نقبل ما تقترحه قداستكم ، فقال ممثل رومه باسكاسينوس إننا نوافق على خلعه للأسباب الآتية :

١ ــ لقد قبل فى الشركة أوطيخا الذى خلعه مجمع القسطنطينية بطريقة رسمية .
٢ ــ رفضه لقراءة رسالة بابا رومه ، العقائدية فى مجمع أفسس .
٣ ــ تجاسره بحرمان بابا رومه .
٤ ــ رفضه المثول أمام المجمع الذى دعاه ثلاث مرات لكى يدافع عن نفسه فيما يخص التهم المقدمة ضده .

وبعد سرد هذه الأسباب قال ممثل بابا رومه ما ملخصه :

يعلن ليون المطوب رئيس أساقفة رومه القديمة ، على أفواهنا وعلى أفواه أعضاء هذا المجمع المقدس ، وبالاتحاد مع الرسول بطرس صخرة الكنيسة الكاثوليكية وأساس الإيمان الأرثوذكسى ، أن ديوسقوروس مجرد من الكرامة الأسقفية ومخلوع من أبرشيته . وبعد أن عرض الأساقفة آراءهم الواحد بعد الآخر وافقوا على الحكم بالتوقيع ، ولقد وقع على حكم الخلع ثلاثمائة أسقف.[٦٤] وحالاً أعلن المجمع هذا الخبر إلى ديوسقوروس الذى يروى البعض أنه قال إن الأمر له بقية بعد وسوف ينتقم لذلك.[٦٥] ولقد كتب المجمع عدة رسائل إلى الأباطرة فى الشرق وفى الغرب وشكرهم على غيرتهم . وبعد أن شرح لهم بالتفصيل الأسباب التى من أجلها خُلِعَ ديوسقوروس التمس منهم الموافقة على هذا الحكم . كما أرسلت رسائل أخرى إلى الكنائس المختلفة وخاصة كنيسة الإسكندرية . وقبل انفضاض المجمع قدم الأساقفة الآخرون الذين اتُّهِموا بالإشتراك فى أعمال العنف فى مجمع أفسس ندمهم وأسفهم على ما حدث فصفح عنهم المجمع وقبل الإمبراطور حكم خلع رئيس أساقفة الإسكندرية ونفيه إلى كنفريس أفلاعونيه ، حيث مات فى ٤ سبتمبر ٤٥٤ أى بعد ثلاث سنوات من نفيه.[٦٦]

---

(64) Hefele 2. 699; Mansi 1047-1080; Hardouin 346-365.
(65) L. Duchesne 2. 437.

الجلسة الرابعة فى ١٧ أكتوبر ٤٥١

عقدت الجلسة الرابعة يو ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ٤٥١ وحضرها نواب الإمبراطور وقرئت أعمال الجلسة الأولى والثانية . وعندما وصل أمين سر المجمع فى قراءته إلى الجلسة الثانية التى نوقشت فيها مشكلة عمل إقرار إيمان أو نص إيمان يتفق عليه المجمع ، سأل الإمبراطور ما هو إذن إقرار المجمع المقدس ؟ وهنا وقف باسكاسينوس رئيس المجمع وبجانبه كل الوفد الرومانى الممثل لكرسى بطرس ، وقال : إن أباء المجمع يتمسكون بما سبق أن سنَّة الآباء ال ٣١٨ في نيقية سنة ٣٢٥ وما علّم به قانون إيمان الآباء ال ١٥٠ فى القسطنطينية سنة ٣٨١ ، كما أنه قبل تعاليم القديس العظيم المطوب كيرلس التى قدمها فى مجمع أفسس الأول (٤٣١) والتى بموجبها حكم المجمع على نسطوريوس وهرطقته . ويعلن المجمع بأنه قبل رسالة الطوباوى ليون رئيس أساقفة كل الكنائس ، الذى رفض فى رسالته العقائدية المشار إليها تعاليم نسطوريوس وتعاليم أوطيخا كتعاليم هرطوقية ، ويرى المجمع أن قوانين الإيمان والرسائل العقائدية التى أشرنا إليها هنا كافية لإيضاح وشرح الإيمان الصحيح فلا داعى إذن لإضافة أو حذف أى تعليم جديد .

كان باسكاسينوس يتكلم باللاتينية ، فعندما فرغ أمين السر بيرونيكيان أوبيرونيكيانوس من ترجمة ما قاله باسكاسينوس إلى اللغة اليونانية ، صرخ الآباء بصوت مرتفع وموحد قائلين : « هذا هو إيماننا » . فهكذا اعتمدنا وهكذا نعمد أيضًا على هذا الإيمان ، هذا هو إيمان الآباء[٦٧] وإيمان كيرلس وليون .

وقال بعض الأساقفة إن الأساقفة الخمسة جيوفيناليوس الأورشليمى ،

---

(66) K. Baus, H; G. Beck..., 117; ACO 2, 1, 1, 65-70; L. Duchesne 3. 476

لدراسة قضية الحكم بخلع ديوسقوروس الرجا الرجوع إلى المراجع التى ذكرناها سابقًا ثم دراسة المراجع التى تذكرها هذه المراجع بالإضافة إلى المراجع الآتية :

G. L. Prestige, Fathers and Heretics; Londres, Chap. 6-7, R. V. Sellers, The Council of Chalcedon, M. J. Nicolas. La Doctrine Christol..., de St. Leon... dans RT 51 (1951) 609-660.

غريغوريوس بولس بهنام : البابا ديوسقوروس الاسكندرى حامى الإيمان.

(67) Hefele 2. 700-702; Mansi 7. Col. 7...; Harouin 2, 386;

Bardy 232; Camelot 130-132; Duchesne 3. 436-439;

Palanque.. 49-55; Baus 117-120; Schaff 3. 744; ACO 93-109

مجموعة الشرع الكنسى ٣٩٣ ، د . أسد رستم . الجزء الأول ٣٤٢

وثالاسيوس ، ويوسابيوس ، وباسيليوس ، واستاثيوس الذين خلعهم المجمع يعلّمون هم أيضًا بهذه التعاليم ، ولقد سبق أن رفعنا التماسًا للإمبراطور لقبولهم ، فماذا تم فى هذا الطلب ؟ فأرسل نواب الإمبراطور رسولاً إلى القصر الإمبراطورى وبعد عدة ساعات عاد الرسول معلنًا أن أمر قبول أو خلع الأساقفة الخمسة متروك للمجمع ، فقبلهم المجمع بهتاف وفرح ، فجاءوا وجلسوا مع زملائهم الأساقفة فى أماكنهم.[٦٨]

عندما عرض ممثل روما باسكاسينوس إعلان قبول المجمع لرسالة ليون العقائدية ، لم يجد أى اعتراض من جانب أساقفة فلسطين وايليريا كما حدث فى الجلسة السابقة . وذلك يرجع إلى المجهود الذى بذله نواب رومه أثناء الخمسة أيام التى قاموا فيها بشرح تعاليم بابا رومه الخاصة بالطبيعتين والاتحاد لهؤلاء الأساقفة الذين فهموا وقبلوا هذه الرسالة العقائدية ويبدو أن ثيودوريطس الكورشى اشترك هو أيضًا مع نواب رومه فى شرح رسالة البابا .

وفى أثناء الجلسة الرابعة تقدم ثلاثة عشر[*] أسقفًا مصريًا وطالبوا بقراءة قانون إيمان أعلنوا فيه تمسكهم بتعاليم آبائهم من القديس مرقس إلى كيرلس رافضين كل الهرطقات منذ ظهور سيمون الساحر إلى نسطوريوس . ولم يذكروا شيئًا لا من قريب ولا من بعيد عن أوطيخا أو عن رسالة ليون ولا ديوسقوروس .

ولقد دار بينهم وبين المجمع نقاش طويل . فلم يوافقوا فى بداية الأمر على الحكم على أوطيخا إلا أنهم قبلوا ذلك فى النهاية.[٦٩] لكنهم رفضوا رفضًا باتًا التوقيع على رسالة ليون وخلع ديوسقوروس.[٧٠] فحاول أعضاء المجمع إقناعهم فلم يفلحوا . ويعتقد بعض العلماء الموثوق فى مصادرهم أن الأساقفة المصريين التمسوا من المجمع أن يترأف عليهم وينظر إلى شعور رؤوسهم البيضاء ، معلنين أن الموت سيكون فى انتظارهم فى بلادهم عند العودة إذا وقّعوا على

---

(68) Camelot 131; Palanque 51-53

(*) ترك أربعة منذ الأساقفة منذ الجلسة الأولى رئيس أساقفتهم ديوسقوروس .

(69) Hefele. 2. 702-704; Duchesne 3, 436-439.

(70) Hefele. 2. 702-704: Duchesne 3, 436-439.

رسالة ليون . فإنهم يفضلون الموت هنا على أن يموتوا فى بلادهم.(٧١) كما أنهم أعلنوا أيضًا أنه ليس من حقهم التوقيع على إقرار إيمان بدون موافقة رئيس أساقفة لأن ديوسقوروس قد خلع من منصبه .

وبعد نقاش طويل ومرير ، قبل المجمع أن يؤجّل توقيع الأساقفة المصريين على رسالة ليون إلى أن يسام لهم رئيس أساقفة ، على أن يدفعوا كفالة ، ويظلوا فى مدينة القسطنطينية إلى أن يسام رئيس أساقفة ويوقعوا على الرسالة العقائدية .

وفى أثناء انعقاد هذه الجلسة جاءت جماعة من الرهبان المؤيدين لأوطيخا وعلى رأسهم الراهب المشهور برسوم أو « بارسوما » . وعندما رأى الأساقفة هذا الراهب صرخوا بصوت مرتفع قائلين « أخرج أيها القاتل » وقد أعلن هؤلاء الرهبان عدم موافقتهم على الحكم الذى أصدره المجمع ضد أوطيخا ، وأنهم لا يقبلون أى قانون إيمان آخر غير قانون إيمان نيقية . وقال كاروسوس (Carosus) الذى كان يتكلم باسم الرهبان : « إننا نريد رجوع ديوسقوروس إلى منصبه . فإن رفض هذا الطلب قد يتسبب عنه انشقاق خطير » . ولكن المجمع طلب من الرهبان حرم أوطيخا وقبول رسالة ليون ، فلم يقبلوا ذلك . وعندما قال لهم القضاة سوف نترك لكم ثلاثة أيام للتفكير . قالوا لا داعى للتأجيل أو للتسويف ، إننا نريد الحكم الآن برجوع ديوسقوروس . ولا يمكننا أن نبقى مع أناس ضربوا عرض الحائط بقانون إيمان نيقية . على أن المجمع قدم لهم فرصة للرجوع لغاية ١٥ نوفمبر (تشرين الثانى) . لقد أحال المجمع هذه القضية إلى مجمع القسطنطينية لأنها تعتبر محلية ومتعلقة بأمور خاصة بمجمع القسطنطينية .(٧٢)

الجلسة الخامسة ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ٤٥١

سبق أن رأينا فى اطلاعنا على المناقشات التى حدثت ، والقرارات التى اتخذت فى الجلسة الثانية ثم الرابعة ، روح الحيرة والارتباك وعدم الاتفاق الذى كان يسيطر على كثير من أعضاء المجمع فيما يخص تقديم صيغة إيمان واضحة

(71) Camelot 131; ACO 110-114; Batiffol; Bardy 232-234.

(72) Hefele 2. 765-774; L. Duchesne 3. 436-440.

ومتفق عليها من الجميع أو من الأغلبية الساحقة . كانت هذه رغبة بل أمر الإمبراطور حتى يتجنب المعارك العقائدية فيما بعد . ولذلك فإن نوابه طلبوا مرارًا وتكرارًا من مجمع خلقدونية ضرورة الوصول إلى إيجاد صيغة إيمانية أو قانون إيمان يتفق عليه الجميع . وقد رفض الآباء جميعهم فى بداية الأمر هذا الطلب ، لكن نواب الإمبراطور أصروا عليه . فحاول بعض الآباء على مضض ، بذل مجهود فى هذا المجال . وقد ظهر هذا المجهود فى قانون الإيمان الذى قُدِّم فى هذه الجلسة ، وللأسف الشديد فإن المجمع لم يسجل هذا القانون الإيمانى فى أعماله ، ولذلك نجهل الكثير من محتوياته . وبالرغم من ذلك فإن الدارس المدقق يستطيع أن يدرك من المناقشات التى دارت فى هذه الجلسة أن هذا القانون الإيمانى الذى يحتمل أن مؤلفه هو رئيس أساقفة القسطنطينية أناطوليوس ، كان يحتوى على أفكار أرثوذكسية صحيحة .

ومع أن هذا النص حاز إعجاب ورِضى الأغلبية الساحقة إلا أن البعض رفضه . والسؤال الذى يجب أن نسأله هنا هو من الذى رفض هذا النص ولماذا ؟

إن الذين احتجوا على هذا النص هم بعض الأساقفة الشرقيين ثم نواب رومه . فقد لاحظ الشرقيون أن كاتب هذا النص يستعمل عبارة « كان المسيح مكونًا من طبيعتين » وهى العبارة التى استعملها وقبلها ديوسقوروس ، ولم يستعمل العبارة التى استخدمها ليون فى رسالته العقائدية وهى « توجد طبيعتان فى المسيح »(٧٣) وقد طالب الوفد الرومانى المجمع بقبول رسالة القديس ليون كما هى ، وهددوا المجمع بأنهم سينسحبون عائدين إلى إيطاليا إن لم تُقبل رسالة القديس ليون كما هى وبنفس الاصطلاحات . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو « لماذا طالب وفد رومه بقبول رسالة ليون التى سبق أن قبلها المجمع فى جلسته الرابعة » ؟ بل إنها قُبِلَت فى الجلسة الرابعة بحماس كبير جدًا من الكثيرين ولكن بتحفظ من الأقلية . ولذلك فقد طالب الوفد الرومانى قبول رسالة ليون بدون تحفظ من ناحية ومن ناحية أخرى قبولها كما هى

(73) Hefele 2. 716-718; Tillemont, T. 15, 677; Mansi 7. 99-102; Hardouin 2. 447; Camelot 132-133; L. Duchesne 3. 440-443.

بالاصطلاحات التى استعملها فيها.[٧٤] ولذلك قال الوفد الرومانى وعلى رأسهم باسكاسينوس : « فإن كان الآباء لا يقبلون رسالة البابا ليون ، فأعلنوا لنا جهرًا معارضتكم لكى نرجع ونعقد مجمعًا فى إيطاليا .[٧٥]

من هذا يتضح أن الوفد الإيطالى تمسك برسالة ليون بدون تغيير ، وخاصة فيما يتعلق بتعليمه عن الطبيعتين : بينما رفض البعض الآخر بعض العبارات فى هذه الرسالة . وهنا وجد نواب الإمبراطور أنفسهم فى مأزق حرج ضيق . فإن مغادرة نواب روما للمجمع وعقد مجمع آخر فى إيطاليا سوف يسبب اضطرابًا سياسيًا ودينيًا فى الإمبراطورية ، الأمر الذى يجب تجنبه بكل الوسائل . لذلك اقترحوا تكوين لجنة من حوالى عشرين نائبًا يمثلون المناطق كلها لكى يدرسوا مع رئيس أساقفة القسطنطينية أناطوليوس ونواب رومه ، إمكانة إيجاد حل لهذه الأزمة العقائدية ، وصياغة نص يتفق عليه الجميع .

احتجت الأغلبية الساحقة على هذا القرار وأعلنت موافقتها على نص قانون الإيمان أو تحديد الإيمان الذى تُلِىَ ، وأنه نص أرثوذكسى لا غبار عليه . بل إن بعض الآباء صرخوا بصوت مرتفع قائلين : « إننا نقبل هذا النص وليخرج النسطوريون من هنا ، أو ليذهبوا إلى إيطاليا ».[٧٦] وكان النقاش حادًا حارًا وأثيرت مشكلة خلع ديوسقوروس لهرطقته ، وهنا أعلن رئيس أساقفة القسطنطينية أناطوليوس أن ديوسقوروس لم يُخلَعْ من منصبه لهرطقته فى التعليم بل لسوء سلوكه وتصرفاته فى مجمع أفسس الثانى وعدم احترامه لمجمع خلقدونية . ولما لم يستطع المجمع الوصول إلى حل ، رُفِع الأمر إلى الإمبراطور ، وكان جواب مركيانوس (الإمبراطور) هو إما أن يقبل المجمع اللجنة المفوضة التى يجب أن تقوم بعمل تحديد واضح دقيق للإيمان أو أن ينعقد المجمع فى إيطاليا .

لم تكن الأغلبية الساحقة وعلى رأسها أناطوليوس وأسابيوس راضية بهذا القرار الإمبراطورى لدرجة أن البعض ، وخاصة ممثلى ايليريا قالوا ... « إن الذين لا يريدون التوقيع على إقرار إيمان أناطوليوس فليذهبوا إلى رومه ».[٧٧]

---

(74) Bardy 234
(75) Hefele 2. 718-719 مجموعة الشرع الكنسى
(76) Camelot 133; Hefele 717-780; Mansi T. 7, 99-102; Hardouin 2. 447
(77) Hefele 2. 719-720; L. Duchesne 3. 441-443,

حاول القضاة تهدئة الجو وتلطيفه والخروج من هذا المأزق الحرج فقالوا للمجمع إن ديوسقوروس يقول « إن المسيح مكون من طبيعتين ، وإن الأب المطوب ليون يقول « توجد طبيعتان فى المسيح » فأى تعليم نقبل؟ تعليم قداسة البابا ليون أو تعليم ديوسقوروس ؟ كان السؤال شركًا فكان من الواجب الفصل بين الصيغة المقترحة وبين الشخص الذى اقترحها . إن المجمع حكم فى جلسته الثالثة بخلع ديوسقورس كما أنه حكم أيضًا فى جلسته الرابعة بقبول تعليم ليون ، ولذلك فعندما عرض عليه النواب الإختيار بين ليون وبين ديوسقوروس صرخ المجمع كله « إننا نؤمن كما يؤمن ليون » . إن خصوم ليون هم من أتباع أوطيخا وإن تعاليم ليون تعاليم أرثوذكسية . عندئذ قال القضاة يمكننا إذن القول حسب تعليم ليون بوجود طبيعتين متحدتين بدون انفصال أو اندماج.(٧٨) وبعد هذا طلب القضاة من أعضاء اللجنة المفوضة لدراسة هذا الموضوع الذهاب إلى إحدى قاعات كنيسة القديسة أفيميه لبحث هذا الموضوع وتقديم تقرير عنه أو ... تقديم .. صيغة إيمان .

ملخص تعاليم خلقدونية أو التعريف العقائدى الذى قدمته اللجنة المفوضة

لا نعلم بالضبط كم كان عدد الساعات التى قضتها اللجنة المفوضة فى الحوار والنقاش لصياغة قانون إيمان جديد أم ما هى النقاط الإيمانية التى نوقشت فى هذه اللجنة . لكننا نعرف أن اللجنة جاءت إلى المجمع فى نفس اليوم ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول) وقدمت قانون إيمان . ولطوله لا نعرض إلا بعض أجزاء منه :

إن المجمع المسكونى المقدس العظيم الذى التأم بنعمة الله وبأمر الإمبراطورين المسيحيين الجزيلى التقوى مركيانوس وفالنتينان العظيمين فى خلقدونية فى ولاية بيثنية فى كنيسة القديسة الشهيدة اللابسة الظفر أفيميه قد حدد ما يأتى: « إن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح إذ كان يوطد معرفة الإيمان فى تلاميذه حتى لا يختلف أحد مع قريبه فى ما يخص عقائد الدين .... قال سلامى أترك لكم ... إن هذه الصيغة الحكيمة السلامية للنعمة الإلهية تكفى لمعرفة الديانة معرفة

---

(78) Camelot 134-135; Liebaert, Hist... des Dog. 217-219; Hefele 2. 720-722; Bardy 234-235

تامة وتثبيتها ، لأنها تعلّم العقيدة الحقة فيما يختص بالآب والابن والروح القدس وتثبيت تجسد الرب يسوع للذين يقبلونه بالإيمان . ولكن بما أن البعض أخذوا على عاتقهم أن يعطلوا البشارة بالحق وشرعوا بواسطة بدعهم الشخصية يتلفظون بالأقوال الفارغة حتى تجاسر بعضهم على إفساد سر تجسد الرب ... فى حين أخذ الآخرون فى إحداث تشويش وخلط ... إن الطبيعتين الإلهية والبشرية فى طبيعة واحدة زاعمين أن الطبيعة الإلهية باختلاطها مع الطبيعة البشرية صارت قابلة للآلام ..... وكذلك لإيضاح سر الفداء ردًا على الذين تعرضوا لإفساده وادعَّوا بلا خشية ولا خجل أن الذى وُلِدَ من العذراء لم يكن إلا إنسانًا بسيطًا ، وقبل المجمع رسائل الطوباوى كيرلس .... إلى نسطوريوس والشرقيين ، وقد حكم ضدهم حكمًا مناسبًا لدحض حماقة نسطوريوس .... ولتثبت هذه العقائد الأرثوذكسية أصاب المجمع فى إضافته إلى ما تقدم رسالة رئيس أساقفة رومه القديمة العظمى الجزيل القداسة ليون التى أرسلها إلى رئيس الأساقفة فلافيانوس المطوب الذكر لدحض كل عقائد أنتيشيوس الباطلة . فإن تلك الرسالة تتفق مع اعتراف بطرس .... وهى تقاوم كل من يسعى لتمزيق سر التدبير بقوله بوجود ابنين ، وتنبذ من المجمع المقدس المتجاسرين على القول بأن لاهوت الابن الوحيد قابل للآلام ، وتعارض كل من يتصور حدوث اختلاط أو تشويش فى طبيعتى المسيح ، وتنبذ الذين يخيل لهم أن صورته كعبد هى من جوهر سماوى لا من طبيعة غير الطبيعة المأخوذة منا ، وتبسل (تحرم) الذين يتحدثون بحماقة عن طبيعتين لربنا قبل الاتحاد متوهمين أنه بعد الاتحاد لم تكن هناك إلا طبيعة واحدة.[٧٩] « فلهذا ونحن تابعون الآباء القديسين كلنا بصوت واحد نعلّم البشر أن يقروا أن الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح الكامل فى اللاهوت والكامل فى الناسوت إله حق وإنسان حق ذو نفس ناطقة وجسد وجوهر واحد من الآب بحسب لاهوته وجوهر واحد معنا بحسب ناسوته فى كل شىء مثلنا ما عدا الخطية ، مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته وفى هذه الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا وُلِدَ من مريم العذراء والدة الإله بحسب ناسوته . هو مسيح واحد وابن واحد ورب واحد المولود الوحيد كائن بطبيعتين غير ممتزجين ولا متغيرتين ولا منقسمتين ولا منفصلتين . والفرق بين الطبيعتين لم يتلاشَ باتحادهما .

(٧٩) مجموعة الشرع الكنسى ٣٩٥ — ٣٩٦

وخواص كل منهما الخاصة باقية ومجتمعة فى شخص واحد وكائن واحد غير منفصل ولا منقسم إلى شخصين بل الابن الوحيد والمولود الوحيد الله الكلمة الرب يسوع المسيح كما تنبأ عنه الأنبياء منذ البدء وكما علمنا الرب يسوع نفسه وكما سلمنا قانون إيمان الآباء القديسين.[٨٠]

« ..... فالمجمع المسكونى المقدس يرسم بألا يسمح لأحد بأن يقدم إيمانًا مخالفًا لهذا أو مختلفًا عنه ولا أن يكتب ولا أن يجمع ولا أن يضع ولا أن يعلّم ذلك لآخرين . وكل من تجاسر على أن يجمع معًا صورة أخرى للإيمان أو أن يقدم أو أن يعلّم دستور إيمان آخر ... فإن كان أسقفًا يجرد من أسقفيته أو إكليريكيًا يسقط من درجته وإن كان راهبًا أو عاميًا فيُبْسَلْ (يحرم) .

بعد قراءة قانون الإيمان هذا أعلن الأساقفة قائلين : « هذا هو إيمان الآباء ، هذا هو إيمان الرسل . كلنا نقبل ونؤمن ونعلّم بهذا التعليم » ومع أن هذه الصيغة الإيمانية أو قانون الإيمان لم يرضِ الجميع بطريقة شاملة كاملة عامة ، إلا أنه كان يعتبر نصرًا عظيمًا جدًا للبابا ليون وللوفد الرومانى ولنواب الإمبراطور . وقد وقع عليه الأعضاء فى حضرة نواب الإمبراطور . ويعتقد البعض أن الذين وقعوا على هذا الإقرار الإيمانى أكثر من ٦٠٠ نائب.[٨١] على أن البعض الآخر يعتقد أنهم حوالى ٤٥٢ (Camelot) أو ٣٥٠ أسقفًا (هيفيلية) (Hefele. 2. 733) .

---

(٨٠) علم اللاهوت النظامى : دار الثقافة المسيحية ١٧٦ ــ ١٧٧

(81) Duchesne 3. 442-443.

علم اللاهوت النظامى ص ١٧٦

لدراسة الجلسة الخامسة من مجمع خلقدونية (الجلسة الخاصة بموضوع قانون الإيمان الخلقدونى والتعليم بالطبيعتين الرجا دراسة :

J. Kelly. 349-352; Fliche et Martin, Hist. de L' Eglise, G. Bardy, 233-236; Camelot 133-136; G. L. Prestige, chap. 6-7; R. Draguet, «La Christologie d' Eutyches» dans Byzantin 6 (1931) 441-457; M. J. Nicolas «La Doctrine Christologique de Saint Leon Le Grand» dans R. T. 51 (1951) 600-660; J. Tixeront 3. 94-98; Hefele 2. 716-739; Mansi 7. 107; Hardouin 2. 451; Mansi 7. 455-474; Hardouin 2, 643-654; Tillemont, Memoire 15. 712; L. Duchesne 3. 440-446; J. R. Palanque...., 51-58; Baus..., 116-123; P. Schaff 3. 742-748; Schwartz, Acts Vol 2, 2, I, 24-33; Nicene and Post Nicene Fathers, vol. 12. 38-43; J. M. A. Salles-Dabadie 134-142; Bonifas 2. 132-136; Turmel 2. 363-370

د. أسد رستم الجزء الأول ٣٤٢ ــ ٣٤٣ ، اللاهوت النظامى ١٧٦ ــ ١٧٧ ، مجموعة الشرع الكنسى ٣٩٤ ــ ٣٩٩

ألكسندروس : ترجمته ٢٦٦ ــ ٢٦٧ ، القمص كيرلس الأنطونى : عصر المجامع ١٩٦ ــ ٢١٩ ، الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ٥١٠ ــ ٥٣٥ ، أنطونيوس الدويرى ٤ ــ ١٠ ، خريسوستمس بابا دوبولس ٢٩٧ ــ ٣٠٤ ، الشماس منسى القمص كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ٣١٥ ــ ٣١٩ ، تاريخ مجمع خلقدونية الكاثوليكى باب ٢٧ : ١٦ ــ ٢٠٠ تاريخ الإنشقاق ٢٢٠ ــ ٢٤٠ ، غريغوريوس بولس بهنام البابا ديوسقوروس الإسكندرى ١٣٢ ــ ١٥٢

الجلسة السادسة ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) ٤٥١

بعد ثلاثة أيام من قبول المجمع لقانون الإيمان الجديد ، اجتمع مجمع خلقدونية فى ٢٥ أكتوبر . ولقد حضر هذه الجلسة الإمبراطور مركيانوس والإمبراطورة بولخارى ، وهو الذى افتتح هذه الجلسة بإلقاء خطاب باللغة اللاتينية أولا ثم باللغة اليونانية . ولقد عبر فى هذا الخطاب عن رغبته العميقة أن تشع الديانة المسيحية فتنير العالم أجمع وتطهره من الضلال والهرطقات . ولذلك أمر بعقد هذا المجمع المقدس لكى يدرس ويفحص معًا الأمور المتعلقة بالإيمان بشخص يسوع ويصدر قراراته وتعاليمه حتى لا يضل فيما بعد الشعب بكثرة الأفكار والتعاليم ، بل يتبع بأمانة وتدقيق تعاليم الآباء ال ١٣٨ ثم تعاليم الآباء ال ١٥٠ وكذلك تعاليم القديس كيرلس ، وتعاليم ليون رئيس أساقفة رومه فى رسالته العقائدية ، وما قرره المجمع المقدس .

وهنا ارتفعت الهتافات بطريقة غير عادية فاقت كثيرًا المرات السابقة قائلة « عاش الإمبراطور داود الجديد ، عاش الإمبراطور الذى يدافع عن الإيمان الأرثوذكسى ، عاشت الإمبراطورة بولخارى : هيلانة الجديدة . هيلانة وجدت صليب المسيح ، وهيلانة الجديدة (بولخارى) دافعت وتدافع عنه بإيمانها وغيرتها .. إن إيمانكما فخر الكنيسة ....(٨٢)

وبعد أن هدأت الأصوات تقدم الشماس أتيوس (Aetius) وقرأ قانون الإيمان الجديد أو التعريف أو التحديد لتعليم مجمع خلقدونية . وبعد قراءته سأل الإمبراطور قائلاً هل قبل ووافق جميع الحاضرين هنا على هذا الإقرار ؟ فصاح النواب من جديد قائلين : « كلنا نؤمن بهذا التعليم . لا يوجد إلا إيمان واحد وإرادة واحدة . كلنا نقبل هذا التعليم ، ولقد وقعنا عليه بالإجماع ، كلنا أرثوذكسيون ونقبل تعاليم الآباء وتعاليم الرسل .... عاش الإمبراطور مركيانوس ، داود الجديد ، بولس الثانى ، وقسطنطين الثانى . إنك سلام العالم .... عاشت الإمبراطورة ... إنكما شعاع للإيمان وحافظان وحاميان له ...

---

(82) Camelot 136; Hefele 2. 732-735; Hardouin, 2, 463..., Mansi , 7, 129 Palanque 51-55; P. Schaff 3. 746-748.

مجموعة الشرع الكنسى ٣٩٩

قدم الإمبراطور شكره للمسيح لتوطيد السلام والوحدة الدينية ، ثم أنذر مهددًا كل من توسل له نفسه أن يعرض هذه الوحدة الدينية للخطر . فإن الذى يغامر بتعريض وحدة الكنيسة لخطر الانقسام ، سوف يعرض نفسه لعقابات وقصاصات أليمة ، إكليريكيًا كان أو علمانيًا أو عسكريًا .

ثم أعلن الإمبراطور فى الخاتمة رفع مدينة القسطنطينية إلى رتبة متروبوليس إكرامًا لكنيستها التى فيها اجتمع المجمع المسكونى الرابع وإكرامًا أيضًا للشهيدة أوفيميه . وهنا تعالت الهتافات من جديد بعظمة الإمبراطور والإمبراطورة . بل إن البعض كان يصرخ قائلاً « أنت كاهن وإمبراطور (وملك) ، غالب ومنتصر ومعلم للإيمان ... وقبل أن يرفع الجلسة ترجى الإمبراطور النواب ألا يرجعوا حالاً إلى بلادهم ، بل أن يمكثوا أيضًا ثلاثة أو أربعة أيام لتصفية بعض الأمور الباقية . ثم رفعت الجلسة وبدأت القبلات والتحيات والسلامات .(*)

لقد أنهى مجمع خلقدونية أهم أعماله وخاصة الأمور المتعلقة بالإيمان والعقيدة فى الجلسة السادسة . على أن الإمبراطور طلب من الوفود ألا يتركوا المكان قبل تصفية بعض الأمور الإدارية الأخرى ومنها :

١ ــ قضية ثيودوريطس الكورشى :

سبق أن التقينا فى دراستنا عدة مرات مع هذا الأسقف العالم الباحث : وعرفنا أن مجمع أفسس الثانى اتهمه بالهرطقة فحكم بحرمه وخلعه من منصبه فرفع شكواه إلى الإمبراطور وإلى البابا ليون وقبله هذا الأخير فى شركة الكنيسة . فقدم ثيودوريطس طلبًا إلى المجمع لكى يصدق على قبوله فى الشركة . غير أن بعض الأساقفة طالب بفحص أسقف كورش قبل التصديق على قبوله فى شركة الكنيسة ، لأن ثيودوريطس كان صديقًا شخصيًا لنسطوريوس وخصمًا قديمًا للقديس كيرلس . فعندما مثل ثيودوريطس أمام أعضاء المجمع طلبوا منه أن يحرم نسطوريوس وتعاليمه . فقال لهم إنه قد سبق وأرسل رسالة إلى الإمبراطور وإلى رئيس أساقفة رومه وكذلك إلى بعض الأساقفة يشرح فيها تعليمه وإيمانه . ثم أضاف قائلاً إنه قد تربى فى عائلة

(*) فيما يخص هتافات المندوبين ، ورفع القسطنطينية وعقابات الخارجين على تعاليم خلقدونية أنظر Hefele 2. 732-735;

Hardouin 2.2.486; Mansi 7. 170-175; 179, Camelot 7. 136-137, Bardy 235-238

أرثوذكسية وعظاته وتعاليمه أرثوذكسية . لكن الأساقفة طالبوه بأن يحرم نسطوريوس وتعاليمه ، فحاول مرة ثانية أن يشرح لهم مفهومه وتعاليمه ، إلا أنهم أصروا بإلحاح أن يحرم بطريقة واضحة وصريحة ومباشرة نسطوريوس وكل الذين قسموا المسيح إلى اثنين والذين لا يعترفون بأن مريم هى والدة الإله . فأعلن ثيودوريطس بأنه يحرم نسطوريوس وأوطيخا وكل من يعلّم بأنه يوجد ابنان أو يقسم المسيح الواحد إلى اثنين وكل من لا يعترف بأن مريم هى والدة الإله .

كان ثيودوريطس يعلم جيدًا أن نسطوريس لم يرفض رفضًا باتًا وكليًا لقب والدة الإله لمريم ، كما أنه كان يعلم أيضًا علم اليقين أن نسطوريوس لم يعلّم بابنين ومسيحين . وإننا نتفق مع العالم دشن (Duchesne) بأن جواب أسقف كورش للأساقفة الذين ألحوا عليه بحرم نسطوريوس لأنه قسم المسيح وأنه علّم بابنين كان يحمل نوعًا من السخرية منهم لعدم معرفتهم بكتابات نسطوريوس وتعاليمه.(٨٣) عندما سمع الآباء حرمان ثيودوريطس لنسطوريوس ، أعلنوا قائلين ظهر الحق وزهق الباطل ، لقد لاشيت باعترافك هذا الشك وإنك لمستحق أن تجلس على كرسى الرعوية وتقود شعبك : إنك أرثوذكسى .

٢ ــ قضية ايبا أو ايفا أو ايباس (Ibas) :

سبق أيضًا أن تحدثنا عن هذا الرجل : كان أسقفًا لمدينة رها ، قام بترجمة أعمال ديودوريوس الطرسوسى وثيودوريوس الموبسبوستى وهما معلمان نسطوريان .

ففى نفس اليوم (٢٦ أكتوبر) الذى التمس فيه ثيودوريطس من المجمع التصديق على إقرار ليون بقبوله فى شركة الكنيسة ، قدم إيبا أو ايباس هو أيضًا طلبًا يشرح فيه أن مجمع أفسس الثانى حكم عليه ظلمًا وخلعه من كرسيه دون

---

(83) L. Duchesne 3. 443-445

لدراسة موضوع ثيودوريطس وإلغاء حكم مجمع أفسس الثانى انظر :

L. Duchesne 3. 442-445; Schaff 3. 743-748

Bardy 236-238; Hefele 2. 740-742; Mansi, 7. 187;

Hardouin 2. 478

د . أسد رستم الجزء الأول ٣٤٣ ، خريسوستمس بابا دوبولس ٢٩٨ ــ ٣٠٠

أن يكون حاضرًا فى هذا المجمع لكى يدافع عن نفسه . ونظر المجمع فى موضوعه والاتهامات الموجهة له مثل قوله « أنا لا أحسد المسيح لأنه صار الله ، لأنى أنا أيضًا إله وفى إمكانى أن أصير مثله » . ولقد اتهم أيضًا باتهام آخر ، وهو أنه قاوم القديس كيرلس وتعاليمه ونعته بصفة هرطوق ... وبعد أن استمع المجمع لبعض الشهود ، وحقق فى هذه الاتهامات اتضحت له براءة ايباس وحكم المجمع بأرثوذكسيته وعودته إلى أبرشيته بعد أن أعلن أسقف إيباس حرمه علانية لنسطوريوس(*)

٣ ـــ قضية مركز القسطنطينية فى ترتيب الكراسى الرسولية :

لقد سن مجمع خلقدونية ثلاثين قانونًا لتحديد الاختصاصات والواجبات الكنسية والمدنية لبعض الكنائس وبعض الأبرشيات وبعض الأساقفة والكهنة والرهبان . ولا يمكن أن نتعرض هنا لهذه القوانين لأنها لا تلمس موضوع دراستنا بطريقة مباشرة . على أننا نود أن نلفت نظر القارىء إلى القانون رقم ٢٨ ، وهو القانون الذى يعترف بأن مكان القسطنطينية هو الثانى بعد رومه لأنها أصبحت رومه الجديدة . وفى حقيقة الأمر لم يكن هذا القانون جديدًا إذ أن مجمع الآباء ال ١٥٠ الذى اجتمع فى القسطنطينية سنة ٣٨١ منح هذه المدينة لقب رومه الجديدة ، لأنها صارت مقر إمبراطور الشرق ومجلس الشيوخ . ولق ثبّت مجمع خلقدونية هذه الرتبة.(٨٤)

وقد احتج ليون بابا رومه على هذا القرار احتجاجًا عنيفًا و كتب إلى الإمبراطور ساعيًا لإلغائه . كما كتب أيضًا إلى أناطوليوس رئيس أساقفة القسطنطينية رسالة شديدة اللهجة قال له فيها إن الكبرياء هى التى دفعته إلى أن يرتقى فوق ما ينبغى أن يرتقى.(٨٥) ومع أن الصراع كان عنيفًا وشديدًا على هذه النقطة بين رومه والقسطنطينية إلا أن العلاقات بينهما لم تنقطع ، بل وافق البابا على قرارات مجمع خلقدونية الذى خلع ديوسقوروس ثم اعترف بأرثوذكسية فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية .

(*) لدراسة موضوع ايباس وإلغاء الحرم الذى أصدره ضده مجمع أفسس الثانى انظر نفس المراجع المذكورة أعلاه .
مجموعة الشرع الكنسى

(84) Hefele 2. 767; Mansi, 7. 426; Hardouin 2, 626; P. Schaff 3, 447, Palanque 56-59; Bardy 238

(85) Palanque 55-60 مجموعة الشرع الكنسى ص ٤٣٠ ـــ ٤٣٦

الفصل السادس

التعاليم العقائدية لمجمع خلقدونية

لقد حاول مجمع خلقدونية بدوره أن يجيب على سؤال الرب يسوع المسيح الذى سأله لتلاميذه فى قيصرية فيلبس « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » (متى ١٦: ١٣) . فلقد رأينا فى المجلدين السابقين كيف أن الكنيسة حاولت فى القرون الخمسة الأولى أن تجيب على هذا السؤال الخطير الخاص بشخص الرب يسوع المسيح فقدمت أجوبة وتفسيرات وتعاليم كثيرة مختلفة متنوعة . رأى البعض فى المسيح إلهًا وإلهًا فقط . والبعض الآخر رأى فيه إنسانًا وإنسانًا فقط . على أن البعض رأى فيه أيضًا إنسانًا قد ارتفع إلى درجة اللاهوت ، ولم يكن بالطبيعة إلهًا . ولحل هذه المشكلة العقائدية الكرستولوجية : (التعاليم الخاصة بشخص المسيح) عقدت المجامع لكى تبحث وتدرس للوصول إلى حل صحيح لسؤال الرب يسوع المسيح « من يقول الناس ... » لذلك اجتمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ، وكذلك أيضًا مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ، ومجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ ، والثانى سنة ٤٤٩ ، وعدد كبير آخر من المجامع المحلية، وأخيرًا مجمع خلقدونية .

وقد سبق أن رأينا أن واحدًا من الأسباب الأساسية التى طلب من أجلها الإمبراطور مركيانوس عقد هذا المجمع ، وهو تحديد الإيمان المسيحى أو وضع صيغة أو قانون إيمان يتفق عليه جميع الآباء . كان الإمبراطور مقتنعًا بأن الانقسامات الحزبية الدينية التى كانت تهدد سلام الكنيسة والإمبراطورية معًا يرجع أصلها إلى عدم وجود تعليم موحد ، ففرض على المجمع أن يجد صيغة إيمان أو قانون يوافق عليه الجميع .

بعد رفض وإصرار متبادل بين المجمع والإمبراطور ، قبل المجمع وضع صيغة قانون إيمان . وتكونت لجنة من حوالى عشرين مندوبًا لصياغة إقرار إيمان وقدمته فعلاً فى ٢٥ أكتوبر ، ووافق المجمع ووقع عليه الأعضاء وكذلك الإمبراطور . فما هى محتويات هذا الإقرار الإيمانى الذى وافق عليه أعضاء المجمع والذى رفضته وترفضه حتى الآن بعض الكنائس غير الخلقدونية ومنها الكنيسة

القبطية الأرثوذكسية ؟

يحتوى نص قانون الإيمان الذى قدمته اللجنة المفوضة لمجمع خلقدونية على عدة نقاط :

١ ـــ شرح أعضاء اللجنة فى مقدمة هذا الإقرار الإيمانى أن الرب يسوع المسيح كان يعمل دائمًا على تثبيت الحق وإعلان الإيمان الحقيقى لتلاميذه وأتباعه حتى لا يختلفوا فى تعاليمهم وحتى يعيشوا فى سلام وانسجام . على أن الشرير بذر الزوان وسط الحنطة لإخفاء الحقيقة الإلهية ونشر الضلال . وهنا يشير النص إلى المجهود الذى بذله الإمبراطور لعقد هذا المجمع حتى يستطيع أعضاؤه اجتثاث الأعشاب الرديئة ، وطرحها خارجًا للمحافظة على الحنطة .

٢ ـــ أعلنت اللجنة المفوضة بطريقة واضحة وصريحة أن المقياس أو المخبر الذى امتحنت به هذه البذور الرديئة = (الهرطقات) ، والبذور الحسنة = (التعاليم الأرثوذكسية) ، هو الكتب المقدسة وقوانين الآباء . وبناء على ذلك فإن اللجنة المفوضة اقتبست نص قانون الإيمان الذى وضعه الآباء ال ٣١٨ فى نيقية وكذلك نص قانون الإيمان الذى وضعه ال ١٥٠ فى القسطنطينية . كما أنها رجعت إلى الرسالة الثانية للقديس كيرلس إلى نسطوريوس ورسالته إلى يوحنا الأنطاكى : رسالة معاهدة السلام ، وإلى رسالة ليون بابا رومه إلى فلافيانوس رئيس أساقفة القسطنطينية . وهذا يعنى أن اللجنة المفوضة التى كلفت أو قل التى أرغمها الإمبراطور على عمل قانون إيمان جديد أو إيجاد صيغة جديدة أو صيغة محددة واضحة يتفق عليها الجميع ، تمسكت بقرارها وهو عدم عمل قانون جديد للإيمان ولكن بطريقة أنيقة وغير مباشرة ، وربما غير كاملة أيضًا .

فإن المجمع رفض عدة مرات طلب الإمبراطور بعمل صياغة جديدة لقانون الإيمان . وكانت حجته فى ذلك أن الكتب المقدسة والآباء قد أعطوا لنا تحديدًا وافيًا كافيًا ولا داعى لعمل قانون إيمان جديد . ولكن أمام إصرار الإمبراطور قبل المجمع هذا الطلب مرغمًا . على أن اللجنة المفوضة التى كلفت بعمل هذا القانون الجديد حاولت المحافظة على ما طالب به الآباء وهو عدم عمل قانون إيمان جديد ولكن بطريقة غير مباشرة . هذا صحيح واللجنة قدمت قانونًا آخر للإيمان . لكن هذا القانون الذى قدمته اللجنة المفوضة هو عبارة عن تلخيص

للقوانين السابقة ولتعاليم الآباء . لأجل ذلك لم يكتف أعضاء هذه اللجنة بالإشارة فقط إلى هذه القوانين الإيمانية بل اقتبسوها كاملة فى النص . لكى يعلنوا لآباء المجمع أن القانون الإيمانى الذى سوف يقدمون نصه فيما بعد ليس جديدًا بل استمد مادته من الكتب المقدسة ومن تعاليم الآباء .

والجدير بالذكر أن اللجنة المفوضة أعلنت فى تقريرها أنها رجعت إلى رسالتى القديس كيرلس لكى تطمئن المجمع على سلامة العقيدة . فالمجمع نفسه رجع أكثر من مرة فى جلساته إلى تعاليم القديس كيرلس وخاصة إلى رسالته الثانية إلى نسطوريوس ورسالته إلى يوحنا الأنطاكى . ولقد سبق أيضًا أن رجع مجمع القسطنطينية ٤٤٨ ومجمع أفسس الثانى إلى تعاليم القديس كيرلس وكتاباته لحل بعض المشاكل العقائدية الخاصة بشخص المسيح يسوع . فإن تعاليم المعلم المصرى ، القديس كيرلس ، كانت تتمتع بسلطان عظيم فى الشرق وفى الغرب ، لدرجة أن ليون نفسه اقتبس بعضًا من أقواله فى رسالته العقائدية التى أرسلها إلى فلافيانوس .

مما سبق يتضح جليًا بأن اللجنة المفوضة قدمت قانون إيمان قديم جديد : قديم لأنه قدم خلاصة القوانين والتعاليم الخاصة بشخص المسيح . جديد : لأنه صاغ مفاهيم وتعاليم القوانين القديمة وتعاليم الآباء بطريقة جديدة لمعالجة مشكلة كانت تعانى منها كنائس ذلك العصر . ولنحاول الآن دراسة بعض الأجزاء أو بعض محتويات هذا القانون .

مفهوم مجمع خلقدونية لشخص الرب يسوع المسيح :

فى الحقيقة ليس بوسعنا أن نقول « مفهوم مجمع خلقدونية لشخص الرب يسوع المسيح » ، كما لو كان هذا المجمع قدم مفهومًا جديدًا أو تعليمًا جديدًا ، فكما سلفت الإشارة حاول هذا المجمع تقديم التعاليم القديمة التى اتفق عليها الآباء فى صورة جديدة . وبالرغم من ذلك يمكننا أيضًا أن نقول مفهوم مجمع خلقدونية لشخص الرب يسوع المسيح ، فمع أن هذا المجمع حافظ على تقليد الأباء واقتبس أقوالهم إلا أنه حاول أيضًا التوفيق والتنسيق مع هذه الأقوال . لتوفيق وتوحيد بعض أقوال الآباء : كيرلس ماليون ، فلافيانوس ... كان لابد من التغاضى عن المتطرف فيها والتمسك بالمعتدل منها . بهذه الروح المسكونية

ألفت اللجنة قانون الإيمان الجديد الخلقدونى مع رجوعها لأقوال الآباء القديمة والتمسك بها .

منذ بداية هذا المجمع أو حتى قبل نهايته يمكن ملاحظة وجود ثلاثة اتجاهات عقيدية أو على الأقل اتجاهين : التيار العقائدى الأول هو الحزب الذى كان يرأسه ديوسقوروس أو أوطيخا والذى كان يعتقد بأنه كيرلسى ويتمسك بتعليم القديس كيرلس ، ولقد تمسك بعقيدة الطبيعة الواحدة لأنه اعتقد أن معلم الإسكندرية علّم بها .

والتيار الثانى كان يضم الشرقيين وخاصة القسطنطينية وأنطاكية والذين تمسكوا بوجود طبيعتين متميزتين فى المسيح الواحد . إلى هذا الحزب الأخير يمكننا أن نضيف الوفد الرومانى . فإن رسالة ليون العقائدية علّمت بنفس العقيدة التى علّم بها الشرقيون مع اختلافات بسيطة .

فعند دراستنا لقانون إيمان خلقدونية نلاحظ تأثير هذه التيارات العقيدية فى صياغته وتأليفه لأن اللجنة المفوضة التى قامت بتأليفه ضمت جميع الأحزاب . فمع أن أوطيخا وديوسقوروس لم يوجدا فى هذه اللجنة إلا أن منطقة ايليريا وفلسطين كانتا حاضرتين فى ممثليهما .

إن هذا الإقرار الإيمانى يحتوى على عدة قرارات وتصريحات عقيدية فى غاية الأهمية ومنها :

١ ــ رفضه لتعاليم نسطوريوس :

يقول النص : « ... حتى تجاسر بعضهم على إفساد سر تجسد الرب برفضهم استعمال لقب « والدة الإله » للعذراء مريم . وأن الذى ولد من العذراء لم يكن إلا إنسانًا بسيطًا ... وفى حديثه عن رسالة ليون يقول « وهى تقاوم كل من يسعى لتمزيق سر التدبير بقوله بوجود ابنين ... وهذا الاتحاد لم يُلغِ التمييز بين الطبيعتين ... ».

من الواضح الجلى أن المقصود هنا هو نسطوريوس فإن مجمع خلقدونية يوافق هنا على القرار الذى أصدره مجمع أفسس الأول ومجمع أفسس الثانى بحرمان نسطوريوس لأن المجمعين السابقين (أفسس) وكذلك مجمع خلقدونية اعتقدا بأن نسطوريوس علّم بوجود ابنين ومسيحين وبذلك قسم المسيح

الواحد كما أنه رفض لقب والدة الإله للعذراء مريم . والحقيقة أن نسطوريوس لم يقسم المسيح بالمفهوم الذى فهمه خصومه ، وقد سبق شرح ذلك فى عدة مواضع . كما اعتقد البعض أن نسطوريوس رفض لقب والدة الله لمريم . على أن نسطوريوس لم يرفض هذا اللقب رفضًا كاملاً . فمع أنه يفضل لقب أم المسيح ، إلا أنه لا يرفض لقب والدة الإله لتلك التى حملت فى أحشائها أو استقبلت فى أحشائها كلمة الله .[١]

ومن الغريب العجيب أن مجمع خلقدونية حكم بهرطقة نسطوريوس وتعاليمه ، بل أرغم ثيودوريطس الصديق المخلص والحميم لنسطوريوس والذى رفض أن يلفظ بالحرمان ضده أرغمه أن يحرمه علانية . ومع ذلك فإن رسالة ليون وقانون إيمان خلقدونية يحتويان بطريقة واضحة وصريحة على كثير جدًا من تعاليم نسطوريوس . ولا نعنى بذلك أن تعاليم خلقدونية التى تتكلم عن وجود طبيعتين فى المسيح غير أرثوذكسية ، بل نريد أن نقول : إن بعض الأحكام التى صدرت ضد نسطوريوس متهمة إياه بأنه يعلّم بوجود ابنين أو مسيحين هى مفاهيم خاطئة لتعليم نسطوريوس . وإن بعض تعاليمه كانت أرثوذكسية . إن نسطوريوس أراد أن يميز الناسوت عن اللاهوت ، أن يميز : ولا أقول يفصل الله الكلمة عن الإنسان يسوع الناصرى : لأنه قد ظهر فى عصره جماعة خلطت ومزجت الطبيعتين ، ونادت بوجود طبيعة واحدة : « واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد » وهذا صحيح أنه بالغ جدًا فى وصفه لعملية التمييز بين اللاهوت والناسوت ، إلا أنه لم يُنادِ بوجود مسيحين ، بل علّم بوجود طبيعتين فى المسيح الواحد . وهذا ما علّم به مجمع خلقدونية وما علّم به أيضًا البابا ليون فى رسالته إلى فلافيانوس . فإن قانون خلقدونية الذى اقتبس الكثير من رسالة ليون العقائدية يقول : « .. يجب الاعتراف به أنه بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال .وهذا الاتحاد لم يُلغِ التمييز بين الطبيعتين بل إن الطبيعتين مع حفظ كل منهما لخصائصها قد اتحدتا فى شخص واحد غير منقسم أو منفصل إلى شخصين أو أقنومين ، لكنه واحد هو نفسه الابن الوحيد .. »[٢] ويقول ليون فى رسالته العقائدية

---

(١) الدكتور القس حنا جرجس الخضرى . تاريخ الفكر المسيحى المجلد الثانى ص ١٦٠ — ١٦٣ — ١٦٨

(٢) مجموعة الشرع الكنسى ٣٩٧

« وبناء عليه إذ قد حفظ التمييز بين الطبيعتين والجوهرين ، وقد اجتمعا فى الأقنوم الواحد ، اتخذت العظمة التواضع والقوة الضعف والخلود التعرض للموت والطبيعة التى لا يمكن أن يعتريها تغيير اتحدت مع الطبيعة المتغيرة لكى يوفى الدين الذى استوجبته حالتنا ، وصار هو الوسيط الوحيد بين الله والإنسان — الإنسان يسوع المسيح ... ولذلك فبطبيعة الإنسان الحق الكاملة التامة وُلِدَ إله حق كاملاً فى ما كان له وكاملاً فى ما كان لنا ... وهكذا فبسبب الوحدة التى يجب أن تفهم أنها وحدة فى الطبيعتين نقرأ من جهة واحدة أن « ابن الإنسان نزل من السماء » لأن ابن الله اتخذ جسدًا من العذراء التى ولد منها ...[٣]

إن ليون يحاول فى رسالة العقائدية أن يدافع عن وجود الطبيعتين اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح ، ويقدم الأمثلة العديدة جدًا لإثبات هذه الحقيقة . على أنه يحاول أيضًا إثبات حقيقة أن وجود الطبيعتين فى المسيح الواحد لا تلغى بأى حال من الأحوال وحدتهما . إن رساتلة ليون العقائدية لم تحتوِ على شيء جديد .

إن مجمع خلقدونية نبر بشدة على وجود الطبيعتين فى المسيح وبهذا قبل تعاليم ليون الخاصة بوجود الطبيعتين وهى نفس التعاليم التى علم بها نسطوريوس بطريقة مبالغ فيها . ولهذا قلنا سابقًا بأنه من الغريب العجيب أن مجمع خلقدونية حكم بحرمان تعاليم نسطوريوس الازدواجية التى قبلها المجمع نفسه .

٢ — رفضه لتعاليم أوطيخا :

إذا كان مجمع أفسس الثانى قد جند كل قواه السياسية والدينية لإرجاع الأرشمندريت أوطيخا إلى منصبه ، فيمكن القول أيضًا إن قادة مجمع خلقدونية قد وضعوا فى قلوبهم حتى قبل أن يجتمع المجمع أن يُخلَع ويُحرَم أوطيخا من منصبه إن لم يرجع عن تعاليمه . فإن ليون حكم بهرطقته وضلال تعليمه فى الرسالة التى أرسلها إلى فلافيانوس عندما قال « إن أفتيسشيوس (أوطيخا) الذى كان يستحق فى مظهره أن يكرم بلقب كاهن قد بان الآن أنه خالٍ من الإدراك والخبرة فانطبقت عليه كلمات النبى (مز ٣٥: ٣—٤) .... ولكنكم

---

(٣) مجموعة الشرع الكنسى ص ٣٨٤ — ٣٩١

أثناء فحصكم أفتيسثيوس (أوطيخا) سألتموه فأجاب : « إنى أعترف بأن الرب كان ذا طبيعتين قبل الاتحاد ، ولكنى أعترف بطبيعة واحدة بعد الإتحاد » وإنى لأدهش كيف لم يوبخه أحد القضاة على اعتراف كهذا لأنه من لغو الكلام القول بأن الكلمة قد صار جسدًا لم يكن فيه إلا طبيعة واحدة ...(٤)

فمن الواضح أن النية كانت متجهة حتى قبل أن يعقد المجمع إلى عزل أوطيخا ومحاكمة ديوسقوروس ، وهذا هو ما تمّ فعلاً . وكما أن ليون حكم على أوطيخا بالهرطقة مسبقًا بناء على تعاليمه ، فإن مجمع خلقدونية حكم على تعاليمه بعد فحصها . وتقرير مجمع خلقدونية يقول « فى حين أخذ آخرون فى إحداث تشويش وخلط إذ ارتأوا دون أن يفكروا ، أن الطبيعتين الإلهية والبشرية هما طبيعة واحدة ، زاعمين أن الطبيعة الإلهية باختلاطها مع الطبيعة البشرية صارت قابلة للآلام ... » وتنبذ من المجمع المقدس المتجاسرين على القول بأن لاهوت الابن الوحيد قابل للآلام . وتعارض كل من يتصور حدوث اختلاط أو تشويش فى طبيعتى المسيح وتنبذ الذين يخيل لهم أن صورته كعبد هى من جوهر سماوى لا من طبيعة غير الطبيعة المأخوذة منا وتبسل (تحرم) الذين يتحدثون بحماقة عن طبيعتين لربنا قبل الاتحاد متوهمين أنه بعد الاتحاد لم تكن هناك إلا طبيعة واحدة ... إنه (يسوع المسيح) بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال . وهذا الاتحاد لم يُلغِ التمييز بين الطبيعتين بل إن الطبيعتين مع حفظ كل منهما لخصائصها قد اتحدتا فى شخص واحد ...(٥)

بهذه العبارات التى اقتبسناها من قانون إيمان خلقدونية يحكم هذا المجمع بهرطقة وانحراف أوطيخا . ومما لاشك فيه أن تعاليم رئيس دير القسطنطينية لم تكن أرثوذكسية . على أى حال لم يكن أوطيخا معلمًا ، بل للأسف الشديد كان متعصبًا ضيق الفكر ، ويكاد أن يكون جاهلاً أحمق رفضه المجمع ورفض تعاليمه .

من هنا نرى أن مجمع خلقدونية رفض تعاليم نسطوريوس التى رأى فيها تقسيمًا لشخص المسي الواحد كما أنه رفض تعاليم أوطيخا الذى دمج وخلط

---

(٤) مجموعة الشرع الكنسى ٣٨٤ ، ٣٩٠

(5) Hefele 2. 721-725; Mansi 7. 907; Hardouin 2. 451

مجموعة الشرع الكنسى ٣٩٦ — ٣٩٧

الطبيعتين . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو الآتى :

هل قدم مجمع خلقدونية تعليمًا جديدًا أو مختلفًا عن التعاليم السابقة الموجودة ؟

كل من يدرس بتدقيق قانون إيمان مجمع خلقدونية لا يجد فيه تجديدًا أو اختلافًا عن التعاليم التى علّم بها الآباء سابقًا . فإن الآباء الذين اختارهم المجمع لتكوين لجنة صياغة قانون إيمان خلقدونى وضعت أمامها قانون إيمان نيقية والقسطنطينية وتعاليم كيرلس ورسالة فلافيانوس فى مجمع القسطنطينية ٤٤٨ ، ورسالة ليون إلى فلافيانوس . من هذه المصادر كلها استوحت واستقت اللجنة مواد قانون الإيمان الذى قدمته للمجمع ، لأن هذه اللجنة لم ترد أن تقدم شيئًا جديدًا كما سلفت الإشارة إلى ذلك .

وبالرغم من ذلك فإن اللجنة قدمت أسلوبًا أو طريقة جديدة . فما هى المحاولة أو التجديد الذى قامت به هذه اللجنة ؟

لابد وأن اللجنة التى وضعت أمامها النصوص التى ذكرناها آنفًا ، فكرت جديًا أنها ستقدم قانون إيمان إلى مجمع يتكون من أحزاب مختلفة : حزب ثيودوريطس الكورشى الذى يتمسك بتمييز الطبيعتين والأغلبية الساحقة من الأنطاكيين ، وكذلك حزب أوطيخا وديوسقوروس والفلسطينيين ... الذين يعتقدون بأن كيرلس علّم بوجود طبيعة واحدة . درست اللجنة هذه النصوص كلها وحاولت أن تصوغ قانون إيمان موحد يوافق تعاليم كيرلس وتعاليم الشرقيين وتعاليم ليون .

إن المشكلة العقائدية الكبرى الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح فى الصراع العنيف بين كيرلس ونسطوريوس كانت مشكلة الطبيعة الواحدة والطبيعتين . فعندما كان كيرلس يتكلم عن الوحدة فى المسيح أو وحدة الطبيعتين اللاهوت والناسوت فى الشخص الواحد ، كان القارىء يشعر فى كثير من الأحيان كما لو كان كيرلس يعلّم بوجود طبيعة واحدة فى المسيح . وذلك لأنه كان يقاوم الإزدواجية المتطرفة التى كان ينادى بها نسطوريوس . وفى حقيقة الأمر أنه كان يؤمن بوجود طبيعتين فى المسيح الواحد . إلا أنه نبّر بشدة تكرارًا ومرارًا على الوحدة أكثر من تنبيره على تمييز الطبيعتين

المتحدتين . وعندما كان نسطوريوس يتكلم عن تمييز الطبيعتين الواحدة عن الأخرى كان يشعر القارىء بأن كل طبيعة متميزة تمامًا فى خواصها وتصرفاتها كما لو كانتا طبيعتين منفصلتين . ومن هنا نتج الخطأ أو سوء التفاهم بين كيرلس وبين نسطوريوس . إن كيرلس كان يؤمن بوجود طبيعتين : اللاهوت والناسوت . على أنه كان يفضل التحدث عن الإتحاد القوى العميق بين الطبيعتين وأمل نوعًا ما التحدث عن تمييز الطبيعتين الأمر الذى رأى فيه نسطوريوس دمجًا وخلطًا للطبيعتين . وأما نسطوريوس فكان يفضل هو أيضًا التحدث عن تمييز الطبيعتين الواحدة عن الأخرى بطريقة واضحة وصريحة ، الأمر الذى رأى فيه كيرلس ازدواجية ليس فقط للطبيعتين ، بل لابن الله أيضًا .

وهنا يأتى الدور المهم الذى قامت به هذه اللجنة فقدمت للمجمع الذى يتكون من أحزاب مختلفة ، قانون إيمان يعترف بمسيح واحد ورب واحد وابن واحد حيث يقول « نعلّم برأى واحد أن الابن (ابن الله) ربنا يسوع المسيح يجب الاعتراف به بأنه هو نفسه واحد . فلقد نبَّر النص مشددًا على وحدة الابن : « لا يوجد ابنان أو مسيحان أو سيدان بل مسيح واحد وسيد واحد . إن هذه العقيدة عزيزة جدًا وثمينة جدًا على قلب كيرلس وأتباعه . إن مجمع خلقدونية لم يثبت فقط تعاليم كيرلس عن الوحدة القوية العميقة فى الابن بل رجع إلى رسائله وخاصة رسالته إلى يوحنا الأنطاكى كوثائق استند إليها فى صياغة هذه العقيدة . فإن كان القانون الخلقدونى قد شدد على وحدة المسيح الواحد كما علّم بذلك القديس كيرلس ، فإنه شدد أيضًا على حقيقة وجود الطبيعتين فى المسيح الواحد . إن كيرلس يتكلم عن الوحدة العميقة الطبيعية « هيبوستاتيك » والشرقيون وكذلك ليون يتكلمون عن تمييز هاتين الطبيعتين . وقبل المجمع هذا التمييز وليس الفصل بين الطبيعتين . ونجد فى النص أربع كلمات تصف لنا عملية الاتحاد والتمييز فى الطبيعتين فيقول : « ... إنه بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال . وهذا الاتحاد لم يُلغِ التمييز بين الطبيعتين .. »

إن قانون إيمان خلقدونية يقبل إذن حقيقتين فى غاية الأهمية عن شخص الرب يسوع المسيح :

١ ــ أن الرب يسوع المسيح الابن الوحيد هو أقنوم واحد ورب واحد وسيد واحد .
٢ ــ أن الرب يسوع المسيح بطبيعتين . وتجنب القانون عبارة من طبيعتين حتى يبعد فكر أوطيخا الذى كان يعلّم بأن المسيح كان مكونًا من طبيعتين قبل التجسد ومن طبيعة واحدة بعد التجسد .

ومن هنا يتضح أن قانون إيمان خلقدونية أو بالمعنى الأصح أن النص الخلقدونى اعترف بوجود رب واحد وابن واحد وسيد واحد بطبيعتين متميزتين الواحدة عن الأخرى ، اللاهوت والناسوت ، وأن كل طبيعة تحتفظ بكيانها وصفاتها من قوة وضعف . فاللاهوت كان مختفيًا فى الناسوت . وكان اللاهوت يقوم بعمل المعجزات والقوات . إن اللاهوت سكن فى خيمة أو فى جسد ضعيف يعطش ويجوع ويأكل ويشرب ويتألم ويموت ، واللاهوت يقيم ذلك الجسد من الموت . كان الله فعلاً وحقًا ساكنًا فى هذا الناسوت « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » . فلقد كان إلهًا حقًا وإنسانًا حقًا . إن التجديد الذى قدمه هذا القانون الإيمانى هو أنه ينبر بشدة على بعض التعاليم التى تمسك بها الطرفان مثل الاتحاد القوى العميق : الهيبوستاتيكى ، الذى علّم به كيرلس ، وفى الوقت نفسه نبّر بشدة أيضًا على التمييز بين الطبيعتين : العقيدة التى تمسك بها الشرقيون .

إن النص الذى وقع عليه أباء خلقدونية يقدم لنا مسيحًا واحدًا وسيدًا واحدًا بنًا واحدًا وحيدًا ، مساويًا للآب فى الجوهر والأزلية « .. مساوٍ للآب فى اللاهوت ... مولود من أبيه قبل كل الدهور بحسب اللاهوت ... » فإن هذا الابن هو ابن حقيقى طبيعى من ذات ومن جوهر الله الآب ، وهو موجود معه قبل كل الدهور ، فإن الابن كان موجودًا منذ وجود الآب وإن وجوده سابق لكل وجود . وبهذا فإن النص يرفض تعاليم أريوس التى تعلّم بأنه فى وقت ما لم يكن الابن موجودًا . وأن هذا الابن عينه الذى كان موجودًا منذ الأزل وقبل كل الدهور هو من نفس وذات جوهر الآب ، فإن كليهما من جوهر واحد ولاهوت واحد : إنه إله حق تام فى اللاهوت . وهذا يعنى أن لاهوته هو من ذات ومن جوهر لاهوت الآب . وبهذا يرفض النص التعاليم التى نادى بها أيضًا أريوس والتى تضع لاهوت المسيح فى درجة أقل من لاهوت

الآب ، لأنه علّم بإمكانة القول بأن المسيح إله ولكن لاهوته ليس من ذات جوهر لاهوت الله الآب . فإن كان هذا الإقرار الإيمانى يعترف بأزلية الابن وبمساواة جوهره لجوهر الآب ، فإنه يعترف أيضًا ببنوية الابن الطبيعية . فإنه تكرر عدة مرات عبارة الابن الوحيد .. لم يكن إنسانًا بسيطًا . وبهذا فهو يريد أن يؤكد أن الكلمة المتجسد فى يسوع المسيح هو ابن الله وابن الله بالطبيعة . فإن يسوع المسيح لم يصر عن طريق تقواه وطاعته لله ومحبته للبشر وخدمته لهم ولا حتى عن طريق موته وقيامته من الأموات ابنًا لله بل قبل أن يولد ويعيش ويموت وسط البشر كان إلهًا وابنًا حقيقيًا طبيعيًا من ذات طبيعة الآب .

إن هذا الإقرار ينفى أيضًا التعاليم التى علّمت بأن يسوع المسيح صار ابنًا لله عن طريق التبنى وليس بالطبيعة . إن نص إيمان خلقدونية شدّد كثيرًا جدًا على لاهوت المسيح وعلى أزلية الكلمة . على أن الابن هو ابن طبيعى حقيقى من ذات ومن جوهر الله الآب . كانت هذه الأمور أى اللاهوت من العقائد الأساسية والجوهرية التى علّمت بها كنيسة الإسكندرية والتى تمسك بها القديس كيرلس .

على أن النص الخلقدونى الذى يقدم لنا المسيح الواحد الوحيد الابن الطبيعى لله الآب كإله حق ، كامل فى لاهوته ومساوٍ للآب فى الجوهر ، يقدمه لنا كإنسان حق ».... أى تام فى اللاهوت وتام فى الناسوت ... ومساوٍ لنا فى الناسوت ، وهو مثلنا فى كل شىء ما خلا الخطية ... ولد من العذراء مريم والدة الإله بحسب الناسوت .. »

وهنا نرى واضحًا الازدواجية التى يتكلم عنها الرسول بولس فى بعض رسائله « الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله . لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا فى شبه الناس ... » (فى ٢: ٥ــ١١، يو ١: ١ــ٢ و١٧، تك ١: ٢٧، ٥: ١) فإن ذلك الذى كان فى صورة الله قبل أن يكون عبدًا ويعيش كعبد ، الله الكلمة فى عظمته وجلاله وقدرته ، تنازل وتجسد فى بطن مريم القديسة فاتحد اللاهوت الأزلى بالناسوت وولد وظهر على أرضنا كإنسان ضعيف « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد .. » (١تيمو ٣: ١٦).

فمع أن الإقرار يقدم لنا مسيحًا واحدًا وحيدًا وابنًا واحدًا ، إلا أن هذا الابن هذا المسيح الواحد مزدوج الطبيعة كان إلهًا كاملاً ، وإلهًا حقًا ، وفى نفس الوقت كان إنسانًا كاملاً بكل ما تحمله كلمة إنسان من معنى . فلقد اجتاز فى كل أنواع التجارب التى يجتاز فيها الإنسان بدون استثناء ، إلا أنه استطاع أن يتغلب على كل هذه التجارب أيضًا بكل أنواعها بلا استثناء . وكان المسيح مثلنا من ناحية الناسوت أو من الناحية البشرية ، تعرض لهجمات الطبيعة ولميولها ورغباتها المختلفة المتنوعة ، لأنه كان فعلاً إنسانًا وإنسانًا حقيقيًا ، لكن كان الفرق واسعًا شاسعًا بين سلوك الإنسان يسوع المسيح وسلوك الإنسان العادى . فإن الإنسان يسوع المسيح كان طاهرًا فى سلوكه وحياته وتصرفاته ، أمينًا لله الآب وللإرسالية التى أرسل من أجلها . وقد استطاع أن يفعل وأن ينجز فى كل لحظة من لحظات حياته ما لم يستطع الإنسان المجدد العادى أن يفعله إلا فى بعض لحظات من حياته . كما أنه لم يفعل ولا فى لحظة واحدة ما يفعله الإنسان ويعيش فيه فى كل لحظات حياته : يعنى الخطية . فهو الفريد الوحيد فى كل تاريخ البشرية الذى استطاع أن يقول وبحق « من منكم يبكتنى على خطية » (يو ٨: ٤٦) ولهذا السبب فإن إقرار إيمان خلقدونية يقول « .. وهو مثلنا فى كل شيء ما خلا الخطية ... » كان إنسانًا كاملاً وكان إلهًا كاملاً : كان المسيح مكونًا من طبيعتين مختلفتين متميزتين الواحدة عن الأخرى : اللاهوت والناسوت . اتحدت هاتان الطبيعتان باتحاد قوى عميق الذى أسماه القديس كيرلس اتحاد أقنومى أو جوهرى (هيبوستاتيكى) يعنى بدون انفصال أو اتحاد عضوى . فإن هذا الاتحاد لا يلغى بأى حال من الأحوال الإزدواجية أو تلاشى الطبيعتين وأن وجود الطبيعتين معًا الواحدة متحدة بالأخرى لا يلاشى أو يزيل أحدهما . والقديس كيرلس يقول فى الرسالة الثانية إلى نسطوريوس « .. لأن هذا الاتحاد لم ينزع الفرق بين الطبيعتين بل بالأحرى إن اللاهوت والناسوت جعلا لنا السيد الواحد يسوع المسيح كاملاً باتحادهما[٦] ويقول فى نفس الرسالة إن الطبيعتين اللتين اقترنتا الواحدة من الأخرى لتكوين وحدة حقيقية مختلفتان ولكن نتج من الاثنين ابن واحد ومسيح واحد . وهذا لا يعنى بأن الفرق بين الطبيعتين قد زال أو تلاشى بسبب الاتحاد ... ونحن نعتقد بأن الطبيعتين اتحدتا باتحاد لا يعرف الانفكاك ، بدون

---

(6) Quasten 202-203, EP. 4

اختلاط أو تغيير ...(٧)

إن إقرار الإيمان الذى قدمته اللجنة المفوضة ، أبرز بطريقة واضحة جلية وجود الوحدة الجوهرية فى المسيح كما علمها القديس كيرلس ، ثم وجود الطبيعتين المتميزتين الواحدة عن الأخرى ، العقيدة التى لم يرفضها القديس كيرلس ولكنه لم يشدد على فكرة التمييز خوفًا من الفصل ، وهى العقيدة — (عقيدة ازدواجية الطبيعة) — التى تمسك بها كثيرًا الشرقيون والبابا ليون . فإن الشرقيين ورسالة ليون يتمسكون بعقيدة ازدواجية الطبيعة لكن هذه الازدواجية لا تعنى تقسيم المسيح إلى اثنين أو فصل اللاهوت عن الناسوت .

إن الاتحاد الذى تم فى عملية التجسد ، بحسب مجمع خلقدونية هو اتحاد بدون اختلاط أو تحول ولا انقسام ولا انفصال . إن اللاهوت الكلمة ظل الكلمة : اللوغوس ، لكن هذا الإله العظيم تنازل وتجسد فى الإنسان ، ومع ذلك ظل إلهًا كما كان قبل التجسد ، ولم يحدث أى تغيير فى جوهره . كما أن الناسوت ظل ناسوتًا : بشرًا مثل كل البشر ولم يتحول إلى لاهوت : فلم يترك اللاهوت لاهوته لكى يصير إنسانًا ولم يتأله الناسوت لكى يتحد باللاهوت ، بل احتفظت كل طبيعة من الطبيعتين بخواصها ومميزاتها وصفاتها بعد عملية التجسد . على أن كل طبيعة اشتركت مع الأخرى فى بعض خواصها فى المجد والضعف ، فى الشرف والإهانة . فيمكن أن يقال إنهم صلبوا رب المجد : لأن الإنسان يسوع الذى تألم وصلب ومات كان رب المجد ساكنًا فيه ومتحدًا به ولقد كان الاتحاد قويًا عميقًا وجوهريًا كما لو كان اللاهوت الذى هو غير قابل للآلام ، يتألم فى جسده الخاضع للآلام .

باختصار يمكننا أن نقول إن إقرار مجمع خلقدونية يعترف بوجود مسيح واحد ورب واحد وسيد واحد وابن واحد ذى طبيعتين مختلفتين : اللاهوت — الكلمة والناسوت ، وهاتان الطبيعتان المختلفتان فى الجوهر تكونا مسيحًا واحدًا وأقنومًا : وهو الأقنوم الثانى فى الثالوث الذى له مع الأب والروح القدس كل عز وسجود وتعبد واكرام وخضوع من الآن وإلى الأبد أمين .

---

(8) P. G. 77. 45 c,b

لدراسة موضوع قانون مجمع خلقدونية الرجا دراسة :

Hefele 2. 721-731; Mansi 7. 107;

Hardouin 2. 451; Mansi 7.118, 455,......... 455; 643 Tillemont

Mémoire T. 15. 714....., J. Liebaert, Hist. des Dog... 216-222;

Camelot 138-154; Duchesne

vol. 3, 306-309; kelly 348-352; Tixeront, T. 3. 95-98;

Bardy 235-237; A. Grillmeier 550-559; P, Schaff 3. 744-762;

John Owen v. 1, 220-230; W. P. Dubose, S. T. D. 252-266;

A. Harnack, Précis de L' histoire, 218-220; K. Baus 114-122;

Ed. Roch; Hardy, vol. 3, 359-374; Nicene and Post Nicene Fathers,

Series 2, vol. 14, pp. 262-265; J. R. Palanque et Chelini, 50-59;

J. M. A. Salles-Dabadie; 134-142; F. Bonifas 2. 132-135;

J. Turmel 2. 364-371; W. Moeller, Hist. of the Christian Church, 420-422; Dic Theo. Cath
Tome 2. 2190-2204, series editor.

W. G. Rusch, Souces of Early Christian Thought, 131-159;

P. Galtier, St. Cyr, d' Alex... et St. Léon Le Gr, A Chalcedoine, 345-378.

مجموعة الشرع الكنسى . حنانيا الياس كساب ٣٨٠ ــ ٣٩٩ ،

علم اللاهوت النظامى ١٧٦ ــ ١٧٧ ، خريسوستمس بابا دوبولس . تعريب الأسقف أستفانس حداد
٢٩٥ ــ ٣٠٤

أنطونيوس الدويرى . موجز تاريخ الكنيسة ٨ ــ ١٠ ، القمص كيرلس الأنطونى ٢٠٦ ــ ٢١٢
الشماس منسى القمص ٣١٥ ــ ٣١٩ ، د. أسد رستم . الجزء الأول ٣٤٢ ــ ٣٤٣

الخاتمة :

لقد رأينا فى دراساتنا العقائدية التاريخية لشخص الرب يسوع المسيح عبر الأجيال ، فى المجلدين السابقين وفى هذا المجلد أيضًا ، أن التلاميذ ، وكذلك الكنيسة الأولى ، والآباء الرسوليين ، وآباء القرون التالية ، وكل كنيسة وجماعة وفرد ، حاولوا بطريقة أو بأخرى الإجابة على سؤال المسيح لتلاميذه فى قيصرية فيلبس ، « من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان » . وفى محاولتهم الإجابة على هذا السؤال قدموا لنا تحليلات بيولوجية وميتافيزقية ونفسية وتاريخية ولغوية عن شخص الرب يسوع المسيح . وفى تقديمهم لهذه الدراسات ، وفى مناقشاتهم فى المجامع المحلية والمسكونية ، اختلفوا فى الرأى ، ولم يتفقوا على عقيدة واحدة موحدة . فكانت أجوبتهم على سؤال الرب يسوع المسيح متنوعة متعددة . فإن البعض رأى فى السيد إنسانًا وإنسانًا فقط ، فقال : « أنت يسوع الناصرى ابن يوسف ومريم : النبى الذى جاء لكى يقود الناس إلى طريق الحق » . والبعض الآخر أجاب قائلاً : « أنت اللوغوس الذى نزل من السماء ، أنت إله مترفع عن كل خطية وشر ، غير مادى ، ولا صلة لك بالماديات حتى ولو كنت تظهر لنا فى جسد يشبه الجسد المادى .....

أما البعض الآخر فقد رأى فيه نبيًا ، لا بل أعظم من نبى ، عاش حياة القداسة والبر والطاعة الكاملة لله. ولذلك فقد رفعه الله إلى درجة اللاهوت ، وأعلن أنه ابنه الوحيد ، وأرسل عليه روحه القدوس عندما تعمد . ومن هذه اللحظة صار يسوع ابنًا لله بالتبنى .

وهناك جماعة أخرى رأت وترى فى المسيح مصلحًا اجتماعيًا أو فيلسوفًا ، أو معلمًا أو رائدًا فى الفكر . على أن البعض الآخر وعلى رأسهم القديس العظيم بطرس ، أجابوا بالقول « أنت المسيح ابن الله الحى » . « عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد ».

فبسبب هذه الإجابات الكثيرة المتنوعة المختلفة حول شخص الرب يسوع المسيح ، ظهرت التعاليم العديدة والمذاهب الكثيرة . فكل مدرسة أو طائفة أو كل معلم عقائد ، من هؤلاء المعلمين ، كان يعتقد مخلصًا أنه يعلم التعاليم الأرثوذكسية ، متهمًا بالهرطقة كل من يخالفه فى الرأى والعقيدة والتعليم .

ولأجل هذا السبب ثارت المناقشات فالإختلافات فالصراع العنيف المرير القاسى . عندئذ اجتمعت المجامع المحلية والمسكونية لحل هذه المشاكل العقائدية . لكن للأسف الشديد كان كل حزب أو طائفة من هذه الطوائف متمسكًا فى كثير من الأحيان لأسباب سياسية وعنصرية ، وشخصية وعقائدية أيضًا ، ببعض الآراء التعليمية ، فلم يَحِد عنها ولا قيد أنملة . ومن هنا تحولت الاختلافات العقائدية إلى انقسامات وانشقاقات مريرة قاسية مزقت جسد المسيح الواحد إلى أحزاب وطوائف يحارب بعضها بعضًا .

وفى ختام هذا الكتاب أود أن أقدم بعض الملاحظات :

١ ــ فى دراستنا لتاريخ التعاليم الخاصة بشخص الرب يسوع عبر الأجيال ، لاحظنا أنه فى أحيان كثيرة ، عندما كان يقوم معلم بتقديم مفهومه الكرستولوجى ، كان يظهر معلم آخر لمقاومة هذا التعليم ، لأنه رأى فى مفهوم الأول هرطقة عقائدية وعدم استقامة فى التعليم . وفى مقاومته للمعلم السابق يسقط هو نفسه فى هرطقة أخرى . وعندئذ يظهر معلم ثالث أو جماعة أخرى تؤيد الأول وتتمسك بتعاليمه وتنادى بها . فتتمسك كل جماعة أو طائفة من هذه الطوائف بمفاهيمها العقائدية ومن هذه الطوائف تخرج طوائف أخرى ومدارس أخرى مدافعة عن تعاليمها ومفاهيمها لشخص الرب يسوع المسيح ، وفى دفاعها عن مفهومها وتعاليمها تنزلق هى أيضًا فى هرطقة أخرى جديدة . وهنا يظهر معلم آخر أو طائفة أخرى جديدة من المعلمين لمقاومة هذه الهرطقة الجديدة أو التعاليم غير الأرثوذكسية ، وحتى هذه الأخيرة التى حاولت التمسك بالتعاليم الأرثوذكسية ، وقاومت الهرطقات انزلقت هى أيضًا ، دون أن تعلم ، إلى بعض الهرطقات . وبناء على ذلك يمكننا القول إن مقاومة الهرطقة بطريقة عصبية طائفية غير حكيمة ومجردة من المحبة المسيحية والحوار المخلص الأمين يمكن أن يقود بالتالى إلى هرطقة أخرى أبشع وأفظع من الأولى .

٢ ــ لقد انتقد بعض العلماء والدارسين ما حدث فى مجمع أفسس الثانى ، ولقد وصفه البابا ليون الأول بأنه مجمع قراصنة . والدارس لتفاصيل هذا المجمع يلاحظ الموقف المتحيز وغير العادل الذى اتخذه الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى والسلطات الحاكمة فى تشكيل أعضاء هذا المجمع . إذ أن الأغلبية الساحقة من أعضائه كانت من المؤيدين لديوسقوروس وأوطيخا . ولذلك أعيد أوطيخا

إلى منصبه بفضل نفوذ السلطة الحاكمة وديوسقوروس . وهنا نتساءل : ألم يحدث تقريبًا نفس الشيء فى مجمع خلقدونية وفى تصرفات الإمبراطور ماركيانوس والإمبراطورة بولخارى بتدخلهما المباشر وغير المباشر فى قرارات مجمع خلقدونية !!!!؟

ولذلك فإننى أدعو الكنائس الخلقدونية والكنائس غير الخلقدونية إلى دراسة الأسباب الحقيقية والعقائدية والسياسية « والنعرات » العنصرية ، والمصالح الشخصية ، التى دفعت الكثيرين إلى التخاصم ، ثم الانشقاق . وإنى لواثق أنه إذا درست الكنائس التى قبلت والكنائس التى لم تقبل قرارات مجمع خلقدونية ، والأسباب الحقيقية التى أشرنا إليها هنا ، سوف يتضح لها جليًا أن معظم الأسباب التى أدت إلى هذا الانقسام المرير الذى نعيشه ونقاسى منه الآن ، كانت أسبابًا شخصية محلية . وأنا لا أقول إنه لم توجد ولا توجد اختلافات عقائدية مهمة ، لكنى مع هذا أستطيع أن أقول إن هذه الاختلافات العقائدية هى ضخمة جدًا ومريعة جدًا ، ومحزنة جدًا ، عندما يتحدث عنها كل طرف منفصلاً عن الآخر . لكن عندما يدرس كل طرف بأمانة علمية دقيقة ومجردة من « النعرة » المذهبية وبمحبة صادقة وبلا رياء ، الأسباب الحقيقية التى فصلت ومازالت تفصل ليس فقط الكنائس الخلقدونية وغير الخلقدونية ، بل والكنائس الإنجيلية أيضًا ، سوف يكتشف أن التعاليم التى نتفق عليها جميعًا هى أكثر بكثير جدًا من التعاليم التى نختلف حولها . وحتى هذه التعاليم التى لا نتفق عليها والتى يدور حولها الخلاف والجدل يمكن التغلب عليها إذا قبلنا حوارًا مسكونيًا نزيهًا هدفه مجد الرب وحده وليس مجد الكنيسة .

٣ ــ إن مشكلتنا فى الحوار المسكونى الحالى ، وخاصة فى الشرق ، أن كل واحد يحاول كسب الآخر إلى جانبه . إن الكثير من الطوائف الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية تعتقد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أنها تملك الحق والحق كله . إن الحوار المسكونى الصحيح المخلص هو أن يدرس كل منا بطريقة علمية ودقيقة وأمينة أخطاءه العقائدية والكتابية ويعترف بها ، وأن يدرس أيضًا بنفس الطريقة التعاليم الصحيحة الأرثوذكسية التى يتمسك بها الآخر ويعترف بها ، دون أن يهمل طبعًا التعاليم الصحيحة التى تعلم بها كنيسته .

٤ ــ إن الوحدة الحقيقية لا تعنى زوال الكنائس الحالية وتكوين كنيسة واحدة كاثوليكية أو أرثوذكسية أو بروتستانتية . بل إن الوحدة الحقيقية هى أن هذه الكنائس المختلفة المتعددة ، والتى تسيطر عليها وفيها تيارات عقائدية وفكرية كثيرة متنوعة ، تعمل معًا على انتشار ملكوت الله وسيادة الرب يسوع المسيح على عالم مضطرب قلق ، وعلى تنفيذ مقاصد الله الصالحة لسعادة الإنسان هنا على الأرض أولاً وقيادته للحصول على الحياة الأبدية أخيرًا ، لأن سيدنا قد جاء لكى تكون لنا حياة وتكون لنا حياة أفضل .

٥ ــ إن الذى يدرس بتدقيق الصراع العقائدى وظهور التعاليم الكثيرة المتنوعة الخاصة بشخص الرب يسوع المسيح من القرن الأول إلى القرن الخامس ، يلاحظ أن كثيرين من المعلمين الذين ظهروا فى هذه الحقبة من الزمان ، حاول كل منهم أن يستخدم كل الوسائل العلمية وغير العلمية ، لكى يقدم تعاليمه . وفى بعض الأحيان يفرضها على الآخر . وبناء على ذلك فإن كل معلم كان يجتهد كل الإجتهاد فى تنفيد ورفض تعاليم الآخر ، ومبينًا فى نفس الوقت أرثوذكسية تعاليمه . ولقد قدم الآباء المعلمون أرثوذكسيين كانوا أو مدعى الأرثوذكسية ، تفسيرات عديدة وتحليلات دقيقة ، عن شخص الرب يسوع المسيح ، هل هو إنسان أم إله ؟ هل حُبِلَ به بطريقة معجزية أم بطريقة طبيعية ؟ هل هو موجود مع الآب منذ الأزل أم له بداية ؟ هل يتكون المسيح من طبيعة واحدة أو من طبيعتين ...؟ لقد تعرضوا لهذه الأسئلة ولأسئلة كثيرة أخرى تمس الناحية العقائدية وقدموا لها حلولاً كثيرة أيضًا . وعقدت المجامع لكى تحكم بأرثوذكسية التعاليم الأرثوذكسية وبهرطقة التعاليم غير الأرثوذكسية . وكان هذا الأمر ضروريًا ونافعًا جدًا للمحافظة على التعاليم الصحيحة الأرثوذكسية التى سلمها الرسل القديسون للكنيسة . وعلى الكنيسة أن تحافظ بدورها على هذه التعاليم الإنجيلية وتسلمها للأجيال اللاحقة . لكن الأمر المحزن المؤلم ، هو أن كثيرين من هؤلاء المعلمين والمجامع المحلية والمسكونية بذلوا مجهودات ضخمة ، لكى يبحثوا فى أمور عقائدية ذهنية فلسفية نظرية ، وهى بلا شك أمور فى غاية الأهمية من الناحية العقائدية ، لكنهم أهملوا الناحية العملية التى كانت ومازالت تمس كل إنسان . أهملوا تقديم يسوع المسيح كمخلص للعالم . فقد اهتموا بالناحية العقائدية ونسوا الناحية الكرازية . صحيح أن بعضهم قدم لنا صيغًا عقائدية تنم عن تفكير عميق ناضج ، وبحث دقيق ،

وتعاليم أرثوذكسية لا غبار عليها ، لكن الدارس لبعض هذه الصيغ الإيمانية أو التعاليم العقائدية ، يشعر بأنها صيغ إيمانية تحليلية جافة خالية من الروحيات فى بعض الأحيان . فلقد صب بعضهم همه فى المحافظة على سلامة التعليم وأرثوذكسيته ، وأهملوا الناحية الروحية والتدقيق فى الحياة العملية والسلوك أو نشر بشارة الخلاص للعالم .

٦ — لاشك فى أن تعاليم الآباء كنز عظيم وميراث تفخر وتتمسك به الكنيسة فى الشرق وفى الغرب . وعلى الكنائس الإنجيلية أن تعلن حقها بصوت عالٍ أنها هى أيضًا وارثة لهذا التراث . وليس من حق الكنائس التقليدية كاثوليكية كانت أم أرثوذكسية ، أن تحتكر لنفسها وحدها هذا الشرف العظيم ، فإن الكنائس الإنجيلية تقبل تعاليم وتقاليد الآباء التى لا تتعارض والكتاب المقدس . فعلى كنائسنا الإنجيلية أن تَعْلم وتُعَلِّم أيضًا ، بأن آباء الكنيسة كانوا كسحابة شهود استطاعوا بنعمة الله العاملة فيهم أن يقدموا فى العصور الغابرة شهادة حية قوية عن شخص الرب يسوع المسيح لأن الله فى محبته العظيمة التى تفوق كل فكر وإدراك ، كان وظل وسيظل أمينًا لنا نحن البشر بالرغم من عدم أمانتنا ، لأن عدم أمانتنا لا تبطل أمانة الله . ولذلك ، وبسبب أمانته ، فقد أرسل الأنبياء وفى آخر الأيام أرسل ابنه الحبيب ، ويرسل بطرق مختلفة أناسًا أمثال الرسل ، وبعد ذلك يستخدم الآباء أمثال إغناطيوس الأنطاكى ، وأكليمندس الرومانى ، وبوليكاربوس وأريناوس ديوستينوس الشهيد ، وأكليمندس الإسكندرى ، وأغسطينوس ، وترتليانوس ، وأثناسيوس ، وكيرلس ووكلف وجون هس ، ولوثر ويوحنا كلفن وزوينجلى ووسلى ، وآخرين أيضًا . لأن الله لا يترك نفسه بدون شاهد .

٧ — إن مسيحنا مسيح واحد ورب واحد وسيد واحد لم ينقسم ولم يتجزأ ، ولكنّ المسيحيين فى انشقاقاتهم وانقساماتهم ومعاركهم العقائدية والسياسية ، قسموا وجزأوا هذا المسيح الواحد . فأعلن الواحد أنه لبطرس والآخر لبولس والآخر لأبولوس .

٨ — إن مسيح الوحدة والسلام يدعو كنيسته المحبوبة التى أحبها وبذل حياته من أجلها ، أن تعيش وتمارس فى حياتها العملية الوحدة الحقيقية ، لأن كنيسة اليوم تجتاز فترة من أصعب وأحرج الفترات فى تاريخها ، مهاجمة من الداخل

ومن الخارج . فإن قوات الجحيم على اختلافها وتنوعها ، تجند جيوشها وتمدهم بالعدة الكافية للهجوم عليها بقصد سحقها وملاشاتها من الوجود . أمام هذه التحديات الخارجية والداخلية ، وأمام الانقسامات المحزنة المؤلمة التى مزقت كنائسنا وأعضاءها ، يدعونا رب الكنيسة وراعيها العظيم ، الذى هو الرأس الحقيقى أن نحقق كلنا على اختلاف طوائفنا ، رغبة قلبه التى أعلنها فى صلاته الكهنوتية الوداعية عندما قال « ليكون الجميع واحدًا كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى » (يو ١٧: ٢١)

